دراسات في الأرشيف والمعلومات



إعداد
الدكتور ابراهيم أحمد المهدوي
أستاذ بقسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة قاريونس

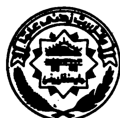




منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

دراسات في الأرشيف والمعلومات

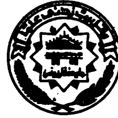
إعداد
الدكتور ابراهيم أحمد المهدوي
أستاذ بقسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة قاريونس



منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

الطبعة الأولى
1998

رقم الإيداع : 3166 / 97 ف



منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

إهداء

إلى زوجتي

وإلى أبنائي: أحمد ومالك ورفيق

وإلى بناتـي: سارة وهاجر ومريم وسناء

وإلى إخوتي: محمد وبالعيد

وإلى أختـي: هنـاء

مع خالص تقديري

د. إبراهيم أحمد المهدوي

بنغازي 1996/10/30م

مقدمة

تعتبر الوثائق من بين أهم مصادر المعلومات خاصة وأنها تشتمل على بيانات ومعلومات أساسية يجب الاعتماد عليها فى تقنية إجراء البحوث العلمية فى كافة مجالات المعرفة. فالوثائق هى عبارة عن شواهد نعتمد عليها من أجل تأكيد مصداقية فرضيات البحوث أو بمعنى آخر دراسة أحداث الماضى كما فى علم التاريخ، الذى يعتمد على الوثائق «لا تاريخ بدون وثائق».

إن الوثائق التى نقصدها فى هذا الكتاب هى الوثائق التى تم توليدها طبيعياً، فهى بالتالى وثائق تتميّز بالصحة والموضوعية Authenticity وعدم التجزئة Impartiality والعلاقات المتبادلة Interrelationship بالإضافة إلى الطبيعية Naturalness كما ذكرت، وهذه جميعاً هى الخصائص الأساسية للوثيقة الأرشيفية كما يوردها بعض المتخصصين فى علم الأرشيف والذين كان من بينهم هدسون Hodson . فى الواقع إن هذه الوثائق قد أصبحت نتيجة عمليات حفظها ورعايتها ذات أهمية خاصة وأنها قد حفظت فى مكان تم تحديده وفقاً للقانون، أو تحت الحضانة الشرعية Legal Custody .

إن الوثائق وفقاً لما أشرت إليه لا يجب أن نفهم أهميتها كما قد يتبادر إلى الذهن لدى بعض الذين يرون أن أهمية الوثائق تقتصر فقط على كونها مصدراً للمعلومات فى كتابة التاريخ، بل العكس من ذلك فإن الوثائق رغم كونها ذات أهمية كمصدر لكتابة التاريخ كما يبدو من محتويات هذا الكتاب، إلا أنها تعتبر مصدراً حيوياً للمعلومات والبيانات لمتخذى القرارات على كافة المستويات. فالمحفوظات أو الوثائق الجارية تكوّن فى الواقع الذاكرة الذاتية للمؤسسة أو الهيئة رغم اختلاف الأنشطة التى تقوم بها فى المجتمع، فالشركات النفطية وغيرها من المؤسسات الأخرى فى المجتمع المعاصر لا تستطيع أبداً الاعتماد على مصادر المعلومات الخارجية فقط رغم توفر الكثير من مراكز ومراصد المعلومات التى أخذت تمثل مظهراً حضارياً فى مجتمعاتنا الحالية مما أدى إلى ظهور ما يعرف بمجتمعات المعلومات مع بداية القرن الواحد والعشرين .

ونظراً لأهمية علم الأرشيف الذى يقوم بدراسة الوثائق بأنواعها المختلفة ولكونها تمثل الذاكرة الحيّة للمجتمع البشري، لما تشتمل عليه من بيانات ومعلومات هى عبارة عن مصدر قوة لمن يمتلكها من المجتمعات خاصة وأنها تساعدنا فى بناء جسور يمكننا عبورها من الماضى إلى الحاضر ثم المستقبل، قمت باختيار بعض الدراسات التى كنت قد شاركت بها فى بعض المؤتمرات العلمية المحلية والتى تم نشر معظمها فى بعض الدوريات أو فى بعض الكتب الصادرة عن تلك المؤتمرات المشار إليها، تلك الدراسات التى اعتمدت كلياً فى بعض الأحيان فى كتابتها على المصادر الوثائقية، بالإضافة

إلى اختيارى لبعض البحوث، وفصول من بعض الكتب المنشورة باللغات الإنجليزية والإيطالية حيث قمت بترجمتها بموضوعية خاصة وأنها تتناول قضايا الأرشيف والمعلومات، هذا وقد حرصت على ذكر كافة البيانات الببليوجرافية للمقالات والبحوث العلمية المنشورة المختارة فى هذا المجال والتى حاولت بقدر الإمكان أن تكون حديثة النشر رغم أن الدراسات فى هذه الموضوعات قليلة جداً إذا ما قورنت بموضوعات العلوم الأخرى.

وفى هذا الكتاب الذى يعتبر مكملاً لمواد الأرشيف والمعلومات التى تدرس لطلبة قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب - جامعة قاريونس، قمت بتقسيم هذه الدراسات إلى سبعة فصول تم تخصيص الفصول الأربعة الأولى للدراسات والبحوث التى كنت شاركت بها فى بعض المؤتمرات العلمية كما ذكرت أو تم نشرها فى بعض الدوريات الليبية باللغة العربية، أما الفصول الثلاثة الأخيرة فقد تم تخصيصها للدراسات المختارة والمنشورة فى بعض الدوريات والكتب الأجنبية فى مجال علوم الأرشيف والمعلومات بعد أن قمت بترجمتها إلى اللغة العربية.

وأخيراً يسعدنى تقديم هذا الكتاب إلى زملاء المهنة فى وطننا العربى الكبير، راجياً من الله أن يساهم فى جذب اهتمام المسؤولين فى كافة القطاعات إلى أهمية الوثائق باعتبارها مصدراً حيوياً للبيانات والمعلومات لا يمكن الاستغناء عنه أبداً فى تنمية المجتمع، إن هذا القول يفرض علينا كأصحاب مهنة ضرورة الحرص على تحسيس أولئك المستفيدين من المعلومات لكى يبذلوا ما فى وسعهم من أجل المحافظة على تلك المصادر

وذلك بتوفير العناصر البشرية ذات الكفاءة والدراية اللازمة للقيام بإدارة الأرشيفات ومراكز المعلومات . هذا ونأمل أن يكون هذا الكتاب قد ساهم ولو قليلاً فى سد الثغرة الموجودة بالفعل فى مجال الكتابات بواسطة المتخصصين فى مجال علوم الأرشيف والمعلومات والله يوفقنا جميعاً إلى خدمة هذا الوطن أنه سميع مجيب الدعاء .

د. إبراهيم أحمد المهدوي

الفصل الأول

- المعلومات والتنمية الشاملة .
- دور المعلومات في تنمية المجتمعات الصغيرة .
- علاقة المؤلف بالناشر.
- مخطوطات ليبية في المغرب .
- تأهيل المرأة الليبية في مجال المكتبات .

المعلومات والتنمية الشاملة

مقدمة:

يلعب العلم دوراً هاماً وأساسياً فى تغيير وتطوير المجتمعات الإنسانية، وقد اهتم الإنسان منذ فجر التاريخ الإنسانى الطويل بتدوين خبراته وكل ما وصل إليه من تجارب عملية على الألواح الطينية والحجارة والبردي، وغيرها من المواد التى توفرت لديه، وكان يقوم بتجميعها وتنظيمها وحفظها فى المعابد وغيرها من الأماكن خوفاً من ضياعها، وبالتالى الرجوع إليها وقت الحاجة لاسترجاع المعلومات المطلوبة لمواجهة موقف معين أو مشكلة معينة وقد أشار الدين الإسلامى إلى أهمية العلم وحث المسلمين على التعلم، حيث وردت لفظة العلْمُ ثمانون مرة[1] فى القرآن الكريم، كما أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم» [2] حث المسلمين على التعلم فى أحاديثه الشريفة المتعددة، حيث نجده يقول «صلى الله عليه وسلم» فى إحداها

1- عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1945 - ص ص 478-479.

2- شيدت مكتبة عامة فى الوقت الحالى فى الموقع الذى كانت توجد به دار الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة.

«من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم» .

وقد أسهمت المكتبات الإسلامية التى كانت قد ألحقت بالمساجد فى بداية الدعوة الإسلامية، فى نشر الدين ومحو الأمية بين المسلمين مما كان له اثر كبير فى النهضة العلمية التى ساعدت الدولة الإسلامية فيما بعد والتى أدت إلى ازدهار وتقدم المسلمين فى كافة المجالات العلمية المعروفة حينذاك، وهكذا ظل المسلمون سادة العالم لعدة قرون مضت بفضل اهتمامهم بالعلم والعلماء والمكتبات، وقد ازدهرت أهمية العلم فى الوقت الحاضر، حيث أصبحت الدول الكبرى تتنافس فى مجال الحصول على المعلومات، بعد أن أصبحت عنصراً أساسياً هاماً أخذ يتغلغل فى جميع الأنشطة الاجتماعية والإنسانية التى يقوم بها الأفراد داخل المجتمع، حيث أن ازدياد أهمية المعلومات برهن على الدور الفعال والإيجابى الذى تقوم به فى سبيل الارتقاء بمستوى الإنسان ليس بمساعدته فى مواجهة المواقف أو المشاكل التى تواجهه فحسب، بل وبالتغلب عليها أيضاً، ولما كانت أهداف التنمية تحسين ظروف المعيشة للإنسان فى المجتمع، فإن أية خطة تنمية تعتمد فى تحقيق أهدافها على توفير المعلومات اللازمة .

فإن ذلك يجعل من المعلومات أحد مصادر الطاقة [1] الضرورية للمجتمع ويحرر الإنسان من العجز، بل يدفعه إلى تحقيق إشباع حاجاته الأولية بالإضافة إلى بقية احتياجاته الأخرى كالعقلية والروحية أيضاً .

1- Ayesh, H. Information is a form of Energy. Journal of the social Sciences. Vol. 6 No. 3 . Oct. 1978. - p. 3.

أن الاعتماد على المنهج العلمى الموضوعى أدى إلى تقدم أو تطور المجتمعات الغربية والذى كان من بين معطياته الاعتماد على المعلومات باعتبارها مورد استثمارى ذو فعالية إيجابية فى دفع عجلة التقدم والازدهار التى تتمتع بثماره أوربا الغربية حالياً، أن الاعتماد على المعلومات فى اتخاذ قرارات تنفيذ خطط التنمية فى المجتمع، أصبح هو الوسيلة الوحيدة لإحداث التغير الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى بالمجتمع بدلاً من الاستنزاف الخطير الذى تعانى منه الدول النامية سواء فى الموارد الطبيعية أو البشرية . . . الخ.

نتيجة للقرارات الاعتباطية الخاطئة التى غالباً ما يتخذها الإداريون أو السياسيون دون الاعتماد على توفير المعلومات اللازمة من أجل اتخاذ قرارات سليمة صحيحة متميزة برؤية مستقبلية، خاصة وأن توفير المعلومات بل واعتبارها عنصراً ذا فعالية فى تحقيق أهداف التنمية يساعد المسئول صاحب القرار الإلمام بشتى جوانب المشكلة المطروحة عليه وبالتالى اتخاذ قرار معين من بين مجموعة القرارات المطروحة أمامه.

ازدياد حجم مصادر المعلومات:

يشهد العالم ازدياداً مستمراً فى حجم المعلومات منذ بدايات القرن العشرين، وقد أطلق العلماء على هذا النمو الهائل المتزايد فى الإنتاج الفكرى ما يعرف بـ «انفجار المعلومات» Information Explosion أو «ثورة المعلومات» Information Revolution حيث اخذ الإنتاج الفكرى فى مجال

العلوم البحتة والتطبيقية يتضاعف كل عشر سنوات، أما فى العلوم الاجتماعية فان الإنتاج الفكرى يتضاعف كل اثنى عشر عاماً.

ويتضح ازدياد حجم الإنتاج الفكرى جلياً من خلال ازدياد تعداد الدوريات العلمية التى تقوم بنشر الإنتاج فى كافة فروع المعرفة، فقد بلغ تعداد الدوريات حوالى المليون دورية، أما عن الدوريات التى تستجد سنوياً فقد تراوح عددها ما بين 15 ألف و 20 ألف دورية سنوياً.

أما ما يصدره العالم سنوياً من الكتب بلغ حوالى 600.000 ألف كتاب[1] حيث تحتل أوربا المرتبة الأولى بنسبة 45 ٪ تليها أمريكا الشمالية ثم آسيا «بدون الاتحاد السوفيتي».

ثم يلى أمريكا الجنوبية فى الترتيب أفريقيا واستراليا، أما فى مجال الدوريات العلمية فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية فنتوقع أن يصل تعدادها الإجمالى خلال عام 2000م إلى حوالى 400.000 دورية [2] وفقاً لتوقعات قائمة الدوريات العلمية المعروفة باسم : - World List of Scientif-ic Periodicals ويتضح هذا النمو الهائل فى حجم الإنتاج الفكرى فى كمية ما ينشر فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية حيث بلغ ما يصدر سنوياً فى تلك العلوم حوالى 55 ألف مجلة علمية تقوم بنشر بحوث بصفة دورية، أما عدد

1- خليفة، شعبان، طرق ومشكلات الحصول على مصادر المعلومات. القاهرة: الحلقة الدراسية الثالثة المنعقدة بالمركز فى المدة 10-28 نوفمبر 1979 : حول «نظم المعلومات فى العلوم الاجتماعية». المركز الإقليمى العربي. 1979م. ص 60.

2- عبد الهادي، محمد فتحى : مقدمة فى علم المعلومات. القاهرة : مكتبة غريب، 1984. ص30-31.

المقالات العلمية والفنية التى تشتمل عليها تلك الدوريات سنوياً بلغ حوالى مليون ومائتا ألف مقالة[1] هذا بالإضافة إلى صدور 60 ألف كتاب ومائة ألف تقرير بحث فى هذا المجال حيث بلغ مجموع ما ينشر كل 60ثانية فى العالم اكثر من 2000 صفحة مطبوعة سواء كانت على شكل كتاب أو مجلة أو تقرير بحث، أما عدد لغات الإنتاج الفكرى فقد بلغ 30 لغة، تمثل اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية حوالى 70 ٪ منه وكنتيجة حتمية لازدياد حجم الإنتاج الفكرى تنوعت أشكال أوعية المعلومات أو مصادر المعلومات فلم تعد تقتصر على الأوعية التقليدية المعروفة كالكتب بل أصبحت تشتمل على الوسائل السمعية والبصرية كالأفلام والاسطوانات والمصغرات الفيلمية والأشرطة الممغنطة وغيرها من أوعية المعلومات المتعددة الأشكال المتطورة الأخرى.

وقد أدى ازدياد حجم المعلومات وضرورة التخصص الدقيق فى مجال معين من قبل المتخصصين أو المستفيدين إلى الإسراع من أجل السيطرة على مشكلة المعلومات التى أخذت تزداد سنوياً، حيث برزت أهمية علم التوثيق من أجل ضبط مشكلة المعلومات خاصة وأن جوهر التوثيق يشتمل على كافة العمليات والأساليب الفنية المعقدة فى تجميع وتنظيم وتخزين وحفظ المعلومات لاسترجاعها. أن المعالجة الفنية لمصادر المعلومات أو أوعية المعلومات أصبحت ضرورية وذلك لأنها تساعد الباحثين أو المستفدين فى الحصول على المعلومات اللازمة المطلوبة فى أقصر وقت وبأقل جهد ممكن

1- الشعافي، حامد : قضية المعلومات وأهمية الإعداد الببليوجرافى لها . مجلة رسالة المكتبة . مج 16 . ع 3. أيلول 1981م. ص 31.

لاستخدامها فى التنمية بالإضافة إلى أنها تساعد المستفيدين أيضاً على الابتكار والتأليف. ولمعرفة دور المعلومات فى التنمية يجب تحديد فى البداية وبإيجاز المقصود بمصطلح المعلومات أولاً، ثم مصطلح التنمية ثانياً.

أولاً: المعلومات Information

يقدم المنجد الأبجدى [1] تعريفاً للمعلومات هو «كل ما يعرفه الإنسان عن قضية، عن حادث"

أما «مكنز» مصطلحات المكتبات والمعلومات [2] فيقدم ثلاثة معانى لمصطلحات المعلومات هى :-

1 - الحقائق الموصلة.

2- رسالة تستخدم لتمثيل حقيقة أو مفهوم باستخدام وحدة «وسط بيانات» ومعناه.

3 - عملية توصل حقائق أو مفاهيم من أجل زيادة المعرفة».

أما روبرت هايز [3] R . Hayes فيورد أن لفظة معلومات ليس لها تعريف محدد فهى مرتبطة بعدة معاني، فالبعض يحددها بالحقائق المسجلة أو بمحتويات النص أو النقل عبر وسائل الاتصال. يضيف محمد عبد

---

1 - المنجد الأبجدي. ط2، بيروت: دار الشروق 1968م. ص 979.

2 - عبد الهادي، محمد فتحي. مكنز مصطلحات علم المكتبات والمعلومات. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات. 1980م. ص 135.

3 - Hayes, R. M. Information Science Education. - In ALA World Encyclopedia of Library and Information Services. - Chicago: ALA, 1980. p.248 .

الهادي، بأن المعلومات «هى أى معرفة تكتسب من خلال الاتصال أو البحث أو التعليم أو الملاحظة " [1].

ويقسم البعض المعلومات الموصلة إلى ثلاثة أنواع هى :-

1- المعلومات الإنمائية Developmental

ويمكن الحصول عليها عن طريق القراءة.

2- المعلومات البيداجوجية Pedagogic

وهى تلك التى يمكن الحصول عليها بواسطة التعلم.

3- المعلومات الانجازية Achievemental [2]

وهى تلك التى يمكن الحصول عليها وذلك عن طريق الاستعانة بالبحث والتنقيب فى مصادر المعلومات كالقوائم الببليوغرافية أو الكشافات . . . الخ.

ويرى روبرت هايز [3] أن هناك تمايزاً ما بين المعلومات Information والبيانات Data حيث تمثل البيانات Data الحقائق الخام التى لا توجد بينها رابطة أحياناً، أما المعلومات Information فهى عكس البيانات حيث تمثل مجموعة البيانات فقط التى توجد بينها رابطة .

1- عبد الهادي، محمد فتحي. مفهوم المعلومات ودورها فى خدمة البحث والمجتمع. مجلة عالم المعلومات. مج 1. س6. ع1. ربيع 1983م. ص 77.

2- Viswanathan. C. G. Elements of Information Science. New Delhi: Today & Tomorrow's Printers and Publishers, 1976. p.5 .

3- Hayes, R. M. " Information Science " OP cit . p. 249 .

وعليه فإنها تساعد فى زيادة المستفيدين حول موضوع ما . . [1]
فالبيانات إذاً هى عبارة عن مجموعة عشوائية من البيانات لا توجد بينها رابطة أحياناً ، ، لذلك فهى «لا تصبح معلومات إلا بعد استخدامها لغرض معين [2] وذلك بعد التأكد من وجود رابطة بينها .

فالمعلومات تؤدى إلى زيادة المعرفة التامة بمشكلة ما ، تكون قيد البحث لذلك يجب على المستفيد إخضاع كافة البيانات للانتقاء النوعى Quality Filtering قبل استخدامها لكى يتم عرض كافة البيانات من اجل معرفة رابطة الصلة فيما بينها بالإضافة إلى معرفة معايير الدقة والصحة التى تحتوى عليها .

إن فرز البيانات لانتقاء منها ما يناسب المشكلة المطروحة للبحث أو دمجها مع بعضها البعض من أجل خلق رابطة بينها يتيح للباحث أو المستفيد فرصة التأكد من صحة ودقة البيانات التى تم اختيارها قبل استخدامها لغرض معين ، أى أن البيانات يجب أن تمر بعدة عمليات حتى تصير معلومات ذات دلالات معينة [3] ، مما يساعد فى اختيار منها ما يناسب موقف معين ، أو مشكلة ما ، فالمعلومات تمر بعمليات متعددة بالإضافة إلى

1- يوسف ، سمير محمد : إدارة المنظمات ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1980م . ص 103 .

2- Faibisoff, sylvia C. and Donald P. Flay. Information and Information needs. in Key papers in the design and evaluation in Information systems. Ed, by Berler C. Griffith " New York; Knowledge Industry Publications, 1980. p. 270 .

3- الشيمي ، حسنى عبد الرحمن : المعلومات ودورها فى صناعة القرار . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س5 ، ع2 . إبريل 1985م - رجب1405هـ . ص 24 .

عدة عمليات معينة أخرى يدوية أو آلية من اجل أن تصبح معلومات ترتبط بدلالات محددة بواسطتها يتم تشخيص المشكلات المنبثقة فى الواقع من أجل إيجاد حلول لها .

مصادر المعلومات:

نتيجة لانفجار المعلومات Information Explosion الذى حدث بسبب تراكم المعلومات الذى أخذ يتزايد سنوياً فى كافة مجالات المعرفة المتعددة، فان مصادر المعلومات أو أوعية المعلومات قد تعددت أشكالها أو أنواعها فلم تعد تقتصر على الأوعية التقليدية كالكتب ودوائر المعارف والقواميس والرسومات والخرائط بل شملت أيضاً أوعية جديدة أخرى لم تكن معروفة من قبل كالمصغرات الفيلمية التى ساهمت فى توفير مساحات للتخزين، بالإضافة إلى الشفافيات والشرائح وكذلك الأشرطة الممغنطة وغيرها من الأوعية المستحدثة نتيجة للتطور والزيادة الهائلة التى يشهدها القرن العشرين فى رصيد المعرفة وتعتبر كل من قصاصات الصحف والنشرات ووكالات الأنباء كذلك التقارير التى يرسلها المراسلون فى مواقع الأحداث بالإضافة إلى الصور من أهم مصادر المعلومات التى تعتمد عليها وسائل الاتصال الجماهيرى Mass Communication .

إن عملية الحصول على المعلومات للاستعانة بها فى مواجهة موقف معين، يفرض على المستفيد ضرورة التعرف على مصادر المعلومات، والتى اختلف فى تقسيمها إلى فئات نظراً لما تشتمل عليه من معلومات أولية أو ثانوية ومن الدرجة الثالثة .

إن ذلك التقسيم يرجع فى أحيان أخرى إلى عملية إخراجها كمصادر مطبوعة وأخرى مخطوطة. ولا عتبار الإنتاج الفكرى مصدر للمعلومات لكثير من المستفيدين فقد تم تقسيمه إلى قسمين، أحدهما إنتاج فكرى خيالى Fiction وآخر إنتاج فكرى موضوعى Non - Fiction ولكن يمكن التمييز ما بين مصادر المعلومات التالية :

أولاً : مصادر وثائقية :

وهى تشتمل المصادر الأولية، الثانوية ومن الدرجة الثالثة وفقا لترتيب ظهورها .

ثانياً : مصادر غير وثائقية :

وهى نوعان : رسمية وغير رسمية .

ويمكن ذكر بعض أنواع مصادر المعلومات بإيجاز فيما يلى :

أولاً : المصادر الأولية للمعلومات : «Primary Sources»

وهى الوثائق المطلوبة التى تنشر لأول مرة فى موضوعها، وهى لذلك تشتمل على أفكار جديدة أو تفسيرات لأفكار أو موضوع قديم، وهى تمثل المصدر الوحيد المتاح فى موضوعها، وغالباً ما يعتمد فى الاستفادة منها على الاستعانة بالمصادر الثانوية .

وتساعد المصادر الأولية للمعلومات [1] الباحث أو المستفيد فيما يلي : -

---

1- صالح، يلدز : مصادر المعلومات . القاهرة : الحلقة الدراسية الثالثة المنعقدة بالمركز فى المدة من 10-28 نوفمبر 1979م، حول «نظم المعلومات فى العلوم الاجتماعية» - المركز الإقليمى العربى للبحوث وللتوثيق فى العلوم الاجتماعية . 1979 م . ص47 .

(1) تفادى تكرار جهود غيره من الباحثين .

(2) سهولة التعرف على ما توصل إلية غيره فى مجال تخصصه .

(3) البدء من النتائج التى توصل إليها زملاؤه فى موضوع ما، وذلك من أجل إنتاج أو الوصول إلى نتائج إيجابية أخرى جديدة فى مجال تخصصه .

وتشتمل المصادر الأولية على أشكالٍ مختلفة منها :-

(1) الدوريات المتخصصة	Periodicals
(2) تقارير البحوث	Research Reports
(3) مونوجرافات البحوث	Research Mongraphe
(4) المواصفات القياسية	Standards
(5) الإنتاج الفكرى التجارى	Trade Literature
(6) براءات الاختراع	Patents
(7) الرسائل الأكاديمية	Dissertations
(8) المطبوعات الرسمية	Official Publication
(9) أعمال المؤتمرات	Conference Proceedings

ومن بين المصادر الأولية الغير منشورة Unpublished Primary Sources يمكن ذكر ما يلى :-

(1) مذكرات المعامل .

(2) الرسائل الشخصية .

(3) اليوميات .

(4) الصور . . . . الخ .

ثانياً: المصادر الثانوية للمعلومات: Secondary Sources

تشمل المصادر الثانوية على معلومات تم نشرها من قبل، وبالتالى فهى لا تقدم معلومات جديدة إلا أنها تعد من المصادر الضرورية للباحث فى التعرف على المصادر الأولية، لأنها تقدم المعلومات المتاحة التى تكون غالباً مرتبة وفقاً لمعيار معين. ومن بين الأوعية أو الأشكال المختلفة التى تحتوى عليها يمكن ذكر منها ما يلي :-

(1) الكشافات ونشرات المستخلصات Indexes and Abstracting Bulletins

(2) الكتب المرجعية Reference Books

(3) الكتب الدراسية Textbooks

(4) الأعمال الشاملة Treatises

(5) الموجزات الإرشادية Manuals

(6) الجداول Tables

ثالثاً: المصادر من الدرجة الثالثة: Third Sources

تعتبر من مصادر المعلومات الهامة نظراً لازدياد حجمها سنوياً، وتفيد مصادر الدرجة الثالثة فى ترشيد المستفيدين من الاستفادة من أوعية المعلومات الأولية والثانوية ويعد من بين الأشكال المختلفة التى تشتمل عليها هذه الفئة ما يلي : -

(1) ببليوجرافيا الببليوجرافيات Bibliography Of Bibliographies

(2) الأدلة Directories

(3) المرشد إلى أدب الموضوع Guide to Literature

المصادر غير الوثائقية :

تعتبر هذه المصادر هامة جداً لأنها تقدم ما تقصر دونه[1] بقية المصادر الأخرى، بالإضافة إلى أنها تكون جانباً أساسياً فى الإنتاج الفكرى خاصةً فى مجالى العلم والتكنولوجيا، وتنقسم هذه المصادر إلى نوعين : -

1- مصادر رسمية : Formal Sources **مثل :**

(1) مراكز البحوث .

(2) الجمعيات العلمية والروابط المهنية .

(3) الجامعات والمعاهد العليا .

(4) الأجهزة الحكومية .

1- قاسم، حشمت: مصادر المعلومات. القاهرة: مكتبة غريب. 1980م. ص 14 .

2- **المصادر الغير رسمية :** Informal Sources

وهى تعتبر مصادر حية ذات أهمية بالغة خاصة وأنها تعتمد على الاتصال الشخصى فى تبادل المعلومات، وهى مثل :

(1) المحادثات التى تدور بين الزملاء والزوار .

(2) اللقاءات أو المناقشات فى المؤتمرات العلمية .

كيفية الحصول على مصادر المعلومات :

هناك أربعة طرق للحصول على مصادر المعلومات فى مراكز المعلومات والمكتبات ولكل من هذه الطرق أهمية خاصة بالإضافة إلى ما تنطوى عليه من إجراءات ومشكلات ونكتفى بذكرها فقط دون التوغل فى سردها وهي :-

1- الشــــراء :

ويعتبر من أهم الطرق فى اقتناء مصادر المعلومات، وهى تعتمد على تخصيص ميزانية كافية من أجل الحصول على مصادر المعلومات المطلوبة فى السوق المحلية والسوق العالمية .

2- التبـــادل :

إن تبادل مصادر المعلومات ما بين مركز معلومات وآخر بدون تدخل العملة، يعتبر مقايضة ويعتبر التبادل ذو أهمية خاصة فى الحصول على بعض مصادر المعلومات خاصة تلك التى لا يمكن الحصول عليها بطرق أخرى .

3- الهدايا :

ويمكن الاعتماد عليها فى الحصول على مصادر المعلومات ولكن بشرط أن لا يكون الاعتماد على تلك الطريقة بصفة مطلقة، لأنه يعرض مقتنيات مركز المعلومات للتدهور، وتأتى الهدايا من المطبوعات وغيرها من مصادر المعلومات المختلفة عن طريقين أحدهما يعرف بالإهداء، أما الثانى فبالإستهداء [1].

4- الإيداع القانونى :

تفرض قوانين كثير من الدول على المؤلفين والناشرين ضرورة إيداع نسخ محددة من كل عمل فكرى يقومون بنشره. وقد وفرت هذه القوانين حصول مراكز المعلومات الوطنية على كافة مصادر المعلومات التى تنشر داخلياً بالإضافة إلى توفير المال اللازم فى الحصول على غيرها من المصادر التى تم نشرها فى الخارج.

إن مشكلة بعض الدول النامية لا تكمن فى الحصول على مصادر المعلومات، بل فى عجز مراكز المعلومات فيها على تنظيم وضبط المعلومات، إن ازدياد حاجات المؤسسات والهيئات المختلفة بالدول النامية إلى المعلومات من أجل الإسراع فى تحقيق أهداف التنمية الشاملة فى المجتمع، أدى فى الواقع إلى ضرورة إيجاد بل وخلق مراكز معلومات متخصصة ليتم إلحاقها بتلك المؤسسات والهيئات فى جميع قطاعات المجتمع، أو بإيجاد مركز وطنى للمعلومات تكون من بين وظائفه المتعددة

1- عبد الهادي، محمد فتحى : مقدمة فى علم المعلومات، مصدر سابق، ص 112.

القيام بتجميع المعلومات ومعالجتها وتخزينها لاسترجاعها بسهولة، بالإضافة إلى تزويد الباحثين أو المستفيدين بالمعلومات. أن قيام مركز المعلومات بهذه المهمات يتطلب ضرورة توفير ما يلى :-

(1) إدخال تكنولوجيا للمعلومات تكون ملائمة للبيئة التى تعمل فيها، ومن الوسائل التكنولوجية المستخدمة فى مجال ضبط وتنظيم وتحليل وتخزين واسترجاع المعلومات ما يعرف بمرصد البيانات Data Base وبنك المعلومات Information Bank وتعنى مراصد البيانات بمعالجة البيانات الببليوغرافية الخاصة بأوعية المعلومات أو بمعنى آخر القيام بالاختزان الببليوغرافى بكل أنواعه. أما بنوك المعلومات فهي تهتم بمعالجة المعلومات المطلوبة من خلال مفاتيح أو مدخل محدد .

(2) توفير عدد من المهرة الفنيين ذوى الكفاءة العالية والخبرة من أجل تشغيل وصيانة التقنية المستخدمة فى نظم المعلومات، بالإضافة إلى إدارة مراكز المعلومات.

(3) توفير عدد من أخصائى المعلومات Information Specialists ومهمتهم ليس فقط تجميع المعلومات وفقاً لتخصصات المستفيدين بل وترشيد المستفيدين فى كيفية الحصول على المعلومات والاستفادة منها أحياناً، بالإضافة إلى المحافظة على استمرارية تدفق أوعية المعلومات إلى مركز المعلومات .

(4) توفير الدعم المالى اللازم .

(5) ضرورة وجود نسبة عالية من المتعلمين أو بمعنى آخر من المستفيدين الذين سوف يستفيدون من مركز المعلومات، بالحصول على المعلومات اللازمة فى جميع مجالات البحث والتخطيط. وفى الواقع إن انتشار الأمية فى المجتمعات النامية يحول دون نشر المعلومات والاستفادة منها، وبذلك تكون مراكز المعلومات عبئاً اقتصادياً يرهق ميزانية تلك المجتمعات .

إن سياسات المعلومات فى كثير من الدول تتأثر بالنظم السياسية السائدة فى المجتمع، وعليه فإنها تخضع للدولة وإدراكها لأهمية المعلومات فى تحقيق أهداف التنمية بالمجتمع. إن اعتبار الدولة للمعلومات عنصراً حيوياً يجب الاهتمام به فى جميع مرافق الدولة يساعد بالتأكيد فى تحسين بقية الوسائل الأخرى كوسائل الاتصالات، كالبريد الذى يعتبر من عوامل التنمية الثقافية والاجتماعية .

بالإضافة إلى انه يدفع إلى تنمية أو تحسين الطرق والسكك الحديدية والموانى البحرية والجوية [1] فى المجتمع .

ثانياً: التنمية Development

هناك عدة تعريفات لمصطلح «التنمية» فهى تعنى فى الدول الفقيرة نقل السكان من الفقر إلى الغنى والثروة، كما يحدد البعض مفهوم التنمية بعبارة

1- الاتحاد البرى الدولى : مذكرة عن دور البريدُ بوصفه عاملاً من عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. برن «سويسرا»، المكتب الدولي. قسم الإعلام. 1974م. ص ص15-17.

فحواها إشباع الحاجات الأساسية للإنسان. ويرى سلوفرتادو «فى مقالة نشرت له، أن مفهوم التنمية يمكن معالجته من ثلاثة معايير توجد بينها علاقات معقدة هى :

(1) المعيار الأول يمثل «زيادة فى كفاءة نظام الإنتاج، ويعتبر هذا المعيار فى رأيه - المؤشر الرئيسى فى التنمية .

(2) المعيار الثانى وهو يمثل إشباع حاجات السكان الأساسية .

(3) المعيار الثالث والأخير فهو معيار بلوغ الأهداف التى تسعى إليها مختلف الجماعات فى المجتمع والمرتبطة باستخدام موارد نادرة[1] .

ومن التعريفات الأخرى للتنمية، نجد من يعرفها بأنها عبارة عن توافق اجتماعى[2] Social adjustment وذلك من اجل إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان، فهى بعبارة أخرى نقل الإنسان إلى مستوى افضل يستطيع معه تحقيق إشباع حاجاته الأساسية العقلية والروحية .

وبهذا فان معنى التنمية لا يقتصر على إشباع الحاجات الأولية للإنسان بل يتعداه إلى تحقيق جميع الحاجات الأساسية التى تميزه عن بقية المخلوقات الحية الأخرى[3]. ولما كانت أهداف التنمية هى تحقيق إشباع حاجات الإنسان

1- فرتادو، سلو. التنمية. ترجمة. راشد البراوي. المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية. ع 33، س9. أكتوبر - ديسمبر 1978م. ص 76.

2- العطار، نادية شفيق. دور المرأة فى التنمية. المجلة الاجتماعية القومية. ع1-2. مج 18. يناير - مايو 1981م - ص165.

3- أحمد، سمير نعيم. التحديات الاجتماعية للتنمية والمشكلات الاجتماعية. مجلة العلوم الاجتماعية. ع2. يوليو 1979م- ص 39.

فان التنمية هدفها الإنسان باعتباره مورداً هاماً لا يمكن تجاهله فى تحقيق أهداف التنمية، لذلك يجب على كل الأفراد فى المجتمع المشاركة فى تحقيق أهداف التنمية، خاصة وأنها تعتبر عملية مجتمعية شمولية تراكمية[1]. لا تتم إلا فى نسيج من التفاعلات التكاملية بين عناصرها وجوانبها المختلفة وعلى الرغم من اختلاف تلك العناصر بعضها عن بعض فان عملية التنمية لا يمكن أن تتم بمعزل عن كافة التطورات التى تحدث على البيئة الثقافية والحضارية والاقتصادية بالإضافة إلى التطورات التكنولوجية[2].

إن تحقيق أهداف التنمية يتطلب تغييراً جذرياً يشمل كافة الأجهزة الإدارية فى مرافق الدولة، بحيث يتم تطويرها لتكون متمشية مع متطلبات أو حاجات المجتمع العصرية.

إن هذا يتطلب أيضاً من الدولة النامية ضرورة القفز فوق سدود الروتين الذى تعانى منه تلك المجتمعات، من اجل تحقيق مرحلة التحول نحو الأفضل، فالتنمية يجب أن تشمل كافة قطاعات المجتمع من أجل تحقيق التوازن. فاستغلال المعلومات لتسخيرها فى خدمة البحث لا يتم - فى الواقع إلا بتطوير كافة الأجهزة الإدارية والتنظيمية والقانونية [3] والتعليمية

1- حماده، طارق. التنمية بين الإدارة والمعلومات. المجلة العربية للإدارة. مج9. ع1. عمان - شتاء 1985م. ص 15.

2- زروق، خالد. لائحة تنمية وتطوير القري بالمملكة العربية السعودية والتنمية الريفية المتكاملة : دراسة تحليلية. مجلة الإدارة العامة. ع49، س 25. مارس 1986م. ص 88.

3- نجار، اسكندر. الدول النامية وتحديات التكنولوجيا. مجلة العلوم الاجتماعية ع2، س2، يوليو 1978م. ص 36.

حيث يتم إعادة صياغة المناهج فى كافة المؤسسات التعليمية بالمجتمع من أجل أن تكون مواكبة للمتطلبات الحديثة .

إن ارتباط مفهوم التنمية Development باحتياجات الدول النامية دائماً يفرض على أولئك القائمين بوضع خطط التنمية الاعتماد على المعلومات باعتبارها عنصراً هاماً ليس فقط . من أجل إصدار قرارات سليمة، تخص تحقيق الأهداف المرسومة للتنمية، بل لأنها تنتج لأولئك إمكانية التنبؤ Forecasting بإيجابية تلك الأهداف إذا ما تحققت فى المستقبل .

وخلاصة القول، هى أن التنمية عبارة عن عملية تحوّل Becoming إيجابى نحو الأفضل، فهى النقل المنظم للمجتمع إلى حالة افضل مما كان عليه وبحيث يتم «تحقيق الرفاه المعيشى والحضارى لأفراده وتحقيق الذات والمشاركة فى الإنتاج»[1] أن ذلك يعنى نقل المجتمع من حالة التخلف إلى حالة التقدم مما يؤدى إلى زيادة قدرته على التفاعل الإيجابى مع بقية المجتمعات وتحقيق التكامل بين كافة قطاعات المجتمع، بحيث يتم التوازن، فلا يجوز مطلقاً الاهتمام بقطاع الاقتصاد دون غيره من القطاعات الأخرى .

1- المعجل، عبد الله حمد : التنمية الصناعية كمدخل للتنمية الشاملة فى الخليج . مجلة التعاون . ع6، س 2 . شعبان 1407هـ - إبريل 1987 ص ص 155-157 .

المعلومات وتحقيق أهداف التنمية :

إن للعلم دور هام فى تحقيق أهداف التنمية، ويبدو ذلك واضحاً فى تنمية مصادر الثروة البشرية بالمجتمع فجميع خطط التنمية تهدف إلى رفاهية الإنسان المستفيد الأول فى التنمية فالاهتمام بالعلم يجب أن يشمل الاهتمام أيضاً بالإنسان باعتباره يمثل مصدر الإنتاج الفكرى عن طريق إتاحة الفرصة له لإشباع احتياجاته الأساسية العقلية والروحية، خاصة وأن حرية التعبير تعتمد على توفير المعلومات له من أجل اختيار ما يناسبه منها. أما حجب المعلومات عن الإنسان فى بعض الدول النامية والذى يكون غالباً من اجل مصلحة طبقة اجتماعية معينة تتمتع بالنفوذ داخل النظام الاجتماعي، مما لا يتيح لإنسان الدول النامية الحصول على المعلومات اللازمة، وبالتالى يبقى عاجزاً عن المساهمة فى دفع مجتمعه نحو الأفضل.

إن الاهتمام بالمعلومات واعتبارها عاملاً إيجابياً ذا فعالية فى تحقيق أهداف التنمية يتطلب ليس فقط توفير المعلومات فى مراكز المعلومات التى تقوم بمعالجتها فنياً من اجل تسهيل الحصول على المعلومات اللازمة بواسطة المستفيدين بأقل جهد وأسرع وقت ممكن، بل أيضاً وجود إدارة تتميزبكفاءة عالية، خاصة وأن الإدارة تعتبر من العوامل الجوهرية التى تكمن وراء تقدم المجتمع، أما فساد الإدارة الذى تتميز به المجتمعات النامية فلا يؤدى إلى تحقيق أهداف التنمية التى تعتمد على تطور البيئة المحيطة بها كالثقافية والاقتصادية والتكنولوجية .

إن تنظيم وتحليل المعلومات لاسترجاعها بسهولة وذلك بواسطة أدلة مصادر المعلومات، كالببليوجرافيات وأدلة الدوريات مثل قوائم الدوريات

التى أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم وغيرها من الأدوات الأخرى كالكشافات والمستخلصات، يساعد المستفيدين «إداريين، باحثين، مهندسين، علماء . . . الخ» فى الإطلاع على ما يصدر فى مجالات تخصصاتهم سواء فى الداخل أو فى الخارج بصورة منظمة وسريعة .

إن تقديم مثل هذه الخدمات إلى الإداريين فى جميع قطاعات المجتمع يساعد على رسم استراتيجية إدارية تكون عنصراً إيجابياً فى تحقيق التنمية خاصة وأن نقل المجتمع من التخلف إلى التقدم، يتطلب رسم مثل تلك الاستراتيجية الإدارية كما يوردها دركر Drucker هى تحليل المواقف الحاضرة وتغييرها إذا ما تطلب الأمر ويشمل ذلك أيضاً تحدى ماهية الموقف ومقدار الموارد[1] فالتزاوج ما بين المعلومات والإدارة [2] يؤدى حتماً إلى ترجمة أهداف التنمية فى الواقع . وبالإضافة إلى أن المعلومات تعتبر عنصراً فعالاً فى إدارة الأنشطة التنموية، فإنها تؤدى إلى زيادة كفاءة المستفيدين وتحسين الأداء خاصة وان المعلومات أصبحت إحدى عناصر الإنتاج حيث برهنت خدمات المعلومات خاصة فى المشروعات الصغيرة والمتوسطة فى الدول النامية[3] على ارتفاع ملحوظ فى إنتاج المشروعات .

ومع ازدياد أهمية المعلومات فى المجتمعات، أصبحت تعتبر قاعدة أساسية يعتمد عليها فى اتخاذ القرارات سواء تلك التى تتعلق بالحاضر أو

1- Drucker, Peter . the Practice of Managment . Newyork: Harper and Row, 1954. P.1

2- حماده، طارق : التنمية بين الإدارة والمعلومات . مصدر سابق - ص 3 .

3- اثرتون، بولين : مراكز المعلومات : تنظيمها وإدارتها وخدماتها . ترجمة حشمت قاسم . القاهرة . مكتبة غريب . 1981م . ص 30 .

المستقبل. كما اصبح الأقوى فى عالمنا الحاضر هو من يمتلك المعلومات، مما أدى إلى ازدياد الهوة ما بين الدول الصناعية ، والدول الفقيرة أو النامية التى تفتقر إلى المعلومات، والتى يتم فيها اتخاذ القرارات على سرعة البديهة والتقدير العشوائى للمواقف التى تواجهها.

إن تخلف الدول النامية فى مجال المعلومات، أدى بتلك الدول أن تصبح عاجزة عن تحقيق الرفاهية لمواطنيها، مما دفع بعض الدول النامية إلى اعتمادها على الدول الصناعية الغنية فى توفير المعلومات مما أدى إلى ازدياد تخلف تلك الدول بسبب أن الدول الصناعية أخذت تعتمد على استراتيجية معينة فى تصدير المعلومات إلى الدول المحتاجة فهى تقوم فى البداية بغربلة تلك المعلومات من اجل فرز الجيد منها، ثم تصدير البقية للدول النامية سواء تم ذلك عن طريق الشركات الاستشارية التابعة للدول الصناعية أو على شكل مساعدات أو بعدة طرق أخرى .

إن إهمال دور المعلومات من جانب الدول النامية واعتمادها على استيرادها من الخارج بطرق متعددة لم يؤد إلا إلى ازدياد موقف تلك الدويلات سوءاً حيث أجبرت قسراً وبطرق خفية على تنفيذ مشاريع تنمية فشلت أغلبيتها ولم تحقق ما كانت تصبوا إليه من أهداف فى المجتمع. وقد أدى فرض كثير من القيود على نظم وقواعد وأجهزة المعلومات وأيضاً على الضبط الببليوغرافى للمعلومات إلى ازدياد الدول النامية أو الفقيرة بالمعلومات إلى زيادة الدول النامية أو الفقيرة بالمعلومات فقراً [1]

1- النملة، على إبراهيم : التجهيزات الأساسية للمعلومات، نظرة عامة. مجلة مكتبة الإدارة. مج 12، ع2، يناير - فبراير 1985م - ص 32.

ولإدراك أهمية المعلومات من جانب الدول النامية فقد اتجهت إلى نقل التكنولوجيا بمفهومها الواسع الذى يشمل المعرفة العلمية والهندسية والإدارية واعتبرتها الوسيلة الوحيدة لنقلها إلى حالة افضل مما هى عليه فى الواقع

إن نقل التكنولوجيا يتطلب تطويعاً فنياً واجتماعياً، هذا فى حالة استيراد التكنولوجيا من الخارج الوطن أو بمعنى آخر النقل الأفقى للتكنولوجيا، أما فى حالة نقل التكنولوجيا راسياً أى بترجمة نتائج البحوث العلمية التى تجرى داخل الوطن فإن تحويل نتائج البحوث لا يتم إلا إذا ما توفرت مراكز الأبحاث العلمية وحقول التجارب اللازمة لذلك، لان أعداد الإرشادات والتوجيهات المبسطة المفهومة لدى الفلاح بعد استخلاصها من نتائج البحوث العلمية، يفرض على الدول النامية ضرورة إيجاد مراكز بحوث علمية تكون مجهزة بكافة المستلزمات العلمية اللازمة «كالمعامل وحقول التجارب بالإضافة إلى مركز للمعلومات يستطيع إمداد قاعدة العلماء التكنولوجيين بالمعلومات اللازمة التى تساعدهم على تطبيق الأفكار المنتجة وتسخيرها لخدمة أهداف التنمية فى المجتمع. فلا يمكن نقل نتائج البحوث العلمية التى يتم إجراؤها داخل الوطن[1]. لتكون وسائل إنتاج أو خدمات متقدمة إلى الدول النامية التى لا تمتلك مراكز بحوث علمية تساندها مراكز معلومات متطورة.

1- الصباغ، زهير : الاستشارات الإدارية كمدخل للتنمية الإدارية. عرض كمال المفتي. مجلة الإدارة. مج15، إبريل 1983م. ص 74.

إن نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال المختلفة يعتبر واجباً داخل المجتمعات النامية حيث يساعد على تطويرها. لذلك يجب على وسائل الاتصال الجماهيرية أن تلعب دوراً هاماً فى نقل المعلومات كالإرشادات والتوجيهات المبسطة إلى المواطنين، خاصة وإنها قد أثبتت فعاليتها الإيجابية فى توجيه المزارعين فى بعض الدول النامية كما تشير الدراسات المسحية Survey [1].

ويجب أن يكون للإعلام فى الدول النامية سياسات وخطط ديناميكية تكون مرتبطة بخطط التنمية فى المجتمع، ذلك لأن وسائل الاتصال الجماهيرى المختلفة تعتبر ذات تأثير قوى على كافة فئات المجتمع على الرغم من اختلاف مستوياتهم التعليمية أو المعيشية، إن بث أى برنامج مرئى أو مسموع إلى المواطن يتناول التصحر على سبيل المثال يزيد بالتأكيد فى توسيع أفق المواطن عن تلك المشكلة التى ترجع أساساً إلى عوامل اقتصادية واجتماعية [2] مما يدفعه إلى المسارعة فى تأدية دورة فى حملات التشجير التى تقام سنوياً فى ليبيا والجزائر وموريتانيا... الخ. إن وسائل الإعلام المختلفة فى المجتمعات النامية يجب أن تستغل كوسيلة لنقل المعلومات إلى المستفيدين وبالتالى المساهمة الإيجابية فى تنمية المجتمع، بدلاً من استخدامها كأداة للتأثير الأيديولوجى [3].

1- الصالح، محمد: وسائل الاتصال المستعملة للحصول على المعلومات الزراعية بين زراع القمح فى الخرج. مجلة رسالة الخليج. ع20، س7. 1986. - ص 215.

2- بوداغ، جميل: أضواء على مشكلة التصحر فى العالم. مجلة الأنماء العربى للعلوم والتقنية. ع3، س1. سبتمبر 1978. - ص 64.

3- عبد المولى، محمود. العالم الثالث ونمو التخلف، نظريات ووقائع. آفاق، ليبيا، الدار العربية للكتاب. 1982م. ص 207.

إن الحصول على المعلومات وتوفيرها من أجل الاستفادة منها بواسطة المستفيدين فى كافة قطاعات المجتمع النامي، يجب أن يتم بكافة الوسائل المتاحة للمجتمع، وذلك من أجل إحداث عمليات التغيير نحو الأفضل فى المجتمع، وذلك لان المعلومات أصبحت تمثل الجهاز العصبى فى جميع خطط التنمية باعتبارها إحدى الموارد الأساسية للإنتاج القومى التى يجب أن تضاف إلى بقية الموارد الأساسية «الأرض+ الطاقة + رأس المال + المعلومات» وذلك لأن أى خطة يقصد من ورائها التغير أو تحويل المجتمع نحو الأفضل تحتاج إلى معلومات كما أن أى خطة تكون خاضعة للتعديل وفقاً للمعلومات التى ترد إلى المخططين أثناء التنفيذ [1] إن نقل التكنولوجيا رأسياً فى الدول النامية يعتبر من أفضل الحلول المثالية من اجل نقل المجتمع من التخلف إلى التقدم وتحقيق الرفاهية لأفراده، وهذا يعتمد على تحسن خدمات المعلومات فى مراكز البحوث وذلك لان البحث العلمى يقوم على ثلاثة أركان هي : -

(1) الباحث .

(2) المختبر .

(3) المعلومات .

إن تهيئة البيئة الاجتماعية للباحثين «العلماء» وما يصاحبه من سخاء مادى بالإضافة إلى توفر المختبرات العلمية والمعلومات اللازمة يجعل أولئك قادرين على تزويد المجتمع بالأفكار المبتكرة التى تساهم فى تنمية

1- أتيم، محمود. دور التوثيق فى التنمية الإدارية. مجلة رسالة المكتبة مج 15، ع2. حزيران1980 . ص 7.

المجتمع، لذلك يجب على الدول النامية التى تهدف إلى تحقيق التقدم والرخاء أن تهتم بالجامعات والكليات والمعاهد العليا وتعمل على تطويرها وتنظيمها ودعمها مادياً لأنها تمثل السبيل الأوحد فى دفع المجتمع نحو التقدم .

كما أن فتح باب إجازات التفرغ Sabbatical Leaves أمام علماء المستقبل «أساتذة الجامعات والمعاهد العليا» يساعد على زيادة حصيلة أولئك من المعلومات فى مجالات تخصصاتهم المختلفة، بالإضافة إلى إتاحة فرص المشاركة لهم فى المؤتمرات العلمية الدولية، مما يكون له أثر إيجابى على خطط التنمية فى المجتمع، أما عدم الاهتمام من جانب تلك الدول النامية بالمجهود الوطنى وتمسكها بالاعتماد على الخبرات الأجنبية فان ذلك سيؤدى إلى تعريض المصالح الوطنية لهزات عنيفة تحول دون تحقق أهداف التنمية فى المجتمع، كما أن نقص المعلومات والذى يرجع سببه إلى عدم اهتمام تلك الدول القيام بتأسيس مراكز معلومات منظمة وفقاً لأسلوب علمى متطور والذى يعتبر أيضاً من العوامل الكامنة وراء هجرة كثير من العلماء الوطنيين «مهندسين، أطباء، أساتذة جامعات . . . الخ» إلى الدول الصناعية المتقدمة والتى تمثل عاملاً جذاباً Pull Factor لأولئك الذين تزداد أعدادهم سنوياً نظراً لما توفره لهم من فرص ومزايا متعددة .

إن الحيلولة دون هجرة العقول من الدول النامية تكمن فى الاهتمام بمراكز المعلومات سواء كانت متخصصة أو وطنية بواسطة الدول النامية باعتبار تلك المراكز ضرورية استثمارية تساهم فى تمكين المسئولين من تحمل

مسئولياتهم عن مشروعاتهم بالإضافة إلى أنها توفر لهم الوقت والجهد معاً من اجل استغلالها لصالح تطور المجتمع، إن التعاون فى مجال المعلومات بين مراكز المعلومات فى الداخل والخارج من أجل الحصول على مصادر المعلومات وتنظيمها وتحليلها لاسترجاعها بواسطة المستفيدين الموجودين فى كافة مراكز البحوث والجامعات وبقية المؤسسات والهيئات ليساهم الجميع فى مسيرة المجتمع نحو التقدم .

دور المعلومات فى تنمية المجتمعات الصغيرة

ترجع أهمية المعلومات فى المجتمع إلى أنها أصبحت تعتبر من المقومات الأساسية للإنتاج القومى «المادة، الطاقة، المعلومات» وذلك لأهمية الدور الفعال الذى أخذت تلعبه فى دفع عجلة التنمية والصناعة فى المجتمع، منذ بداية الثلاثينات من القرن العشرين. وقد ازدادت فعالية دور المعلومات منذ ذلك الوقت حتى أصبح يشمل بقية القطاعات الأخرى بالمجتمع فى الوقت الحاضر، فالمعلومات أصبحت ضرورية أيضاً لكافة الأنشطة اليومية التى يقوم بها الأفراد، وتتضح أهمية دور المعلومات فى تنمية المجتمعات الصغيرة بمدى الاهتمام الذى توليه تلك المجتمعات فى سبيل تقوية البحث العلمى بها، خاصة أن المعلومات تعتبر عنصراً أساسياً لا غنى عنه للباحث الذى يلجأ دائماً إلى المعلومات لمعرفة ما توصل إليه غيره فى مجال تخصصه من نتائج علمية وذلك من اجل تجنب تكرار جهود من سبقوه.

إن إحاطة الباحثين فى المجتمعات الصغيرة على نتائج البحوث السابقة بالإضافة إلى ما يجرى منها فى تخصصاتهم يساعدهم بالتأكيد على الإلمام

بآخر ما توصل إليه زملاؤهم فى المجتمعات الأخرى بالإضافة إلى تشجيعهم على الخلق والابتكار مما يعود بنتائج إيجابية على المجتمع .

إن الاهتمام بتقوية أجهزة البحث العلمى فى المجتمعات الصغيرة لا يتحقق إلا بتوفير المعلومات اللازمة للباحث مع بقية الأدوات والأجهزة وغيرها من المواد اللازمة لإجراء البحوث العلمية . فالمعلومات أصبحت مورداً أساسياً كغيرها من الموارد الأساسية الأخرى للمجتمع، حيث نجد أنها أصبحت فى بعض الدول الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان صناعة كبقية الصناعات الأخرى المربحة .

فالمعلومات لها دور فعال فى زيادة الإنتاج كما دلت الإحصاءات على زيادة إنتاج محصول الأرز فى بعض الدول النامية الآسيوية حيث ساعدت فى ترشيد المزارعين على إنتاج محاصيل وفيرة . كما تشكل المعلومات الخلفية لاتخاذ القرارات السليمة بواسطة المسؤولين فى المجتمع .

فالمعلومات توفر البدائل والأساليب الحديثة المتعددة التى تساعد على حل المشكلات، بتوفير المعلومات اللازمة أمام متخذى القرارات فى الوقت المناسب بالإضافة إلى الحد من التعرض لنفس المشاكل فى المستقبل . إن الاهتمام بقطاع المعلومات فى المجتمعات الصغيرة والاعتماد عليها فى كافة مشاريع التنمية يؤدى إلى خلق توازن بين كافة القطاعات الأخرى فى المجتمع، مما يساعد فى تحول المجتمع نحو الأفضل .

إن ازدياد الحاجة إلى توفير المعلومات الضرورية اللازمة لكافة المستفيدين «باحثين، إداريين . . . الخ» باعتبارها أصبحت المحرك

الديناميكى الأساسى لتنمية المجتمعات الصغيرة، أدى إلى ضرورة إيجاد مراكز معلومات متخصصة تكون قادرة على الاستفادة من مصادر المعلومات المحلية والأجنبية المختلفة، تكون وظيفتها تجميع البيانات وتحليلها وتوصيلها إلى المستفيدين فى المجتمع على شكل معلومات فى الوقت المناسب[1]. بحيث اصبح مركز المعلومات يشكل جزءاً هاماً فى التنظيم الإدارى لمؤسسات المجتمع المختلفة باعتباره مستودعاً للمعلومات يساعد على تداول المعلومات بسرعة بين المستفيدين فى كافة قطاعات المجتمع .

إن المشكلة التى تعوق تداول المعلومات لا تكمن فى الحصول على مصادر المعلومات التى يمكن توفيرها بالوسائل التقليدية العادية كالشراء والإيداع القانونى والإهداء والتبادل. بل يكمن فى القدرة على ضبط المعلومات أو المعالجة الفنية للسيل الجارف من الوثائق بمختلف المجالات العلمية والفنية التى أخذت تتزايد سنوياً، حيث دلت الإحصاءات على أن مجموع المقالات العلمية والفنية التى أصبحت تنشر فى الدوريات العلمية المختلفة قد بلغ حوالى مليون ومائتى مقالة سنوياً [2]. أما مجموع ما ينشر كل 60 ثانية فى العالم فقد بلغ اكثر من 2000 صفحة، هذا بالإضافة إلى الزيادة التى طرأت على عدد لغات الإنتاج الفكرى فى العالم والتى بلغت 30 لغة .

1- Weisman, Herman M. Information System, services and Centers. Newyork, Backer and Hayes Inc., 1972 - P.21.

2- الشافعي، حامد : قضية المعلومات وأهمية الإعداد الببليوغرافى لها. مجلة رسالة المكتبة مج16، ع 3. الفاتح 1981- ص31 .

إن تفجر المعلومات Information Explosion المتزايد فى العالم أدى إلى خلق عدة عوائق أمام الباحثين فى الحصول على المعلومات .

وحيث أن سياسة المعلومات فى كثير من المجتمعات تتأثر بالنظم السياسية فيها وعليه فان الاهتمام بالمعلومات أصبح يخضع للدولة وإدراكها لمدى أهمية توفر المعلومات فى سبيل تحقق أهداف التنمية فى المجتمع .

ان اهتمام الدولة بالدور الفعال للمعلومات باعتبارها عنصراً حيوياً هاماً يجب الارتكاز عليه فى تسيير أعمال كافة المؤسسات أو المرافق التابعة لها ، يؤدى بالتأكيد إلى إحداث تحسن فى بقية القطاعات الأخرى ، فالاهتمام بالمعلومات بواسطة الدولة سيؤدى إلى تحسين وسائل الاتصالات كالبريد الذى يعتبر من بين عوامل التنمية الثقافية والاجتماعية ، بالإضافة إلى أن الاهتمام بالاتصال البريدى يدفع إلى تنمية أو تحسين طرق الاتصالات الأخرى [1] .

إن أهمية دور المعلومات فى تنمية المجتمعات ، جعلها قادرة على إيجاد قاعدة معرفية عريضة تكون قادرة على حل المشكلات التى تواجه المجتمعات ، فازدياد أهمية المعلومات لا يكمن فى المجتمعات الصناعية أو ما بعد الصناعية ، بل أيضاً فى المجتمعات ما قبل الصناعية حيث ازداد الطلب على توفير المعلومات اللازمة من اجل اتخاذ قرارات حقيقية وصائبة لمختلف

1- الاتحاد البريدى الدولى : مذكرة عن البريد بوصفه عاملاً من عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . برن «سويسرا» المكتب الدولى - قسم الإعلام ، 1974- ص ص15-16 .

المشكلات التى تواجه المجتمعات الصغيرة بل إمكان انتقالها إلى مرحلة افضل مما هى عليه. إن ضبط المعلومات أو القيام بإجراء العمليات الفنية اللازمة لها من اجل تيسير الوصول إليها بواسطة المستفيدين يساعد على تجنب الإسراف والازدواجية فى العمل والوقت والموارد والطاقة [1] فى المجتمعات الصغيرة، بالإضافة إلى أنها تؤدى إلى تحقيق تخطيط واقعى لأهداف المجتمع .

إن تأسيس مركز للمعلومات فى المجتمع تكون مهمته سد احتياجات المستفيدين من المعلومات من اجل تسخيرها فى خدمة المجتمع، وهذا يدعو إلى ضرورة أن يكون مركز المعلومات متخصصاً فى موضوع ما، بحيث يكون مستودعاً للمعلومات المناسبة لقطاع معين فى المجتمع، هذا مما يساعد فى تحقيق مشاريع التنمية فى المستقبل فى المجتمع. إن هذا يؤدى فى الواقع إلى إيجاد مراكز معلومات متنوعة الأشكال إلا أنها لا تختلف من حيث الهيكل التنظيمى لها أحياناً وكذلك من حيث الأنشطة التى تقوم بها والتى تشتمل على ما يلى :

(1) اختيار واقتناء مواد المعلومات .

(2) تنظيم مواد المعلومات وتحليلها .

(3) تقديم خدمات المعلومات والاسترجاع [2] .

1- المكاوي، أحمد حسن : شبكة المعلومات الصناعية العربية : حاضرها ومستقبلها. المجلة العربية للمعلومات. مج 4، ع2. 1983 - ص 83.

2- عبد الهادي، محمد فتحي. العمليات الفنية فى مراكز التوثيق والمعلومات. مجلة مكتبة الإدارة. مج 12، ع1 - محرم 1405هـ، أكتوبر1984م. - ص 76.

إن وجود مركز معلومات يهتم بانتقاء وتجميع مصادر المعلومات فى مجال متخصص يخدم قطاعاً معيناً فى المجتمع، يرجع ليس فقط إلى اهتمام متخذى القرارات بالمعلومات. بل أيضاً إلى مساهمة مختصى المعلومات Information Specialists الذين يجب عليهم القيام بالاختيار الدقيق لمصادر المعلومات فى المركز بحيث يجب أن تكون تلك المصادر التى تم اقتناؤها بواسطة وحدة تجميع البيانات أن تستعمل كمصادر معلومات منتجة للاستفادة منها فى خدمة أهداف التنمية بالمجتمع، بدل أن تكون عبئاً اقتصادياً على ميزانية تلك المجتمعات الصغيرة .

فإدراك الفرق بين الاستخدام الإنتاجى للمعلومات والاستخدام النظرى يجب أن يكون قاعدة أساسية فى اختيار واقتناء مصادر المعلومات فى مركز المعلومات.

وترجع أهمية مركز المعلومات فى توفير المعلومات للمستفيدين بعد أن عجزت المكتبات بواسطة النظم التقليدية المتبعة فيها إلى تلبية احتياجات المستفيدين أيضاً إلى استخدام مراكز المعلومات لوسائل التكنولوجيا الحديثة المتطورة كالحاسبات الإلكترونية والمصغرات الفيلمية فى تخزين واسترجاع المعلومات، إن هذه الوسائل المتطورة ساعدت فى الواقع، ليس فقط على سهولة تداول المعلومات بين المستفيدين بعد أن اصبح فى استطاعة الحاسب الإلكترونى تخزين كميات هائلة من المعلومات، بل أيضاً نقلها إلى مسافات طويلة لغرض توفيرها للمستفيدين داخل المجتمع الواحد أو خارجه .

إن على مركز المعلومات الذى يتم إنشاؤه بالمجتمعات الصغيرة أن تشتمل محتوياته على مصادر معلومات تقليدية «كالكتب المرجعية»

بالإضافة إلى مصادر المعلومات الأخرى غير التقليدية كالمصغرات الفيلمية، ولكى تكون تلك الأوعية أو مصادر المعلومات قادرة على سد احتياجات المستفيدين يجب أن يتم معالجتها فنياً، حيث يقوم مركز المعلومات الذى يعتمد على النظم الآلية بتجهيز البيانات آلياً حيث يقتصر الجهد البشرى على برمجة العمليات الفنية إلى لغة الآلة. وفى الواقع نجد أن اعتماد مراكز المعلومات على استخدام الوسائل الإلكترونية المتطورة قد ساعد المستفيدين فى استرجاع المعلومات بسرعة، حيث اصبح فى الوقت الحاضر من الممكن أن يقوم الحاسب الإلكترونى بتجميع أية بيانات مطلوبة لتسجيلها على ميكروفيلم بسرعة فائقة بلغت حوالى 40 ألف حرف فى الثانية الواحدة، كما أن الآلة قادرة أيضاً على قراءة كافة المعلومات التى تم تصويرها على الميكروفيلم لتحويلها بعد ذلك إلى حروف أو أرقام للتداول بواسطة الآلة الإلكترونية فى مختلف الأغراض المطلوبة [1].

ويمكن استخدام الحاسبات الإلكترونية فى استرجاع المعلومات بمراكز المعلومات إلى قلة التكاليف، بالإضافة إلى انه يمكن الحصول بواسطتها على قدر كبير من المخرجات [2].

أما أهم مكونات مركز المعلومات فيجب أن تكون كما يلي:

1- الهادي، محمد محمد: توثيق المعلومات. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 2، ع4. أكتوب 1982م - ص 13.

2- فوسكت، أ. س: تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق. ترجمة عبد الوهاب أبو النور. ط 3. الرياض، دار العلوم. 1980م - ص77.

1- المكتبة :

وتشمل مصادر معلومات تقليدية كالكتب المرجعية بالإضافة إلى مصادر معلومات غير تقليدية تتكون من المصغرات الفيلمية، كالميكروفيلم مع أجهزة قراءة ميكروفيلم، حيث تقوم بالإجابة على الأسئلة والاستفسارات المطروحة من جانب المستفيدين بالمركز .

2- وحدة الإحصاء :

وتقوم بتجميع وإعداد التقارير والإحصاءات المختلفة بالموضوعات التى تقع ضمن اختصاص المركز .

3- وحدة الحاسب الآلى :

تقوم بإعداد برمجة العمليات الفنية، كما تشمل ما يتعلق بصيانة وتشغيل الآلات .

4- وحدة الميكروفيلم :

تهتم بتصوير الوثائق الأصلية لحفظها وطرح بدلاً منها الصور الميكروفيلمية للوثائق لتداولها بين المستفيدين .

5- وحدة النشر :

تقوم بالإعداد لنشر معلومات الإحاطة الجارية الدورية وتوزيعها على المستفيدين وبقية الوحدات الأخرى. وذلك من أجل إعلام المستفيدين فى المركز بكافة المعلومات التى تعتبر ذات صلة باهتماماتهم الموضوعية .

هذا ويمكن إضافة وحدات أخرى إلى مكونات المركز الرئيسة السابقة كوحدة الترجمة وغيرها. وفقاً للتوسعات واحتياجات مركز المعلومات فى المستقبل.

وظائف مركز المعلومات :

(1) القيام بتجميع واختيار واقتناء المعلومات .

(2) تنظيم المعلومات «فهرسة وتصنيف» وتحليلها «تكشيف واستخلاص».

(3) اختزان المعلومات بواسطة الحاسبات الإلكترونية والمصغرات الفيلمية .

(4) القيام بوظيفة استشارية للإدارة بواسطة تزويدها بالمعلومات الملائمة فى الوقت المناسب لاتخاذ القرارات الواقعية الصائبة .

العاملون بالمركز :

(1) المدير ورؤساء الوحدات .

(2) أخصائيو معلومات .

(3) مصممون للنظم ومحللون .

(4) فنيون مهره ذوو كفاءة عالية وخبرة من اجل تشغيل المركز .

(5) متخصصون موضوعيون فى المجالات التى يهتم بها المركز .

كما يحتاج مركز المعلومات بالإضافة إلى توفير المبنى المناسب الذى يجب أن يكون ملائماً من حيث التصميم المعمارى وتوافر الشروط اللازمة . إلى بعض التجهيزات منها :

(1) آلات كاتبة .

(2) أجهزة قراءة الميكروفيلم والميكروكارد .

(3) أجهزة نسخ وتصوير .

(4) تجهيزات لحفظ الأفلام والشرائح من التلف .

(5) توفير الآلات اللازمة لإنتاج واختزان المعلومات كالحاسبات الإلكترونية وغيرها .

أهم الوظائف التى تقوم بها وحدات مركز المعلومات :

يتكون الهيكل التنظيمى [1] لمركز المعلومات من الوحدات التالية :

1- وحدة تجميع البيانات :

تقوم باستقبال البيانات والمعلومات الواردة إلى المركز يومياً، حيث يتم مراجعتها وتسجيلها ثم إحالتها إلى بقية الوحدات. هذا بالإضافة إلى القيام بالمتابعة الدورية لطلبات البيانات وذلك من اجل التأكد من سلامة وصولها بانتظام إلى المركز .

1- عودة، أبو الفتوح حامد: المعلومات والإدارة الحديثة. مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س4، ع4، أكتوبر 1984م - ص ص 40-88.

2- وحدة التصنيف والفهرسة :

وهى تشمل الوصف العام لمواد المعلومات، حيث تقوم بفهرسة وتصنيف الوثائق الواردة إلى المركز مع إضافة الموضوعات الجديدة الخاصة بتلك الوثائق إلى الفهارس، كما تقوم بعمل الكشافات والفهارس اللازمة لذلك .

3- وحدة المعالجة الإلكترونية :

تعتبر من أهم وظائفها تسجيل كافة البيانات بالمركز إليكترونياً على الأشرطة الممغنطة وكذلك الأقراص الممغنطة، بالإضافة إلى البطاقات المثقبة، هذا كما تقوم أيضاً باختزان المعلومات .

4- وحدة الإحصاءات :

إصدار كافة التقارير والنشرات الإحصائية ذات الصلة باهتمامات المركز، كذلك القيام بتسجيل الإحصاءات اللازمة فى بطاقات للرجوع إليها وقت الحاجة.

5- وحدة الميكروفيلم :

تقوم بتصوير الوثائق الواردة إلى المركز وتجهيزها فنياً، وذلك بواسطة إنشاء الفهارس والكشافات اللازمة «للأفلام» لكى تكون سهلة التداول بين المستفيدين .

6- وحدة الطبع والنشر :

تقوم بطبع ونشر التقارير وكافة النشرات الأخرى المتعلقة بالبيانات الحديثة الواردة إلى المركز من أجل توزيعها فيما بعد على بقية الوحدات الأخرى لإعلام المستفيدين عنها .

الخلاصـــــة :

يعتبر من الضرورى جداً القيام بدراسة شاملة هدفها التعرف على أهداف وطبيعة عمل المؤسسات أو الهيئات فى المجتمعات الصغيرة بالإضافة إلى هيكلها التنظيمى قبل البدء فى إنشاء مركز معلومات بها، لأن الاعتماد على نتائج تلك الدراسة المقترحة بالإضافة إلى معرفة كافة الظروف المحيطة بمؤسسات المجتمع يساعد فى إمكان اختيار نظام معلومات تكون له القدرة الكافية والفعالية فى توفير المعلومات اللازمة فى الوقت المناسب للمستفيدين، كما أن ذلك أيضاً يساعد النظام على إمكان التوسع المحتمل فى نظام المعلومات المتبع بمركز المعلومات مستقبلاً، وذلك لأن الهدف من اختيار نظام معلومات مناسب ليس فقط توفير المعلومات للمستفيدين بل أيضاً توفير الجهد والوقت معاً، لأن حوالى 30 - 80 ٪ من وقت الباحثين أو الإداريين «المستفيدين» يضيع فى البحث عن المعلومات الملائمة لحل مشكلة ما، بالإضافة إلى أن أى نظام معلومات يجب أن يساعد على استمرارية تدفق المعلومات إلى المركز ومنه إلى المستفيدين وفقاً لاحتياجاتهم، مما يجعل تداول المعلومات بين المستفيدين يتم بسهولة من أجل إتاحة الفرصة المناسبة

أمام أولئك المستفيدين بل وتشجيعهم على الابتكار والاعتماد على المعلومات وتسخيرها فى تنمية المجتمع، مما يؤدى فى الواقع إلى تطوير الأجهزة الإدارية والتنظيمية والقانونية والتعليمية التى تكون القاعدة الأساسية فى دفع المجتمع نحو الأفضل.

إن الاعتماد على العنصر الوطنى فى مراكز المعلومات لتوفير المعلومات يؤدى إلى تحقيق أهداف التنمية فى المجتمع، بدلاً من الاعتماد على الشركات الاستشارية الأجنبية التى برهنت على تعريض خطط التنمية فى بعض المجتمعات إلى هزات عنيفة مما أدى إلى استحالة تحقيقها فى الواقع، كما أن توفير السخاء المادى لمركز المعلومات وجميع العاملين به «باحثين / إداريين . . . الخ» يؤدى إلى تقديم خدمات أفضل يكون لها أثر إيجابى على كافة المؤسسات فى المجتمع. وحيث أنه يعتبر من الصعب جداً على أى مركز معلومات متخصص فى مجال معين «صناعة، زراعة . . . الخ» اقتناء جميع مصادر المعلومات الأخرى على الرغم من أنها تعتبر بدون شك ذات أهمية لعلاقتها بموضوع التخصص الذى يهتم المركز به، فإنه قد أصبح فى الوقت الحاضر فى إمكان أى مركز معلومات تشاطر المصادر Resource Sharing مع بقية مراكز المعلومات المحلية أو الخارجية سواء كانت متجانسة أو غير متجانسة، حيث يمكن أن يتم ذلك من خلال شبكة معلومات Network تستخدم وسائل اتصال تكنولوجية متطورة كالآلات الكاتبة عن بعد والأقمار الصناعية والحاسبات الإلكترونية المتطورة.

وقد أصبح فى مقدرة الأقمار الصناعية نقل المعلومات إلى المستفيدين فى جميع أنحاء العالم بسرعة مذهلة ليس فقط نقل المعلومات بالصوت عبر

الأثير بل أيضاً بالصورة، مما جعل العالم عبارة عن قرية صغيرة تنتقل فيها المعلومات بسرعة كما يرى بعضهم .

وأخيراً وفى ختام هذه الدراسة يمكن القول أن مراكز المعلومات لم تعد نوعاً من الرفاهية، بل أصبحت ضرورية فى خدمة البحث والمجتمع، لذلك فإنى أقترح إنشاء مركز معلومات يعتمد على وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة المتطورة فى توفير المعلومات للمستفيدين فى الداخل أو الخارج من أجل المساهمة فى تنمية المجتمعات الصغيرة بإفريقيا. على أن تساهم فى إنشائه المنظمات الدولية، كمنظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة التغذية FAO وغيرهما من المنظمات الدولية الأخرى .

علاقة المؤلف بالناشر

إن الكتاب التقليدى كان ولا يزال وسيبقى الوعاء المفضل لحفظ المعلومات وتوصيلها، وأداة البحث العلمى الأول. وبما أنه على هذا الجانب من الأهمية، فلابد من دراسات تتناول الجوانب المختلفة لهذا الوعاء، ومنها العلاقة بين المؤلف والناشر، وهو موضوع هذا البحث .

إن هذه العلاقة لابد من أن تقوم على تفهم دور كل منهما، وهى علاقة تعاون، لاسيما وان دور كل منهما مكمل لدور الآخر. إذاً لابد من أن تكون علاقة ودية، ورغم هذا قد يشوبها التذمر وسوء الفهم بسبب ما أو آخر .

فالمؤلف والناشر يمثلان إحدى الأطراف المشاركة والأكثر بروزاً فى صناعة الكتاب مقارنة مع صاحب المطبعة «الطابع» وبائع الكتب. والواقع أن هذه العناصر الأربعة «المؤلف - الناشر - صاحب المطبعة - بائع الكتب» هم حلقات فى سلسلة صناعة الكتاب ونشره .

فالمؤلف يعتبر مبدع الأفكار ومنظمها. فهو المسؤول عن كل ما يرد من عبارات وإيضاحات «جداول، ورسومات، وخرائط . . . الخ» والتى يقوم باختيارها أو تصميمها لتوضيح الرسالة «الفكرة» التى يرغب فى توصيلها إلى القارئ .

هذا ومن ثم فان للمؤلف الحق فى بيع المخطوط أو التنازل عنه لقاء عقد مبرم مع الناشر، أو نشره بالفعل على حسابه، بشرط انه لم يخرج عن المتعارف عليه علمياً فى الاعتماد على مؤلفات الآخرين. فالمخطوط إذاً يعتبر من إنتاجه. فهو المسؤول عن كل فكرة يتضمنها قانونياً، إلا أن الناشر يشاركه فى بعض تلك المسؤوليات، ومن بينها ما يمكن وضعه تحت جرائم النشر المتعارف عليه قانونياً. فلفظة مؤلف تطلق قانونياً على فرد أو جماعة أو مؤسسة أو هيئة حكومية رسمية أو غير ذلك .

وبما أن المؤلف يعتبر من الناحية القانونية مالك المخطوط، فهو مجبر أمام مصلحته ومصلحة المجتمع، أن يقوم إما بنشر المخطوط بنفسه، أو ببيعه أو التنازل عنه للناشر ليتولى مهمة نشره مباشرةً بعد إبرام العقد المتفق عليه، باتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بنشر الكتاب أو مخطوط المؤلف لتداوله بين الملأ، وفقاً لما هو متعارف عليه تجارياً فى المجتمع. لكن هذا لا يعنى أن على كل مؤلف أن يقدم مخطوطه للنشر من اجل مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه، سواء أراد أم لم يرد، نعم إن مصلحة المجتمع أهم من مصلحته، لكن هذا فى الواقع يعنى أن المؤلف باعتباره فرداً من أفراد المجتمع، لا يحق له مطلقاً تجاوز حدود القانون فى معارضة من ينوب عن المجتمع أو السلطة القائمة وإلا تعرض للعقاب .

هذا ما كان يحدث فى بعض المجتمعات ذات النظم السياسية المتطرفة أو غير الديمقراطية ، التى لا تراعى مبادئ حقوق الإنسان، أما فى المجتمعات المتطورة التى تؤمن بحرية الإنسان واحترام آرائه فحركة التأليف والنشر

تشهد ازدهاراً، ومن ثم يتزايد عدد المؤلفين والناشرين، مما يؤدى إلى انحسار نسبة الأمية بين مواطنيها .

فبإلقاء نظرة سريعة على قوائم المؤلفين والناشرين يتبين لنا أن عدد الناشرين قد بلغ حوالى 35.000 ناشراً فى العالم وان نصيب قارتنا السمراء منها 1511 ناشراً، وان أوربا تحتل المرتبة الأولى وقد بلغ عدد الناشرين فيها 16.530 ناشراً، ثم تليها أمريكا الشمالية مع 7502 ناشراً وفى آسيا5519 ناشراً ثم تليها أمريكا الجنوبية بـ 1631 ناشراً .

أما بخصوص عدد المؤلفين الذين حققوا شهرة دولية فتأتى الولايات المتحدة الأمريكية بالمرتبة الأولى، بعد أن بلغ عدد المؤلفين فيها 47 مؤلفاً ذا شهرة عالمية .

ثم تليها بريطانيا حيث بلغ عدد المؤلفين الذائعى الصيت فيها حوالى 36 مؤلفاً . وان أعداد هؤلاء تتناقص فى بقية الدول ولا سيما فى دول العالم الثالث .

إن هؤلاء المشاهير هم الذين تمت ترجمة أعمالهم عشرين مرة فاكثر وقد بلغ عددهم حوالى 175 مؤلفاً فى العالم بأجمعه [1]

وبالنسبة لعلاقة المؤلف بالناشر فإنها تتأثر سلباً وإيجاباً بعدة عوامل، منها : الحالة السياسية والاقتصادية والثقافية . . الخ، السائدة فى مجتمع الشريكين «المؤلف والناشر» . وطبقاً للقوانين والتشريعات المعمول

1- خليفة، شعبان : الكتاب الدولى : دراسة مقارنة فى حركة النشر الحديث. القاهرة: المكتبة الأكاديمية 1993م، ص ص 37 ، 47.

بها لحماية حقوق المؤلف فى المجتمع، فإن للمؤلف مطلق الحرية فى نشر مخطوطه أو إخفائه لمدة زمنية قد تكون محددة، ليعود بعدها بنشره خلال حياته أو انه يترك وصيته بخصوص نشره بعد وفاته، وهذه تعرف «بالطبعة اليتيمة» لدى المكتبيين. وإن إبرام عقد النشر مع أحد الناشرين لا يعنى هذا التصرف بيعه كما يبدو للبعض أو التنازل عنه كلياً، لأنه يظل يتابع بكل أحاسيسه كافة المراحل التى يمر بها مخطوطه إلى حين خروجه إلى النور.

فالمخطوط الذى يمثل جوهر العلاقة بين المؤلف والناشر، يعتبر بالنسبة للمؤلف شيء عزيز عليه لا يصبر على فراقه، ويتضح لنا ذلك جلياً من أجدادنا العرب السابقين لنا حيث نجدهم ينظمون قصائد الرثاء عند فراقهم لمخطوطاتهم بسبب بعض الظروف، التى قد تجبرهم على ذلك كما يتضح فى قول شاعرنا أبى الحسن على بن محمد بن ثابت الخولانى المعروف بالحداد المهدوى.

كما فى الأبيات التالية: (1)

قالتْ وأبـدتْ صفحـــةً	كالشمس من تحتِ القناعِ
بعتَ الدفاتر وهى آخـرُ	ما يُبَـــاعُ مِـــن المتـــاعِ
فأجبتُهـــا ويـــدى على	كبِدى وَهَمتْ بانصـــِداعِ
لا تعجـــبى ممـــا رأيتِ	فنحنُ فى زَمَنِ الضيَـــاعِ

1- إحسان، عباس. أخبار وتراجم أندلسية: مستخرجة من معجم السفر للسلفى (-576) ط2. بيروت: دار الثقافة. 1979م. ص 75.

حقاً انه الضياع بذاته، كما يورد شاعرنا. فالمؤلف عندما يبيع مخطوطه للناشر فانه سوف ينفصل عنه ولو لمدة محددة، ولكن ملكيته تعود للمؤلف بعد سنين محددة بالعقد. فالمخطوط أو الكتاب كما يعتقد العرب خلال ازدهار الدولة العباسية كان يخلِّد مؤلفه، فشخصية الجاحظ أو الإمام الغزالى وكثير غيرهم من مؤلفى العرب المسلمين فى صدر الدولة العربية الإسلامية وصلت إلينا شهرتهم من خلال مؤلفاتهم التى كانت قد خلدتهم بالفعل، وهكذا نجد أن العرب هم أول من فكر فى إيداع نسخ من مخطوطاتهم فى إحدى الخزائن «المكتبات» المشهورة فى عصرهم ومن ثم فقد ابتكروا حق الإيداع القانونى المتعارف عليه حالياً .

فالمؤلف عندما يتنازل عن مخطوطه للناشر مقابل مبلغ مالى فإنه سيبقى مرتبطاً بصلة روحية مع مخطوطه إلى الأبد لهذا نجده يدافع عنه بكل ما يملك من حقوق وضعت لحمايته من المجتمع اعترافاً بفضله وتقديراً لمنزلته بين مواطنيه. تلك الحقوق التى تنظم أو تعكس العلاقة ما بين المؤلف وبقية الأطراف الأخرى التى تساهم فى صناعة الكتب أو تلك التى يهمها استثمار الأفكار أو النظريات الواردة فى الكتاب وبصفة خاصة العلاقة مع الناشر ولهذا يجب أن تكون علاقة ودية حميمة قبل أن تكون علاقة رسمية تتحكم بها القوانين الصادرة فى المجتمع لحماية حق المؤلف وتنظيم حركة النشر. فتحديد قيمة المكافأة المالية للمؤلف مقابل جهوده يجب أن يتم وفقاً لعدد القراء الذين سوف يستفيدون من الكتاب [1] أو من يستثمرون الآراء أو النظريات العلمية التى يتضمنها الكتاب لمصلحتهم .

1- دانيس، س. سميث. صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ. ترجمة د. محمد العريان وآخرون. القاهرة : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1970م - ص 11.

وعلى الناشر الخبير أن يكون ملماً منذ البداية بنسبة القراء فى هذا المجال فى مجتمعه، هذا إذا كان يريد أن يقتصر على بيع الكتاب محلياً. أما إذا أراد بيعه دولياً أو قومياً فعليه الاستعانة بإحصائيات حول أعداد القراء الذين يجيدون القراءة باللغة التى سوف يتم نشر الكتاب بها. ومهما بالغنا فى تقدير المكافأة للمؤلف مقابل التنازل أو تأجير أو بيع حق ملكية مخطوطه، فإنها لا تساوى شيئاً يذكر مقارنة مع دخول أصحاب المهن الحرفية الحرة فميكانيكى السيارات يكسب فى الساعة الواحدة مبلغاً قد يتراوح ما بين (25- 30 د . ل) فإذا فرضنا أنه يشتغل عشر ساعات يومياً فكم سوف يكسب فى الشهر؟ فهل يستطيع المؤلف أن يحصل على مثل هذا المبلغ أو نصفه شهرياً؟ علماً بأن المؤلف قد يقضى سنوات فى تأليف كتاب واحد فقط بالإضافة إلى ما يعانيه من إحباطات فى ضياع الوقت والجهد بحثاً عن مصادر المعلومات الضرورية لإنجاز عمله أو توثيق آرائه. أن الوقت الذى يقضيه المؤلف فى عمله غير محدود بساعات، بل بسنوات عديدة فشتان ما بين خدمات الطرفين : أحدهما يقدم خدمات لزبائنه والآخر يساهم بأفكاره فى تطوير المجتمع وتنميته، ومع ذلك فإن هناك بون شاسع بين دخل هذا وذاك. وفوق كل هذا فإن نسبة معينة قد تزيد عن 7 ٪ من قيمة المكافأة تدفع للضرائب، علماً بأن صافى حقوق المؤلف لا تزيد عن 10 ٪ من قيمة بيع الكتاب بينما الناشر قد يحقق ربحاً صافياً يترواح ما بين 15 ٪ و 20 ٪ من القيمة الإجمالية لبيع كتاب المؤلف [1]. هذا بالإضافة إلى ما قد يتعرض إليه

1- القلال، أحمد. الناشرون ونشر المطبوعات. بنغازي: جامعة قاريونس، 1994م، ص ص 89، 94.

المؤلف، وأحيانًا الناشر معه والطابع أيضاً فى بعض القضايا المترتبة على نشر المخطوط. فالناشر مهما كان مستوى ثقافته لا يستطيع أن يعبر عن أفكار المؤلف الواردة فى المخطوط، بالإضافة إلى انه قد يقع فى دائرة المحضور ويخسر رأسماله أيضاً. لهذا على الناشر أن يتجنب ذلك بقدر الإمكان بتوثيق علاقته مع المؤلف، ومع ذلك عليه أن يتجنب التمادى والانحراف فى تيار الحذر السياسى فى مجتمعه، فهو يحمل أمانة إبلاغ الرسالة التى يتضمنها مخطوط المؤلف إلى مجتمع القراء معتمداً على مهارته وحسن إدارته، وعلاقته مع الجهات الرسمية فى المجتمع بهدف توصيل فحوى رسالة المؤلف بكل صراحة وثقة وإخلاص قبل أن يتم تعطيلها أو بترها لإخراجها مبتورة مشوهة لا تعطى المعنى ولا الفائدة المرجوة منها. وهذا بالتأكيد سوف يترتب على مدى حسن نية المؤلف والناشر معاً، ونوع العلاقة بينهما، فحرصهما على مصلحة المجتمع يجب أن يسبق حرصهما على مصلحتهما الخاصة معاً. فالمؤلف شخص قارئ بالإضافة إلى انه يتقبل آراء الآخرين المحيطين به ومقترحاتهم ونقدهم وخاصةً من الناشر الذى يتعامل معه، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن المؤلف يجب أن يأخذ بمقترحات الناشر وآرائه خارج نطاق المعقول. فبالرغم من أن الناشر قد يلعب دوراً هاماً فى ترشيد المؤلف نحو قضايا معينة يراها تهم المجتمع لغرض الكتابة عنها، ورغم أن هذا الترشيد أو لفت النظر للمؤلف من أجل الكتابة فى قضايا معينة قد يغلف أحياناً بالالتزام بقضايا المجتمع فى بعض المجتمعات التى يكون الناشرون فيها ذوى صفة رسمية حكومية أو شبه رسمية. لكن على المؤلف باعتباره شخصية مبدعة مبتكرة أن يعود إلى ذاته وشعوره

ويتدبر تلك القضايا المطروحة عليه من قبل الناشر، الذى يعكس فى الواقع اهتمامات أفراد المجتمع لكى يمكن أن يصل إلى قرار سليم قبل أن ينجرف فى زمرة شعراء الخليفة ! خاصةً وان الفكرة لا يمكن تطويعها حسب معايير وقياسات مزاجية محددة كبضاعة يطلبها التاجر نيابة عن المستهلك، فيقوم الصانع بإنتاجها وفقاً لذوق التاجر والمستهلكين الذين يقومون باستهلاك البضاعة ورمى العلب الفارغة. ورغم وجود ثمة تشابه بين بعض العمليات فى انتاج البضاعة وصناعة الكتاب أو نشره، إلا انه يوجد اختلاف كبير بينهما، فالأفكار الواردة فى الكتاب لا تهضم بقد ما تستثمر. والوعاء التى تحفظ فيه تلك الأفكار لا يرمى فى سلة المهملات، بل يجب الحفاظ عليه ووضعه على رفوف المكتبات عامة، لأنه جزء لا يتجزأ من المضمون، فالمؤلف والناشر لا يستطيعان أبداً التخلص من الكتاب نهائياً، فالأفكار التى يشتمل عليها سوف تكون لصيقة بالمؤلف إلى الأبد، أما شكل الكتاب وتصنيعه فهى تعود للناشر الذى يقدمه للقارئ قائلاً : «هذا كتابنا» .

والمفروض أن المؤلف يتميز بصفات أخلاقية وعلمية راقية كشريكه الناشر، فهو الآخر شخص قارئ قبل أن يكون مفكراً، وينطبق عليه القول التالى «أنا اقرأ فأنا أفكر، إذاً فأنا موجود لمصلحة الآخرين الذين أعيش بينهم فى هذا الكون" ، لذا لا يهمه التقدير المادى بقدر ما يهمه تقدير المجتمع له معنوياً، فيحرص على تكوين علاقة جيدة مع أفراد المجتمع الإنسانى من خلال علاقته مع الناشر لأنه هو الشخص الذى يقدمه إلى أفراد المجتمع بواسطة تقديم أفكاره بل وأحاسيسه الواعية لنشرها على الملأ. فيجب على المؤلف أن يصيغ أفكاره بوعى كامل ليقدمها إلى أبناء مجتمعه بكل صدق

وإخلاص، عن طريق إقناع الناشر بأنه قد يتعذر عودة الوعى للمؤلف ثانية حتى بعد انحسار الحذر السياسى حوله. ورغم كل هذا فإن العلاقة المتينة بين المؤلف والناشر يجب أن لا تستغل لنشر ما يجرح شعور المجتمع ككل أو كشف عورات الآخرين. فالعلاقة بين المؤلف والناشر يجب أن تتسم بالموضوعية وعدم التحيز. فمادة الكتاب يجب أن تتميز بنظرة إنسانية سامية، فهى تعالج قضايا إنسانية وليست قضايا تهم أفراداً معينيين فى مجتمع ما. وبالتالى يقوم الناشر باختيار تلك الموضوعات لنشرها، وهذا فى الواقع ما يطمح إليه كل من الناشر والمؤلف .

فالمؤلف لن يكون مؤلفاً مشهوراً إلا إذا تمت ترجمة كتابه اكثر من عشرين مرة، كذلك الحال بالنسبة للناشر. ومن ثم فقد تكون علاقة احدهما بالآخر سبباً فى شهرتهما معاً.

فعلاقة المؤلف بالناشر يجب أن تكون من أجل تحقيق أهداف نبيلة، وان التعاون بينهما مطلوب جداً أما التوتر فى العلاقة فمرفوض بقدر الإمكان. فبالرغم من أن المؤلف قد نجده لا يتحمل مسؤليات ثقيلة مع الناشر خلال مراحل عمليات نشر المخطوط. إلا انه فى العادة تكون رسومات أصلية للمؤلف، قد تضفى على الكتاب قيمة جمالية Aesthet- ic Value بين القراء، فبالإضافة إلى كونها تساعد فى ترويج الكتاب وتوضيح آرائه للقراء. فالمؤلف يعتبر أفضل من غيره فى القيام ببعض الإجراءات الفنية التى تساعد على إقناع بعض المكتبات ومراكز المعلومات فى شراء نسخ من الكتاب. ومن هذه الإجراءات إعداد مستخلص وكشاف لموضوع الكتاب. وان تحديد موضوع الكتاب المتمثل بالعنوان الجيد يساعد فى

تحديد : رقـم التصنيف، واعداد بطاقة الفـهرسة للكتاب، واختيار الكتاب من قبل القراء .

وعلى الرغم مما أشرنا إليه من العلاقة الوثيقة بين المؤلف والناشر، إلا أن تلك العلاقة قد يشوبها الكثير من التذمر الذى يشتد أحياناً ما بين الشريكين الحميمين، حتى ليكاد يضر بمصلحة الجميع ، فعادة ما يضطر بعض الناشرين إلى تقـيـيم مـخطوط المؤلف بأنفسهم دون اللجوء إلى لجنة متخصصة تساعدهم فى ذلك لأسباب مالية . أن ناشرون من هذا القبيل لا يهتمون بمصلحة المجتمع بقدر اهتمامهم بمصلحتهم الخاصة . فيقوم هؤلاء الناشرون بنشر الأعمال التى تجلب الربح السريع ، خاصة إذا ما كانوا يعانون من ضائقة مالية فى تسديد الديـون المتراكمة . وبهذا التصرف واللامبالاة قد تحجب عن المجتمع أعمالاً جيدة لمؤلفين أكفاء . كما يمكن أن يكون الناشر مدعوماً من قبل جهة سياسية أو دينية عندها لا يهمه ما ينشر بقدر ما يهمه الربح من وراء ذلك .

وهناك طائفة أخرى، وهم الناشرون الشوفينيون أو المغرورون الذين يقومون بنشر ما يلائم مزاجهم خاصة فى العالم الثالث، بالإضافة إلى ممارسة قرصنة الكتاب Book Piracy حيث يقومون بسرقة جهود الآخرين وانتحالها لا نفسهم أحياناً . إن مثل هذه التصرفات قد تقود الناشر إلى ممارسة الاحتكار للإعمال التى يقدمها له المؤلفون رغبة فى نشرها، وهكذا يضطر المؤلفون إلى عدم التعامل معه مرة أخرى، ومن ثم يكون الناشر مسئولاً بطريقة غير مباشرة عن حرمان المجتمع من ثمرة أفكار مؤلفين أكفاء مع ما

فيهم من مؤلفين مبتدئين لازالوا فى بداية الطريق . إن الإحباط من جراء عدم تبليغ أفكارهم بواسطة الناشر إلى القراء سيجعلهم يكتفون بتخزين مخطوطاتهم «أفكارهم» فى إدراج مكاتبهم، وربما إلى الأبد، بالإضافة إلى أن هذا التصرف من قبل الناشر يسئ فى الواقع إلى علاقته مع المؤلف، فانه يساهم فى إعاقة نشر الأفكار التى تزدهر عن طريق النقاش، وبالتالى المساهمة فى انتشار رقعة الابتعاد عن القراء، بحيث يصبح غير قادر على التمييز ما بين الكتب الرخيصة المبتذلة والتى تباع فى الخفاء كبقية الممنوعات فى الدول[1]، بل على العكس من ذلك يجب أن يكون مدركاً لاتجاهات ونفسية الجماعات والأفراد وميولهم العلمية والثقافية وهذا لن يتحقق إلا إذا كان على علاقة جيدة مع نخبة من المؤلفين بالمجتمع . فالناشر يجب أن يختار المخطوط بدقة وذلك من خلال ثقافته وعلاقته بالمثقفين وعلى رأسهم المؤلف، ثم معرفته بميول القراء . فبالتعاون بين المؤلف والناشر يمكن الإشراف على المنشورات حفاظاً على معتقدات المجتمع وقيمه . وهكذا يستطيع الناشر أن يخدم المجتمع كالطبيب الذى لا يصرف الدواء إلا بعد تشخيص المرض . عندها يمكن أن يرتفع الناشر فوق الشبهات، ويقدم خدمة جليلة لمجتمعه . فرغم أن علاقة المؤلف بالناشر ودية، أى أنها يجب أن لا تخرج عن القوانين والتشريعات الخاصة بحماية حقوق المؤلف، المعمول بها داخل المجتمع، بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية وغيرها كالمستوى الثقافى كلها عوامل ذات تأثير كبير على العلاقة بين الطرفين .

1- القلال، أحمد. المصدر السابق. ص ص 60-66 .

وبما أن الناشر يعتبر شخصية مغامرة لكونه يقدم على نشر الكتب المعروضة للخسارة أو الربح أحياناً، فمهنته غير مأمونه، ولكنه بالواقع يساهم فى تنمية المجتمع. والمعروف أن ميزانية المجتمع تصرف لأجل تنمية المجتمع فتوزع على قطاعات متعددة [1] ومن بينها صناعة النشر. وهذا جانب ثقافى لا يمكن إهماله، فعلى المجتمع تخصيص مبالغ مالية لدعم صناعة نشر الكتاب التى يديرها ويخطط لها بل وينفذها الناشر مقابل فوائد محدودة جداً، قد تساعده فى تجاوز المشكلة المالية. وهذه هى مصدر المتاعب فى العلاقة التى تربطه مع المؤلف. ولهذا وجب على الطرفين المؤلف والناشر أن يعملا معاً من أجل إيجاد علاقة متينة بينهما تكون مبنية على التفاهم والتعاون، خاصة وأن كل واحد منهما لا ينكر فى قرارة نفسه بأنه غير قادر على أن يفعل شيئاً بدون الشريك الآخر فى صناعة الكتاب.

1- Enyia, C.O. The Role of the Nigerian Publisher in National Development. International Library Review. Vol. No. 3. Sept. 1991. p213.

مخطوطات ليبية فى المغرب

ظل الاتصال الثقافى مستمراً بين علماء الدويلات الإسلامية فى الشمال الأفريقى منذ الفتح الإسلامى حتى وقتنا الحاضر، على الرغم مما تعرضت إليه المنطقة الممتدة من ليبيا إلى المغرب من قلاقل وأحداث جسيمة جعلت الاتصال بين أولئك العلماء متعذراً. وقد كان ذلك الاتصال مثمراً بالرغم من أنه كان غالباً ما يتم بطريقة مباشرة ونقصد بها اتصال العلماء وجهاً لوجه بقصد مناقشة لبعض القضايا العلمية التى كانت سائدة فى ذلك العصر أو من أجل تلقى العلم على يد أحد العلماء المشاهير، أما الطريقة الأخرى فهى غير المباشرة وبموجبها كانت تنتقل آراء وأفكار العلماء بينهم بواسطة الرسائل ومؤلفاتهم، وقد ترتب عن ذلك وجود فيض هائل من المخطوطات التى كانت تعكس وجهات النظر المختلفة أحياناً حول إحدى القضايا المطروحة فى دويلات الشمال الأفريقى وغيرها من دول المشرق الإسلامية العربية. وقد شارك كثير من العلماء الليبيين مع غيرهم من العلماء المغاربة والجزائريين والتونسيين، بالإضافة إلى علماء المشرق العربى الإسلامى فى تناول بعض القضايا الهامة التى كانت تثير الجدل والنقاش بين علماء العصر، مما أدى إلى

انتقال كثير من المخطوطات الليبية [1] إلى المغرب وبقيت فى حوزة مشاهير علماء المغرب والمثقفين حتى استقر بها الحال فى الخزانة العامة التى كانت قد تأسست عام 1924م بواسطة الحماية الفرنسية بمدينة الرباط، حيث استطاعت الحماية الفرنسية تجميع كثير من المخطوطات من معهد الدروس والمكتبات الخاصة مثل خزانة زاوية الشيخ ماء العينين فى فاس وبعض خزانات السلطان مولاى عبد الحفيظ .

وقد استمر تجميع المخطوطات بعد استقلال المغرب حيث تم الحصول على بعض مخطوطات الأوقاف المشار إليها بحرف «ق» ومكتبة الكلاوى والشيخ الكتانى والشيخ المقرى وغيرهم [2]. وقد تم إعداد فهرس لمخطوطات الخزانة العامة لأول مرة عام 1921م بواسطة ليفى بروفنسال حيث اشتمل على حوالى 3500 مخطوط ثم توالى إصدار الفهارس باللغة العربية بواسطة بعض الأساتذة المغاربة الإجلاء.

وقد لفت نظرى عدم احتواء هذه الفهارس على بعض المخطوطات الليبية التى عثرت عليها مصادفة بالخزانة العامة وقد حاولت بذل المساعى مع أحد العاملين والمسؤول عن المخطوطات تصوير إحداها ولكن مساعى باءت بالفشل نظراً لبعض الإجراءات المعرقلة المعمول بها فى الخزانة العامة

1- لقد عثرت على هذه المخطوطات بفهارس الخزانة العامة بالرباط أثناء زيارتى للخزانة خلال شهر مايو 1991م.

2- الكتاني، محمد إبراهيم : وضعية المخطوطات العربية فى الخزانة العامة بالرباط . فى المخطوطات العربية فى الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث. الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1990م . ص ص 17-19 .

بالرباط، ولكن بالرغم من ذلك فإني أتمنى أن تشكل لجنة علمية تتكوّن من بعض أعضاء هيئة تدريس جامعة قاريونس هدفها تجميع المخطوطات الليبية المحفوظة خارج ليبيا خاصة في دويلات المغرب العربي .

ومن بين المخطوطات الليبية التي عثرت عليها ضمن فهارس الخزانة العامة بالرباط يمكن ذكر مايلي :

1- ابن غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم

(1) التذكرة في القراءات عن الأئمة القراء. مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 282 ق «مصور بالميكروفيلم تحت رقم 387» بالخزانة العامة - الرباط .

(2) قصيدة في الرد على الصنعائي والنجدي. مخطوط تحت رقم D 1227 «د» [1] «في مجموع من صفحة 563 إلى 565» .

(3) التذكرة في القراءات «الجزء غير تام» مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم 1134 ق .

2- التاجوري [2]. عبد الرحمن بن محمد

(1) الباب الواحد والعشرون من المقدمة في الاعتدال. «في مجموع» مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم ق 262 .

1- حرف D أو د باللغة العربية رمز يدل على المخطوطات القديمة الهامة الموجودة بالخزانة العامة في الرباط .

2- عبد الرحمن بن محمد التاجوري عالم فلكي ليبي توفي حوالي 1553م تقريباً، له عدة مؤلفات حول علم الفلك في المكتبات بالمغرب .

(2) رسالة فى استعمال الإبرة - محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم3457د.

(3) ورقات فى معرفة القبلة والأوقاف. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 740د.

هذا كما توجد له مخطوطات أخرى موزعة فى بعض المكتبات بالمغرب[1].

3- الخروبى.محمد بن على [2]

(1) الجمل الوهبية على الحكم العطائية - مخطوط عدد صفحاتها 241 توجد تحت رقم L 2390 «تصوف».

(2) العروة الشريفة فى الكلام على أصول الطريق لزروق. «فى مجموع من صفحة 33 إلى صفحة 59» مخطوط تحت رقم L 2201 «تصوف"

(3) شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله «به ورقات 218» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1796د. «تصوف».

(4) شرح الصلاة المشيشية [3]. مخطوط فى مجموع من صفحة 298 إلى 328 تحت رقم L 2404 «الأوراد والأذكار».

1- الزريقي، جمعة. لمحة عن بعض المخطوطات الليبية فى الخزانات المغربية « ورقة غير منشورة مقدمة إلى مؤتمر المخطوطات والوثائق المنعقد بمدينة زليتن 1987م» ص 4.

2- محمد بن على الخروبى من مواليد قرقارش أوفدته حكومة الجزائر لتسوية بعض الأمور السياسية والإدارية مع المغرب توفى عام 963هـ، 1556م بمدينة الجزائر.

3- الزاوي، الطاهر أحمد، أعلام ليبيا. ط2، طرابلس، مؤسسة الفرجانى 1971م ص 385.

(5) القواعد الخمس فى أصول الدين. مخطوط فى مجموعة من ورقة 1ب إلى 9. مجموع سطوره 23، مقياسه 230 / 160. محفوظ تحت رقم D 1860 بالخزانة العامة - الرباط. «فقه».

(6) كتاب الإنس فى شرح عيوب النفس، شرح به منظومة زروق. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2691د.

(7) وظيفة مأخوذة من كتـــاب كغاية المريد وحلية العبيد، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2781 د.

(8) مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس. مخطوط محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860 د.

4- الحطاب.محمد بن على بن عبد الرحمن « 861 هـ - 954 هـ »

(1) قرة العين شرح ورقات إمام الحرمين عبد الملك الجوينى. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2272 د «أصول الفقه».

(2) مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل. الثلث الأخير فى جزئين، صفحاتهما 421. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط - تحت رقم 1065د أما الجزء الثانى والثالث من كتاب مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل فإن عدد صفحاتهما يساوى 542. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2063 د.

(3) تحرير الكلام فى مسائل الالتزام «توجد من هذا الكتاب عدة نسخ بالمغرب» منها على سبيل المثال :

- نسخة محفوظة بالخزانة الصبيحية العلمية بسلا تحت رقم 40 / 1 .

- نسخة أخرى محفوظة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 2 / 476 .

5- الزواوي، محمد بن محمد بن عمر

(1) تحفة الناظرين ونزهة المناظر. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم955د .

6- السنوسي، محمد بن أحمد بن عبد الله

(1) أم البراهين. مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 959 ق .

(2) رسالة فى الفقه «فى مجموع» مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 1010 ق .

(3) عقيدة التوحيد «فى مجموع» مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 969 ق .

(4) أجوبه فى الدين والدنيا «فى مجموع» مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 731 ق .

7- الساحلي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري

(1) بغية السالك فى أشرف الممالك. عدد الورقات 241. مخطوط تحت رقم L1691 «تصوف» .

(2) جنة العباد «فى مجموع» من صفحه 1 إلى صفحه 58. مخطوط تحت رقم L2106 «مواعظ» .

(3) قصيدة رائية فى الأذكار . مخطوط فى مجموع من صفحة 580 إلى 582 . «مكتوب بخط شرقى جميل» محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم 10 / 1921 د «الأذكار والأوراد» .

(4) قصيدة فى مدح النبى صلوات الله عليه، من ورقة 141 إلى ورقة 143 . مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1419 « الأمداح النبوية» .

8- الزرويلى،على بن مصباح الخمسي

(1) سنا المهتدى فى مآثر الوزير اليحمدى 222 ورقة، بالخزانة الملكية تحت رقم11095

(2) ديوان انس السمير فى نوادر الفرزدق وجرير . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3546 د .

(3) ديوان على مصباح الخمسي . ورقاته 317، محفوظ بالمكتبة الملكية تحت رقم 6938 «مصور بالميكروفيلم» .

9- الغريانى،محمد بن أحمد بن عبد الحميد بن عمر

(1) شرح العطائية - «مخطوط مصورة فى مجموع من صفحه 1 إلى صفحه 405» محفوظة تحت رقم 850 و 740 ف .

(2) شرح على الحكم العطائية . مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 740ق .

10- الغرياتى،اليربوعى أبو الحسن على أبو سلامة

(1) رسالــة فى آداب المريد وشرح بعض الكلمـات من علم التصوف . من صفخه 406 إلى 410 . محفوظ تحت رقم 2 / 850 و 2 / 740 ف . «مصورة على الميكروفيلم» .

(2) حاشية المدونة . «مصورة على الميكروفيلم» محفوظة تحت رقم 857 و 753ف .

11- الطرابلسى،الأجير الحسامى

(1) كامل الصناعة فى الفروسية لناصر الدين محمـــد، مخطــوط بخزانة مكناس تحت رقم 666 .

(2) تذكرة أول البصائر «فى مجموع» الخزانة العامة بالربــاط تحت رقــم 1194د .

12- الطرابلسى،عبد الكريم عمر

(1) الهداية النافعة لشرح منظومة الواضحة . مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2214 د .

13- الطرابلسى،أبى على بن أحمد محمد بن مشكان

(1) كتاب الفرائض . محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم 505 / 40 .

14- الطرابلسى،أبى الحسن على بن سعيد

(1) عقيدة الطرابلسى، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2214 د .

15- الأجدابى،إبراهيم بن أحمد بن عبد الله

(1) عمدة الحفّاظ فى علم اللغة. فرغ منه فى شهر رجب 1193 هـ «خط شرقي» مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1195 .

(2) كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ. مخطوط فى مجموع من صفحه 251 إلى 281. مخطوط تحت رقم 2 / L 2206 .

(3) كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ. من ورقة 1 ب إلى 42 ب. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1269 .

16- المسراتى،عبد السلام [1]

(1) زهرة الأنس فى شرح أسماء الله الحسنى. مخطوط بالخزانة الكتانية تحت رقم 515ك.

17- المعدانى،أبو على بن رحال

(1) فتح الفتاح على المختصر. الأجزاء الموجودة هى من الجزء الأول إلى الثامن. ومن الجزء العاشر إلى الثانى عشر. أما الأجزاء المفقودة فهى الأجزاء التاسع والثالث عشر ثم الرابع عشر. مخطوط محفوظ بخزانة الأوقاف تحت رقم 523 ق .

(2) الروض الفائح فى مناقب أبى عبد الله محمد الصالح. مخطوط بالخزانة الكتانية تحت رقم 2369ك .

1- الزاوي، الطاهر أحمد، نفس المصدر السابق، ص 218.

18- المهدوي،أبو العباس « م 440 هـ »

(1) الموضح فى تعليل وجوه القراءات . . . شرح الهداية فى القراءة مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 139 ق .

19- الميار،أحمد بن محمد

(1) كشف الرواق . . . ؟ «فى مجموع» مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم 969ق .

الخلاصـــة :

تعتبر بعض من هذه المخطوطات التى أشرت إليها بإيجاز فى هذه المقالة غير موجودة فى ليبيا ، كما أن مؤلفيها غير معروفين لدى الكثير من المهتمين بتجميع المخطوطات فى بلادنا ، لهذا يجب الاهتمام بها من قبل جامعة قاريونس مع مراعاة التأكد من نسبة مؤلفيها إلى ليبيا وذلك من أجل معرفة الحياة الثقافية التى كانت تسود البلاد خلال تلك الفترة التى عاش فيها مؤلفو المخطوطات المشار إليها سابقاً ، هذا كما أنى أرجو المعذرة إن وقعت فى الزلل بسبب نسبة العلماء المذكورين الذين قاموا بتأليف المخطوطات الواردة الذكر ، بل إن حسبى الإشارة إليها مع التنويه إلى ضرورة تصويرها أما غير ذلك فإنى أترك ذلك للمهتمين بهذا المجال راجياً أن يحالفهم الصواب فى التحقق مما قصدت إليه .

تأهيل المرأة الليبية فى مجال المكتبات

بداية النهضة النسائية فى ليبيا :

ترجع بوادر ظهور النهضة النسائية فى ليبيا إلى بداية مرحلة الاحتلال الإيطالى للبلاد، حيث اهتمت سياسة الاستعمار الفاشيستى بالتعليم من اجل نشر المبادئ الفاشيستية بين الليبيين، وهكذا فقد كان الهدف الأول من تأسيس المدارس وتزويدها بالمكتبات إنما كان غرضاً أيديولوجياً منذ البداية، وقد تم بالفعل تأسيس المدارس للبنين والبنات منفصلة لتعليم الليبيين مراعاة للتقاليد السائدة فى المجتمع، فقد تأسست مدارس للبنات لتعليمهن اللغة الإيطالية والدين الإسلامى والأخلاق الإسلامية !! فى بعض المدن الكبرى فى البلاد، هذا وقد اهتمت بعض المدارس التى تم تخصيصها لتعليم البنات بتعليمهن الحرف [1] كالخياطة والتطريز والنسيج وصناعة البسط وغيرها

ومن خلال مجلة ليبيا المصورة التى كان يديرها عمر المحيشى [2]، تم تخصيص باب للمرأة أو «الجنس اللطيف» وأن الهدف هو توجيه نداء إلى

1- المدارس والتعليم. مجلة ليبيا المصورة، ع4، س 1 «يناير 1963م» ص 9.

2- توفى عام 1941 ودفن فى قرية قمينس .

البنات الليبيات فى المدن والقرى الليبية طالبة منهن المشرفة على التحرير مزيداً من الشجاعة والصبر لمواصلة النهضة النسائية فى البلاد على حد قولها: «فلندخل جميعنا هذا الباب حتى نصير كمثيلاتنا الراقيات، ويكون لنا نصيب من الشجاعة الأدبية، فلا يقال عنا أن الليبيات لا يصلحن للمدنية والرقى . . . »[1] كما نجد كاتبة أخرى تدعو إلى ضرورة تعليم المرأة فى ليبيا بل وتطالب بمساواتها بالرجل [2] أيضاً. وقد استمرت هذه النهضة النسائية فى البلاد فى تطورها خلال الأربعينات بالرغم من شدة وطأة الاحتلال الإيطالى الذى كانت تعانى منه البلاد بكاملها، كما ساهمت أيضاً البعثات التبشيرية الفرنشيسكانية بتعليم البنات الليبيات، واشهر المدارس التى أشرفت عليها الكنيسة كانت فى المرج وبنغازى ودرنة وطرابلس وغيرها من المدن الأخرى، حيث كانت الراهبات يقمن بالتدريس وتعليم البنات بعض الحرف والتطريز . . الخ.

ولقد لعب القس فرنشيسكو روفيرى منذ قدومه مع القوات الإيطالية إلى البلاد عام 1934م دوراً بارزاً فى تأسيس مدرسة لتأهيل البنات الليبيات بالإضافة إلى تعليمهن مبادئ القراءة والكتابة فى مدينة المرج بعد خروج الإيطاليون من البلاد، حيث تم افتتاح تلك المدرسة فى المرج بتاريخ 1949/12/15م [3]. ألا انه مع ذلك فإن النهضة النسائية يبدو أنها قد أصبحت

1- إحسان، الليبية. صحيفة الجنس اللطيف. مجلة ليبيا المصورة، ع 4، س 1 «يناير 1963م». ص21.

2- أحمد، حورية. تعليم المرأة. مجلة ليبيا المصورة، ع4 س1 «يناير 1963م». ص 22.

(3) Rovere, Francesco. Scuola dicuito a mano. Bollettino Bimestrale, Anno XX Fasc. 4. (Luglio - Agosto 1950) pp. 76-79 .

حقيقة واقعية قبل ذلك حيث صدرت مجلة المرأة [1] بطرابلس بتاريخ 15 يوليو 1946م وكان مديرها المسؤول مصطفى العجيلي، أما رئيس التحرير لتلك المجلة فقد كان فؤاد الكعبازي، وهذه كانت أول مجلة تصدر باللغة العربية باسم المرأة فى ليبيا .

وفى الخمسينات تأسست الجمعية النسائية الليبية وأصبحت لها فروع فى أغلبية المدن الكبرى فى ليبيا، وقد ساهمت هذه الجمعية النسائية بواسطة بعض الرائدات أمثال : حميدة العنيزى وخديجة الجهمى وغيرهن كثيرات فى البلاد الدفع بالنهضة النسائية إلى الأمام فبرزت كثير من الرائدات فى المجالات المختلفة، فساهمت بذلك فى توعية المرأة وتثقيفها من خلال وسائل الاتصال المختلفة وغيرها من الوسائل الأخرى كالزيارات الميدانية وذلك من اجل النهوض بمستوى المرأة، فساهمت بذلك فروع الجمعية النسائية فى نشر الوعى بين السكان من اجل تعليم المرأة وتأهيلها لكى تساهم فى بعض القطاعات كالتعليم، وبصفة خاصة فى مجال التدريس فى مدارس البنات التى أخذت تنتشر فى البلاد، كما يعود الفضل أيضاً إلى الجمعية النسائية فى بنغازى إلى تأسيس أول مكتبة نسائية التى لازالت تعمل إلى وقتنا الحاضر رغم قلة الإمكانيات اللازمة .

1- المهدوي، إبراهيم أحمد. أرشيف المعلومات الصحفية. بنغازي، منشورات جامعة قاريونس 1994م. ص281.

المرأة فى التعليم العالى:

وفى الستينات دخلت المرأة الليبية الجامعة لأول مرة فى تاريخها وتخرجت أول طالبة ليبية من كلية الآداب والتربية خلال العام الجامعى 1961/60م[1] وتوالى بعد ذلك تخريج الدفعات من الإناث بزيادة معقولة، ولكنها أقل من عدد الذكور فى كلية الآداب والتربية حتى دفعة 92/ 1993م حيث كان عدد الخريجات من الإناث قد وصل إلى 453 طالبة بينما عدد الذكور قد تناقص بشكل ملحوظ عما كان عليه فى السنوات السابقة حيث وصل 156 طالباً، أما مجموع الخريجات الإناث فقد بلغ 3695 طالبة منذ تأسيس كلية الآداب والتربية إلى العام الجامعى 92 / 1993م، أما عدد الخريجون من الذكور فقد كان 6391 طالباً. ويبدو من خلال مراجعة إحصائيات خريجى جامعة قاريونس أن فترة الثمانينات تعتبر فترة تطور مزدهرة فى تعليم المرأة فى ليبيا وهذا يرجع بدون شك إلى سياسة المجتمع الرشيدة التى أتاحت الفرصة للمرأة الاستفادة فى مجال التعليم لتأهيلها فى كافة المجالات التى لا تتعارض مع تكوينها البايولوجي، خاصة وأن المرأة قد أصبحت تعتبر عاملاً مهماً فى تحقيق أهداف خطة التنمية فى المجتمع، وعليه فقد تضاعف أعداد النساء العاملات فى المجتمع الليبى إلى سبع مرات خلال الفترة الممتدة من 1964 - 1992م [2]، مما أدى إلى ارتفاع نسبة المرأة فى بعض

1- إحصائية بعدد خريجى جامعة قاريونس منذ تأسيسها حتى العام الجامعى 1993/92م، نشرة إحصائية خاصة بالخريجين منذ تأسيسها حتى العام الجامعى 1993م. بنغازي، جامعة قاريونس. 1993م. ص 28.

2- محفوظ، ماجدة عبد القادر. المرأة العاملة فى المجتمع العربى الليبى ومساهمتها فى النشاط الاقتصادى والاجتماعي. «ورقة قدمت إلى البرنامج الإقليمى لإدارة العمل. المنعقد بتونس 23-26 أيلول 1996م.

الأنشطة الاقتصادية حيث بلغت حوالى 14.3٪ من مجموع النساء فى سن العمل. إن هذا فى الواقع يعكس تطور المستوى التعليمى للمرأة الليبية مما ساعد على زيادة عدد النساء العاملات فى مجال المهن العلمية والفنية والتى من بينها التدريس حيث ارتفعت نسبة المدرسات خلال الفترة من 1973م إلى 1984م من 18٪ إلى 33٪ حيث قد تم تأنيث التعليم الأساسى بكاملة. أما فى مجال المكتبات ودور المحفوظات والمتاحف فقد وصل إجمالى العاملين 561 بلغ عدد الإناث من بينهم 73، وذلك خلال عام 1980م [1].

التأهيل فى مهنة المكتبات والمعلومات:

أصبحت مسؤولية التأهيل فى مختلف المجالات من فروع المعرفة فى وقتنا الحاضر تتقاسمها الجامعات والمعاهد الأكاديمية العالية بالإضافة إلى الهيئات والروابط العلمية والمهنية وشركات المعلومات والمنظمات الإقليمية والدولية وكذلك المؤسسات الاستشارية[2] وفى وطننا العربى قامت بهذه المسؤولية الجامعات، حيث اهتمت بتأسيس أقسام لدراسة علوم المكتبات والمعلومات والوثائق.

وكانت البداية فى جامعة القاهرة حيث تم تأسيس أول قسم للمكتبات والوثائق عام 1951م، ثم تلها بقية البلدان العربية. وفى بلادنا تم افتتاح أول

1- زهري، زينب : المرأة العاملة فى المجتمع العربى الليبى المعاصر. بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1988م. ص 35.

2- قاسم، حشمت : مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات. القاهرة، مكتبة غريب، «د.ت» ص 134.

قسم للمكتبات والمعلومات بكلية التربية بجامعة الفاتح بمدينة طرابلس، ثم تلاه بعد ذلك تأسيس قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والتربية عام 1985م، ثم قسم المكتبات والمعلومات فى يفرن وأخيراً قسم المكتبات والمعلومات بغريان وكذلك قسم المكتبات والمعلومات والتوثيق بكلية الآداب والتربية فى جامعة عمر المختار.

قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والتربية :

كما ذكرت قد تم تأسيس قسم المكتبات والمعلومات خلال العام الجامعى 85 / 1986م بقرار من اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية ليصبح القسم الثانى عشر بكلية الآداب والتربية التى تضم حالياً اثنا عشر قسماً

ونظراً لطبيعة الدراسة التى تجمع بين التطبيق العلمى والدراسة النظرية، فقد اضطر القسم إلى مواكبة التطورات فى مجال تعليم المكتبات والمعلومات وذلك من اجل تأهيل كوادر فنية تكون قادرة على إدارة مراكز المعلومات والتوثيق والمكتبات بأنواعها ودور الوثائق «الارشيفات» التى أصبحت تأخذ دورها على خارطة التنمية الشاملة فى المجتمع .

إن تأهيل المكتبيين من العنصر النسائى فى مجال المكتبات والمعلومات والوثائق لا يختلف كثيراً عن تأهيل الكوادر الفنية من الرجال، حيث نجد أن متطلبات التأهيل لدى الجنسين تشترط صفات جوهرية فطرية فى الفرد الذى يرغب فى الانخراط بهذه المهنة سواء كان ذكراً أم أنثى .

وقد أشار البعض [1] إلى هذه الصفات والتى من بينها ما يلى :

1- قاسم، حشمت، المصدر السابق ص ص 139-140.

(1) القدرة على التخيل وابتكار الحلول السليمة للمشكلات التى تواجه المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات ودور الوثائق «الارشيفات» .

(2) الحرص بل الاهتمام بعدد كبير من الموضوعات ذات الاهتمام فى مجالات متعددة .

(3) الإلمام بمناهج البحث العلمى بالإضافة إلى القدرة على التفكير المستقل .

(4) التدريب على إصدار الأحكام السليمة .

هذا بالإضافة إلى ما يجب أن يتميز به المكتبيون أو الوثائقيون أو المعلوماتيون بصفات أخرى منها المرونة والحرص على النظام وكذلك الشخصية القيادية . إن هذه الصفات الشخصية التى ينبغى أن يتميز بها المكتبيون وغيرها من الصفات الأخرى هى : كالصبر والتعاطف مع حاجات الآخرين وكذلك حب الكتب واقتناؤها Bibliophile وهذه أيضاً تعتبر صفات أساسية ينبغى أن يكتسبها العاملين فى مجال المكتبات والمعلومات والوثائق لأنها تعتبر من أهم متطلبات التأهيل لهذه المهنة، لهذا فإنه من الممكن جداً أن يكتسبها العاملون فى المكتبات ومراكز المعلومات ودور الوثائق تدريجياً لكونها مكتسبة وليست فطرية .

إن تغير المركز الاجتماعى للمرأة فى المجتمع الجماهيرى قد أدى إلى ارتفاع نسبة تعليم المرأة بالإضافة إلى تأخر سن الزواج بسبب ارتفاع المهور

ومستوى المعيشة، الأمر الذى شجع المرأة على مواصلة دراستها الجامعية، فهذا هو سبب من بين الأسباب الأخرى فى ازدياد عدد الطلبة من الإناث بصورة ملحوظة فى بعض كليات جامعة قاريونس، ففى إحصائية لعدد الطلاب المسجلين (1) بالجامعة المذكورة خلال العام الجامعى 95 / 1996م نجد أن إجمالى عدد الطلاب الإناث قد بلغ فى كلية الآداب والتربية 5162 طالبة بينما كان عدد الطلبة من الذكور فى نفس الكلية قد بلغ 2012 طالباً. هذا وقد ساد التفوق العددى للطلاب الإناث فى كليات القانون والعلوم والتربية «المرج». أما المجموع الإجمالى للطلاب الإناث فى جامعة قاريونس خلال العام المذكور فقد بلغ 13853 طالبة بينما عدد الطلاب الذكور لم يتجاوز سوى 10986 طالباً، حيث بلغ المجموع الكلى للطلاب الليبيون فى ذلك العام 24839 طالباً .

فى الواقع قد انعكست هذه الزيادة فى عدد الطلاب الإناث المسجلين فى جامعة قاريونس وبالذات فى كلية الآداب والتربية بمدينة بنغازى التى يوجد بها قسم المكتبات والمعلومات حيث نجد أن عدد الخريجات (2) من الإناث فى جامعة قاريونس خلال العام الجامعى 94 / 1995 إفرنجى قد بلغ 650 طالبة، أما الذكور فقد بلغ عددهم 283 طالباً فقط وبهذا فقد أصبحت نسبة الخريجون من الإناث 69.67٪ ومن بين الخريجات الإناث فإن 27

1- قسم التسجيل والقبول: إحصائية بعدد الطلاب المسجلين بالجامعة خلال العام الجامعى 1996/95 إفرنجى جامعة قاريونس .

2- إحصائية بعدد خريجى كليات جامعة قاريونس للعام الجامعى 25/24م بنغازى - جامعة قاريونس «الإدارة العامة - قسم شؤون الخريجين».

خريجة كانت من قسم المكتبات والمعلومات وبلغت نسبتهن إلى مجموع الخريجات من الإنـاث 2.89٪ . ويمكن من خـلال الجـدول رقم «1» الـذى يبين عدد خريجى قسم المكتبات والمعلومات منذ تأسيس القسم إلى العام الجامعى 95 / 1996 إفرنجى كما يلى :

جدول رقم (1)

يبين عدد خريجى قسم المكتبات والمعلومات

من 1989 - 1996 إفرنجي

العام الجامعى	ذكور	النسبة	إناث	النسبة	المجموع
89/88 أفرنجى	12	٪ 80	03	٪ 20	15
90/89	08	٪ 20	32	٪ 80	40
91/90	07	٪ 58.33	05	٪ 41.66	12
92/91	06	٪ 16.21	31	٪ 83.78	37
93/92 "	13	٪ 28.88	32	٪ 71.11	45
94/93 "	16	٪ 43.24	21	٪ 56.75	37
95/94	23	٪ 46	27	٪ 54	50
96/95	10	٪ 24.39	31	٪ 75.60	41
المجموع الكلى	95		182		277

هذا وقد بلغ إجمالى مجموع خريجو قسم المكتبات والمعلومات حتى العام الجامعى 95 / 1996 إفرنجى 277 طالباً بلغ مجموع الخريجات الإناث 182 طالبة كما هو موضح فى الجدول رقم (1) المشار إليه سابقاً .

أما مجموع الخريجين فى كلية الآداب والتربية للعام الجامعى 95 / 1996 إفرنجى «دور أول فقد بلغ 585 طالباً من الإناث و 149 طالباً من الذكور حيث وصلت نسبة الخريجات الإناث خلال العام المذكور 74.53٪ أما مجموع الخريجات الإناث بقسم المكتبات والمعلومات فقد بلغ عددهن 31 طالبة بحيث بلغت نسبة الخريجات من قسم المكتبات والمعلومات إلى مجموع الخريجين الإناث بالكلية خلال نفس العام الجامعى «دور أول» 5.29٪ .

وعلى كل حال يمكن القول أن ظهور الحاجة الماسة إلى تعليم المكتبات والمعلومات والوثائق فى مجتمعنا قد ارتبط بما يجرى فى الواقع من ثورة علمية جادة بالإضافة إلى جهود جبارة تعمل فى سبيل تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى المجتمع الليبى العربي، مما أدى إلى ارتفاع المستوى الثقافى لدى أفراد المجتمع فازدادت الحاجة إلى الكتاب، باعتباره من أهم مصادر المعلومات التقليدية السائدة فى العالم، أن مساهمة المكتبات فى القضاء على مجاعة الكتاب التى تعانى منها بعض المجتمعات النامية فى وقتنا الحاضر لا يمكن أن تتحقق بدون الاهتمام بتعليم علوم المكتبات والمعلومات وذلك من اجل إعداد وتدريب أخصائى المعلومات القادرين على توفير المعلومات اللازمة فى اتخاذ القرارات، لهذا

فإنه ينبغى الاهتمام بذلك لكى تتمكن المكتبات من تأدية دوراً هاماً فى العملية التعليمية . ولكن بالرغم من تلاشى دور المكتبة فى العملية التعليمية كما يتضح ذلك جلياً من خلال المواد الدراسية المقررة فى بعض الأقسام العلمية بالجامعة ، إلا أن مهنة المكتبات والمعلومات أصبحت من بين المهن التى جذبت المرأة الليبية خاصة بعد النهضة النسائية التى شهدتها بلادنا خلال السنوات الأخيرة والتى انعكست فى تشجيع تعليم المرأة وتولى المناصب القيادية فى المجتمع الجماهيرى مما أدى إلى أن أصبحت نسبة القوى العاملة من الإناث فى بلادنا تصل إلى 52٪ من مجموع القوى العاملة [1] خلال عام 95 / 1996م . أما مجموع العاملات فقد وصل ثلاثون ألف امرأة عاملة فى الجماهيرية [2] .

وفى البداية دخلت المرأة الليبية مهنة المكتبات باعتبارها «مهنة بلا أسوار» وقد اتضح ذلك جلياً فى مدارسنا الابتدائية والإعدادية والثانوية ، حيث أننا قد وجدنا أثناء زياراتنا أن إدارات المدارس هى التى تقوم غالباً بتخصيص معلمة أو معلم للقيام بوظيفة المكتبي . وقد بلغ عدد المؤهلين العاملين فى المكتبات المدرسية من الإناث [3] 16 خريجة حاصلة على ليسانس مكتبات . أما بقية الخريجات من أقسام علمية أخرى فقد بلغ عددهن 21

1- حديث الأمين المساعد للقوى العاملة ببنغازى (1996/10/6ف) .

2- أبو حميدة ، صفية محمد : الزوجة العاملة . . هواجس وهموم «تحقيق» مجلة المرايا ، ع3 ، س 1 [أى النار النوار - الربيع 1425م] ص 42 .

3- مكتب النشاط - وحدة المكتبات المدرسية . أمانة التعليم - بنغازى 1995-1996ف «تم الحصول على هذه الإحصائية كتابياً» .

خريجة، هذا ويبلغ مجموع الإناث العاملات فى مجال المكتبات المدرسية بمدينة بنغازى 118، أما الذكور فقد بلغ عددهم 42 شخصاً فقط، لهذا يتضح لنا جلياً أن مهنة المكتبات، فى الواقع مهنة بدون أسوار وذلك من خلال مقارنة عدد الإناث المؤهلات الحاصلات على ليسانس مكتبات مع غيرهن من الإناث العاملات فى نفس المجال ولكن بدون تأهيل عال فى مجال علوم المكتبات والمعلومات. إلا أن هذا يعنى فى الواقع أن مهنة المكتبات قد أصبحت بالفعل تجذب إليها المرأة بصفة خاصة فى مدينة بنغازى المكان الذى أجريت فيه هذه الدراسة، حيث قد بلغ عدد المكتبيات الإناث العاملات فى المكتبات المدرسية 128مكتبة .

إن تأسيس أقسام المكتبات والمعلومات فى جامعاتنا يعتبر اعتراف رسمى بمهنة المكتبات وللدور الفعال الذى تلعبه المكتبة فى التنمية الاجتماعية الشاملة، كما يؤكد أن هذه المهنة تشترط تأهيل شخص ما لتأدية عمل لا يستطيع شخص غير مؤهل القيام به [1] هذا ومن خلال الزيارات التى قمت بها لبعض المكتبات والمراكز الثقافية داخل جامعة قاريونس وخارجها بمدينة بنغازى وجدت أن عدد خريجات القسم قد توزع للعمل فى مجال المهنة المكتبية كما يلى :

1- عبد الهادي، محمد فتحى : مصدر سابق. ص 29.

أولاً : المكتبات الجامعية أو الأكاديمية :

1- المكتبة المركزية [1] :

بلغ إجمالى عدد الإناث اللاتى يعملن بالمكتبة المركزية 28منهن 16 مؤهلة تحمل شهادات عليا «ليسانس أو بكالوريوس» جامعية منهن فقط 5 خريجات من قسم المكتبات والمعلومات يعملن فى أقسام المكتبة التالية :

أ) قسم الفهرسة والتصنيف .

ب) قسم المراجع .

جـ) قسم الإعارة .

د) قسم ليبيا

2- مكتبة كلية العلوم :

يمثل العنصر النسائى المؤهل ثلث العاملين فى مكتبة كلية العلوم والتى بلغ عددهم 3 مكتبيين بينهم أنثى واحدة خريجة فقط أما بقيتهم فغير مؤهلين فى مجال المهنة .

3- مكتبة كلية الهندسة :

بلغ عدد العاملين فى مكتبة الهندسة ثلاثة خريجات جامعيات بينهن واحدة فقط تحصلت على ليسانس مكتبات ومعلومات .

1- إدارة شؤون الموظفين بالمكتبة المركزية - جامعة قاريونس .

4- مكتبة كلية الآداب والتربية :

بلغ عدد العاملين ثلاثة بينهما خريجة واحدة فقط من قسم المكتبات والمعلومات

5- مكتبة كلية الاقتصاد :

تشرف عليها مكتبية واحدة خريجة من كلية الاقتصاد .

6- مكتبة كلية القانون :

بلغ عدد العاملين ثلاثة مكتبيين بينهما أنثى واحدة خريجة من كلية القانون .

7- مكتبة مركز البحوث والاستشارات بالجامعة :

لا توجد بها سوى مكتبية واحدة غير خريجة .

8- مكتبة مركز البحوث الاقتصادية :

بلغ عدد العاملين فى هذه المكتبة ثلاثة خريجون اثنتان إناث إحداهما خريجة من قسم المكتبات والمعلومات والأخرى خريجة من قسم الاقتصاد.

9- مكتبة جامعة العرب الطبية :

تعمل بهذه المكتبة خمس خريجات من قسم المكتبات والمعلومات، أما مديرها فهو مؤهل يحمل شهادة الماجستير فى علوم المكتبات والمعلومات .

ثانياً: المكتبات الأخرى:

1- دار الكتب الوطنية [1] «بنغازي»

بلغ عدد الإناث العاملات فى دار الكتب الوطنية 36 أنثى، بلغ عدد الخريجات من كليات الجامعة 19 خريجة بينهن 6خريجات من قسم المكتبات والمعلومات أما إجمالى العاملين بدار الكتب الوطنية فقد بلغ 41 موظفاً .

2- مكتبة الفكر الجماهيرى:

بلغ عدد العاملين بالمكتبة المذكورة عشرة موظفين، بينهما ثمان إناث كلهن خريجات من الجامعة، أربعة فقط منهن قد تحصلن على شهادة الليسانس من قسم المكتبات والمعلومات بجامعة قاريونس .

3- مكتبة المحكمة:

لا يوجد بها سوى خريجة واحدة من قسم المكتبات والمعلومات يساعدها مناول للمحفوظات .

4- قسم المحفوظات بشركة الجوف النفطية:

يوجد خريجة واحدة قد تحصلت على شهادة الليسانس فى علوم المكتبات والمعلومات تعمل بالقسم المذكور .

5- مكتبة مركز الفاتح للمتفوقين:

لقد تأسست هذه المكتبة خلال العام الدراسى 94 / 95 إفرنجى وقد تم تعيين اثنتان من خريجى قسم المكتبات والمعلومات، هذا مع العلم انه لا

1- إحصائية للعاملين بدار الكتب الوطنية 1996/95ف .

يوجد موظف مؤهل آخر سوى المشرف على المكتبة الذى يحمل شهادة الماجستير فى علوم المكتبات والمعلومات .

6- مكتبة الكفيف «بنغازي» :

تعمل بها اثنتان إحداهما خريجة من قسم المكتبات والمعلومات والأخرى أيضاً خريجة من أحد الأقسام العلمية بكليات الجامعة .

7- مركز التوثيق والمعلومات القطاعى :

بلغ عدد العاملين فى هذا المركز عشرون موظفاً بينهم تسعة إناث واحدة فقط خريجة مكتبات ومعلومات و(6) ستة خريجات فى تخصصات أخرى واثنتان فقط غير مؤهلات. أما عدد الذكور فقد بلغ عددهم أحد عشر موظفاً بينهما واحد فقط يحمل شهادة الماجستير فى علوم المكتبات والمعلومات أما البقية وعددهم عشر موظفين فهم جميعاً خريجون فى تخصصات أخرى .

جدول رقم (2)

توزيع القوى العاملة من الإناث حسب مهنة المكتبات والمعلومات في نطاق مدينة بنغازى خلال شهر التمور «اكتوبر» 1996 إفرنجى(*)

اسم المكتبة أو مركز المعلومات	إنـــاث			ذكـــور		
	خريجون		غير خريجون	خريجون		غير خريجون
	مكتبات	تخصصات أخرى		مكتبات	تخصصات أخرى	
المكتبة المركزية	5	11	12	3	1	23
مكتبة كلية الآداب	1	1	0	0	1	0
،، كلية الاقتصاد	0	1	0	0	0	0
،، كلية القانون	0	1	0	0	0	2
،، كلية العلوم	1	0	0	0	0	2
،، كلية الهندسة	1	2	0	0	0	0
،، مركز البحوث الاقتصادية	1	1	0	0	1	0
،، مركز البحوث والاستشارات	0	0	1	0	0	0
،، جامعة العرب الطبية	5	0	0	1	0	0
دار الكتب الوطنية	6	13	23	0	4	1
المكتبات المدرسية (بنغازى)	16	21	91	0	0	42
مكتبة مركز الفاتح للمتفوقين	2	0	0	1	0	1
مكتبة الفكر الجماهيرى	4	4	0	0	0	2
مكتبة المحكمة	1	0	0	0	0	1
مكتبة جمعية الكفيف	1	1	0	0	0	0
مركز التوثيق والمعلومات	1	6	2	1	10	0
المحفوظات بشركة الجوف	1	0	0	0	0	0
المجموع	46	52	129	0	17	74

عدد الإناث الإجمالي = 227 عدد الذكور الإجمالي = 97

* تم تجميع هذه الإحصائيات بواسطة الباحث شخصياً من الجهات المذكورة .

المكتبة ودورها فى التنمية :

تعتبر المكتبات ظاهرة حضارية برزت بوضوح منذ عصر الدولة العربية الإسلامية، حيث انتشر تأسيسها بأنواعها ابتداء من العصر الأموى لتبلغ أوج ازدهارها خلال العهد العباسى كما اهتمت دولة المماليك والدولة الفاطمية والعثمانية بالمكتبات والمكتبات التى سبق ظهورها تأسيس الجامعات فى العالم بدون شك يكمن السر وراء ازدهار الحضارة العربية التى شهدت تأسيس المكتبات بأنواعها المتعددة ورعايتها من قبل المسئولين بالإضافة إلى تعيين شخصيات بارزة فى مجالات العلوم المختلفة فى الدولة العربية الإسلامية، والمعروف عن تلك الحضارة أنها كتاب ومكتبة، وفى عهد الدولة العباسية شهد العالم ولادة مكتبة المليون ونصف لأول مرة فى تاريخ البشرية. لهذا يمكن القول أن تأسيس المكتبات فى الدولة العربية الإسلامية قد ساهم فى رفع المستوى الثقافى وبالتالى أدى إلى بروز كثير من المثقفين والعلماء أو بمعنى آخر المواطنون الصالحون الذين يجب توفرهم فى أى مجتمع يسعى إلى بناء حضارة .

إن تحقيق التنمية فى أى مجتمع يجب أن يبدأ بتطوير المؤسسات التعليمية أولاً مع تشجيع إقامة المكتبات وتنميتها .

إن المكتبات ضرورية لرفع المستوى التعليمى لعامة الشعب وخلق روح المسئولية الصحيحة التى تعتبر ضرورة ملحة لنمو مجتمع صحي، لان المكتبات تساهم فى استمرارية التعليم الذى يساعد فى بناء الأمم وتقدمها [1] .

1- الزيد، إبراهيم : دور المكتبات فى بناء الحضارات الإنسانية. مجلة رسالة المكتبة، س5، ع1. (1970) ص 30.

ومن خلال إحصائية بعدد الطلاب المسجلين [1] بجامعة قاريونس صادرة عن قسم التسجيل والقبول، نجد أن عدد الطلاب الليبيون قد وصل 24839 طالباً منهم 13853 طالبةخلال العام الجامعى 95 / 96 إفرنجي، مما يدل بدون شك أن بلادنا تشهد حالياً نهضة تعليمية عارمة تتطلب المزيد من المؤهلين فى مجال علوم المكتبات من اجل تحقيق كافة الأهداف التى يسعى المجتمع الوصول إليها. ومن الواضح أن نسبة كبيرة من الخريجين من قسم المكتبات والمعلومات فى هذا القسم من الإناث، واليوم أصبحت المرأة تلعب دوراً هاماً وحيوياً فى تنمية المجتمع، ولها دور بارز فى النهضة الثقافية والاجتماعية التى يشهدها مجتمعنا كما نعلم. واليوم كما نعلم فان المكتبات ومراكز المعلومات والبحث العلمى وشبكات المعلومات، لازالت على نطاق محدود ومقتصر على بعض الشركات النفطية والهيئات العلمية، لذا نجد أن معظم خريجى هذا القسم يعملون فى التعليم، فى حين أن التنمية العلمية والاجتماعية فى البلاد تتطلب الكثير من الخدمات المكتبية الجيدة وهذا لن يتحقق إلا بوجود مؤهلين أكفاء فى هذه المهنة. لهذا فتحقيق التنمية فى أى قطاع فى المجتمع يحتاج إلى تنمية مكتبية لإعداد خريجين أكفاء، وان الباحثين العاملين على تنمية المجتمع وحل مشاكلة لا يستطيعون إيجاد حلول لتلك المشكلات الاقتصادية أو الاجتماعية وغيرها بدون معلومات وافية وهذه تتوفر بالفعل فى الدراسات والبحوث المنشورة، وتكون ضمن مجموعات المكتبات ومراكز المعلومات ودور الأرشيف، وهذا يتطلب مكتبيين مؤهلين ذوى خبرة فى مجال المهنة المكتبية لإرشاد الباحثين إلى

1- إحصائية بعدد الطلاب المسجلين بالجامعة خلال العام الجامعى 1995/95م.

مصادر المعلومات اللازمة بأقل جهد ووقت ممكن. فالمكتبى يعتبر فى الواقع باحث وأداة بحث أيضاً، فهو يساعد الباحث فى الكشف عن أهم المراجع والمصادر فى الموضوع المبحوث، لهذا فان المكتبى فى المجتمعات الصناعية له دور أكاديمى كما كان بالضبط خلال ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، لهذا فهو يعامل معاملة الموظف العادى كما هو الحال عليه فى أغلبية المجتمعات النامية.

إن توفير الخدمات المكتبية يعتمد على توظيف المكتبيين فى المكتبات الأكاديمية حسب المعايير العالمية لعام 1990م والتى أقرتها معظم روابط المكتبات فى العالم وهى كما يلي :

أولاً : من 200 - 1000 **طالب «قارئ» يعين ما يلى :**

(1) مدير واحد وهذا يجب أن يكون خريج مع خبرة.

(2) عدد (2 - 4) مكتبيين متخصصين حسب الظروف وإقبال القراء والباحثين على استخدام المكتبة.

(3) عدد (3) مساعدين فنيين.

ثم يضاف مكتبى واحد وفنى واحد كلما ازداد القراء ألفاً آخر.

أما الإدارة فيجب أن يكون مديران بعد ما يتجاوز عدد القراء الـ (12) ألفاً، واحد للشؤون العلمية والخدمات والآخر للشؤون الإدارية والمالية.

ثانياً: أما الميزانية فيجب أن تحسب حسب إحدى الطريقتين :

أن تكون 10٪ من مجموع الميزانية العامة للجامعة، أو تخصيص مبلغاً مالياً قدرة (500) دولار لكل طالب، مع (200) دولاراً لكل عضو هيئة تدريس، هذه الميزانية هى للتزويد، أى لشراء مصادر المعلومات فقط .

ومن خلال المعايير السابقة، يتضح لنا أن كلية الآداب والتربية التى بلغ عدد الطلاب المسجلين [1] بها خلال العام الجامعى 95 / 1996 إفرنجى حوالى 7642 طالباً تحتاج المكتبة بها إلى تعيين (11) «أحد عشر مكتبياً» مؤهلين فى مجال المكتبات بالإضافة إلى (10) عشر فنيين بالإضافة إلى مدير واحد فقط وذلك من اجل تحسين مستوى الخدمات المكتبية للمستفيدين من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس بالكلية. إذا فكم نحتاج إلى مكتبى متخصص فى المكتبات الجامعية فى السنوات القادمة بمدينة بنغازي؟ إذا ما علمنا أن بلادنا تشهد زيادة مستمرة فى سكان الحضر حسب ما ورد فى تقديرات الأمم [2] المتحدة فان السكان الحضر فى ليبيا قد وصل عددهم :

191.000 نسمة، عام 1950م .

3.189.000 نسمة، عام 1990م .

وسيصل 4.948 نسمة، عام 2000 م .

إن للمرأة الليبية دوراً مزدوجاً فى تحقيق التنمية بالمجتمع الليبي، خاصة المرأة المؤهلة أكاديمياً فى مجال المكتبات، فهى تستطيع أن تجعل المكتبة مفيدة

1- المصدر السابق .

2- U.N World Population Prospects, 1990 . p. 468.

سهلة الاستخدام بواسطة التلاميذ والقراء خارج البيت وذلك بشرح كيفية استخدام الفهارس وكيفية الحصول على العناوين أو الموضوعات ذات الاهتمام .

إن الاستخدام الجيد الفعال لمصادر المعلومات فى المكتبات هو فى حد ذاته تنمية للفرد فى المجتمع، ولا يمكن تحقيق هذا، إلا بواسطة استخدام الكتب وغيرها من أوعية المعلومات المختلفة بالمكتبات تحت إدارة مكتبى مؤهل وذو خبرة. لهذا على المكتبى أن يقوم بتوجيه الأسئلة إلى الطلاب، ماذا تفعل عندما لا تجد ما تبحث عنه؟ أين يمكن أن تجد ما تبحث عنه بسهولة؟ هذه الأسئلة وغيرها تجعل المكتبى قادراً على اكتشاف الصعوبات [1] التى تواجه الطلبة وبالتالى تنمية أفراد المجتمع الذى يخدمه .
إن تنمية الفرد فى المجتمع يجب أن تبدأ بالطفل فى البيت، لهذا فان دور الأم يعتبر هاماً جداً فى ثقافة الطفل بالإضافة إلى بقية المؤسسات التعليمية وغيرها. ودور الأم فى تنمية التفكير العلمى لدى الطفل، فالأم بطبيعتها قادرة على اختيار الكتب الجيدة لأطفالها، فهناك أمثلة كثيرة على الدور الذى لعبته الأمهات فى شهرة أبنائهن، ومنها الكاتبة د . مورتون فى جنوب أفريقيا عندما سُئلت كيف تسنى لك الحصول على جائزة نوبل؟ هل كان يمكن لكاتبة ملونة «سمراء» أن تفوز بها؟ قالت طبعاً . . لسبب بسيط، هو أن أمى فى طفولتى أخذت بيدى إلى المكتبة [2] .

1- Andrews, J: An Exploration of students Library Use Problems. Library Review Vol. 40 . N.1 (1991). p.5.

2- مجلة العربي، العدد 459، فبراير 1997 . ص 166 .

إن اختيار الكتاب الجيد للطفل فى البيت يقودنا إلى إقامة المكتبة المنزلية التى تعتبر ركنا أساسياً فى تنمية بيوتنا، خاصة وأن استعدادات الأطفال القرائية تبدأ من البيت، وان الطفل الذى يعيش بين أسرة متعلمة يكون متفوقاً من حيث نضوجه ونموه اللغوى والقرائى أى على عكس الطفل الذى يعيش بين أفراد أسرة أمية [1]

وحيث أن المكتبة كما يقول البعض «أنها ليست مكان لحجز الطلبة المزعجين» بل مكان ينبغى على المكتبى أن يحيط الطالب بالكتب والتى لا تتوفر له فى البيت، خاصة أن التعليم فى عصرنا الحالى قد اصبح غير مقيد بالفصول الدراسية والكتاب المقرر، بل أيضاً ليشمل استخدام مصادر المعلومات المتعددة، لهذا ينبغى أن يكون هناك تعاون مثمر بين المكتبيين والهيئة التدريسية سواء فى الجامعة أو فى المدرسة أو المعاهد، وذلك من اجل أن يكون المنهج ملائماً لتحقيق التنمية فى المجتمع، وبما أن الأقلية من خريجى المكتبات من الإناث بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة قاريونس يفضلن العمل فى مجال التدريس فإن هذا سوف يثرى العملية التعليمية فى مدارسنا، خاصة وأنه ينبغى على الهيئة التدريسية الاطلاع على مصادر المعلومات والتعرف على استخدامها فى نطاق عملهم التدريسي وفقاً لما يراه خبراء التربية، مما يتطلب ضرورة قيام أقسام المكتبات والمعلومات بتأهيل مزدوج لطلابها.

وأخيراً يمكن القول أن توجه المرأة فى بلادنا إلى مهنة المكتبات يعتبر توجه علمى سوف يساعد على تحقيق التنمية فى كافة القطاعات بالمجتمع

1- عزو، ماجدة حامد: الطفل والقراءة. مجلة علم المعلومات، س 6، ع2، (1983) ص 85.

وليس العكس كما يراه البعض من التقليدين خاصة وأن الإناث اصبحن يمثلن أعلى نسبة فى إحصائيات إعداد الطلاب المسجلين بالجامعة، حيث نجد أن عددهن يفوق أعداد الطلبة فى جميع كليات الجامعة ما عدا كلية الهندسة حيث بلغ عدد الطلاب الليبيون المسجلين بالكلية المذكورة خلال العام الجامعى 95 / 1996 إفرنجي، 2030 طالباً بينهم 868 طالبة، عليه يجب على الجهات المختصة فى جامعاتنا تقديم الدعم اللازم وذلك بتوفير المعامل الببلوغرافية والسمعية والبصرية بالإضافة إلى معامل الحاسوب وتمكين الطلاب الدارسين بأقسام المكتبات والمعلومات القيام بالزيارات والدراسات الميدانية، هذا بالإضافة إلى أن تحرص الجهات الرسمية بإصدار التشريعات المكتبية المتعلقة بتعيين المكتبيين بالإضافة إلى ما يتعلق بضرورة تأسيس رابطة للمكتبيين فى المجتمع وذلك للمساهمة فى نشر تعليم المكتبات وتوعية أفراد المجتمع بدورها الإيجابى فى تحقيق التنمية الشاملة .

الفصل الثاني

- **أهمية الوثائق فى تخطيط المدن والمحافظة على آثارها القديمة .**
- **التوثيق الإعلامى ... أهميته .**
- **كاليماخوس القورينائى ومكتبة الإسكندرية .**
- **نبأ اعتقال عمر المختار فى الصحافة الإيطالية يومى** 16-1931/9/17م.

أهمية الوثائق فى تخطيط المدن
والمحافظة على آثارها القديمة

إن الوثائق الأرشيفية أو التاريخية الحيوية تخضع لعمليات فرز واستبعاد بواسطة المتخصصين الذين يساهمون بكل إيجابية فى تجميع الوثائق وفهرستها، وتصنيفها والمحافظة عليها، فإعداد الفهارس والكشافات يساعد الباحثين على الوصول إلى كافة المعلومات والبيانات التى تشتمل عليها تلك الوثائق المحفوظة بدار الوثائق .

إن للوثائقيين واجبات أخرى بجانب بعض ما ذكرناه، عليهم أن يحرصوا على القيام بها، وذلك لخدمة البحث العلمى. إن تأسيس دور وثائق متخصصة فى مجال محدد مثل «فن المعمار الإسلامى العربي» تكون له فى الواقع نتائج إيجابية، قد تؤدى إلى إقامة مصرف للمعلومات، كما يساهم فى خلق تعاون مثمر فى مجال مصادر المعلومات الوثائقية، ليس فقط بين دور الوثائق المتخصصة، ودور الوثائق الوطنية المحلية، بل مع دور الوثائق القومية والعالمية أيضاً. إن دور الوثائق المتخصصة تساهم فى تجميع كافة الوثائق الورقية، والوثائق التشكيلية المادية، أو الوثائق المساعدة، خاصة أن الوثائق الورقية فى الوطن العربى قد تعرضت للتدمير، مما

يستدعى التركيز على المقتنيات الأثرية الباقية، والاهتمام بصيانتها وترميمها، والمحافظة عليها بالاعتماد على بعض مصادر المعلومات الأخرى، مثل قصاصات الصحف والصور . . . الخ .

كما يجب الاعتماد على كتب التراث العربى الإسلامى ليس لتجميع الوثائق وصيانتها أو ترميمها، وإنما للكشف عن أماكنها، والتنقيب عنها، بالإضافة إلى الاستفادة منها فى استنباط أشكال معمارية عربية إسلامية تحافظ على تقاليدنا وعاداتنا، والقيم الروحية الإسلامية العربية .

وقد أشرت فى نهاية هذه الورقة إلى أهمية المصادر الوثائقية، وكيفية الاستفادة منها فى إعادة تشكيل المواقع الأثرية فى المدن العربية الإسلامية، والأهمية التى يمكن أن تقوم بها هذه المعلومات فى المحافظة على الآثار العربية الإسلامية رغم المحاولات اليائسة التى كانت قد بذلت من الاستعمار الإيطالى والعثمانى فى ليبيا كمثال .

كما يجب الاعتماد على العلوم المساعدة فى دراسة الوثائق، لهذا يجب على المهندسين المعماريين العرب المسلمين تكوين خلفية ثقافية حضارية قبل البدء فى تنفيذ ذلك الواجب الإنساني، الذى يهدف إلى المحافظة على الآثار العربية الإسلامية فى المدن العربية والإسلامية، حيث أشرت إلى بعض المدن الليبية العربية الإسلامية كأمثلة على ذلك .

وأخيراً أشرت فى خاتمة هذه الورقة إلى أهمية المكتبة المتخصصة والمتحف اللذين يجب أن يكون ضمن ملحقات دار الوثائق المتخصصة فى مجال فن المعمار العربى الإسلامى وذلك من أجل تزويد الباحثين « المهندسين المعماريين وغيرهم» بكافة المعلومات اللازمة فى هذا المجال بأقل جهد ووقت ممكنين .

1- تعريف الوثيقة :

يمكن أن يطلق لفظ وثيقة على أى نص مكتوب باليد على الورق، أو منقوش على الحجر والفخار، وعلى الرسومات، وهذا التعريف البسيط للوثيقة العادية يختلف فى الواقع عن تعريف الوثيقة الدبلوماتية [1] والتى هى عبارة عن مستند مكتوب وفقاً لصياغة معينة، ويشتمل على فعل قانونى. أما تعريف لفظة وثيقة فى اللغة العربية فإنه يشمل المستند المكتوب قانونياً أو غير قانوني، ولهذا فإنه يشتمل على التعريفات السابقة للوثيقة العادية والوثيقة الدبلوماتية، ويدرس علم الوثائق المكتوبة رسمية كانت أو غير رسمية، صادرة عن جهات رسمية أو من قبل أفراد، بشرط أن تكون الوثيقة مصدقاً [2] عليها من قبل الجهات الصادرة عنها. فالوثيقة يجب أن تشتمل على واقعة قانونية. فالوثيقة الورقية إذاً هى تلك الوثيقة الصادرة عن ديوان حكومى أو شبه حكومى رغم حفظها فى مكان مخصص لحفظ أوراق ذلك الديوان الحكومى أو شبه الحكومى [3]. أما الوثيقة الدبلوماتية فتنشأ نشأة طبيعية وتعكس كافة نشاطات المؤسسة أو الجهاز الأم الصادرة عنه، فهى بالتالى موضوعية، بعيدة عن التحيز، وتجب المحافظة عليها داخل المجموعة

1- المهدوي، إبراهيم أحمد : حلول لبعض مشاكل الحصول على الوثائق وتيسير استخدامها. الثقافة العربية. ع3، س17. (شعبان - رمضان 1399 « و. ر - الربيع - مارس 1990م») ص 79.

2- حمودة، محمود عباس : المدخل إلى دراسة الوثائق العربية. القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989م، ص 17.

3- قبيسى، محمد : علم التوثيق والحفظ فى الوطن العربى : مسح ميدانى وإحصائى شامل. بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1980م. ص 35.

أو الوحدة الأرشيفية، باعتبارها شاهد إثبات يمكن الاعتماد عليه فى معرفة أحداث الماضي، وأن يستفاد من شهادتها فى الحاضر والمستقبل. إن الاعتماد على المعلومات التى تشتمل عليها الوثائق يساعد الباحثين على تجنب الأخطاء فى الحاضر والمستقبل، فاتخاذ القرارات العلمية لا يمكن أن يتم بدون الاعتماد على المعلومات التى توفرها الوثائق المحفوظة بدور الوثائق. إن تلك المعلومات تعكس فى الواقع تجارب وخبرات السابقين، فهى بالتالى مفيدة لنا تساعدنا على اتخاذ قرارات علمية صحيحة خاصة وأن الوثائق تعكس أحداث الماضى بموضوعية بعيدة عن التحيز. وحيث إن الوثيقة تعتبر هى المادة الوحيدة التى تعكس صور الماضى بكل موضوعية فإن أحداً لا ينكر دورها فى البحث العلمى الذى أصبح يتزايد باستمرار، كما أن مفهومها أصبح يشمل بالإضافة إلى ما ذكرناه : التسجيلات الصوتية والمرئية، وكذلك الخرائط والرسومات [1]. وتنقسم الوثائق إلى وثائق خاصة، وهى التى تشتمل على أفعال قانونية تتعلق بالقانون الخاص، أما الوثائق العامة فهى تشتمل على أفعال قانونية تتعلق بالقانون العام. وهناك تقسيم آخر للوثائق يمثل وجهة المؤرخين [2] الذين قسموها إلى : وثائق ديوانية، وأخرى غير ديوانية، وتنقسم الوثائق الصادرة [3] عن المؤسسة الأم رسمية كانت أو غير رسمية إلى ما يلى :

1- الزروق، خديجة : الوثائق ودورها فى البحث العلمي. الوثائق العربية. ع4. (1978). ص 115.

2- حمودة، محمود عباس : المدخل إلى دراسة الوثائق. مصدر سابق. ص 21.

3- الغزالى، محمد : دور الأجهزة الحكومية فى معالجة محفوظاتها غير النشطة، مكتبة الإدارة. مج14، ع4 (جماد الأول 1407هـ - يناير 1987م) ص66.

أ - الوثائق النشطة :

وتشتمل على الوثائق التى تعتبر ذات فعالية إيجابية للمؤسسة الصادرة عنها، فهى ما زالت تعتبر ضرورية وهامة لتلك المؤسسة، لغرض الاستمرار فى تأدية نشاطاتها أو أعمالها فى المجتمع. وتحفظ هذه الوثائق عادة فى أرشيف المؤسسة المركزية بحيث يسهل استرجاعها بصفة مستمرة من «الأرشيف الجارى أو من الأرشيف الحي».

ب - الوثائق شبه النشطة :

وتحفظ هذه الوثائق «بأرشيف الوسط» وهذه الوثائق تعتبر شبه منتهية، ولكن مع ذلك فإن المؤسسة التى أصدرتها ما زالت فى حاجة إليها، لتسيير بعض أعمالها، وهى بالتالى لم تستغن عنها كلياً، بل ما زالت تعتمد عليها وترجع إلى ما جاء فيها فى فترات زمنية قد تكون متباعدة .

جـ - الوثائق غير النشطة :

وهى تمثل الوثائق التاريخية الحيوية التى تتعلق بتاريخ البلاد، ويلعب هذا النوع من الوثائق دوراً مهماً فى البحث العلمي، وذلك لأنها تعكس أوجه النظم الاجتماعية ، والاقتصادية، والقانونية، والسياسية، والفنية بكل موضوعية. وهى تحفظ بصفة مستديمة بعد غربلتها وفرزها، واستبعاد الوثائق عديمة الأهمية منها، وتمثل هذه الوثائق محتويات «الأرشيف التاريخى Archivio Storico» وتخضع الوثائق خلال مراحل ترحيلها من الأرشيف المركزى بالمؤسسة الصادرة عنها إلى الأرشيف الوسيط، ثم إلى دار الوثائق أو الأرشيف العام إلى عمليات من الفرز والاستبعاد، بواسطة

لجان متخصصة، تتكون فى العادة من بعض المسؤولين بالمؤسسة الصادرة عنها الوثائق، وأخصائيين وثائقيين فى دار الوثائق العامة «الأرشيف العام». والغرض من تقييم الوثائق واجراء عمليات الفرز والاستبعاد عليها لا يستهدف مجرد حفظ الوثائق المهمة بل يحاول منع تكدسها فى دور الوثائق المتخصصة أو العامة، فتصعب الاستفادة منها بفعالية وإيجابية. إن الوثيقة الأرشيفية تلعب دوراً مهماً فى البحث العلمى فهى كما يورد شلنبرج [1]: تلك الوثيقة التى كانت قد نتجت خلال نشاط هادف منظم، لغرض تحقيق أهداف محددة سواء أكانت أهدافاً إدارية، أم قانونية، أم مصلحية، أم اجتماعية، وتم إيداعها فى دار الوثائق للحفظ المستديم، بعد أن توقف استعمالها الجارى بالمؤسسة الصادرة عنها، لتصبح مصدراً مهماً للمعلومات المفيدة حول الماضى وأحداثه.

إن تجميع الوثائق وحفظها وحمايتها، يعتبر بدون شك واجباً قومياً، يساعد الأجيال القادمة على معرفة تاريخ الأمة كما يورد القول المأثور «لا تاريخ بدون وثائق» فالأمة بدون وثائق، أمة فاقدة لذاكرتها كما يردد الغربيون، لهذا فإن تجميع الوثائق وحفظها وحماتها يجب أن يتم بواسطة متخصصين وثائقيين قادرين على فهرسة الوثائق وتصنيفها وتذليل كافة الصعوبات أمام الباحثين للحصول على المعلومات المفيدة، التى تشتمل عليها الوثائق فى أقل وقت وجهد ممكنين.

1- شلنبرج، ت.ر: الأرشيف الحديث مبادئه وتقنياته. ترجمة حسن الحلوة. المكتبات والمعلومات العربية. ع1 «يناير 1989م». ص 155.

2- واجبـات الوثائقيـين :

يمكن الإشارة إلى بعض الواجبات التى يقوم بها الوثائقى بعد ترحيل الوثائق المهمة والحيوية المتعلقة بتاريخ البلاد إلى دار الوثائق ومن أهمها ما يلى :

أ - تصنيف الوثائق وفهرستها :

المقصود بعملية التصنيف تكوين مجموعات متجانسة للوثائق، أى تقسيمها إلى موضوعات. وبالتالى يمكن تقسيم كل مجموعة إلى فروع يضمها موضوع واحد، ويشترط فى عملية التصنيف أن تكون مرنة تتميز بالدقة والمنطقية [1]، ولهذا يجب على الوثائقى فى دور الوثائق المتخصصة أن يعرف حجم الوثائق التى سترد إليه مستقبلاً بالإضافة إلى معرفته لحجم الوثائق المتوفرة لديه قبل اختيار نظام تصنيف معين، أما عملية فهرسة الوثائق فعادة ما تتم وفقاً لعدة طرق منها الطريقة الجغرافية، والطريقة الزمنية، والطريقة الهجائية، والطريقة المصنعة المختلطة «رقمية - أبجدية» ثم الطريقة الرقمية [2]. إن الغرض من عمليات الفهرسة والتصنيف فى دور الوثائق هو سهولة وصول الباحثين إلى الوثائق والسجلات المحفوظة بالدار، بالإضافة إلى المحافظة على سلامتها .

1- العمد، هاني: المعالجة الفنية للمعلومات : الفهرسة، التصنيف، التوثيق، التكشيف، الأرشيف. عمان. منشورات جمعية المكتبات الأردنية، 1985م. ص 293.

2- قبيسى، محمد. حضارة العرب فى حفظ وثائقهم. ط2. بيروت، دار الآفاق الجديدة. 1981م. ص101.

ب - الاستعانة بالمتخصصين كالمؤرخين والجغرافيين، والقانونيين والمعماريين وذلك من أجل إعداد كشافات وفهارس دقيقة يمكن بواسطتها تسهيل الوصول إلى كافة المعلومات التى تشتمل عليها الوثائق المحفوظة بدار الوثائق بسرعة .

جـ - التقيد بالتشريعات الوثائقية وذلك من اجل سلامة الوثائق وأمنها.

د - إرشاد الباحثين وتعويدهم على كيفية الوصول إلى الوثائق التى يرغبون فى الإطلاع عليها بأنفسهم، بالإضافة إلى الإجابة عن كافة استفساراتهم بموضوعية .

هـ - توفير المعلومات والحقائق اللازمة للباحثين مع إرشادهم إلى الكتب المرجعية التى تساعدهم على تكوين خلفية عن الموضوعات التى يرغبون البحث فيها.

3- تأسيس دور الوثائق المتخصصة :

إن الحاجة إلى ضرورة تأسيس دور وثائق متخصصة أصبحت كما يبدو ملحة تزداد يوماً بعد يوم، وإن تحقيق ذلك يعكس فى الواقع أهمية الوثائق فى اتخاذ القرارات العلمية السليمة، بل يؤكد أهمية دور الوثائق فى الحفاظ على التراث الحضارى للأمة نظراً لأهمية الوثيقة باعتبارها مصدراً مادياً وحيداً للمعلومات، ذلك أن تأسيس دور وثائق متخصصة فى عواصم

بعض الدول العربية تهتم بجمع الوثائق وحفظها وتصنيفها وفهرستها وخاصة فى مجال العمارة العربية الإسلامية وإسناد هذه المهمة إلى وثائقيين متخصصين يعاونهم مهندسون معماريون سوف يؤدى إلى خلق تعاون مثمر فيما بينهما، وسوف تكون له نتائج إيجابية، قد تؤدى إلى إقامة مصرف للمعلومات فى هذا المجال بين الدول المعنية بهذا الأمر، خاصة وأنه كلما كان حقل التخصص محدوداً سهل تحديد كافة الاحتياجات [1]. إن تأسيس دور وثائق متخصصة فى عواصم الدول العربية أو مدنها الكبرى يجب أن يؤدى إلى تعاون تلك الدور المتخصصة مع دور الوثائق العامة أو الوطنية والقومية.

إن سجلات الأراضي، والمخططات، وغيرها من الخرائط، والرسومات الهندسية، وعقود الشراء، وتنفيذ المشاريع، وغيرها من الوثائق الفنية، كتلك التى تشمل استخدامات الخط العربى كعنصر زخرفي، والخرائط بأنواعها كالخرائط الأثرية التى تبين مواقع الآثار القديمة، والخرائط التى تشتمل على تسميات الشوارع بالمدن قديماً وحديثاً، بالإضافة إلى بقية الوثائق التشكيلية «الآثار المعمارية» وهى تعتبر من الوثائق المساعدة التى يجب أن تحفظ بمتحف يكون ملحقاً بدار الوثائق المتخصصة مع بقية الوثائق التشكيلية الأخرى، كقطع النقود القديمة، والأختام، والنقود الحجرية، وقطع القيشاني، والفسيفساء، وغيرها. وهذه الوثائق التصويرية أو التشكيلية يجب أن تفصل عن الوثائق الورقية. إن الوثائق المساعدة تقود

1- ارنتر، هيلمونت: أهمية أعمال التوثيق فى الدول النامية. ترجمة حسن محمد ياسين. مكتبة الإدارة. س 2. ع4 «جماد الثانى 1392هـ» ص 11.

الباحثين بسهولة إلى معرفة التصميمات المعمارية التاريخية القديمة، كما قد تقودنا إلى معرفة المواد التى استخدمت فى تشييد جامعة القرويين بفاس على سبيل المثال أو غيرها من المعالم الأثرية الإسلامية التى ما زالت باقية إلى عصرنا الحاضر، وتكمن أهمية الوثائق المساعدة فى إنها تعين الباحثين على التحقق والكشف خاصة بعد فقدان الوثائق المكتوبة وهى تشتمل على وصف مخططات المعالم الأثرية [1]، وتحديد المواقع الأثرية بالمدن العربية الإسلامية كالأسواق، والحمامات، والمساجد، والقصور . . . الخ، لاعتمادها على المعلومات المفيدة حول تلك الآثار القديمة التى تشتمل عليها الوثائق التشكيلية، أو الورقية، بالإضافة إلى استشارة مصادر المعلومات الأخرى، منها القصاصات الصحفية، الصور، وأوراق المؤتمرات، والتشريعات، والكتب المطبوعة. ونحو ذلك مما يجب حفظه بالمكتبة الملحقة بدار الوثائق مع غيرها من كتب المراجع، مثل كتب : المراشد Hand Book ودوائر المعارف Encyclopedia وكذلك الأدلة الببليوغرافية والقواميس اللغوية، والأطالس الجغرافية والتاريخية مثل «أطلس تاريخ الإسلام تأليف حسين مؤنس. القاهرة. الزهراء للإعلام العربى 1987م». فكل هذه الكتب ونحوها من مصادر المعلومات المحفوظة بالمكتبة التابعة لدار الوثائق المتخصصة سوف تساعد على توفير المعلومات اللازمة للباحثين فى مجال الفن المعمارى العربى الإسلامي، كما تمثل كتب التراث العربى الإسلامى مثل دواوين الشعر، وكتب الجغرافيا، والتاريخ، والرحلات، والفقه،

1- الطباع، عبد الله أنيس : علم الأعلام : الوثائق والمحفوظات. لبنان، الشركة العالمية للكتاب، 1986م. ص 63.

وغيرها، مصدراً ذا أهمية بالغة فى صيانة وترميم الآثار «العربية الإسلامية» ومن ثم ينبغى على المهندسين المعماريين العمل على ترجمة كتب التراث الإسلامى إلى «أشكال عمرانية ومعمارية ناجحة» [1] بالإضافة إلى الاستفادة من المعلومات الواردة بها فى المحافظة على التقاليد، والعادات، والقيم الروحية الإسلامية التى يجب مراعاتها أثناء إعادة ترميم المدن الإسلامية وصيانتها من اجل إعادة الهوية الحضارية لها. لذلك فإن كتب التراث تعتبر ذات أهمية فى تخطيط المدن الإسلامية، وتساعد كتب الرحالة العرب الباحثين فى تحديد مفهوم المدينة العربية الإسلامية خاصة وأن المدن العربية الإسلامية كانت تتميز بعناصر طوبوغرافية[2] تكاد تكون واحدة كالمسجد الجامع، والسوق، ثم التوزيع السكاني، بالإضافة إلى الأبراج أو الحصون، فإذا ما تناولنا مدينة طرابلس العربية الإسلامية وجدنا العمارة العربية الإسلامية فيها تنقسم كما يرى المتخصصون إلى ثلاثة أنواع [3] هى :

أ - عمارة دينية : وتشمل المساجد / المزارات / الرباطات . . . الخ .

ب - عمارة مدنية : وتشمل الحمامات / القصور / الأسواق / أسبلة المياه.

جـ - عمارة حربية : وتشمل أبراج / حصون . . . الخ .

1- العربى، قدرى : التصميم العمرانى والمعمارى وقيم التراث الإسلامي. المدينة العربية. ع 39، س8 «صفر 1410هـ -سبتمبر 1989م». ص 81.

2- ناجى، عبد الجبار : مفهوم العرب للمدينة الإسلامية. المدينة العربية، ع14، س3 «محرم 1405هـ - أكتوبر1984م». ص47.

3- شقلوف، مسعود : موسوعة الآثار الإسلامية. ج1 تأليف مسعود شقلوف وآخرين : طرابلس، مصلحة الآثار «د.ت». ص15.

إن إعادة ترميم وصيانة تلك الآثار القديمة التى مازال بعضها يقاوم العوامل المناخية يجب أن يتم بشرط تجنب المساس بالهوية الأثرية [1] ويكفل إعادة تلك الهوية بحيث تكون موائمة للعنصر الزخرفى للأثر التاريخى القديم، وهذا يتطلب من القائم بهذا العمل ضرورة تجميع معلومات كافية تتناول المواد المستعملة، بالإضافة إلى كل ما يتعلق بتاريخ وعمر الأثر المراد صيانته، أو ترميمه، وغير ذلك من المعلومات الأخرى التى تساعده فى انجاز عمله بدقة، وكذلك يعتبر الإلمام بالتراث الفنى للأمة واجباً على المخطط من حيث اختياره للأماكن التى يجب أن توضع فيها النصب والتماثيل، وغيرها من اللوحات الفنية التى يجب أن تكون معبرة عن تاريخ المدينة الحضارى [2] بدقة فلإعادة الحياة للمواقع الأثرية بالمدن من جديد يجب معرفة أماكن النصب والتماثيل، واللوحات الفنية القديمة، فلا يجوز نقلها من مواقعها الأصلية، كما ينبغى معرفة المحتوى الفكرى والفنى الذى يشتمل عليه، وذلك بالإطلاع على الوثائق التى تتناول تلك الآثار القديمة من هذه النواحي، خاصة وأن ذلك يقود الباحث أو المستفيد أحياناً إلى تعين المصادر التى كان قد أقتبس منها الفنان القديم فكرته، سواء كان ذلك المصدر أسطورة أم قصيدة شعرية، مما يساعد بالتالى فى المحافظة على الأثر القديم، فالوثائق

1- العش، فرج نادر: كتاب على حلقات: تكنولوجيا ترميم وصيانة الأبنية ومواد البناء والمقتنيات الأثرية. (2) المدينة العربية ع42، س 9. (شعبان 1410هـ - مارس 1990م). ص 49.

2- كمونة، حيدر عبد الرزاق: أهمية مواقع النصب والتماثيل واللوحات الجدارية فى الجوانب الترويحية للمدينة العربية. منظمة المدن العربية - المؤتمر السادس - الدوحة، قطر (1-4 مارس 1980م) ص340.

تعتبر أساسية لتخطيط مبانى المدن أيضاً، باعتبارها مصدراً مهماً لا لأنها تحدد المناطق الأثرية التى يجب مراعاة المحافظة عليها وحمايتها أثناء تطوير تلك المدن، بل لأن تلك المعلومات الوثائقية تمد المتخصصين فى هذا المجال بتقاليد الأبنية التاريخية التى تساعدهم على تجديد المبانى والآثار الموجودة بالمدن الأثرية أو تطويرها، وذلك لأن الوثائق المحفوظة بدور الوثائق المتخصصة أو دور الوثائق العامة الوطنية القومية تساهم فى توفير كافة التفاصيل الفنية [1] وغيرها من المعلومات المهمة التى تفيد فى معرفة تاريخ الفنون المعمارية بالمدينة الأثرية، مما يساهم بفعالية فى تجديد أو تطوير مبانيها وآثارها، وإعادة الهوية الجمالية إليها مع عدم المساس بهويتها التاريخية وفقاً للتراث المعمارى العربى الإسلامى .

إن إعادة بناء المواقع الأثرية بالمدن العربية الإسلامية، أو تشكيلها بنفس الحجر شكلاً وحجماً للمحافظة على جمالها الأثرى [2] يتطلب الاعتماد على المعلومات الوثائقية من اجل القيام بذلك العمل بدقة وموضوعية، فمعرفة المادة التى تتكون منها أحجار بناء موقع أثرى ما والوقوف على التصميمات الفنية والهندسية، وغير ذلك من المعلومات الأخرى المتعلقة بالتغيرات المناخية التى وقعت بمنطقة لموقع أثري، سوف يؤدى إلى المحافظة والحيلولة دون تآكله وتقنيته. إن العودة إلى كتب التراث العربى الإسلامى تؤدى إلى سهولة تحديد خصائص المدن العربية القديمة بشوارعها الضيقة الملتوية التى

1- هاراشى، ازيت : الوثائق وتنمية المدن. مراجعة محمد الغزالى، مكتبة الإدارة. مج 11، ع1 (محرم 1404هـ). ص177 .

2- كامل، محمد وليد : حماية المدينة العربية وصيانتها. المدينة العربية ع31، س 7 (رمضان 1408هـ - مايو 1988م) ص 45 .

كانت تستخدم للوقاية من حدة الشمس ، فضلاً عن بقية التصميمات الأخرى المستخدمة فى تشييد البيوت العربية الإسلامية وهى تصميمات كانت ملائمة للعادات والتقاليد العربية الإسلامية . خاصة وأن كثيراً من الآثار الإسلامية والعربية المتعلقة بتخطيط المدن الإسلامية العربية قد تم نقلها بواسطة الاستعمار الذى اجتاح الوطن العربى والإسلامى لفترة زمنية طويلة . ففى ليبيا تم نقل وسرقة كثير من الآثار إلى عواصم الدول الاستعمارية التى احتلت البلاد وغيرها من الدول الأجنبية الأخرى ، مما أدى إلى ضياع كثير من الوثائق التاريخية المتعلقة بتاريخ البلاد خلال الحكم العثمانى [1] أما أثناء الاستعمار الإيطالى فقد قامت الإدارة الإيطالية بإنشاء دائرة الآثار تحت إدارة سالفاتور أو ريجيما Salvator الذى قام بتكوين فرق متخصصة للبحث والتنقيب عن الآثار الرومانية ، والإغريقية ، والبيزنطية والعربية والإسلامية[2] وقد حرصت الحكومة الإيطالية الفاشستية على نقل كثير من المقتنيات الأثرية التى تم العثور عليها فى كثير من المدن الليبية إلى إيطاليا كغيرها من الدول الاستعمارية [3] الأخرى التى حرصت على الاحتفاظ بالآثار الليبية فى متاحفها إلى وقتنا الحالي ، مما فرض على ليبيا وبقية الدول العربية الإسلامية ضرورة خلق قنوات تعاون بين أرشيفاتها أو دور الوثائق بها مع أرشيفات الدول الاستعمارية . ففى الأرشيفات

1- تشايلد ، ر . ج : تاريخ مدينة بنغازي . ترجمة صالح جبريل . طرابلس ، وزارة الإعلام والثقافة «د . ت» . ص 16 .

2- ميسانا ، غاسبرى : المعمار الإسلامى فى ليبيا . ترجمة على الصادق حسين . طرابلس ، العجيلى . 1973م ، ص 152 .

3- عبد النبى ، صالح ونيس : تراثنا فى متاحف أوروبا . الثقافة العربية . ع10 ، س 16 (ربيع الأول 1399 و . ر - التمور / أكتوبر 1989م) . ص 129 .

والمكتبات والمتاحف الإيطالية يوجد كثير من الوثائق الورقية والتشكيلية بالإضافة إلى كافة المطبوعات الأخرى التى يجب اقتنائها بدور الأرشيف أو بدار الوثائق الليبية الوطنية التى يجب الشروع فى تأسيسها، لتكون مع دار المحفوظات التاريخية، ومركز الجهاد ضد الغزو الإيطالى بطرابلس، والمكتبة الوطنية فى بنغازى مراكز وثائقية لا لمجرد تجميع الوثائق والمحافظة عليها وإنما لتوفير المعلومات التى تشتمل عليها تلك الوثائق أيضاً، إضافة إلى العمل على إصدار تشريعات وثائقية يتم بموجبها حق الإيداع القانونى للوثائق، وهو ما يساعد دار الوثائق الوطنية على الاحتفاظ بمجموعات وثائقية متسلسلةللاستفادة منها فى البحوث العلمية فى المجالات المتعلقة بتاريخ البلاد .

إن توفير المعلومات الوثائقية لدى المتخصصين يساعد على المحافظة على الآثار بترميمها وصيانتها بكل سهولة، كما يشجع المهتمين بتخطيط المدن أو إعادة تجديدها على الاحتفاظ بالوثائق الأصلية بالمتاحف أو دور الوثائق، كالزخارف النباتية المحفورة على الخشب الموجودة فى جامع أحمد باشا بطرابلس [1] وغيرها من الكتابات الإسلامية التى تمثل الخط الكوفي، والنسخ، والثلث الموجودة فى بعض المساجد «جامع بوقلاز - الجامع العتيق فى بنغازي» أو على شواهد القبور فى المناطق الليبية الأخرى . إن هذا العمل يتطلب الاعتماد على المعلومات الوثائقية اللازمة بغية استنساخ تلك الزخارف الإسلامية الأثرية، خاصة إذا ما علمنا أن الفن المعمارى الإسلامى

1- حامد، سعيد على : المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامى بمدينة طرابلس. طرابلس، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، 1978م. ص 135 .

فى ليبيا قد شمل الأضرحة وشمل الحمامات، وغيرها، بالإضافة إلى بناء المساجد، ويتضح ذلك جلياً من المعلومات التى يوردها بعض الرحالة والجغرافيين العرب [1] الذين كانوا أشاروا إلى أنواع فن العمارة الإسلامية العربية فى بعض المدن الليبية التى زاروها، ومن ذلك ما ذكره أبو عبيد الله البكرى ت: «1028 – 1094م – الموافق 414 - 487 هـ» فى كتابه «المسالك والممالك» عن مدينتى اجدابيا وسلطان، حيث وصف بعض أنواع العمارة العربية الإسلامية فى هاتين المدينتين، كالجوامع، والأسواق والحمامات، بالإضافة إلى أسوار المدينتين المبنية بالطوب، وقد أشار أيضاً إلى مدينة طرابلس، الشريف الإدريسى الذى وصف المدينة فى كتابة «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» وذلك خلال القرن السادس الهجري، وكذلك اليعقوبى فى كتابه «البلدان» وابن حوقل فى كتابه «صورة الأرض» وابن خرداذبة فى كتابه «المسالك والممالك» وكذلك الكرخى فى كتابه «المسالك والممالك» وغيرهم من الرحالة والجغرافيين العرب، أما الرحالة الأجانب فقد اهتموا بالبلاد من القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين. فلو عدنا إلى كتاب الشريف الإدريسى المذكور الذى كان قد ألفه عام 548 هـ لوجدناه يشير أيضاً إلى القصور [2] الواقعة ما بين طرابلس وسلوق، مروراً بمدينة سرت ولبدة ثم بمدينة أجدابيا ويبلغ مجموعها 38 قصراً .

1- ميسانا، غاسبرى : مصدر سابق. ص 146.

2- شعيرة، محمد عبد الهادى : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية. (المؤتمر التاريخى 16-23 مارس 1968م) بنغازى، الجامعة الليبية، 1968م ص 246.

يبدو مما سبق أن كتب التراث العربى الإسلامى تعتبر ذات أهمية نظراً لما تحتويه من معلومات تساعد المهتمين «الباحثين أو المستفيدين» أثناء ترميم وصيانة المواقع الأثرية، أو ما نعتبره الوثائق المادية المساعدة، وذلك باعتبارها تمثل التجسيد المادى للحضارة الإسلامية العربية لذلك يجب الاعتماد عليها، لمعرفة النظم الاجتماعية والاقتصادية. . . الخ، التى كانت سائدة فى مجتمع ما خلال فترة معينة سابقة، ومما يجدر ذكره أن علم الوثائق الذى يهتم بدراسة الوثيقة يعتمد على بعض العلوم المساعدة، ومنها على سبيل المثال : علم الآثار القديمة أو الأركيولوجى Archeology وعلم فقه اللغة Philology، علم النميات أو النقود والمسكوكات Numismatics وكذلك علم قراءة الخطوط [1] أو الباليوجرافيا Paleography وفنون الرسم والنحت والعمارة . . . الخ، ويستطيع الباحث بواسطة هذه العلوم المساعدة التأكد من صحة أو بطلان الوثائق التى يحصل عليها

إن الاعتماد على الوثائق والعمل على تجميعها وتنظيمها فى دور الوثائق والاستفادة منها فى إعادة الهوية العربية الإسلامية للمدن العربية الإسلامية الحاضرة، وكذلك للمحافظة على ما تبقى من تراث الأجداد المتمثل فى بعض المبانى الأثرية التى تعكس بوضوح وبصدق مدى ما توصل إليه أجدادنا من فنون المعمار الإسلامي، يفرض على اللذين يريدون القيام بهذا العمل الإنسانى النبيل إتباع المنهج العلمى فى دراسة الوثائق وهذا يتطلب من المهندسين المعماريين وغيرهم ممن يرغبون فى القيام بهذا الواجب تكوين خلفية ثقافية قبل البدء فى هذه المهمة. فدراسة التاريخ العربى الإسلامي،

1- عثمان، حسن : منهج البحث التاريخى. ط4. القاهرة، دار المعارف، 1980م. ص 25.

والفنون الإسلامية، والكتابة العربية، وغيرها من العلوم الأخرى المساعدة تعتبر قاعدة أساسية ضرورية، لفهم تلك الشواهد التاريخية التي تمثل التجسيد المادى لحضارتنا العربية الإسلامية، وهى شواهد ما زالت باقية حتى الآن فى بعض المدن العربية الإسلامية رغم تعرضها لهجمات إستعمارية شرسة، حاولت بدون جدوى اقتلاع تلك الآثار من مواقعها، وتغريبها عن مواطنها الأصلية، لتُضم إلى كنوز المتاحف الأوروبية التى استولى الأوروبيون على أكثرها من الوطن العربى. لقد تعرض كثير من المدن العربية الليبية إلى التدمير خلال فترة الاستعمار الأجنبي، فأزيلت قلعة مدينة بنغازى وأسوارها نهائياً، وحاول الأتراك تدمير آثار مدينة بنغازى القديمة، حيث استخدموا تلك الآثار محجراً خلال الفترة الممتدة من 1835 - 1911م. هذا فضلاً عن تفريط الحكام الأتراك وسماحتهم للقناصل الأجانب بتهريب الآثار إلى خارج البلاد، ومن ذلك بعض الآثار القديمة التى ترجع إلى عهد الاستيطان الإغريقي، ومن بينها زهريات البناثينية Panathenaic [1] التى كان قد عثر عليها فايتير دى بورفيل عام 1848م فى مدينة بنغازي، ونقلت إلى فرنسا ومازالت معروضة إلى وقتنا الحاضر بمتحف اللوفر بمدينة باريس .

ولقد حاول الإيطاليون تدمير ما تبقى من آثار عربية إسلامية، بل إنهم قاموا بتأسيس مستوطنات حديثة على النمط الأوروبي، ونصبوا التماثيل فى الميادين الرئيسية بالمدن الليبية الكبيرة، ولكن على الرغم من ذلك فقد عجزوا تماماً عن نقل المحتوى الفكرى والفنى لتماثيلهم ونصبهم وفنون

1- تشايلد، ر.ج: تاريخ مدينة بنغازى. مصدر سابق. ص 14.

عمارتهم إلى نفسية المواطن العربى المسلم الليبى الذى أدرك بفطرته أن ما يحاول توصيله له المستعمر الإيطالى بعيد عن ذوقه، وعاداته، وتقاليده، ودينه. فظل العرب المسلمون الليبيون فى مدنهم محتفظين بتراثهم الحضارى والثقافي، الذى برز بوضوح فى التصميمات الهندسية المعمارية لمساكنهم التى تميزت ببعض المميزات وخاصة فيما يتصل بالباب وشكله، ويعرف باسم «أبو خوخة»[1].

الخلاصة:

يتضح مما سبق أهمية الوثائق التاريخية وأن لها دوراً إيجابياً مهماً، من حيث ترميم المواقع الأثرية بالمدن العربية الإسلامية ومن حيث إنه يساعد على تخطيط المدن وتنميتها، على الرغم من ضياع أكثر تلك الوثائق، خاصة الوثائق الورقية خلال الحروب الاستعمارية ضد الأمة العربية الإسلامية، وبالرغم من محاولات الاستعمار اليائسة فى نقل وتدمير تلك الوثائق، فإن الكثير من الوثائق التشكيلية المادية أو الوثائق المساعدة مازالت باقية فى الوطن العربي، لهذا فإن المبادرة بتأسيس دور للوثائق المتخصصة ودور للوثائق الوطنية فى الدول العربية يعتبر خطوة إيجابية نحو الاهتمام بتجميع التراث الثقافى الحضارى للأمة العربية الإسلامية، مما يشجع الوثائقيين «أخصائى المعلومات وغيرهم» على تنظيم محتويات دور الوثائق، وخلق

1- حامد، على سعيد: المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامى بمدينة طرابلس. مصدر سابق. ص 93.

تعاون مثمر بين دور الوثائق المتخصصة، والوطنية، والقومية، وذلك من أجل توفير المعلومات بسهولة بين أيدى الباحثين وغيرهم من الدارسين. إن إلحاق مكتبة متخصصة تضم كافة مصادر المعلومات الأخرى التى تعتبر من العلوم المساعدة فى دراسة الوثائق واستخراج المعلومات المفيدة منها، سيجعل من السهل جداً على المهندسين المعماريين العرب خلق نماذج مثالية فى مجال فن المعمار الإسلامي، وهذا يقودهم بالفعل إلى إعادة تشكيل هوية المدن وفقاً للإطار الثقافى الحضارى العربى الإسلامي، بالإضافة إلى المحافظة على الآثار الإسلامية العربية القديمة بالمدن، والحد من الاختفاء التدريجى لخصائص المدن العربية القديمة أمام غزو الفنون المعمارية الأجنبية، إن الحيلولة دون طمس ما تبقى من معالم إسلامية عربية فى مدننا العربية يشترط ضرورة تكوين خلفية ثقافية حضارية للمهندسين العرب المسلمين، وذلك بالعودة إلى دراسة كتب التراث الإسلامى العربى فى كثير من العلوم مثل كتب الأدب والرحلات والجغرافية والتاريخ، ونحو ذلك مما يساعد المهندس العربى المسلم على استنباط أمثلة حية لفنون المعمار الإسلامى على امتداد الوطن العربي، خاصة وأن تخطيط المدن والمحافظة على صيانة المعالم الأثرية بإعادة تشكيلها دون المساس بجمالها الأثرى أصبح ظاهرة حضارية لدى جميع دول العالم المحيط بنا، فالوثائق التاريخية تعتبر مفيدة أيضاً فى تطوير المراكز التاريخية من وجهة النظر الهندسية، ذلك لأن تطوير تلك المراكز التاريخية يعتمد على ما يتوفر لدى المختصين من معلومات وثائقية .

لهذا فإن توفير مكتبة متخصصة تضم كافة مصادر المعلومات المتعلقة بمجال المعمار الإسلامى العربى وإلحاق متحف صغير بها يضم نماذج من المقتنيات الأثرية كقطع العملة الإسلامية، ونماذج من فنون الزخرفة الإسلامية التى يمكن العثور عليها فى المواقع الأثرية بالمدن العربية الإسلامية، سوف يساهم بإفساح المجال أمام المهندسين المعماريين العرب المسلمين وييسر لهم الإطلاع على كافة أشكال الوثائق الورقية والمادية التشكيلية، ويجعلهم قادرين على الإلمام بقدر الإمكان بالمعلومات اللازمة فى مجال تخصصهم للمساهمة فى تخطيط المدن والمحافظة على تراثها الثقافى والحضاري، وذلك بقطع شريان الاستشارات الهندسية المعمارية الأجنبية الذى أخذ يطمس ما تبقى لنا من تراث عربى إسلامى .

التوثيق الإعلامى ... أهميته

شهدت السنوات الأخيرة فى هذا القرن انفجاراً هائلاً فى المعلومات حيث ازداد حجم ما يطبع وينشر سنوياً فى مجالات التخصص، وقد عرف بعض العلماء سيل المعلومات الجارف بثورة المعلومات وقد شملت هذه الثورة جميع فروع التخصص فى المعرفة الإنسانية فلم تقتصر الزيادة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا فقط، مما جعل الباحثين أو المستفيدين فى ميادين المعرفة عاجزين عن متابعة ما يطرأ من أفكار جديدة فى مجالات تخصصهم، مما جعل البعض منهم يترددون فى مواصلة أبحاثهم العلمية خوفاً من وصولهم إلى نتائج مكررة سبقهم علماء آخرون إليها فى دول أخرى، وقد حدث ذلك بالفعل فى بعض الدول الكبرى [1]. إن هذه الزيادة فى حجم ما يطبع وما ينشر من معلومات فرضت على الباحث فى مجال العلوم على سبيل المثال : قراءة مليون مقالة نشرت فى الدوريات العلمية فى مجال تخصصه سنوياً، هذا بالإضافة إلى ملايين المستخلصات وتقارير البحوث والنشرات . . . الخ، إن هذه المقالات والمستخلصات وتقارير

1- آى . آى ميخائيلوف : مدخل فى علم المعلومات والتوثيق. ترجمة نزار محمد. الموصل، جامعة الموصل، 1982م، ص 16.

البحوث المنشورة، تمثل فقط حصر الأفكار الجديدة، باعتبارها أفكاراً لم يتم التوصل إليها من قبل .

فى الواقع : أن الباحث أو العالم يجد نفسه عاجزاً تماماً عن ملاحقة كل ما يطرأ فى ميدان تخصصه يومياً من أفكار جديدة، فلا يستطيع الاعتماد على ذاكرته لأنها لن تفيده أبداً فى الإطلاع على كل ما طبع ونشر فى مجال تخصصه، لهذا ، لا بد له من الاعتماد على الخبرة الخارجية، أو بمعنى آخر كل ما تقدمه مراكز المعلومات من خدمات، إن تسهيل الوصول إلى المعلومات المختزنة فى مراكز المعلومات لن يتم إلا بواسطة خدمات توثيقية فعالة تساعد الباحث على الإطلاع على هذا الفيض من المقالات وتقارير البحوث والمستخلصات فى مجال تخصصه، خاصة وأن الباحثين لم يعد لديهم الوقت الكافى لقراءة جميع ما ينشر ويطبع فى مجال تخصصاتهم، بالإضافة إلى أن أولئك الباحثين لا يجيدون كافة اللغات التى تنشر بها المعلومات، إن هذه الصعوبات وغيرها تجعل من الباحث عاجزاً عن ملاحقة الأفكار الجديدة التى تنشر وتطبع يومياً فى مختلف الدوريات العلمية فى جميع أنحاء العالم، فالوقت والجهد عاملان مهمان لدى الباحث أو المستفيد الذى أصبح مضطراً لملاحقة كل ما يطرأ من أفكار جديدة، لذلك فهو يحتاج إلى وسيلة تمكنه من الوصول إلى ما يريد من معلومات فى أقصر وقت وأقل جهد، إن احتياجات الباحثين فى هذا الوقت فرضت على المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات القيام، ليس فقط بتطوير النظم التقليدية المتبعة فى تقديم الخدمات للمستفيدين، بل أيضاً احتضان الخدمات الجديدة التى كانت قد برزت للوجود، مثل خدمات التوثيق وخدمات البث الانتقائى

للمعلومات المطلوبة لأغراض محددة فى الوقت المناسب [1]. إن احتياجات أولئك الباحثين فرضت على الدول التابعين لها ضرورة التعاون فيما بينها سواء بالمشاركة فى دفع النفقات أو بواسطة رفع الرقابة الصارمة عن تداول المعلومات، ويلاحظ هذا التعاون جلياً بين دول المجموعة الأوربية الغربية، والتى أصبحت ترتبط فيما بينها بواسطة شبكات بنوك المعلومات .

إن سهولة إطلاع الباحثين على المعلومات بكل حرية، قد أعطى نتائج إيجابية برزت إلى الوجود، حيث ساهم التحكم فى ثورة المعلومات فى التطور الذى شهده العالم حالياً فى مجالات التخصص المختلفة، كما أنه ساعد فى اتصال العلماء / الباحثين / فى مختلف أنحاء العالم فيما بينهم سواء كان ذلك الاتصال بواسطة المؤتمرات العلمية التى تعقد أحياناً أو بواسطة الإطلاع على كل ما ينشر ويطبع فى مجال تخصصاتهم العلمية التى تعقد أحياناً أو بواسطة الإطلاع على كل ما ينشر ويطبع فى مجال تخصصاتهم العلمية. إن حرية تدفق المعلومات والتى تشمل المسجلات أو المطبوعات سواء كانت كتباً، دوريات، تقارير، صوراً فوتوغرافية، أفلاماً ميكروفيلمية، بالإضافة إلى ما يندرج ضمن تعريف المعلومات الواسع كالتسجيل على الأشرطة، اللوحات الفنية، الكشافات، المستخلصات القصاصات، المراسلات مما يساعد على اتخاذ القرارات فى أقصر وقت، كما يرى الأستاذ ألن كنت [2] الذى يعتبر المعلومات هى كافة المسجلات

1- محمد إبراهيم سليمان، دور المعلومات فى المنشآت الصحفية: نماذج من أسئلة المعلومات داخل صحيفة يومية. مكتبة الإدارة. س 1، ع1 (يناير1981م) . ص63.

2- ألن، كنت، ثورة المعلومات. ترجمة حشمت قاسم وشوقى سالم. ط2. الكويت، وكالة المطبوعات، 1979م، ص 35.

المطبوعة التى يرجع إليها الباحثون لغرض الاستفادة منها فى اتخاذ القرارات النهائية من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية أو بمعنى آخر الأفكار الجديدة فى مجال تخصصاتهم .

لقد أصبح التعاون من أبرز سمات هذا العصر سواء كان بين الدول أو بين مجموعة من الأفراد أو الباحثين ونتيجة لهذا التعاون فلم يعد ذا فعالية إيجابية احتكار المعلومات سواء بواسطة أفراد معينين أو دول كبرى، بل اصبح هذا التصرف الشائن عائقاً فى سبيل تطور البشرية، وعلى الرغم من أن بعض الدول ما زالت تحجب كثيراً من المعلومات بل وتعتبرها أسراراً لا يجوز نشرها خاصة فى بعض المجالات العلمية، إلا أن الضرورة جعلت تلك الدول تسعى من اجل مشاركة غيرها من الدول فى المعلومات التى توصلت إليها فى مختلف المجالات، سواء بالتعاون معاً أو بتداول تلك المعلومات بما تحتاج إليه .

إن هذا التعاون كان ضرورياً جداً للسيطرة على ظاهرة الانفجار الوثائقى كما أورد جاك شوميه [1] الذى قد بين أن الزيادة فى تعداد النشرات العلمية الدورية على سبيل المثال قد بلغ 1000 دورية عام 1970م .

إن أهمية هذه التعاون التى أشرت إليها يكمن فى تحسين خدمات التوثيق فى سبيل السيطرة على انفجار المعلومات لكى يمكن الإطلاع عليها بكل يسر وسهولة بواسطة المستفيدين « الباحثين» . إن الإشارة إلى تطور خدمات التوثيق، تجعل من الضرورى جداً تعريف مصطلح التوثيق فى البداية كما يلى :

1- شوميه، جاك. أصول التوثيق. بيروت، منشورات عويدات، 1974، ص ص 9-10.

التوثيـــق :

يمكن القول أن التوثيق لم يصبح علماً له قوانينه ونظرياته إلا في عام 1892م ويرجع الفضل في ذلك إلى كل من « بول أوتليه، وهنري لافونتين» اللذين قاما بتأسيس المركز الدولي للببليوغرافيا في مدينة بروكسل 1895م، حيث كان من أهداف تأسيس المركز المذكور الاهتمام بمشاكل التوثيق على المستوى الدولي، مما ساعد في تطوير نظام التصنيف العشري العلمي C . D . U ليكون التصنيف المعمول به في المراكز، وقد اهتم بعض العلماء بتعريف التوثيق خاصة بعد انعقاد المؤتمر العالمي سنة 1910م حول التوثيق ومشاكله، ومن بين التعريفات لعلم التوثيق، نجد تعريف الأستاذ «جيسي شيرا»، الذي عرف التوثيق بأنه «ذلك الجزء من التنظيم الببليوغرافي الذي يقوم بخدمة احتياجات العلم وان وظيفته هي كشف سريان المعلومات المسجلة بين الأخصائيين فقط» [1]. إن أي معلومات في مجال تخصص معين لا تهم إلا أولئك المتخصصين وبالتالي فهم بحاجة للإطلاع على كل ما يطرأ من أفكار جديدة في مجال تخصصهم، أما غير أولئك، أي العامة فأن ذلك لا يهمهم وبالتالي لا يجب أن يكون بالضروري سريان المعلومات الخاصة بتلك العلوم إليهم، وفي هذا يمكن القول إن الأستاذ « شيرا» جعل خدمات التوثيق تشمل أولئك المتخصصين في مجالات المعرفة فقط أما «برادفورد» فيعرف التوثيق بأنه يقوم بتجميع وتصنيف جميع مسجلات المعلومات الحديثة، وذلك لغرض تسهيل استخدامها بواسطة المستفيدين «الباحثين» في شتى فروع

1- C.F. jesse H. Shera , " Librarianship. Documentation and Informattion science" Unesco Bulletin for libraries . (V.22 . N.2.) March - April 1968. p.62.

المعرفة، ثم يشير إلى أهمية التوثيق، حيث يضيف قائلاً : "لولا التوثيق لأصبحت المعلومات المسجلة مبعثرة لا قيمة لها ، حيث يمكن أن تضيع فى ذلك الفيض من الإنتاج الفكرى العلمى كإبرة وسط كومة من الهشيم» [1] والتوثيق بهذا المعنى يقوم بالتحليل الموضوعى المتعمق للوثيقة، بالإضافة إلى انه يهتم بالتغطية الشاملة بتجميع المصادر وخاصة التخصص حيث يهتم بالاحتياجات التخصصية للباحثين [2] فقط .

والتوثيق وفقاً لهذا التعريف يتميز بخاصية التخصص، عن المكتبة حيث نجد أن المكتبات تقوم بخدمة جميع فئات القراء على اختلاف مستوياتهم، فهى لا تقدم الخدمات للمتخصصين من الباحثين فقط كما يفعل التوثيق، وفقاً لخاصية التخصص هذه نجد كلاً من جيسى شيرا، وبراد فورد يتفقان على أن التوثيق يقوم بالكشف عن المعلومات وسريانها بين المتخصصين، وإذا ما تابعنا تعريفات التوثيق لدى العلماء الآخرين لوجدنا أن تلك التعريفات لا تختلف من حيث الجوهر، فالتوثيق وفقاً لرأى «مورتيمر تاوبي» يشمل «كافة الأنشطة المعقدة والمطلوبة فى توصيل المعلومات المتخصصة» [3] .

أما كل من «جيمس ماك، وروبرت تايلور» فان تعريف التوثيق عندهما يشمل «كافة العمليات اللازمة فى تجميع وتنظيم وتوصيل المعرفة المتخصصة

1- Bradford S.C. Documentation. London 1953. pp. 102-104.

2- jesse H. Shera and Margaret E. Egan : prolegomena to Bibliograbhic Control. Joarnal of cat . and Class" 1949, V.5 .

3- بدر، أحمد. المكتبات المتخصصة إداراتها وتنظيمها وخدماتها. الكويت، وكالة المطبوعات، 1972م، ص 22.

لغرض توفير أقصى استخدام لتلك المعلومات ويضيف «مورتيمر تاوبي» شارحاً الأنشطة المعقدة التى اعتبرها عنصراً هاماً فى توصيل المعلومات إلى المستفيدين» فان تلك الأنشطة تشتمل على إعداد وإنتاج وجمع وتحليل وتنظيم وتوزيع الوثائق» [1] .

ومما سبق يمكن القول أن التوثيق يشمل جميع العمليات والأساليب الفنية المعقدة المتبعة فى تجميع وتنظيم وتخزين واسترجاع ونشر المعلومات، وفقاً لاحتياجات المستفيدين والمتخصصين، وعلى الرغم من التداخل بين علم المعلومات وعلم التوثيق، مما جعل البعض يرى أن كليهما مرادف للآخر، أى أنهما عبارة عن وجهين لعملة واحدة. إلا أنه يمكن اعتبار علم المعلومات أعم وأشمل من حيث المدلول والمجال من التوثيق، لأن علم المعلومات يشتمل على مجالات التوثيق والوثائق والمكتبات والإعلام العلمى وما شابهها كما انهما يتفقان من حيث استخدامهما للوسائل التكنولوجية كالحاسبات الإلكترونية التى أصبحت ضرورية فى عصرنا هذا من اجل تعامل أفضل مع البيانات والمعلومات .

ومن التعريفات السابقة التى أشرت إليها للتوثيق، يمكن القول أن التوثيق يهتم بالتحليل الموضوعى الأكثر عمقاً أو المعلومة بواسطة إتباع مجموعة من العمليات والأساليب الفنية المعقدة من أجل التوصل إلى تحليل موضوعى أكثر عمقاً لمضمون الوثيقة، مستخدماً التكشيف والاستخلاص. وقد نتج عن استخدام التحليل الموضوعى للوثائق إن ازدادت رؤوس الموضوعات لكل وثيقة، بحيث أصبح لكل وثيقة أكثر من مدخل واحد أو

1- المصدر السابق، ص 22.

رأس موضوع واحد، مما سهل فى الواقع وصول الباحثين إلى محتويات الوثائق المطلوبة فى أقل وقت ممكن، أما من الناحية التطبيقية أو العملية فقد تم الاعتماد على الأفراد المتخصصين الموضوعيين وذلك من أجل إتباع الدقة فى إتمام تكشيف واستخلاص الموضوعات التى تم اختيارها وتجميعها بواسطة مراكز المعلومات أو التوثيق، الذى يقوم بتسهيل وصول المعلومات إلى المستفيدين عبر تلك العمليات والأساليب الفنية، وقد أصبحت سمة التخصص من أهم السمات التى تسير بها خدمات التوثيق سواء كان هذا التخصص جلياً كما يبدو فى الخدمات التى تقوم بها مراكز المعلومات لفئات معينة من الباحثين المتخصصين فى مجال تخصص معين، أو كان ذلك الفرع من التخصص الموضوعى للعاملين بمراكز المعلومات حيث يشترط أن يكون أخصائى المعلومات أو الموثق متخصصاً فى موضوع ما من مواضيع المعرفة المتعددة من أجل أن يقوم المركز بتقديم خدمات سريعة للمستفيدين فى ذلك المجال الذى أنشئ من أجله المركز، وفى الواقع نجد أن سمة التخصص فى مجال الأعلام والثقافة هى التى أجبرت كثير من الصحف والمجلات خلال السنوات الأخيرة من هذا القرن على ضرورة إيجاد قسم مستقل أو مركز للمعلومات مهمته تجميع وتنظيم وتخزين واسترجاع تلك المعلومات فى الوقت المناسب بالإضافة إلى قيامه بأعمال النشر والترجمة والتصوير بكافة أشكاله، إن هذه العمليات الفنية قد ساعدت فى إعلام المستفيدين بآخر التطورات الجارية فى مجال تخصصاتهم، فهى قد جعلت من أولئك المستفيدين يرتبطون بصفة مستمرة فى سبيل معرفة كل ما يحدث من أفكار جديدة فى مجال تخصصهم الموضوعى. إن طابع التخصص الذى ساد

كافـة التخصصات قد فرض على مراكز المعلومات التى كانت قد أنشئت من أجل مواجهة مشكلة انفجار المعلومات إلى استخدام أفضل النظم لحفظ واسترجاع المعلومات، بالإضافة إلى تجميعها وتنظيمها، بكافة الوسائل، ولتحقيق هذه الهدف سارعت مراكز المعلومات بتوثيق كافة المعلومات التى ترد إليها يومياً أولاً بأول لكى تكون مواكبة لآخر التطورات العلمية الجارية، بالإضافة إلى حرصها على تقديم خدمات سريعة للمستفيدين، ونتيجة للتطور الذى حدث فى العالم، والذى جعل من التخصص سمة من سمات المجتمعات المتطورة، ازدادت أهمية التوثيق فى كافة المؤسسات الإعلامية والثقافية، حيث أصبحت تلك المؤسسات تقاس بمدى سرعة وفاعلية وكفاءة مراكز المعلومات داخلها على سد احتياجات المستفيدين المرتبطين بها، وأصبحت مهمة مراكز المعلومات الصحفية / الإذاعية فى الواقع تجميع كافة المواد المكتوبة كالكتب والنشرات، الصحف، المجلات والقصاصات الصحفية بالإضافة إلى بقية المواد الأخرى التى تعتبر ذات أهمية بالغة فى الأرشيف الصحفي، مثل الصور وبقية المواد السمعية والبصرية. واصبح من واجبات العاملين بالأرشيف الصحفى والإذاعى - مركز المعلومات الصحفية - هى القيام باختيار وتنظيم تلك المعلومات التى ترد إلى المراكز يومياً سواء كانت تلك المعلومات مسموعة / مرئية/ مكتوبة والتى تقوم بإنتاجها يومياً وسائل الأعلام المحلية والعالمية .

إن القيام بهذه الأعمال اليومية بواسطة العاملين بمراكز المعلومات قد ساعد فى الواقع على تقليل الصعوبات التى كانت تواجه العاملين فى مجال الأعلام أو الإعلاميين فى الحصول على أحدث المعلومات خاصة وأن الجدة

والحداثة تعتبران سمة من سمات الإعلام الناجح، وهذا ما جعل وكالات الأنباء العالمية تتنافس فيما بينها من أجل الحصول على أخبار جديدة وحديثة تثير اهتمام المستمع أو المشاهد أو القارئ على حد سواء، وذلك لأن نجاح أى صحيفة أو مجلة أو محطة إذاعية / مسموعة أو مرئية يعتمد فقط على مدى سرعة وفاعلية وكفاءة مراكز المعلومات بداخلها، وليس على المحررين العاملين بالصحيفة أو على شخصية المذيع أو مقدم البرماج المرئي، بالعكس، لأن النجاح والشهرة فى عالم الصحافة، والإذاعة المرئية يعتمدان على ما تقدمه المراكز الصحفية أو الإذاعية من خدمات سريعة للعاملين فى المجال الإعلامى .

ولما كان من بين الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها وسائل الإعلام سواء كانت صحافة/ إذاعة / مسموعة أو مرئية، إعلام الناس فى المجتمع بإطلاعهم على كل ما يخصهم فى الداخل والخارج لهذا اصبح من الضرورى جداً على تلك المؤسسات الإعلامية وما يدور فى فلكها متابعة تلك المتغيرات التى تحدث يومياً فى العالم، وذلك بتجميع معلومات عنها، فالقيام باختيار وقص القصاصات الصحفية ثم تنظيمها وحفظها فى الأرشيف الصحفى حول موضوع معين وليكن البترول لا شك أنه يساعد المحرر فى تدعيم معلوماته أو تفسيرها بالإضافة إلى المواد الثقافية الأخرى بالأرشيف الصحفي، إذا ما رغب فى كتابة مقالة عن أسعار البترول، وعلى الرغم من اعتبار القصاصات مادة هامة متجددة ومتطورة باستمرار وأهم مصدر أساسى للمعلومات فى الأرشيف الصحفي، إلا أن وجود الكتب السنوية والتقارير وكتب المراجع الأخرى إلى جانبها بالإضافة إلى الخرائط

وغيرها من المواد الثقافية يعتبر ضرورياً ضمن محتويات الأرشيف الصحفى أو مركز المعلومات الصحفية حيث تقوم تلك المراكز الصحفية بإتباع أساليب فنية فى توثيق تلك المعلومات، ومن بين تلك العمليات أو الأساليب الفنية[1] التى يتبعها الموثق فى معالجة كافة المعلومات التى ترد يومياً إلى مركز المعلومات الصحفية، ما يلى :-

1- التـــزويـــد :

يشمل كافة الإجراءات المتبعة فى اختيار واستلام المواد الإعلامية بالأرشيف، أى القيام بتجميع المواد الإعلامية والثقافية التى تخدم أهداف الأرشيف الصحفى .

2- التحليـــل :

وبواسطته يتم تحليل البيانات والمعلومات الواردة فى الوثائق التى تم اختيارها وتجميعها .

3- التكشيــف :

يقوم الموثق بعمل كشافات للمواد التى يحتوى عليها الأرشيف الصحفى بحيث تبرز تلك الكشافات موضوعات تلك المواد الإعلامية، بالإضافة إلى حصر كافة المعلومات التى تشتمل عليها، فالكشافات بجميع أنواعها تعتبر وسيلة مفيدة تساهم فى وصول المستفيد بكل يسر وسهولة إلى كافة المعلومات التى يحتاج إليها .

1- همام، طلعت. مائة سؤال عن المكتبات والتوثيق والأرشيف الصحفي. عمان، دار الفرقان. 1984م. ص ص 36-37.

4- الاستخلاص :

ونتيجة لهذه العملية الفنية يستطيع الباحث أو المستفيد الحصول على مستخلصات موجزة وقصيرة عن كافة الموضوعات الإعلامية بالأرشيف ، مما يوفر الوقت والجهد للمستفيد فى الحصول على المعلومات المطلوبة .

5- الترجمة :

وهى العملية الفنية التى يتم بموجبها ترجمة الوثيقة أو المعلومات إلى لغة أخرى سواء كانت لغة اصطناعية أو لغة طبيعية .

6- النشر :

يهدف إلى تحقيق وصول المعلومات إلى المستفيدين لكى يتم تبادل المعلومات المنشورة بين المستفيدين سواء فى الداخل أو الخارج .

7- التصوير والاستنساخ :

يساعد على انتشار المعلومات التى تحتوى عليها المواد الإعلامية بالإضافة إلى أنه يساهم فى الاحتفاظ بالوثائق الأصلية لمدة زمنية طويلة كما انه يوفر المكان فيساعد على تخزين كميات كبيرة من المعلومات ضمن مساحات قليلة .

8- الاسترجاع :

ويقصد به استرجاع المعلومات بواسطة المستفيدين، ويتم ذلك آلياً وباستخدام الوسائل الآلية وهـذا ما يعرف بالاسترجاع الآلى للمعلومات، أو تقليدياً : وهذا يتم يدوياً .

ومما سبق تتضح أهمية التوثيق فى المجال الإعلامي، أو ما يمكن تسميته بالتوثيق الإعلامى الذى أصبح يسيطر على الكميات الهائلة من المواد الإعلامية التى تتيحها يومياً وسائل الإعلام المختلفة فى جميع أنحاء العالم، وفقاً للإجراءات أو العمليات الفنية التى يتبعها الموثقون فى الإطلاع على آخر التطورات فى كافة مجالات المعرفة المعتمدة، إن بروز خدمات التوثيق فى نشر وتبادل المعلومات بين المتخصصين والولوج إلى محتوياتها بواسطة استخدام تحليل المضمون لتلك المعلومات متبعاً فى ذلك التكشيف والاستخلاص، معتمداً فى تقديم الخدمات على الموثقين أو أخصائى المعلومات المتخصصين فى مجالات المعرفة المختلفة، هذا بالإضافة إلى أن مراكز المعلومات قد ساعدت على إيقاف ظاهرة هجرة العقول التى أصبحت تعانى منها الدول النامية فى عالمنا اليوم، وذلك بتيسير سهولة الحصول على المعلومات لتلك العقول فى مجتمعاتها الأصلية، هذا كما شجعت الدول على ضرورة التعاون والاشتراك فى بنوك المعلومات العالمية .

إن توفير الأدلة أو الشواهد التاريخية بالإضافة إلى الأرقام والإحصائيات جعلت من الإعلامى قادراً على تدعيم رأيه مستنداً فى ذلك على ما يوفره له التوثيق من شواهد تاريخية وإحصائيات وأرقام كما أشرت، ليكون رأيه مطابقاً للواقع، فالإعلامى سوف يصبح بدون شك قادراً على نسج الوقائع التاريخية كما حدثت فى الواقع، هذا إذا ما توفرت لديه المعلومات الكافية، لأن حرية الرأى أصبحت فى عصرنا هذا لا تفيد لوحدها، بل أيضاً الحصول على المعلومات التى تدعم الرأى بل وتجسيد

ذلك الرأى فكراً وصورة فى إحساس القارئ [1] أو المستمع أو المشاهد، وفى الواقع نجد أن عدم وجود مراكز معلومات صحفية ذات فاعلية وكفاءة عالية فى المؤسسات الإعلامية بالدول النامية مما يؤدى إلى إعدام ملايين الأطنان من الورق سنوياً، مما يترتب عليه نفقات باهظة تلحق الضرر بميزانيات الدول الفقيرة .

إن السماح بتدفق المعلومات إلى مراكز المعلومات الصحفية أو الإعلامية بالدول النامية، سواء كانت واردة إلينا من الدول الغربية أو الشرقية، لأن هذه المعلومات لا تخلو من التلوث، سواء كان ذلك إيديولوجياً أو غيره، فهى معلومات لا يجب أن نثق فيها هكذا، كما أنتجتها وكالات الأنباء أو غيرها من الوسائل الإعلامية سواء فى الغرب أو فى الشرق، وفى هذه الحالة أو غيرها تبرز أهمية التوثيق الإعلامي، حيث يقوم الموثقون الموضوعيون بتحليل كل ما يصلنا من معلومات للكشف عن مضمون المعلومة أو الوثائق من أجل الوصول إلى النيات أو الأهداف التى غلفت فيها تلك المعلومات قبل أن تصل إلينا، إن مراعاة الدقة وحجم المعلومات يساعد فى تقديم الوقائع كما حدثت فى الواقع، أما البتر والتشويه فى تقديم بعض الوقائع أو الأخبار للمستمع أو المشاهد قد يؤدى إلى ردود أفعال سلبية لدى القارئ أو المشاهد قد تقوده إلى الانصراف نهائياً عن كل ما سوف تقدمه له سواء كانت محطة إذاعية / قناة إذاعية مرئية / مجلة .

1- المتولى، ثريا. ملاحظات عامة حول التوثيق الإعلامي. الإعلام العربى. س3، ع4 (ديسمبر1983م). ص ص 59-60.

إن تقديم الواقعة كما كانت قد حدثت فى الواقع بواسطة المذيع الصحفى إلى ذهن القارئ. يتطلب بالضرورة تفكيك الواقعة وتجميع كافة المعلومات عنها سواء كانت صوراً أو أرقاماً . . . الخ، لكى يتم تركيب الواقعة من جديد فى ذهن المشاهد / القارئ، وهذا لا يتحقق فى الواقع إلا إذا ما طرح المذيع أو الصحفى الاعتماد على خبرته المكتسبة جانباً، والاعتماد على الأرشيف الصحفى متبعاً فى ذلك الدقة وحجم المعلومات والتأكيد على أهمية بقية المصادر من أجل تدعيم رأيه مع ضرورة مراعاة احترام حق القارئ / المشاهد فى معرفة الحقيقة

كاليماخوس القورينائى
ومكتبة الإسكندرية

تعتبر قورينا إحدى المدن الخمس التى شهدت إزدهاراً شمل كافة المدن الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد ظهر ذلك بوضوح خلال عهد الباتوسيين 631-440 ق . م بعد أن أصبحت المدينة مركزاً للتعليم العالى بعد أن تأسست فيها كثير من المدارس كان أهمها المدرسة الطبية والمدرسة الفلسفية بواسطة الفيلسوف القورينائى ارسطيفوس صاحب فلسفة مذهب اللذة [1] التى مازالت معظم أفكاره الفلسفية معروفة بين الفلاسفة، مما جعل قورينا مركزاً ثقافياً تقاطر عليه كثير من الأدباء والفلاسفة كان من ابرزهم الفيلسوف أفلاطون والمؤرخ هيرودوت، واصبح بذلك اسم قورينا يتردد كثيراً فى أغلبية مؤلفات أدباء وفلاسفة ذلك العصر مثل هوميروس صاحب كتاب الإلياذة وغيره. وقد ظلت مدينة قورينا تحتل مركز الصدارة فى العالم القديم حتى بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323ق . م عن عمر يناهز 33 عاماً، الذى كان محباً للأدباء والفلاسفة وكان غالباً ما يصحب معه فى غزواته

1- بدوى، عبد الرحمن. مذهب اللذة. بنغازى. دار ليبيا، 1969م. ص 58.

بعض كتب معلمه أرسطو، وقد تأثر بسلوكه بعض من قواده المقربين له الذين برهنوا بالفعل انهم استطاعوا تحقيق أمنية قائدهم الإسكندر الأكبر بعد وفاته بسنوات حيث جعل بطليموس الأول مدينة الإسكندرية مركزاً هاماً لتجميع الفكر الإنسانى وذلك عندما قام بتأسيس مكتبة الإسكندرية عام 285ق . م إقتداء بنصيحة الفيلسوف أفلاطون له، وبإلحاح متزايد من ديمتروس ألفا ليرى عام (350–280ق . م) مستشاره الروحى DEMET RIOS OF PHALE-RON الذى استطاع نقل مجموعة كتب المدرسة الارسطية بأثينا إلى مدينة الإسكندرية لتكون نواة فى تأسيس المكتبة التى ازدهرت فى عهد ملوك البطالمة الأربعة، وقد ألحقت مكتبة الإسكندرية بمكتبة أخرى تم إنشاؤها بواسطة الملك بطليموس الثالث فى هيكل السيرابيوم SERAPUM بلغت محتوياتها حوالى 420800 لفة «كتاب" . وقد ألحقت هاتان المكتبتان معاً وأصبحتا تعرفان باسم مكتبة الإسكندرية فيما بعد وبمبانى معهد الإسكندرية أو دار العلم التى عرفت باسم الموزيون MOISEION أو الذى يعتبر ضمن مبانى الحى الملكى بمدينة الإسكندرية، وكان معهد الإسكندرية يتكون من عدة مبانى ضخمة تشمل قاعات للبحوث العلمية [1] بالإضافة إلى سكن العلماء يتوسطها منتزه فسيح، إن تشجيع ملوك البطالمة للعلماء والأدباء والفلاسفة ساعد فى ازدهار مدينة الإسكندرية التى أصبحت تنافس مدينة قورينا، ومع ازدياد محتويات مكتبة الإسكندرية فى الكتب التى حرص البطالمة على اقتنائها بكافة الوسائل فى جميع أنحاء العالم، كانت المكتبات

1- نصحى، إبراهيم . مصر فى عهد البطالمة . ط 3 . ج4 . القاهرة، 1966م . ص 207 .

فى مدينة قورينا بدون شك تشهد تقلصاً متزايداً من حيث قلة الكتب فى المكتبات الملحقة بالمدارس الفلسفية والحمامات التى كانت منتشرة فى قورينا خلال تلك الفترة .

إن التنافس الذى حدث ما بين مكتبة الإسكندرية بمدينة الإسكندرية ومكتبة بر جاموس أو «برغامة» فى شرق البحر المتوسط التى قام بتأسيسها الملك اتالوس الأول (269–197ق . م) ATTALUS بعد مضى قرناً من الزمان على تأسيس مكتبة الإسكندرية كان فى الواقع على حساب مدينة قورينا ومكتباتها حيث اندثرت نهائياً ولم يكشف إلى الوقت الحالى عنها إذ ليس من المعقول جداً أن تخلو قورينا ومدارسها الفلسفية من مكتبات كانت بدون شك محتوياتها تفوق من حيث العدد محتويات المكتبات المعروفة فى العالم خلال تلك الفترة الزمنية خاصة وأن قورينا ظلت تنجب كثيراً من العلماء والأدباء والفلاسفة المشاهير [1] حتى إلى ما بعد ظهور الديانة المسيحية فى العالم . وعلى الرغم من انه لم يتم الكشف عن إحدى مكتبات مدينة قورينا حتى وقتنا الحاضر إلا إننا يمكن أن نستدل كما يعتقد البعض على وجود مكتبات فى قورينا وذلك بظهور كاليماخوس القورينائى الذى تولى منصب أمين مكتبة الإسكندرية خلال 260 – 240ق . م ، فقد كان يعتبر الأمين الثالث فى تاريخ مكتبة الإسكندرية العظيمة ، ويرجع كاليماخوس

1- كان من بين أولئك المشاهير كاليماخوس واراتوشنييس القورينائى كذلك الفيلسوف ارسطيفوس وابنته أريتا «فضيلة» التى قامت بتعليم ابنها بنفسها فلسفة جده بالإضافة إلى سونسيوس القورينائى أسقف طلميثة والقديس مرقص أحد كتاب الأناجيل الأربعة فى العهد الجديد «إنجيل مرقص» قرب مدينة شحات الحالية .

إلى أسرة ليبية نبيلة كانت تعيش فى قورينا حيث ولد عام 310ق. م، من أبوين هما باتوس ومجاتيمى، وتلقى تعليمه الأساسي الأولى على يد هرمواقركس من ياسوس ثم واصل تعليمه فيما بعد فى أثينا. أما زوجته فكانت ابنة يوقراطس السراقوسى [1] وقد هاجر كاليماخوس القورينائى إلى مدينة الإسكندرية حيث استقر فى اليوسيس إحدى ضواحى المدينة لمزاولة تدريس قواعد اللغة الإغريقية لفترة قصيرة، قبل أن يتولى منصب أمين مكتبة الإسكندرية التى لا شك إنها كانت عبارة عن مخزن للكتب أو اللفات البردية قبل تولى كاليماخوس إدارتها وتنظيمها خاصة وانه يبدو جلياً أن فكرة تنظيم المكتبة المذكورة كان قد نقلها كاليماخوس معه من مدينة قورينا التى كان قد مضى فيها حوالى 50 عاماً من حياته، بينما يستبعد جداً استخلاصها من عمله بمكتبة الإسكندرية التى لم يمض فيها سوى عشرين عاماً تولى خلالها منصب أمين المكتبة إلى أن توفى فى الإسكندرية. إن ازدهار مدينة الإسكندرية التى أصبحت مركز اشعاع فكرى فى العالم يرجع إلى المكتبة التى كانت قد تولت مهمة تجميع التراث الإغريقى والإنسانى الذى تمت ترجمته إلى اللغة الإغريقية، وكان يرجع الفضل فى قدرة المكتبة فى تحقيق أهدافها والاضطلاع بالقيام بمسئولياتها الملقاة على عاتقها إلى الجد والمثابرة وعقلية كاليماخوس الخارقة التى تميزت عن معاصريه جميعاً، فكان إنسانا ظريفاً أديباً شاعراً بارعاً يعيش فى دعة وبحبوحة فى موطنه قورينا قبل أن ينتقل مهاجراً إلى مدينة الإسكندرية بسبب ما كان يعانيه من مضايقات

1- نصحي، إبراهيم. كاليماخوس القورينائى. مجلة كلية الآداب «بنغازي»، ع3. 1969م. ص 11.

معنوية وسياسية جعلته فى النهاية يتغير تدريجياً حيث اصبح عصبى المزاج حاد اللسان مختل السلوك بسبب تلك المضايقات التى كان يعانى منها فى مسقط رأسه قورينا وذلك بسبب أنه كان ينتمى إلى نسب نبيل ينحدر من باتوس الأول مؤسس قورينا كما يبدو ذلك جلياً من خلال أشعاره التى كانت تصف جده بأنه كان قائداً عسكرياً مشهوراً. إن ازدياد تأزم الأحوال السياسية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد جعلت كاليماخوس يفر هارباً مع أسرته من خطورة دوامة الاضطرابات السياسية الدامية التى اجتاحت قورينا التى تركها لاجئاً سياسياً إلى مصر، إلا أنه لم يكد يبتعد عن قورينا حتى عاوده الحنين إليها ولما لم يستطع العودة إليها ظل يهفو إليها مشتاقاً من خلال أشعاره أو «الابيجرمات». وفى خلال بقائه فى الإسكندرية استفادت مكتبة الإسكندرية من أعمال كاليماخوس حيث كان غزير الإنتاج وقد تجاوزت مؤلفاته الثمانمائة، حيث كان من اشهر أعماله النثرية السجل التاريخى لشعراء التراجيديا الاثينيين، بالإضافة إلى المعاجم والموسوعات، أما شهرة كاليماخوس القورينائى فإنها لا ترجع إلى كثرة مؤلفاته فى مجالات المعرفة المتعددة، بل أيضاً إلى المكانة الأدبية المرموقة التى كان يشغلها أثناء وجوده بالإسكندرية حيث تتلمذ على يديه كثير من رجال الفكر فى الإسكندرية مثل مواطنه اراتوثنيس القورينائى ، ابولونيوس الروديسى وكذلك ارسطوفان البيزنطى الذين تولوا منصب أمين مكتبة الإسكندرية من بعده والذين ساهموا بالفعل فى ازدهار مكتبة الإسكندرية والحركة الثقافية بالإسكندرية طيلة الأعوام التى تولوا فيها إدارة شؤون هذه المكتبة، خاصة إذا علمنا أن كاليماخوس القورينائى وتلاميذه من بعده قد احتفظوا بأطول

فترة زمنية فى إدارة المكتبة المذكورة كما يبدو من ترتيب [1] أمناء المكتبة بالتوالى فيما يلى :-

1 . ديمتريوس الفاليرى 284ق . م

2 . زنودتس الافسوسى 284 - 260ق . م

3 . كاليماخوس القورينائى 260 - 240ق . م

4 . ابولونيوس الروديسى 240 - 235ق . م

5 . اراتوسثينس القورينائى 235 - 195ق . م

6 . ارسطوفان البيزنطى 195 - 180ق . م

7 . ابولونيوس ايدوجرافوس 180 - 160ق . م

8 . ارستارخوس 160 - 145ق . م

ومن خلال قائمة أسماء أمناء مكتبة الإسكندرية المذكورة سابقاً، يتضح وجود شخصية قورينائية بارزة كانت قد لعبت دوراً هاماً فى تنمية محتويات المكتبة وتنظيمها، ليس باعتباره أحد تلاميذ كاليماخوس القورينائى بل كان عالماً فى الرياضيات والفلك والجغرافيا واللغة حيث فاقت شهرته بلاد الإغريق وبقية بلدان العالم المعروفة فى ذلك الوقت، حيث تم استدعاؤه من مدينة قورينا بواسطة الملك بطليموس الثالث إلى مدينة الإسكندرية لتعيينه أميناً للمكتبة عام 235ق . م وقد ظل فى ذلك المنصب حتى توفى عام

1- Sidney. L. Jackon: Libraries and Libararianship in the West : A Briefe History New York . Mcgraw Hill Co. 1974 . p.10 .

195ق . م عن عمر يناهز الثمانين عاماً بمدينة الإسكندرية وقد ترك كثيراً من المؤلفات القيمة فى علوم الفلك والرياضيات واللغة والجغرافيا . وعلى الرغم من ازدهار مكتبة الإسكندرية التى تجاوز تعداد محتوياتها من الكتب حتى بلغت حسب روايات المؤرخين حوالى 700.000 لفة [1] خلال عهد القيصر الرومانى بعد أن قفزت من 100.000 لفة ، إن ازدياد محتويات المكتبة بالتأكيد كان قد تم وفقاً لخطة تزويد معينة شارك فى وضعها وتنفيذها أيضاً كاليماخوس القورينائى وتلاميذه من بعده وذلك بتشجيع من ملوك البطالمة ، الذين كان من بينهم بطليموس الثالث (274-222ق . م) الذى كان قد فرض ما يعرف بقانون الإيداع فى عصرنا الحالي ، حيث كان يفرض على المسافرين والمؤلفين الأدباء والعلماء القادمين إلى الإسكندرية ضرورة إيداع ما بحوزتهم من كتب «لفائف بردية» بمكتبة الإسكندرية وذلك ليتم نسخها إذا لم تتوفر بالمكتبة والاحتفاظ بالأصل وتسليم النسخ بدلاً منها ، حيث كان يعمل بمهنة النسخ عدد كبير من العبيد الناسخين ، وكانت المكتبة تحرص على اقتناء أصول النصوص للاحتفاظ بها حيث تم الطلب فى اقتناء أصول أعمال سوفوكليس ويوربيدس وغيرهما من محاورات أفلاطون التى كانت تحتفظ بها مكتبة أثينا وذلك بإيعاز من كاليماخوس القورينائى كما يبدو والذى كان قد تتلمذ فى مدرسة أفلاطون التى كانت مكتبة أثينا ملحقة بها ، وعندما وصلت النسخ الأصلية من تلك الأعمال الفلسفية والأدبية إلى الإسكندرية كإعارة بين المكتبتين مقابل دفع ضمان قدرة 15 طالنتى لمكتبة أثينا أصر أمين مكتبة الإسكندرية على الاحتفاظ بأصول تلك الأعمال حيث اكتفى بإرسال

1- Sidney . L. Jackson .op.cit. p.13 .

نسخ منها إلى مكتبة أثينا مقابل التنازل عن حق مكتبة الإسكندرية بالمطالبة فى استرجاع المبلغ المالى المدفوع كضمان لها . إن هذا التصرف بالتأكيد لا يصدر إلا عن كاليماخوس القورينائى الذى كان بدون شك يعرف قيمة وأهمية النسخة المأخوذة عنها .

إن شهرة كاليماخوس القورينائى يجب أن تتعدى الشهرة التى اكتسبها من أشعاره التى تم تصنيفها [1]كما يلى :-

(1) الأناشيد .

(2) اليامبيات .

(3) الابيجرامات .

(4) الملاحم القصيرة

(5) ديوان الأسباب .

ذلك لأن كاليماخوس القورينائى كان يتميز بعقلية منظمة ساهمت ليس فى تنظيم مكتبة الإسكندرية وتزويدها بالكتب ROLLS فى شتى فروع المعرفة الإنسانية خلال تلك الفترة، بل أيضاً انه استطاع أن يغرس أفكاره بين تلاميذه الذين تولوا إدارة شؤون المكتبة من بعده، تلك الأفكار التى ساهمت فى ازدهار مدينة الإسكندرية التى أصبحت من أهم مراكز الثقافة الإنسانية فى ذلك العصر بسبب مكتبتها العظيمة التى اشرف على تنظيمها وتنمية محتوياتها كاليماخوس بنفسه ثم تلاميذه من بعده، فالمكتبة كانت السبب

1- نصحى، إبراهيم : كاليماخوس القورينائى . مصدر سابق . ص 15 .

الرئيسى فى ازدهار الحياة العلمية والثقافية بمدينة الإسكندرية فاكتسب معهد الإسكندرية الشهرة العلمية التى عمت أنحاء العالم القديم، مما شجع العلماء والأدباء والدارسين على الذهاب إلى الإسكندرية ، فاستفادت الإسكندرية ومكتبتها من أولئك جميعاً خاصة من شاعرنا كاليماخوس القورينائى الذى يرجع إليه الفضل فى قيام مكتبة الإسكندرية فى تحقيق مسؤوليتين خطيرتين[1] فى التاريخ، إحداهما كانت تتصل بجمع التراث الإنسانى وتسهيل تداوله ما بين الباحثين والدارسين، أما الثانية فقد كانت عبارة عن إنجاز ثبت أو سجل للتراث القومى اليوناني، وهكذا استطاع كاليماخوس بواسطة الفهارس اللوحية «البيناكس» PINAKES التى أنجزها حوالى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد أن يقوم بتنظيم محتويات المكتبة حيث قام تلاميذه من بعده بإتمام ذلك العمل الجليل الذى حفظ لنا التراث اليونانى والإنساني، أما فكرة عمل الفهارس أو البيناكس فقد اعتمد فيها كاليماخوس على الفصل ما بين الشعراء والناثرين، ثم قام بتقسيم مؤلفات أولئك وفقاً لموضوعاتها وبذلك استطاع ترتيب أسماء المؤلفين داخل كل قسم ترتيباً هجائياً، حيث قام بعد ذلك بعمل تقديم لكل مؤلف بترجمة مختصرة له أتبعها بثبت بمؤلفاته، هذا بالإضافة إلى تصنيف كل كتاب كان يتم بذكر عنوانه وبدايته وعدد سطوره [2]، ولقد كانت الفهارس PINAKES مرتبة

1- الحلوجى، عبد الستار : لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م. ص17.

2- هيسل، الفرد : تاريخ المكتبات. ط 2. ترجمة شعبان خليفة. الرياض. دار المريخ، 1980م. ص 14.

وفقاً لترتيب زمنى حيث كان كاليماخوس يحرص أيضاً على تسجيل بعض من مؤلفات الشعراء والناثرين المفقودة، وقد بلغ تعداد الفهارس حوالى 120 مجلداً تم تقسيم المؤلفين بها إلى ثمانى فئات حسب تصانيف فهارسه [1] وهم :-

(1) شعراء الدراما	DRAMATISTS
(2) شعراء الملاحم والشعر الغنائى	EPIC AND LYRIC POETS
(3) المشرعون	LEGISLATORS
(4) الفلاسفة	PHILOSOPHERS
(5) المؤرخون	HISTORIANS
(6) الخطباء	ORATORS
(7) الريطوريقيون	RHETORICANS
(8) مؤلفون لموضوعات متعددة	MISCELLANEOUS WRITERS

وقد ظلت مكتبة الإسكندرية بفضل فهارس كاليماخوس التى تعتبر النواة الأولى لعلم الببليوغرافيا الحديث تساهم بدور فعال فى الحفاظ على التراث الإنسانى وتسهيل تداوله بين العلماء والأدباء والدارسين بالإضافة إلى استمراريتها فى اقتناء الجديد من المخطوطات أو لفات البردى فى شتى فروع

1- المسلمي، عبد الله حسن : كاليماخوس شاعر الإسكندرية. بيروت، دار المريخ، 1973م. ص82.

المعرفة الإنسانية حتى عام 391م حيث تعرضت المكتبة إلى التدمير بواسطة ثيوفليس بطريرك الإسكندرية (385-412م) TEOPHILO الذى كان قد طلب من الإمبراطور الرومانى ثيودوسيوس الأكبر (379 - 395م) THEODOSIOS THE GREAT حرق جميع كتب مكتبة الإسكندرية التى كانت تمثل فى رأيه قلعة للإلحاد واللا أخلاقية الوثنية، لهذا فإن مكتبة الإسكندرية قد تم إحراقها قبل مجيء العرب الفاتحين إلى الإسكندرية بسنوات، حيث يرجع البعض من المؤرخين [1] أن المكتبة قد أزيلت نهائياً قبل عام 417م. إلا أن بعض فهارس كاليماخوس قد نجت من الحرق والتدمير الذى تعرضت له مكتبة الإسكندرية، وقد ساهمت هذه الفهارس أو الجداول الكاليماخوسية فى توصيل الفكر الإغريقى إلى الرومان ثم إلى العرب الذين ساهموا بكل جدّية فى نقل وتعريب الكثير من المؤلفات الإغريقية فى كافة العلوم، كالطب والفلسفة والرياضيات . . . الخ، وذلك مع بداية عهد ازدهار الدولة العربية الإسلامية فى العهد العباسى بتشجيع من بعض الخلفاء المثقفين مثل : هارون الرشيد الذى كان شديد الاهتمام والولع بتأسيس المكتبات فى الدولة العربية الإسلامية، ومن أهمها كانت مكتبة دار الحكمة فى بغداد التى كانت شبيهة بمكتبة الإسكندرية من حيث المسؤليات والأهداف التى كانت تسعى إلى تحقيقها وهكذا استطاع العرب ومن بعدهم بقية الشعوب الأوربية الاستفادة من جداول كاليماخوس القورينائى الذى كان قد التجأ إلى مدينة الإسكندرية ليس من أجل الحصول على عمل ليعول به أسرته كما يورد بعض المؤرخين خطأ كما أعتقد، فكاليماخوس قد لجأ إلى الإسكندرية لجوءاً

1- Sidney. L. Jackson : Op Cit. p17.

سياسياً بسبب الأفكار الحرة التى كانت تصدر منه كالعادة، والتى كانت تشعل نار الحقد والانتقام فى قلوب أعدائه الذين تولوا السلطة فى قورينا موطنه، فأثاروا ضده العامة من الغوغائيين انتقاماً منه خاصةً وان كاليماخوس كان ينتمى إلى سلالة باتوس الأول مؤسس قورينا فاشتد النزاع بينهما، ولكن كاليماخوس كان شاعراً تميز بحس مرهف فلم يستطيع مقاومة الغوغائيين فاضطر أن يتحول تلقائياً من إنسان مرهف الشعور إلى إنسان عصبى المزاج سليط اللسان، فازدادت نيران المعركة لهيباً بين الطرفين، مما جعل كاليماخوس يتوجس شراً من أعدائه المتربصين به، فهرب إلى الإسكندرية قبل أن يقع بين أيدى خصومه، وقد ظل يعيش بالإسكندرية حتى توفى بها عام 240ق.م وقد تولى منصب أمين مكتبة الإسكندرية وبالرغم من ذلك فقد ظل وفياً لموطنه قورينا فنظم كثيراً من القصائد الشعرية التى كانت أغلبيتها تفيض بلوعة الفراق والحنين إلى قورينا ولكن ذلك لم يتحقق لشاعرنا كاليماخوس حيث مات غريباً كما كان قد عاش غريباً أيضاً بفكره فى قورينا. وتعتبر شخصية كاليماخوس القورينائى فريدة فى التاريخ حيث لم يتناولها بالدراسة والتمحيص سوى قلة من الدارسين، ولكن فى الواقع يكفى شاعرنا كاليماخوس القورينائى ما قدمه للبشرية حيث استطاعت مدينة الإسكندرية ومعهد الموسيون بفضله أن يمثل مركز الصدارة لمدة سبعة قرون متتالية [1]. إن كل مناسبة لإحياء مكتبة الإسكندرية توجب على الجهات المسؤولة والمشرفة على إحياء المكتبة ضم إلى عضويتها

1- أمان، محمد : إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة بين الماضى والمستقبل. المكتبات والمعلومات العربية، س8. ع2 (إبريل 1988م - شعبان1408هـ) ص 133.

أحد المتخصصين فى علم المكتبات من بلد كاليماخوس القورينائى الذى كان قد تولى أمانة مكتبة الإسكندرية بعد وفاة ابولونيوس الروديسي، خاصة وأن شاعرنا كاليماخوس وتلميذه قد توليا أمانة مكتبة الإسكندرية لمدة تراوحت اكثر من نصف قرن تقريباً .

نبأ اعتقال عمر المختار فى الصحف الإيطالية
يومى 16-17 /1931/9 م

ساهمت وسائل الإعلام المختلفة منذ البداية فى تحريض الحكومة الإيطالية على القيام باحتلال ليبيا حتى قبل الإعلان الرسمى الذى أصدرته الحكومة الإيطالية يوم 1 أكتوبر 1911م بخصوص ذلك. ويبدو جلياً من أحد التقارير الصحفية الذى نشرته ستامبا Stampa بواسطة أحد مراسليها الذى كان قد قام بزيارة إلى إقليم طرابلس وبرقة فى ليبيا مع بداية عام 1911م، وذلك من اجل الإطلاع عن كثب على الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى البلاد، بالإضافة إلى معرفة ما إذا كانت ليبيا قادرة على استيعاب المهاجرين من الشباب الإيطالى إليها بدلاً من هجرتهم إلى الأرجنتين، وقد استطاع مراسل صحيفة ستامبا الإيطالية [1] الذى كان قبل ذلك قد سافر إلى الأرجنتين عام 1910م لدى عودته من ليبيا تقديم تقرير مفصل إلى وزارة الخارجية الإيطالية يدعوها فيه إلى ضرورة اتخاذ قرار رسمى يتم بموجبه احتلال ليبيا عسكرياً .

1- Givseppe , Bevone: La Campagna Giorna listica che Preparo la Conquista della Libia. Libia XXV. - (Mar 20 . 1937 - XV.) p. 7 .

ولكن اتخاذ تلك القرار لم يصدر رسمياً إلا بعد تولي جوليتى رئاسة الحكومة الإيطالية فى مارس 1911م، حيث صدر قرار الحكومة الإيطالية بذلك يوم 1أكتوبر 1911م، أما بدء غزو القوات الإيطالية لمدينة طرابلس، عاصمة البلاد، فقد تم يوم 5 اكتوبر 1911م، وذلك بعد أن تنازلت الحكومة العثمانية عن ليبيا رسمياً، وبكل تخاذل بموجب معاهدة أوشى المشهورة.
وقد تأثر العرب الليبيون كثيراً بموقف تركيا السلبى تجاهم على الرغم من إنهم قد وجدوا أنفسهم يتمتعون بالحرية بعد أن تخلصوا من الحكم التركى المتعجرف الذى دام طيلة 600عام تقريباً عانوا خلاله كثيراً من الظلم والقهر والتخلف خاصة من خلال تصدى الحكام الأتراك لمواجهة الثورات الأهلية[1] التى انتشرت فى معظم المدن والقرى الليبية .

إن انسحاب تركيا متخاذلة أمام تهديدات إيطاليا، جعل الليبيين منذ البداية يعتمدون على أنفسهم فى مقاومة القوات العسكرية الإيطالية المجهزة بكافة الأسلحة الحديثة بينما لم يبق مع الليبيين العزل من السلاح سوى بضعة ضباط أتراك كان من بينهم كمال أتاتورك لربما كانوا يطمحون من وراء بقائهم فى ليبيا إلى جانب المجاهدين الليبيين تأسيس دولة تكون مستقلة عن تركيا. إلا أن فترة الجهاد طالت ولم يتحقق ذلك الحلم بسرعة، خاصة وإن المجاهدين كانوا يعتمدون على بقايا من الأسلحة القديمة فى البداية مثل بنادق بوصوانة وبعض السيوف والخناجر والمدافع القديمة التى تركتها القوات التركية فى البلاد بعد انسحابها .

1- المهدوى، إبراهيم : الثورات الداخلية فى ليبيا مقالة تحت النشر فى مجلة قاريونس (العدد الخامس) .

وقد ساعدت تلك الظروف السيئة التى حاولت إيطاليا استغلالها لصالحها ظهور بعض الشخصيات القيادية لعبت دوراً بارزاً فى تصعيد حركة الجهاد الليبى ضد الغزو الإيطالى الفاشيستي، وكان من بين أولئك عمر المختار (1862 - 1931م) الذى ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية السيئة فى إقليم برقة على ظهور شخصيته القيادية حيث تسلم قيادة المجاهدين منذ عام 1923م فى الجبل الأخضر، وقد حاولت الصحافة الإيطالية ضرب سياج إعلامى الهدف منه تشويه شخصية عمر المختار وسمعته، بالإضافة إلى التعتيم على الأخبار المتعلقة بالحرب [1] حيث كانت الصحافة الإيطالية تبالغ فى انتصاراتها المزعومة ضد المجاهدين أو المتمردين كما كانت تسميهم غالباً، مما جعل أيضاً الصحافة الغربية تقوم بنقل أخبار محرفة عن الحرب الليبية الإيطالية غير صحيحة عما يجرى فى ليبيا من حرب إبادة تقوم بشنها القوات الإيطالية العسكرية ضد العرب الليبيين العزل من السلاح، كما حاولت السلطات الإيطالية بكل الوسائل التخلص من عمر المختار حيث تم تخصيص جائزة مالية مقدارها 200.000 ليرة إيطالية «مائتا ألف ليرة» تمنح لمن يأتى برأس عمر المختار[2] ، بعد أن فشلت كافة الوسائل الأخرى فى خضوعه للسلطات الإيطالية .

ويبدو إن سكان ليبيا قد تعرضوا إلى حرب إبادة حقيقية حيث تناقص عددهم من 1.500.000 نسمة إلى 600.000 نسمة [3] وبصفة خاصة أثناء تولى

1- رضا، محمد سعيد : موقف الصحافة العراقية تجاه ثورة عمر المختار. بحث مقدم لمهرجان الشهيد عمر المختار. جامعة قاريونس (10-16نوفمبر1979م). ص 7.

2- المصدر نفسه، ص 26.

3- Agwani, M. S. The Omar Al Mukhtar Saga: Gleanings From a Contemporarry=

الفاشيست الحكم فى إيطاليا منذ 1922م بقيادة الدوتشى موسولينى[1] الذى كان فى البداية معارضاً للتدخل العسكرى فى ليبيا .

وقد عانت المدن الليبية الكبرى من شدة القصف خاصة مدينة بنغازى التى تم احتلالها فى يوم 1911/10/19م بواسطة الإيطاليين. وقد استطاع مراسلو الصحف الإيطالية منذ بداية الحملات العسكرية الموجهة ضد ليبيا تغطية المعارك الحربية التى دارت بين الجنود الإيطاليين والمجاهدين فى إقليم برقة مع حرصهم الشديد عل تضليل الرأى العام الإيطالى والعالمى أيضاً، وذلك كما قلنا بالتعتيم الكامل على بعض الأخبار التى كانت تفضح تصرفات القوات الإيطالية فى البلاد، وذلك من أجل رفع الروح المعنوية بين الجنود الطليان فى صفوف جبهات القتال بليبيا، ولكن مع هذا فقد تصدت بعض الصحف التى كان بعض المثقفين الطليان الأحرار ينشرون فيها آرائهم المضادة للحرب القذرة التى كانت تقودها جيوش بلادهم فى ليبيا، ومن أولئك كان الرسام سكالارينى[2] الذى قام بنشر كثير من الرسومات الكاريكاتورية الساخرة من إصرار بلاده إيطاليا على التدخل العسكرى فى ليبيا والتى كان يحرص على نشرها فى مجلة «الأزينو» أو الحمار الإيطالية

= Indian Journal. pp. 8-9.

« بحث مقدم فى مهرجان الشهيد عمر المختار - جامعة قاريونس، 10-16نوفمبر 1979م» .

1- قاد موسولينى مظاهرة بنفسه عام 1911م بمدينة فورلى الإيطالية للاحتجاج على تدخل إيطاليا عسكرياً فى ليبيا، حيث تم القبض عليه واعتقاله لفترة وجيزة مع أحد أصدقائه .

2- المهدوي، إبراهيم : سكالارينى ورسوماته الساخرة. مجلة الثقافة العربية ع4، س 16. (شعبان / رمضان 1398 و. ر - الطير/ إبريل 1989م). ص114.

ويتضح إصرار الصحافة الإيطالية على ضرب سياج إعلامى على كافة الأخبار المتعلقة بحركة الجهاد الليبية وزعمائها ضد القوات الإيطالية، وبصفة خاصة حول شخصية عمر المختار ما قامت به أغلبية الصحف والمجلات الإيطالية الصادرة داخل وخارج إيطاليا حيث قامت بحجب نبأ اعتقال عمر المختار فى أيدى القوات العسكرية حين تم القبض عليه عندما قامت فرقة خيالة الصوارى التى كان معظمها يتكون من المجندين الليبيين بمحاصرته، قرب سلنطة يوم 1931/9/11م حيث تم اعتقاله إلى صباح يوم 1931/9/12م بها، ثم نقل إلى بنغازى بواسطة طراد حربى «أورسيني» إلى مدينة بنغازى والتى بقى بها قيد الاعتقال بالسجن الرئيسى حيث تم إرسال بعض المتعاونين مع الطليان وذلك عن طريق الاتصال به شخصياً بالسجن لغرض التمهيد لإجراء مقابلة بينه والجنرال غرسيانى الذى كان فى الواقع يهدف من وراء مقابلة ذلك الوفد تذليل بعض الصعوبات لاستمالة عمر المختار إلى قبول رغبة السلطات الإيطالية فى مقابل الإفراج عنه، ولكن ذلك لم يتحقق ويبدو ذلك جلياً فى المقابلة (1) التى حدثت ما بين عمر المختار والجنرال غرسياني، حيث أصر عمر المختار على ضرورة الجهاد بواسطة رفاقة بعد أن رفض بشدة طلب غرسيانى الخاص والمتعلق بوقف المقاومة ضد القوات الإيطالية وتسليم كافة الأسلحة التى فى حوزة المجاهدين إلى الحكومة الإيطالية مقابل الإفراج عنه، لهذه الأسباب يمكن تفسير سكوت الصحافة الإيطالية وذلك بكتمان نبأ اعتقال عمر المختار عن الرأى العام العالمى لمدة

1- غرسيانى، رودلفو: برقة الهادئة. ط 2. ترجمة إبراهيم بن عامر، بنغازى، دار مكتبة الأندلس. 1975م. ص ص 279-280.

تزيد عن أربعة أيام حيث لم تعلن نبأ اعتقاله رسمياً إلا يوم 1931/9/16م فى اليوم نفسه الذى تم فيه تنفيذ عقوبة الإعدام شنقاً بسلوق، على الرغم من إن تلك الصحف كانت تولى عناية خاصة بأخبار المعارك التى كان يخوضها عمر المختار ضد القوات الإيطالية فى إقليم برقة والتى بلغت اكثر من ألف معركة [1] خلال العشرين عاماً قضاها عمر المختار فى مواصلة الجهاد المقدس ضد أعداء الوطن والشرف والدين رافضاً خلالها كافة الإغراءات المالية، بل إنه أصر على نكران كافة الاتفاقيات التى عقدت مع الإيطاليين واعتبرها مجرد قصاصات[2] ورق تافهة، بالإضافة إلى إنه استطاع كسب زعماء القبائل البرقاوية إلى جانبه رغم إن بعضهم[3] طلب شخصياً من عمر المختار الرحيل عن مواطن قبيلته وذلك خوفاً من فتك الإيطاليين بأفراد القبيلة وممتلكاتهم، مما جعل فى الواقع الحكومة الإيطالية تحرص باستمرار على ملاحقة عمر المختار ورفاقه، لهذا السبب لم يتخاذل عمر المختار أمام مقايضة الجنرال غرسيانى له بالإفراج عنه إذا ما وجه نداء لرفاقه يطلب منهم فيه ضرورة تسليم أسلحتهم والخضوع للسلطات الإيطالية، هذه اللعبة حاول غرسيانى إن يجربها مع الشهيد عمر المختار، ولكنه هزم فيها منذ البداية عندما رفض عمر كل ما طلبه منه الجنرال بشدة مما أثار غضب

1- خلوصى، صفاء : عمر المختار وصدى إعدامه فى صحيفة التايمز اللندنية. «بحث مقدم فى مهرجان الشهيد عمر المختار 10-16نوفمبر 1979م» جامعة قار يونس. ص 2.

2- نفس المصدر، ص 3.

3- الحرير، إدريس : مواقف خالدة لعمر المختار : «فصل ضمن كتاب عمر المختار نشأته وجهاده من 1862-1931م. ط 2. إشراف عقيل البربار. طرابلس. جامعة الفاتح. 1983م. ص 71.

غرسيانى الذى كان يأمل فى استسلام عمر بسهولة، مما يجعلنا نفترض إن بعد تلك المقابلة قد تعرض الشهيد عمر المختار إلى التعذيب كمحاولة أخيرة من جانب السلطات الإيطالية على دفعه إلى قبول مقترحاتها التى طرحها عليه غرسيانى نفسه .

إن سكوت الصحافة الإيطالية بعدم نشر نبأ اعتقال الشهيد قد حال أيضاً دون تدخل بعض الجهات الرسمية والروابط الإنسانية لدى الحكومة الإيطالية للحيلولة دون تنفيذ عقوبة الإعدام ضد عمر المختار الذى كان شيخاً طاعناً فى السن، عندما تم القبض عليه بمجرد التعرف عليه بواسطة أحد الكلاب المجندين بفرقة الخيالة «الصواري» الإيطالية مما جعل جنود الفرقة يقومون بإطلاق النار على بقية رفاق عمر المختار الذين كانوا معه وعددهم 12 مجاهداً، وذلك كما يبدو من الخبر الذى أوردته وكالة استيفانيا يوم1931/9/16م حول نبأ اعتقال عمر المختار الذى تم اعدامه فى اليوم ذاته، وقد اعتبرت هذه الوكالة Stephanie Agenize إن التخلص من عمر المختار يعتبر خطوة إيجابية لتحقيق السلام فى الإقليم البرقاوي، أما صحيفة لاستامبا La Stampa الصادرة فى مدينة تورينو يوم 1931/9/16م فقد قامت بنشر خبر اعتقال عمر المختار بعد إصدار عقوبة الإعدام ضده كغيرها من الصحف الصادرة فى ذلك اليوم تحت عنوان بارز «القبض على عمر المختار بواسطة فرقة خيالة الصوارى البرقاوية[1] «كذلك نشرت الجور نال دى ايتاليا Giornale D Italia [2] الصادرة فى اليوم نفسه أيضاً خبر اعتقال عمر المختار

1- La Stampa . Torino 16.9.1931 Omar El Muctar Catturato da un reparto di Savari Cirenaici .

2- Il Giornale D` Italia Roma 16.9.1931 IL capo della Ribellione in Cirenaica Catturato da un nostro Squadrine di Savari.

زعيم المتمردين كما يطلق عليه، حيث قامت بتوجيه الشكر إلى فرقة الصوارى بعد القبض على عمر المختار الذى وصفته بأنه ذو شخصية قيادية بارعة وذو سمعة واسعة باعتباره جندياً شجاعاً فى معظم الدول العربية التى تتخذه رمزاً للمقاومة الوطنية ضد قوات الحكومة الإيطالية . كما إن هذه الصحيفة أيضاً قد اعتبرت إن إعدام عمر المختار سيؤدى إلى تلاشى المقاومة الوطنية فى الجبل الأخضر .

أما «التلغراف» [1] الصادرة بليفورنو يوم 1931/9/16م فقد نشرت النبأ تحت عنوان بارز «القبض على زعيم المتمردين فى برقة خلال معركة صباحية» هاجمت فيه شخصية عمر المختار بشدة واعتبرته العدو اللدود للسلطات الإيطالية فى برقة، ذلك لأنه كان يقوم بتحريض سكان الإقليم على مقاومة القوات العسكرية الإيطالية واختتمت التلغراف الليفورنية ذلك النبأ قائلة «بأن المتمردين» سوف لن يستطيعوا الحصول بسهولة على شخصية قيادية مثل عمر المختار، لهذا مكانه سيظل شاغراً إلى الأبد . وفى اليوم التالى الموافق 1931/9/17م نشرت التلغراف الليفورنية خبر إعدام عمر المختار تحت عنوان «تنفيذ حكم الإعدام فى عمر المختار زعيم المتمردين أمام 30000 مواطن محلي» [2] حيث أشارت بحقد إلى إن تنفيذ عقوبة الإعدام شنقاً قد ساهم فى تحطيم أسطورة شخصية عمر المختار بين سكان الإقليم .

1- Il Telegrafo Livorno . 16.9.1931 Il capo dei Ribelli della Cirenaica Catturato dopo.

2- Il Telegrafo Livorno. 17.9.1931 Il capo Ribelle Omar el Muktar giustiziato davanti a 30.000 indigeni .

أما لابروفينشيادى بادوفا[1] La Provincia di Padova الصـادرة فى بادوفا يوم 1931/9/17م فقد هاجمت شخصية عمر المختار واعتبرته شخصاً خائناً لإيطاليا يستحق عقوبة الإعدام شنقاً حتى الموت التى صدرت ضده، ذلك لأنه لم يستجب لنداءات السلطات الإيطالية المتكررة إليه بضرورة الخضوع والاستسلام إلى الحكومة، هذا كما لوحت بعنجهية إلى ان تنفيذ عقوبة الإعدام علناً ستكون رادعاً لكل من تسول له نفسه المضى قدماً فى مقاومة القوات الإيطالية. كما ساهمت أيضاً الصحف الإيطالية الصغيرة التى كانت تصدر فى المقاطعات الإيطالية، ففى مقاطعة توسكانه نشرت صحيفة البوبولو توسكانو Popolo Toscano الصـادرة يوم 1931/9/17م، مقالة بعنوان: إعدام عمر المختار فى سلوق[2] بتوقيع غابرئيلى سكريمالى مراسل الصحيفة فى برقة، أشار إلى شخصية عمر المختار الذى اعتبره خائناً للحكومة الإيطالية يستحق عقوبة الإعدام شنقاً، كما إنه اعتبر حضور 30000 مواطن تنفيذ حكم الإعدام حضوراً تلقائياً وتعبيراً عن ابتهاجهم بسقوط زعيم الثوار فى برقة، متناسياً إن حضور أولئك المقهورين إنما كان بناء على تعليمات الحكومة الإيطالية التى كانت قد قامت بتجميعهم فى معسكرات الاعتقال المنتشرة فى معظم إقليم برقة، وكان أكثرهم شهرة معسكر معتقل سلوق الذى تم فيه تنفيذ عقوبة الإعدام شنقاً بالشهيد عمر

1- La provincia di padova . 17.9.1931 La Condanna a morte e lesecuzione di Omar el Muktar .

2- Il popolo Toscano . Lucca. 17.9.1931 . Omar el Muktar giustiziato a Saluch.

المختار، ويبدو إن ذلك قد تم تحقيقاً لرغبة مالاكريا [1] الذى كان يشغل منصباً سياسياً فى الابيار بالإضافة إلى انه كان احد الفاشيست المقربين إلى الدوتشى نفسه. أما المساجيرو Massagero الصادرة فى روما يوم1931/9/17م فقد نشرت نبأ اعتقال وإعدام عمر المختار تحت عنوان: لقد تم إعدام عمر المختار [2] قامت من خلاله بالتهجم على شخصية عمر المختار واتهمته بالخيانة للحكومة الإيطالية ذلك لأنه قاد المجاهدين الليبيين ضد القوات الإيطالية بالرغم من إنه كان شيخاً طاعناً فى السن.

هذا كما قامت بعض الصحف العميلة الصادرة فى ليبيا بترويج ادعاءات وأكاذيب الحكومة الفاشيستية ضد عمر المختار والذى كان يعتبره الإيطاليون السبب الرئيسى فى تأزم الموقف الذى اصبح صعباً لا يطاق فى برقة بصفة خاصة. لهذه الأسباب ابتهج كثير من المواطنين الذين أصروا على حضور تنفيذ عقوبة الإعدام شنقاً ضده بسلوق يوم 1931/9/16م عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وكان ابرز هذه الصحف لاشيرينايكا [3] LA cire-naica الصادرة فى بنغازى يوم 1931/9/17م

ويبدو مما سبق من عناوين الصحف الإيطالية بصفة خاصة الصادرة يومى 16 و 17 سبتمبر 1931م، إنها تعكس النظرة الفوقية المتعجرفة حيث صاغت سمومها بأسلوب فاشيستى حقود ملئ بالطعن واللمز فى شخصية

1- الحرير، إدريس: سياسية فرق تسد الاستعمارية الإيطالية وأثرها على حركة الجهاد الليبى 1911-1932م. مجلة الثقافة العربية. ع10. س15. (أكتوبر 1988م). ص 81.

2- Il Messaggero Roma . 17.9.1931 Omar el Muktar giustizato .

3- La Cirenaica Bengesi 17.9.1931 La condanna a morte di Omar el Muktar.

عـمـر المختـار القيـادية ، التى كـانت قـد ارتسـمت فى قلوب الملايين من المناضلين الشرفاء فى سبيل الحرية سواء فى داخل البلاد أو فى خارجها ، كما أنها التزمت الصمت خلال الأيام الأربعة التى قضاها الشهيد فى مدينة بنغازى والمعاملة القاسية التى تعرض لها خلال تلك المدة القصيرة ، فلم تشر على سبيل المثال إلى الليلة الأخيرة وكيف قضاها عمر المختار فى السجن ، إن هذا السكوت المتعمد من قبل وسائل الإعلام الإيطالية وبصفة خاصة الصحافة يدل بوضوح على إن الحكومة الإيطالية كانت تنوى تعذيب عمر المختار خاصة إذا ما رفض شروطها والتى كانت تلزمه بدعوة بقية المجاهدين من رفاقه إلى الخضوع والاستسلام للسلطات الإيطالية ، مقابل الإفراج عنه ، إلا انه كان رحمه الله يعرف جيداً من خلال مقاومته للإيطاليين الهدف الذى كانوا يسعون إلى تحقيقه من وراء القبض عليه مسبقاً ، لهذا فقد رفض كافة الاغراءات وتمسك بمبادئه السامية وهى «الاستشهاد أو النصر» ذلك الشعار الذى كان قد رفعه منذ انخراطه فى قوات المجاهدين من اجل الدفاع عن الوطن والشرف والدين ضد الأعداء ، إن هذه الأسباب وغيرها هى التى جعلت الحكومة الإيطالية تفرض ستاراً إعلامياً حول اعتقال زعيم المجاهدين عمر المختار رحمه الله ، وهى أيضاً الأسباب نفسها التى تمنع الإيطاليين من التنكيل بعمر المختار خاصة الليالى الأخيرة التى قضاها فى سجن بنغازي ، حيث يبدو ذلك واضحاً عندما صعد باعياء إلى منصة المشنقة ، حيث إنه لم يبد حركة ما تدل على استيائه من تنفيذ حكم الإعدام ، بل وقف هادئاً ، حيث قام عبد السلام التاورغى [1] «السوداني» أحد المجندين الليبيين الذى

1- عبد السلام التاورغى أحد المجندين الليبيين من سكان بنغازى «حى الكيش» كان من بين =

قام بوضع حبل المشنقة حول رقبة الشهيد عمر المختار، بينما تعالت هتافات الفاشيست والمتعاونين معهم من الليبيين فى الهواء احتفالاً بذلك المشهد الذى كان يدل على العار الذى لحق إيطاليا إلى الأبد، بالإضافة إلى زيف المبادئ والمثل التى كانت تدعو إليها الفاشيستية مما أدى إلى يقظة ضمير المثقفين الإيطاليين بصفة خاصة الذين ساعدوا فى سقوط الفاشيستية فيما بعد، إن الفاشيست الطليان لم يكتفوا بإعدام عمر المختار بعد أن قاموا بتعذيبه خلال الأيام الأربعة التى قضاها فى السجون الفاشيستية بمدينة بنغازي، بل قاموا أيضاً بالتمثيل بجثته حيث قاموا بإرسال جثته مباشرة إلى بنغازى بعد تنفيذ حكم الإعدام شنقاً، حيث قامت سيارة عسكرية بنقل الجثة إلى مكان ما فى بنغازي، ليتم دفنه فيما بعد فى مقبرة سيدى عبيد ليلاً، بدلاً من تسليم جثته إلى أقاربه لتقوم بمراسم الدفن التقليدية إن هذا التصرف يجعلنا نشك فى نية الإيطاليين الذين أشرفوا على عملية تنفيذ حكم الإعدام والقيام فيما بعد بدفن الجثة ليلاً، فلابد إنهم قاموا بتشويه الجثة قبل دفنها خاصة وإن العسكريين الفاشيست كانوا قد قاموا بأعمال [1] مثل ذلك من قبل، منها قطع رأس المجاهد أبو مطارى بعد استشهاده فى إحدى المعارك بواسطة أحد جنود الفاشيست المتعاونين معهم بناء على رغبة غرسيانى نفسه، كما كان قد أمر

= الجلادين المشهورين فى بنغازى فهو زنجى يقضى معظم فراغه راقصاً لرواد مقاهى الفندق البلدى حاملاً على رأسه سفرة شاى بها كانون نار مشتعل مقابل الحصول على نقود يشترى بها الخمر، هذا بالإضافة إلى أنه كان يقضى معظم أوقاته فى شوارع العاهرات المخصصة للإيطاليين بجوار الفندق البلدى كما يورد أحد شهود العيان.

1-جامعة قاريونس، مهرجان الشهيد عمر المختار، دليل المعرض، ذو الحجة 1388هـ - نوفمبر 1979م. بنغازى. جامعة قار يونس 1979م. ص 98.

الفاشيست من قبل أحد المجندين الليبيين بقطع رأس المجاهد فضيل بو عمر، ويبدو تشويه الصحافة الإيطالية جلياً للحرب المقدسة التى كان يقودها عمر المختار ورفاقه فى الجبل الأخضر فى مجلة اتاليا [1] كولونيالى Coloniale L ltalia وبصفة خاصة فى العدد الخاص الذى صدر بمناسبة الاحتفالات بمرور عام على احتلال واحة الكفرة، تلك الحملة العسكرية الإيطالية التى قامت الصحافة الإيطالية بالترويج لها والدعاية لها فيما بعد، حيث كان قد قام بمرافقة الحملة بعض مراسلى الحرب منهم [2] Achille Benedetti عن صحيفة الكورييرا ديلاسيرا Corriere della Sera وسأندرو ساندرى فقد كان مراسلاً لصحيفة البوبولودى ايتاليا Popolo d'ltalia أما صحيفة ستامبا التى كانت تصدر فى تورينو فقد كان مراسلها يدعى د. م تونينتى D.m. tunintti مفوض الاتحاد الفاشى فى برقة. هذا بالإضافة إلى فيتوردينامى Vittor Dinami الذى كان عبارة عن المصور السينمائى للحملة المذكورة. وقد أشارت المجلة المذكورة أعلاه تحت عنوان «نهاية عمر المختار» إلى البلاغ الرسمى عن القبض على عمر المختار. هذا بالإضافة إلى الخسائر التى لحقت بالمجاهدين بالإضافة إلى بعض التفاصيل المتعلقة الموجزة عن بعض المعارك التى خاضها عمر المختار قبل وقوعه فى الأسر، وأخيراً التباهى بمدى قدرة القوات الإيطالية وقيادتها فى إقليم برقة ومن أجل إيهام الرأى العام الإيطالى بالدور الفعال والنشط الذى تقوم به فى

1- La fine di Omar el Muktar . L'Italia Coloniale Anno VIII N. 10 (October1931- IX) p. 157 .

2- Kufra Italia coloniale . (20 Gennaio 1932 - X) p.30 .

برقة، حاولت الصحافة الإيطالية التقليل من خسائر القوات الإيطالية التى لحقت بها من خلال صداماتها المتعددة مع المجاهدين العرب الليبيين، ففى معركة الكفرة على سبيل المثال : أشار تصريح وكالة ستيفانى شبه الرسمية فى 26 يناير 1931م العام التاسع فاشيستي، إن القوات الإيطالية فى حملتها العسكرية التى استطاعت احتلال الكفرة لم تفقد سوى ضابطين إيطاليين وبعض المجندين، أما رفاق عمر المختار فقد سقط منهم كثير من الشهداء كان ابرزهم عبد الحميد بومطارى وكذلك أحمد الشريف [1].

يبدو من خلال عرض بعض عناوين الصحف والمجلات الإيطالية التى كانت قد تناولت القبض على عمر المختار وقامت بنشره خلال يومى 16 - 17 سبتمبر 1931م، إن هذه الصحف والمجلات كانت تحاول بقصد مفضوح للرأى العام الإيطالى والعالمى مدى محاولاتها الفاشلة فى ضرب ستار إعلامى حول المقاومة المسلحة بقيادة عمر المختار ورفاقة فى الجبل الأخضر، وكذلك كانت تحاول حجب محاولاتها اليائسة فى بث سمومها بين المواطنين الليبيين وذلك من اجل عزلهم عن المشاركة فى الأدوار الجهادية التى كان ينظمها عمر المختار ويشرف عليها بنفسه، إن أغلبية عناوين الأخبار المتعلقة بالقبض على زعيم المجاهدين فى برقة كما توره الصحف والمجلات الإيطالية تفضح الدور الذى لعبته الصحافة الإيطالية من اجل احتلال ليبيا عسكرياً بواسطة إيطاليا المتحضرة !! ، كما ذكرت، يبدو واضحاً من خلال التعتيم على نبأ اعتقال عمر المختار خلال المعركة التى جرت بينه وبين قوات

1- Kufra Italia coloniale . (20 Gennaio 1932 - X) p16 .

الخيالة «الصواري»، فقد كان عمر المختار رحمه الله يرافقه حرسه الخاص بالإضافة إلى 50 مجاهداً من رفاقه خلال فجر 12 سبتمبر 1931م أى يوم القبض عليه، كما يورد يساندرو ساندرى [1] Sandro Sandri في La Cire-naica الصادرة يوم 17 سبتمبر 1931م. إن هذا الخبر يقودنا إلى التساؤل فى الواقع عن عدد جنود الفرقة الإيطالية «الصواري» التى قامت بأسر عمر المختار، ليس صدفة كما تورد بعض الصحف والبلاغات الرسمية التى صدرت فيما بعد، بل كان الأمر مبيتاً من قبل حيث كانت عيون الخونة ترصد تحركات عمر المختار ورفاقه منذ رفضه قبول معاهدة الذل والعار التى حاول بها بعض أعوان إيطاليا التدخل بطريقة غير مباشرة وذلك من اجل جعل عمر المختار يرضخ لمطالب الطليان، إلا أنه فى الواقع رفض ذلك بالرغم من الاغراءات المالية التى عرضت عليه فيما بعد، كما يبرهن الخبر الذى أورده ساندرى أيضاً إن عمر المختار لم يكن يهدف إلى شن هجوم مباغت على القوات الإيطالية أو ضد المتعاونين معها من الأهالى سكان تلك المنطقة، بل كان فى الواقع يقوم بدورية عادية كان الغرض منها استطلاع مواقع القوات الإيطالية بالمنطقة، بالإضافة إلى إنه كان يقوم بزيارة عادية للمنطقة كالمعتاد، ذلك لأن عمر المختار الزعيم المدبر والمخطط بدقة لكافة المعارك ضد القوات الإيطالية كما تورد الصحافة الإيطالية نفسها من خلال الأخبار التى نشرتها بمناسبة القبض عليه، لايمكن بأى حال من الأحوال الدخول فى معركة خاسرة منذ البداية، فهو معروف بين القيادات العسكرية

1- La cirenaica op. cit 17.9.1931 .

الإيطالية بدقة توقعاته المستقبلية لكل معركة كان يخوضها ضد الإيطاليين مسبقاً، لهذا ولغيرها من الأسباب فإنى اعتقد إن الاعتماد على ما تضمنته عناوين الصحف والمجلات الإيطالية حول نبأ اعتقال عمر المختار يحتاج إلى نظرة موضوعية نقدية من خلالها يمكن الوصول إلى الحقيقة التى جعلت الصحافة الإيطالية تحاول بقدر الإمكان ضرب ستار أعلامى حول شخصية عمر المختار والمعارك التى خاضها ضد قوات الحكومة الإيطالية وذلك من اجل الوصول إلى معرفة كافة الأحداث التاريخية التى تخللت تلك الفترة الزمنية الممتدة من 1922 - 1931م والأسباب الحقيقية التى جعلت الصحافة الفاشية تقوم بمحاولاتها اليائسة من اجل تشويه شخصية البطل عمر المختار فى أذهان السكان المحليين بالإضافة إلى تضليل الرأى العام الإيطالى والعالمي.

الفصل الثالث

- علم دراسة الوثائق : الدبلوماتيك
- مصادر تاريخية ليبية فى أرشيف نابولي
- حلول لبعض مشاكل الحصول على الوثائق وتيسير استخدامها .
- الرحلات العلمية الإيطالية إلى ليبيا

علم دراسة الوثائق : الدبلوماتيك

يعتمد التاريخ على الوثيقة باعتبارها مصدر أساسياً هاماً يساعد الباحث أو المؤرخ فى الوصول إلى الحقيقة، فالوثيقة بالإضافة إلى كونها تمثل الأثر الملموس للأفعال الانسانية فهى تعتبر أيضاً تجسيداً حقيقياً فى التعبير عن الأفعال التى سبق أن خلقت الأحداث أو الوقائع موضوع الدراسة التاريخية، فالتاريخ علم نقد وتحقيق يعتمد فى دراسة الوقائع الماضية على الآثار المادية، التى تمثل السجلات المكتوبة، أو المستندات التى يطلق عليها جميعاً الوثائق أو الحقائق المادية المحسوسة التى تعكس أحداث الماضى بكل موضوعية، فعلم التاريخ كما يورد ج. هرنشو «يبحث فى الفعل ورد الفعل الصادرين عن إنسان غير متغير أصلاً» [1]، وعن بيئة غير متغيرة أصلاً فالباحث فى علم التاريخ يصل إلى الحقيقة بواسطة تناول الوثائق بالدراسة التحليلية النقدية وهذا لا يتم فى الواقع إلا إذا تجرد الباحث نفسه عن الميول والأهواء الذاتية أى بالابتعاد عن الذاتية والنظرة إلى تلك الوثائق بكل موضوعية، فالحقيقة كما نعلم واحدة لا تتجزأ، وبالتالى يجب أن تكون

1- هرنشو، ج: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادى، ط2. بيروت، الدار الحديثة، 1982، ص5.

مقدسة فلا يجوز إطلاقاً من الناحية العلمية العبث فيها أو تغليفها بالكذب أو بترها وحشوها بأكاذيب مضللة وفقاً لنفاق الباحث الأيديولوجي، بل يجب أن تبقى من حيث وجهة النظر العلمية كما هى وتأكيد للقول المأثور الذى أطلقه الصحفى الليبرالى س. بى. سكوت S.P. Scott أو الحقائق مقدسة، أما الرأى فهو حر Facts are Sacred , Opinion Free .

فالباحث فى علم التاريخ عليه بذل كافة جهوده فى سبيل استخلاص الحقيقة ونفض غبار الكذب والتحايل الأيدلوجى عنها فالوقائع التاريخية عادة ما يقوم الذاتيين بنسج ستار فى الكذب حولها وذلك من أجل التعتيم على تلك الحقائق أو بعض منها أحياناً حشوها بوقائع خيالية[1]، بعيدة كل البعد عن الحقيقة التى تمثل التعبير بدقة عن الوقائع التاريخية التى يكون من الصعب جداً استعادتها من جديد بواسطة التجربة، فالتاريخ لا يعيد نفسه وبالتالى فالتجربة مستحيلة، على الرغم من أن علم التاريخ يعد علم بحث ونقد لدى ابن خلدون.

فالوقائع التاريخية لا تطفو فوق السطح دائماً، بل توجد مغمورة داخل محيط من الإرشادات والانفعالات الإنسانية، فهى بالتالى تعتبر كما يورد هرنشو «حقائق ثابتة للروح البشرى وخارجة بالمرة عن متناول المعاينة المباشرة»[2] .

إن اعتماد الوثائق باعتبارها مصدراً أساسياً إلى الحقيقة، يفرض على

1- توجد كثير من الوثائق المزيفة المتعلقة بالتاريخ الحديث ويحفظ مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى فى طرابلس بنماذج منها.

1- هرنشو، ج. نفس المصدر السابق، ص 9.

الباحث أو المؤرخ ضرورة معرفته لجميع الظروف التى كانت قد أحاطت بالإنسان مصدر الأفعال التى خلقت الوقائع التاريخية عبر المراحل التاريخية المتعددة. إن معرفة المؤرخ أو الباحث بظروف الإنسان مصدر الأفعال التى انبلجت عنها الوقائع التاريخية، يفترض أيضاً ضرورة اعتماده على الوثائق باعتبارها آثاراً ملموسة قد تجمعت بطريقة طبيعية، فهى ذات تكوين خاص، كما أنها ترتبط بعلاقات طبيعية متينة بين أجزائها، فلا يمكن معرفة الحقائق الواردة فيها بدون فهم الترابط الطبيعى بين جميع أجزائها. إن معرفة ذلك بواسطة الباحث يساعده بدون شك فى عبور بحيرة الكذب والتحايل التى ينسجها البعض حول الحقائق التاريخية .

إن الحيلولة دون تشويه الحقيقة وتغلغل أصحاب الميول الذاتية فى تزييف المستندات الرسمية أو الوثائق وحشوها بما يرغبون من أكاذيب عارية فى الحقيقة مناقضة لما كان قد حدث فى الواقع، يكمن فى الاعتماد على علم الدبلوماتيك أحد العلوم المساعدة لعلم التاريخ Auxiliary Sciences من أجل الوصول إلى الحقيقة كما كانت قد حدثت فى الواقع، وبما أن الوثيقة هى المصدر الأساسى فى كتابة التاريخ كما يقول المثل المأثور «لا تاريخ بدون وثائق» فقد سارعت كثير من الدول بعد أن نالت استقلالها السياسى مباشرة بتجميع كافة الوثائق التى تعتبرها مصادراً تاريخية هامة ذات علاقة مباشرة بتاريخها، وذلك من أجل معرفة ماضيها ومكانتها التاريخية بين الأمم الأخرى، وبالفعل فقد تم الحصول على مجموعة كبيرة من تلك الوثائق التى كانت محفوظة فى دور أرشيف الدول الاستعمارية التى كانت خاضعة لسيطرتها الدويلات الحديثة الاستقلال، إلا أن سوء استعمال

تلك الوثائق جانب تلك الدول قد أدى فى أحيان كثيرة إلى طمس الحقيقة الواردة فى تلك الوثائق، تم ذلك بواسطة بتر أو حشو الوثائق أو بالتعتيم الجزئى أو الكلى للحقائق الواردة ضمن الوثيقة، من أجل أن تكون ملائمة للأيدلوجية المهيمنة على تلك الدول.

إن التشويه المتعمد للوثائق يقلل فى الواقع من أهميتها ومنذ القدم، عرف تشويه الحقائق التاريخية فقد كان بعض الحكام يجبرون المؤرخين على طمس مآثر غيرهم من الحكام السابقين أو نسبها إليهم. كما أن الحروب قد ساهمت أيضاً بدورها فى تدمير كثير من المستندات الرسمية، وقد استمر العبث بالوثائق إلى عصرنا الحالي، ومنها على سبيل المثال قيام قوات الحلفاء التى دخلت برلين بنهب الأرشيف العسكرى السري بمجرد سقوط العاصمة، مما أدى إلى فقدان كثير من الوثائق الرسمية الهامة.

وقد شهدت أوربا خلال القرن السابع عشر الميلادى اهتماماً بالوثائق أدى إلى زيادة العناية بتجميع وحفظ الوثائق من أجل الاستفادة منها فى الكشف عن كثير من الحقائق التاريخية التى يكتنف أغلبها الغموض، وقد ساعد ذلك الإحساس لدى الباحثين وإصرارهم لمعرفة الحقيقة كما لو كانت قد حدثت فى الواقع إلى ظهور علم دراسة الوثائق ونقدها أو علم الدبلوماتيك وذلك لدراسة الوثائق التاريخية التى يدور حول صحتها الجدل.

ويرجع الفضل فى ظهور علم الدبلوماتيك إلى الراهب البندتي دوم جان مابيون Dom Jaen Mabillen [1]، الذى كان قد صدر له عام 1681

1- Benton, William: (Pub) : Encyclopedia Britannica. " Diplimatica " Chicago R. R. Dommelley & Sons Co. 1972. vol 7 :pp. 476-477.

كتاب بعنوان Dere Diplomatic وقد تلاه بعض العلماء الآخرين للاهتمام بهذا العلم الوليد، أمثال الفرنسى دى كانج Du Cange وكذلك الإيطالى موراتورى Muratori والإنجليزى توماس ماروكس T. Marcos وكذلك الألمانى باسل Bassel والبنيدتى الأسبانى بيريث Perez وغيرهم .

وتعتبر فرنسا من أوائل الدول الغربية التى اهتمت بتجميع الوثائق وحفظها للاستفادة منها ويرجع الفضل فى ذلك إلى الثورة الفرنسية التى قامت بتأسيس أول أكاديمية فى العالم لدراسة الخطوط Academic Des In-scriptions وفى عام 1721 تم تأسيس مدرسة الدراسات الوثائقية Ecole de Chartes بفرنسا، ولازالت تلك المدارس تعد من أهم المراكز العلمية الرئيسية فى العالم التى تقوم بتدريس العلوم الوثائقية. وقد اهتمت بعض الدول الغربية الأخرى بالوثائق فقامت بتأسيس أقسام علمية لحقت بجامعاتها ومنها إيطاليا وإنجلترا ثم ألمانيا والنمسا، كما أضافت الأولى برنامجاً دراسياً لمدة عامين الحق بدور الأرشيف المنتشرة فى البلاد.

تعريف الوثيقة أو الدبلوما

يطلق لفظ وثيقة فى اللغة العربية على المستند المكتوب قانونياً كان أو غير قانوني، فهى لفظة غير محددة المعنى، لهذا يستخدم المتخصصون فى علم الدبلوماتيك أو علم الوثائق لفظاً آخر لتحديد الوثيقة الدبلوماتية التى تدخل ضمن مجال دراسات علم الدبلوماتيك أو علم دراسة الوثائق ونقدها الذى

يقوم بدراسة الوثائق التى تشتمل على فعل قانونى أو واقعة قانونية كما أنها قد تمت وفقاً لصياغة معينة، وبهذا فإن الوثيقة الدبلوماتية تعتبر مصدراً أساسياً للتاريخ، وقد اشتق لفظ الوثيقة أو الدبلوما Diploma من اللفظة الإغريقية ومعناها الحرفى الصحيفة التى تطوى مرتين كذلك تعنى أيضاً رسالة التوصية الرسمية التى تبيح للأفراد السفر ما بين المقاطعات الرومانية، وقد أشار الأستاذ الإسكندر براتيزى [1] إلى أن لفظ دبلوما Diploma قد اشتق من اللفظة الإغريقية التى تعنى حرفياً «ضعف أو مضاعف» حيث كانت تطلق الدبلوما فى العصور القديمة الكلاسيكية على الصحيفة التى تتكون من صفحتين «لوحين» يجمعهما معلاق وقد أصبح معنى الدبلوما يشمل الرسالة الرسمية الصادرة عن مجلس السناتو فى عهد الإمبراطورية الرومانية، بالإضافة إلى الرسائل الرسمية الأخرى التى تسمح لحاملها بالسفر والتنقل فى الطرق العامة Curcus Publicus أو بالسفر لمرافقة بريد الدولة .

وللدبلوما معانى أخرى كثيرة منها الوثيقة التاريخية Historical Document كما استخدم لفظة دبلوما للدلالة على الامتيازات الإمبراطورية Previlage Imperial كذلك كان يطلق على دبلومات الشرف أو الاستحقاق كالدبلومات العسكرية Diploma Military التى كانت تمنح للقادة العسكريين أما فى الوقت الحاضر فإننا نجد لفظة دبلوما يعنى الشهادة التى تمنح للطالب بعد تخرجه من أحد المعاهد العليا أو من كلية جامعية، لإثبات مستواه

1- ضمن محاضرات «علم الدبلوماتيك» ألقيت بواسطة الأستاذ الإسكندر براتيزى على طلبة الدراسات العليا بقسم الأرشيف والببليوغرافيا- العام الجامعى 1979، بكلية الآداب والفلسفة- جامعة روما.

العلمى، كما يوجد لها معنى أخر فى السلك الدبلوماسى مغاير تماماً لما ذكرناه سابقاً.

ويحدد دى بورد[1] De Bourd الوثيقة الدبلوماتية بأنها المستند المكتوب الذى تمت صياغته وفقاً لشكل خاص بحيث يكون مناسباً للظروف ومتضمناً فعلاً قانونياً أو واقعة قانونية. وفقاً لهذا المعنى فإن الوثيقة الدبلوماتية تكون مرادفة لكلمة Deed الإنجليزية و Actes الفرنسية ثم Ur-kuned الألمانية، ويختلف تعريف شيزار باول Cesre Paoli للوثيقة الدبلوماتية من حيث المعنى عن التعريف السابق، حيث يرى أن الوثيقة الدبلوماتية هى «عبارة عن مستند قانونى تم تحريره وفقاً لشكل أو صياغة معينة تضمن له قوة البرهان أو الإثبات والمصداقية» [2] .

وقد أشار الأستاذ براتيزى[3] إلى شروط رئيسية ثلاث يجب توافرها فى الوثيقة الدبلوماتية، وأول هذه الشروط هو أن تكون الوثيقة عبارة عن مستند مكتوب، أى شرط الكتابة للوثيقة أما الشرط الثانى يتعلق بمحتوى الوثيقة نفسها التى يجب أن تكون من أجل إثبات واقعة أو فعل قانونى لا يمكن فسخه إلا بموجب القانون، أى أن محتوى الوثيقة الدبلوماتية يجب أن يتضمن فعلاً إرادياً تم تحريره وفقاً لظروف مناسبة من أجل إثبات واقعة

1- De Bouard, A. Manuel de Diplomatique Francaice et Pentificale , I: Diplomatica generale . Paris . 1929 PP. 32 - 33 .

2- Paoli, Cesaer: Diplomatica . Firenze, G. Sansoni, 1969 . P.18 .

3- Pratesi, Alessandre: Element di Diplomatica generale. Bari, Adriatica Editrice 1972 . P.6 .

قانونية، يشترط أن لا يتم فسخها أو إلغاؤها إلا بموجب القانون وأخيراً فإن الوثيقة الدبلوماتية بشكل خاص من حيث الصياغة فلا يجوز تحريرها إلا وفقاً لشكل خاص مميز. ويضيف الإسكندر براتيزى أن هذه الشروط الثلاثة السابقة هى التى تميز الوثيقة الدبلوماتية عن غيرها من الوثائق الأخرى وبالتأكيد فإن هذه الشروط لا تجعل الوثيقة قابلة للشك والتزوير، وبالتالى فإن الوثيقة تكون مصدراً أساسياً للتاريخ باعتبارها شاهداً تاريخياً هاماً، لأن كاتب الوثيقة فى تلك الحالة لا يكون خاضعاً لميوله الذاتية والأيديولوجية مثل كتّاب الحوليات بل يكون دائماً خاضعاً لرقابة الجهة التى تصدر الوثيقة[1].

ويقوم علم الدبلوماتيك بدراسة الوثيقة الدبلوماتية من حيث الشكل، أى من الناحية الخارجية والداخلية، فالخصائص الخارجية للوثيقة Caratteri Estrinseci del Document تشمل على كل ما يتعلق بالمادة لهذه الوثيقة، سواء كانت تلك المادة هى البردى Papire أو الرق Pergamena أو غيرهما، بالإضافة إلى أن خصائص الوثيقة الخارجية تشمل أيضاً الحبر والخطوط بالإضافة إلى الأختام والتوقيعات Signum. أما الخصائص الداخلية للوثيقة Reterintrinseci del Document فهى الخصائص المتعلقة بمحتوى الوثيقة والتى تشمل لغة الوثيقة وصيغتها بالإضافة إلى ما تشتمل عليه الوثيقة من أفعال وشواهد تاريخية، وفى الواقع أن دراسة الخصائص الداخلية والخارجية للوثيقة تفيد الباحث فى الحصول على معرفة شاملة للواقعة القانونية مما

1- على، عبد اللطيف، الوثائق القومية - الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية، دمشق، وزارة التعليم العالى، 1979، ص 35.

يساعده على استخراج شاهد تاريخى حقيقى يساعد ليس فقط فى معرفة وقائع التاريخ العام فقط، بل أيضاً فى كل ما يتعلق بالتاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والقانونى واللغوى .

فالوثيقة الدبلوماتية تعتبر مرآة عاكسة لكافة القوانين والأعراف التى كانت سائدة خلال الفترة الزمنية التى تم بالفعل تدوين الوثائق بها، وعليه يمكن أيضاً تحديد الفترة الزمنية تقريباً والتى تم فيها تدوين الوثيقة بالفعل، حيث يتم ذلك من خلال فحص الوثيقة الدبلوماتية من أجل تعيين حد أدنى Terminus Ante Quem ليدل على الفترة الزمنية التى لا يمكن للوثيقة أن تكون قد تمت كتابتها قبلها، أما الحد الأعلى Termiuns Post Quem فهو الحد الزمنى الذى لا يمكن أن تكون الوثيقة قد كتبت بعده. وتساعد دراسة الأماكن والوقائع التاريخية كذلك الشخصيات البارزة بالإضافة إلى المفردات اللغوية وأشكال الصياغة التى ترد فى الوثيقة على سرعة تحديد الفترة الزمنية التى تم تدوين الوثيقة خلالها.

تصنيف الوثائق: Classificazione dei Documenti

إن تصنيف الوثائق الدبلوماتية إلى أنواع يدخل ضمن مجال علم الدبلوماتيك العام Diplomatica Generale فيقوم بدراسة الوثائق بصفة عامة دون التمييز بينها.

إن تصنيف الوثائق إلى أنواع يرتكز فى الواقع على ما تشتمل عليه الوثيقة من وقائع قانونية تتعلق بالقانون الخاص أو القانون العام، بالإضافة

إلى مصدر الوثيقة أو بمعنى آخر الجهة الصادرة عنها الوثيقة سواء كانت جهة رسمية حكومية أو موظف رسمى كالموثق Notary أو من جهة أخرى غير رسمية كالوثائق الصادرة عن القساوسة والإشراف والإقطاعيين Viscovi, Signerie, Feudali كما أن هناك تصنيفات أخرى للوثائق تعتمد بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً إلى معايير قانونية وتاريخية .

وتصنف الوثائق الدبلوماتية إلى :

1- الوثائق العامة : Decumenti Public :

وهى تشمل جميع الوثائق الصادرة عن ديوان رسمى Cancelleria لإرادة سامية كالأباطرة والملوك، وهذه الوثائق الديوانية تكون غالباً خاضعة لأسلوب معين، بالإضافة إلى صياغتها وأسلوب الكتابة وطريقة الخطة المتبعة تكون مميزة عن غيرها، وتشكل الوثائق العامة للقوانين Law والدساتير Costitutions والمراسيم Ordinence والوثائق الشرعية Conces-sions بالإضافة إلى الامتيازات Previleges وكافة ما يصدر عن السلطة العامة من وثائق تشريعية وإدارية وقضائية وسياسية[1] .

2- الوثائق الخاصة: Documenti Privati

وهى الوثائق الصادرة من خارج الديوان، وبالتالى فهى تختلف عن النوع الأول من حيث الأسلوب والصياغة أى من حيث الشكل بالإضافة إلى المحتوى القانونى للوثيقة.

1- الألوسى، سالم : الدبلوماتيك أو علم دراسة الوثائق ونقدها، مجلة الكتاب، ع 10، س8 تشرين الأول 1974، ص 78.

وتشتمل الوثائق الخاصة كافة السجلات والمستندات ذات الصفة الشخصية مثل التى خلفتها الأسر المالكة للأراضى كالإقطاعيين Feudali خلال القرون الوسطى فى أوربا، بالإضافة إلى الوثائق الصادرة عن القساوسة والنبلاء، ولكن الإسكندر براتيزى يرى أن الوثائق الصادرة عن طبقة النبلاء والإقطاعيين وكذلك القساوسة تعتبر وثائق شبه عامة[1] Docu-menti Semipublici وذلك لأنها صادرة عن جهة تعتبر ذات سلطة لها نفوذ خلال العصور الوسطى فى أوربا. إلا أنها مع ذلك تعتبر أقل من سلطة الديوان وعليه فإن الوثائق شبه العامة لا تخضع لأسلوب معين وصياغة محددة لأنها ليست صادرة عن سلطة لها مكتب خاص للإشراف ومتابعة تدوين الوثائق.

ويتفق كل من تيسي[2] Tessier وشيزار[3] Paoli وجيري[4] Giry على أن الوثيقة الخاصة هى الوثيقة الغير رسمية الصادرة عن هيئة غير حكومية خاصة بالأفراد وبالتالى فهى تكون متميزة من حيث الشكل والأسلوب وكذلك الصياغة عن الوثائق العامة بالإضافة إلى أنها ذات علاقة من حيث المحتوى بمواد القانون الخاص Diritte Private ويتبع فى دراسة الوثائق ونقدها المنهج التاريخى حيث تمر الوثائق من خلاله بثلاث مراحل رئيسية هي:

1- Pratesi, Alessandre: OP . Cit. PP . 28-29 .

2- Tessier , G. La Diplomatique. Paris. 1952 . P. 7.

3- Paoli, c. op. cit. p27 .

4- Giry, A. Manuale de Diplomatique, Paris. 1894. PP. 18-23.

أولاً: مرحلة التجميع:

في هذه المرحلة يتم تجميع الوثائق أو أصولها كما أنه يشترط ضرورة الإلمام بل الدراية التامة بفقه اللغة التى تم تدوين الوثيقة بها، كما يتطلب أيضاً معرفة تامة بأنواع الخطوط وأشكال الاختصارات اللغوية المستعملة فى الوثيقة.

ثانياً: مرحلة النقد:

وخلال هذه المرحلة يتم فحص الوثيقة سلباً أو إيجاباً وذلك من أجل إثبات صحة الوثيقة أو بطلانها، مع الاعتماد على فقه اللغة وذلك من أجل معرفة الاختصارات والتعابير اللغوية المستعملة أثناء تدوين الوثيقة.

ثالثاً: مرحلة التأويل:

وفيها يتم إعادة تنظيم الوقائع التاريخية من أجل إعادة تركيبها وعرضها من جديد لكى تكون مماثلة للواقع التى كانت قد حدثت فى الماضي، ويتضح القيام بهذه المرحلة فى إجراء الوثيقة ذاتها التى تنقسم إلى جزئين رئيسيين:

البروتوكول Protocolle ويطلق عليه الإشهاد أو الإعلان وينقسم البروتوكول بدوره إلى:

أ - **البروتوكول الافتتاحى** Protocolle Inizale ويشمل (البسملة، التعريف بالفاعل القانونى المخاطب، التحية Salute).

ب- البروتوكول الختامي Protocolle Finale ويشمل (علامات الصحة والإثبات كالأختام والتوقيعات وكذلك التاريخ Date Detazionetie الذى يشير إلى كل من Data Cronica الخاص بالفترة الزمنية Data Topica الذى يشير إلى مكان الوثيقة، ثم أخيراً الدعاء الختامى ويأتى ضمن الفقرات الختامية للوثيقة التى عادة ما تنتهى الوثائق اللاتينية بكلمات Amen أو Feliciter وأحياناً معاً.

ج- النص: Teste : ويتحدد النص وفقاً للطبيعة القانونية للوثيقة، لهذا يوجد اختلاف أو تميز ما بين نصوص الوثائق وفقاً لأشكالها العامة وكذلك موضوعاتها ويطلق على النص البنود أو الفصول[1]

ويتضمن النص «المداخل، العرض، موضوع التصرف».

ويعتمد علم الوثائق على العلوم المساعدة Auxiliary Sciences فى دراسة الوثائق ونقدها من أجل الوصول إلى الحقيقة ومن بين هذه العلوم يمكن الإشارة إلى بعض منها بإيجاز وهي:

أ- علم اللغة Philology:

يعتبر الإلمام بل والدراية التامة بفقه اللغة التى تم تدوين الوثيقة المراد دراسته بها فى تبرير الأمور الهامة والأساسية من أجل التعابير والمعانى بالإضافة إلى الاختصارات اللغوية وأن معرفة ذلك يساعد الباحث بسهولة الوصول إلى معرفة تسلسل الأحداث زمنياً Cronologia الواردة ضمن الوثائق المراد دراستها .

1- العسكري، فهد إبراهيم : عرض لطبيعة ووضع الوثائق الرسمية فى المملكة العربية السعودية، مكتبة الإدارة، مج 13، ع1، أكتوبر 1985، ص 176.

ب. علم الباليوغرافيا Paleiografia :

هى علم دراسة الكتابات القديمة أو دراسة الخطوط أو النقوش القديمة، إن معرفة قراءة الخطوط التى تم بها تدوين الوثائق التاريخية يساعد فى معرفة الفترة الزمنية التى ترجع إليها الوثيقة، هذا يساعد أيضاً بدون شك على فك رموز الوثائق بالإضافة إلى معرفة المواد التى كانت تستخدم فى تدوين الوثائق سواء كانت بردى - خشب - جلود - شمع . . إلخ. وقد ساعد علم دراسة الخطوط أو الباليوغرافيا بدراسة بعض الوثائق دراسة تحليلية نقدية من أجل التأكد من صحة أو بطلان بعض الوثائق[1] وقد استطاع بعض الباحثين الوصول إلى التأكد من صحة بعض الوثائق التى كانت يدور حولها كثير من الجدل ومن هؤلاء الأب البولندى دانييل فان بيبنبروك Daniele Van Papen-broeck الذى أشار فى مقدمة كتابه Acta Sancterum الذى صدر فى Anver-sa عام 1975م. إلى أن أغلبية الوثائق القديمة والمحفوظة فى دير الرهبان بفرنسا تعتبر مزورة وغير حقيقية، خاصة الوثائق المحفوظة فى دير سانت - دنييس Saint Denis .

جـ. علم دراسة الأختام Sigillography:

يهتم هذا العلم بدراسة كافة الأختام والتوقيعات والإمضاءات التى تمر بها الوثائق غالباً، كما أنه يهتم بمعرفة مواد الأختام المستعملة سواء كانت تلك الأختام من المعادن كالذهب أو النحاس أو مواد أخرى كالشمع. إن

1- Battelli, Giulie: Lezioni di Paleografia. 3ed Roma, citta del Vaticano. 1949. P.12.

الوصول إلى معرفة الرموز والإشارات والكتابات والرسومات المحفورة على الأختام يساعد الباحث على تحديد بل ومعرفة الفترة الزمنية التى تم تدوين الوثيقة خلالها.

د. النقود والمسكوكات Numismatics:

علم النقود يساعد الباحث فى الحصول على معلومات تاريخية هامة، وأن صورة الملوك والأباطرة تساعد الباحث فى معرفة أسمائهم بالإضافة إلى معرفة المدن التى تم فيها سك النقود، أما الرسومات التى توجد محفورة على النقود والتى تمثل غالباً شعار البلاد كنبات السلفيوم[1] الذى اتخذ فى فترة زمنية شعاراً لبرقة، يساعد أيضاً فى معرفة الحالة الاقتصادية فى البلاد بالإضافة إلى معرفة أسعار السلع التجارية.

هـ. الرنوك Heraldry:

الرنوك هى عبارة عن العلامات والشعارات المميزة التى تظهر عادة على الدروع والأعلام والأختام والملابس[2]

إن الإلمام بل الدراسة التامة للعلوم المساعدة الأخرى والتى لم نتناولها فى هذا البحث، ومنها على سبيل المثال علم الآثار القديمة Archaeology وعلم النقوش Epigraphy والجغرافيا، علم النفس، الاقتصاد والسياسة

1- Narducci, G. La Colonizziene della cirenaica. Bengasi. Fratelli Pavono 1934. P.50.

2- حلاق، حسان: العلوم المساعدة للتاريخ، مجلة تاريخ العرب والعالم، مج 6، ع66 - 69، إبريل - يوليو 1984، ص 76.

والاجتماع Sociology الأنثروبولوجى Anthropology وكذلك الببليوجرافيا Biblography كل هذه العلوم المساعدة تجعل المؤرخ يستطيع الكشف عن كافة الوقائع التاريخية من خلال دراسة الوثائق ونقدها.

إن أهمية الوثائق التاريخية تكمن ليست فقط باعتبارها مصدراً هاماً فى كتابة التاريخ، بل أيضاً مصدراً أساسياً فى تطوير وتنمية المراكز التاريخية فى المدن[1]

إن الحفاظ على سيمات المدن الأثرية أصبح مظهر حضارى تحرص كل الدول فى العالم على التمسك به، فبدون السجلات والخرائط وكافة الرسومات الأخرى التى توجد محفوظة فى دور الأرشيف أو دور الوثائق القومية أو المحلية أو لدى بعض الأسر الإقطاعية، إن تلك الوثائق يجب حمايتها من أجل الاعتماد عليها فى تطوير وبناء المدن.

وأخيراً فإننى أرى ضرورة الاهتمام بتجميع الوثائق الخاصة بأمتنا العربية والتى لازالت للأسف - توجد مبعثرة بين دور الأرشيف فى العالم.

1- هاراشي، ت: الوثائق وتنمية المدن. ترجمة وعرض محمد الغزالى عبد الله، مكتبة الإدارة، مج 11، ع 1محرم 1414هـ - أكتوبر 1983، ص 176.

مصادر تاريخية ليبية
فى أرشيف نابولي

يمكن القول أن موقع ليبيا جعلها حلقة وصل وليست فصلاً بين الدويلات البحرية ودواخل القارة الأفريقية بالإضافة إلى السيطرة على حركة الملاحة التجارية مما جعل طرابلس وبنغازى تعتبران من أهم الموانيء التجارية على البحر المتوسط منذ مجئ الفينيقيين إلى ليبيا وحتى ما قبل سقوط الأسرة القره مانلية رغم حالات الركود التى كانت تصيب النشاط التجارى فى بعض الأحيان.

وفى الواقع أن حركة الملاحة التجارية بين ليبيا والدويلات الإيطالية البحرية كانت مزدهرة منذ القرن السابع حيث يشير الجغرافى الكبير الإدريسي[1] إلى الموانئ الإيطالية الصقلية التى كانت تزدحم بالسفن التجارية القادمة من طرابلس، فقد كان ميناء تشاكا بصقلية من أشهر الموانئ المزدحمة فى ذلك الوقت بالسفن التجارية القادمة من الشمال الأفريقي.

1- Amari. Michele. Biblioteca Arabo - Sicula. 1 . Torino. 1881 . P. 78 .

وقد ازدهرت حركة الملاحة التجارية ما بين ليبيا ومملكة الصقليتين خلال القرنين 14، 15 حيث عقدت نابولى فى عهد الملك فرديناندو معاهدة تجارية عام 1477م. مع طرابلس بموجبها أصبحت ليبيا تصدر إلى مملكة الصقليتين بعض البضائع منها المواشى، الجلود، الحبوب، وكذلك التبر، وريش النعام وغيرها من البضائع التى كانت تأتى إلى طرابلس من دواخل الصحراء الأفريقية بواسطة تجار القوافل الذين كانوا يتخذون من الواحات الليبية مراكز تجارية هامة.

ومع ازدهار النشاط التجارى ما بين البلدين جاء إلى البلاد كثير من التجار التابعين للدويلات الإيطالية بالإضافة إلى بعض الجاليات اليهودية التى استوطنت البلاد فى ما بعد وذلك لغرض مزاولة الأعمال التجارية حيث قاموا بإنشاء وكالات تجارية فى أهم المدن الليبية مما جعل التجار الليبيين يقومون باختيار سماسرة فى الدويلات الإيطالية خاصة ليفورنو، البندقية وبيزا[1]، وذلك من أجل مزاولة الأعمال التجارية نيابة عنهم فى البلدان الأجنبية.

ويبدو من الوثائق المحفوظة فى معظم تلك الدويلات[2] السابقة أن اشتداد قوة السفن الطرابلسية التى كانت تقوم بشن الهجمات المتتالية على السواحل الإيطالية، أدى بتلك الدويلات إلى ضرورة التعاون فيما بينها من أجل التصدى لسفن الأسطول الليبي، وبالرغم من أن معظم محاولات تلك

1- Amari, Michele. OP. cit p. XXV.

2- لازالت عواصم تلك الدويلات تحتفظ بالوثائق الخاصة بها، عندما كانت مملكة أو دوقية قبل الوحدة الإيطالية 1861م.

الدول كان مصيرها الفشل لكن إصرارها على التصدى قادها فى النهاية إلى إعلان الوحدة الإيطالية عام 1861م. فيما بينها مما جعلها تسيطر على البحر المتوسط بعد أن اختفت السفن الطرابلسية من حوض البحر تحت ضغط بريطانيا وفرنسا حيث استطاعت كلتاهما أن تجبر الباشا بالموافقة على إلغاء الجهاد البحرى أو ما يعرف أوربياً بالقرصنة البحرية، ثم مضايقته الاقتصادية وحرمانه سنة 1816م. من عوائد تجارة القوافل التى كانت تعتبر أهم المصادر الاقتصادية للبلاد، وبانقطاع الموارد المالية التى كانت للبلاد، أصبحت الحالة الاقتصادية فى البلاد تزداد سوءاً يوماً بعد يوم مما ساعد على انتشار حالة التذمر والفوضى بين الأهالى مع فرض المزيد من الضرائب بواسطة الأتراك، فقامت الثورات الداخلية ضد الحكام فكانت ثورة غومه المحمودى وثورة عبد الجليل سيف النصر مما جعل الأتراك يحاولون إخماد تلك الثورات بكل قسوة ووحشية[1]

كما تثبت بعض الوثائق أن أشهر الرياس الذين كانوا يتولون قيادة الأسطول الطرابلسى كانوا من بين المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام[2] وقد

1- كان من بين الأساليب الوحشية قطع رؤوس الثوار ضد الباشا حيث تعرض على الأهالى أمام القلعة بطرابلس، كما كانوا يقومون بوضع طاسة نحاسية على رأس الثائر بعد أن تحمى فى النار لمدة طويلة. أما أسهل الأساليب قسوة فهى تقوم على إرسال الثوار الليبيين إلى المنفى فى تركيا، وبالتالى للاشتراك فى حروب الإمبراطورية ضد أعدائها مثل الحرب التركية الروسية وكذلك الحرب التركية اليونانية - للمزيد انظر مراسلات قنصل توسكانة بطرابلس المحفوظة فى أرشيف ليفورنو كما تشير الوثائق التالية:

A. S. L. F. Governatore. F. N. 204 Doc. N. 7-10 .

A. S. L. F. Governatore. F. N. 443 Doc. N. 4.

2- كان الرايس مراد مسيحياً يدعى أوغسطينى بياناكو من مواليد ليجوريا أحد أقاليم إيطاليا، قبل أن يعتنق الإسلام .

استطاعوا فرض قوتهم حيث كانوا يقومون بشن الهجمات ضد سفن الأعداء ليس فقط فى حوض البحر المتوسط بل فى أماكن أخرى متعددة مثل الرايس مراد[1] الذى كان اسمه يثير الرعب بين قباطنة السفن الأجنبية.

وتعكس لنا الوثائق المحفوظة فى أرشيف الدولة بنابولى العلاقات السياسية والاقتصادية كذلك الاجتماعية ما بين ليبيا ومملكة الصقليتين خلال الفترة الزمنية 1739-1860م.

وقد حصل مركز الجهاد ضد الغزو الإيطالى بطرابلس على بعض الوثائق[2] حيث يقوم حالياً بترجمتها إلى اللغة العربية وذلك من أجل تسهيل مهمة الباحثين والدراسين للاطلاع عليها فى المركز، وإذا ما تتبعنا الترتيب الذى وضعه Teobaldo Filesi عندما قام بوضع قائمة لجميع الوثائق الخاصة بطرابلس[3] نجد أن تنظيم الوثائق يسير وفق لأرقام متسلسلة، حيث وضعت كل مجموعة من الوثائق الخاصة بفترة زمنية محددة فى ملف خاص بها ولكن للأسف نجد أرقام بعض الملفات تقفز فجأة، بالنسبة للفترة الزمنية التى تمثلها بعض الملفات، لذلك يجب على الباحث الذى يرغب فى الاطلاع على تلك الوثائق ألا يكتفى بالترتيب الذى وضع فى حفظ تلك الوثائق بل

1- كان كل من الرايس مراد والرايس زريق يعتبران من أشجع الرياس فى الأسطول الطرابلسى حيث كانا يقومان بشن هجماتهما فى المحيط الأطلسى بالقرب من لشبونة ولندن كما تشير مراسلات قنصل توسكانة المحفوظة بأرشيف ليفورنو .

2- A. S. L. F. Governatore. F. N. 833 Doc. N. 53-95 . 54-97

3- لم يتحصل مركز جهاد الليبيين ضد الطليان إلا على الوثائق الخاصة للفترات الزمنية التالية :

1742-1743-1744-1745-1746-1747-1825 - 1828 - 1828 - 1829 - 1830 - 1831 -

.1832 - 1833 - 1834 - 1835 -1836 - 1837 - 1838 - 1839 - 1840 - 1841

عليه أن يعتمد على نفسه وذلك بالتقريب بين الملفات الأخرى والخاصة بعلاقة نابولى بالدول الأخرى خاصة دويلات الشمال الأفريقي.

وإذا ما حاولنا الاعتماد على التسلسل الذى يورده Teobaldo Filesi (1) فنجده يبدأ بالملف 3045 الذى يشمل الفترة الزمنية الممتدة من 1741-1743م. وهكذا تستمر أرقام الملفات بالتسلسل حتى تصل إلى الملف 3072، الذى يشمل الفترة الزمنية الممتدة من 1858-1860م، ثم يقفز رقم الملفات إلى 3253 الذى يوجد فيه وثائق حول تعيين قناصل طرابلس لدى مملكة الصقليتين منذ 1790-1817م، وبعد هذا الملف نجد ملف 4175 والخاص بالفترة 1742-1745م. وفيه وثائق تتناول بالتفصيل زيارة مصطفى بى درنه المبعوث الخاص لباشا طرابلس إلى البلاط الملكى بنابلى، كذلك نجد فيه بعض الأمور المتعلقة بالأسرى المسلمين بنابلى بالإضافة إلى رد الملك كارلو على رسالة أحمد القره مانلي.

أما الملفات الخاصة بالمعاهدات التى أبرمت ما بين ليبيا ومملكة الصقليتين فهى تحمل الأرقام التالية: 4415,4413,4412,4411,4410، حيث توجد كافة التفاصيل الهامة للمعاهدات والبنود التى تم التوصل إليها بين الطرفين محفوظة فى الملفات السابقة مع بعض الوثائق الأخرى التى لها علاقة بالحالة الداخلية للبلاد.

أما عن الحالة الاقتصادية فيوجد ملف خاص بها يحمل رقم 5258 يشمل جميع المراسلات التى تشير إلى الحالة الاقتصادية فى البلاد

1- Filesi Teobaldo. Tripoli Nel Archivi Publici della Campania E In Particolare l' Archivio stato di Napoli Original 1922 Vol. 3.EJ. Brill, Leiden, 1973 . PP. 219 - 240 .

بالإضافة إلى العلاقات التجارية بين ليبيا ومملكة الصقليتين خلال الفترة 1848-1853م.

وهكذا نجد أن أرقام الملفات للفترات الزمنية لا تسير وفقاً للنسق الثابت فهى أحياناً تقفز من رقم إلى عدد من الأرقام وكذلك بالنسبة للفترة الزمنية، كما يلاحظ فى ترتيب الملفات وتحديد الفترات الزمنية لكل منها فى أرشيف نابولى الذى لا يختلف تنظيمه عن أى أرشيف آخر فى المدن الإيطالية الكبرى[1] مثل البندقية، روما، ليفورنو، وبيزا وغيرهما أن عدد الوثائق المحفوظة بها يتقلص أحياناً حتى يكاد يتلاشى فى بعض السنوات وكما يرى البعض أن السبب فى تلاشى أو نقصان أعداد الوثائق أحياناً يرجع إلى توتر العلاقات السياسية بين البلدين الذى غالباً ما يؤدى إلى قطع العلاقات السياسية وبالتالى التجارية ما بين البلدين مما يبرهن على أن الوثائق تعتبر شواهد تاريخية لجميع الأحداث التى تطرأ فى الواقع، فهى تعكس بكل صدق تلك الأحداث التاريخية سواء كانت سياسية أو اقتصادية لكل الطرفين ففى تلك الوثائق نجد بنود المعاهدات التجارية والسياسية، وكذلك حركة الملاحة التجارية فى الموانئ الليبية بالإضافة إلى تبادل القناصل والسفراء بين ليبيا ونابولي.

ويشمل ملف المعاهدات خلال الفترة 1739-1747م. ، معاهدة السلام والصداقة بين البلدين التى تم التوقيع عليها فى 1741/6/3م. وهى تعتبر من أهم المعاهدات التى تمت فى عهد الباشا أحمد القره مانلى والملك كارلودى باربونى الثالث حيث ساعدت على تبادل السفراء والقناصل بين البلدين

1- لقد أمضيت مدة عام بأرشيف ليفورنو، روما وبيزا أثناء إعداد أطروحة دراساتى العليا هناك.

وأصبح بذلك رانيرو بيجاني Ranireo Bigani القنصل المقيم لمملكة الصقليتين بطرابلس، أما الباشا أحمد القره مانلى فاكتفى بإرسال مصطفى بيّ باعتباره سفيراً لطرابلس للقيام بزيارة رسمية إلى نابولي، ولكن بالرغم من الزيارات الودية المتبادلة ما بين البلدين فإن تلك المعاهدات قد تعرضت إلى مشاكل أدت إلى انقطاع العلاقات الودية ما بين الطرفين بسبب تعرض غليون قراصنة طرابلسي للأسر على سواحل كالابريا مما أدى إلى غضب الباشا الذى سارع إليه الوزير فوسكى لترضيته وبالتالى التوصل معه إلى توقيع معاهدة صداقة أخرى فى 1745/4/11م، ولكن ثورة الجند على الباشا فى 1747/4/16م، أدت إلى إلغاء تلك المعاهدة حيث استطاع الجند إجبار الباشا على القيام بإعلان الحرب ضد نابولى من أجل ترضية القراصنة الطرابلسيين الذين كانت المعاهدة السابقة ضد رغبتهم لأنها تحرمهم من شن الغارات على السفن التجارية التابعة لمملكة الصقليتين فى البحر المتوسط وبالتالى حرمانهم من الغنائم التى كانوا يعودون بها إلى ميناء طرابلس. وإذا ما تناولنا وثائق العلاقات السياسية والاقتصادية ما بين ليبيا ومملكة الصقليتين التى توجد محفوظة فى أرشيف نابولي، نجد وثائق الفترة 1742-1747م، والتى كان راينيروا بيجانى يشغل فيها منصب قنصل مملكة الصقليتين فى طرابلس من أهم الوثائق لأنها تحتوى على جميع المعاهدات التى أبرمت ما بين البلدين عكس وثائق المعاهدات التى كانت قد أبرمت فيما بعد مثل المعاهدة التى أبرمت فى 1785/8/28 بعد وساطة سولار قنصل أسبانيا الذى استطاع أن يلعب دوراً هاماً فى إتمام معاهدة السلام الليبية الأسبانية التى عقدت ما بين البلدين فى 1784/9/10م. قبل معاهدة السلام التى عقدت ما بين طرابلس

ونابولى مما أتاح للمسئولين فى مملكة الصقليتين الاستفادة من المعاهدة الليبية الأسبانية[1] بعد أن كانت قد اشتركت فيها نابولي .

وقد أدت معاهدة 1785م. بين طرابلس ونابولى إلى تحسن فى العلاقات السياسية حيث قام محمد بن خوجة سفير الباشا بزيارة إلى نابولى 1789م. من أجل توطيد أواصر الصداقة مع مملكة الصقليتين .

وقد تولى القنصل الأسبانى سولير منصب القنصل لمملكة الصقليتين بطرابلس وتشير مراسلاته إلى الصراع الدموى ما بين الأسرة القره مانلية من أجل الاستيلاء على السلطة وذلك الصراع الذى أدى إلى خيانة يوسف القره مانلى الذى استطاع قتل أخيه حسن فى 1790م. أما مراسلات هانمر وارنجتون قنصل بريطانيا الذى لعب دوراً هاماً وخطيراً أثناء توليه لعمله فى طرابلس فقد تولى القيام بأعمال قنصلية مملكة الصقليتين، وقد قام بمساعيه عند الباشا يوسف القره مانلي مما جعل الباشا يوافق على عقد معاهدة 1816م. التى كان من بين بنودها الرئيسية ما ينص على تعطيل بعض أنواع التجارة، وحرمان البلاد من مواردها .

وقد تولى منصب القنصل لمملكة الصقلتين كروشيللو الذى وصل إلى طرابلس 1827/5/22م، فى إعادة العلاقات الودية بين البلدين 1829م، بعد النزاع الذى أدى إلى وصول الحملة العسكرية النابوليتانية[2] إلى طرابلس

1- دى ايبالسا، ميكال : معاهدات السلم الأولى الأسبانية الليبية المعقودة 1784 (1198هـ) . م ترجمة طه إدريس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1980، ص 23 .

2- Paladino, G. La Spedizione della Marina Napoletana a Tripoli. Nel 1828, in Rivista delle Colonie Italiane, III. 1929 . PP. 909 - 924e 1003 - 1014 .

1828/8/22م، بقيادة الفونسو سوزى كارافا وذلك بسبب النزاع الذى نشب بين البلدين بعد رفض فرانشيسكو الأول مطالب الباشا يوسف القره مانلى مبلغ 25.000قرش مما أدى إلى توتر العلاقات بالرغم من مضاعفة المساعى التى كان يقوم بها القنصل الإنجليزى هانمر وأرنجتون وقنصل مملكة الصقليتين كروشيللو من أجل تسوية النزاع مع الباشا يوسف الذى كان مصراً على عدم التنازل عن مطالبه.

وعندما فشل قائد الحملة الفونسو سوزى كارافا بالرغم من تدخل القنصل الإنجليزى والقنصل كروشيللو لإيجاد حل وسط لتسوية النزاع مع الباشا يوسف الذى رفض التفاوض بخصوص المال الذى كان يصر على المطالبة به من نابولى، حينئذ أمر قائد الحملة العسكرية النابوليتانية السفن الحربية بقصف طرابلس فى يوم 1828/8/26م، وقد استمر القصف إلى ليلة 1828/8/29م عندما انسحبت سفن الحملة النابوليتانية التى كانت تتكون مما يلي:

(1) الفرقاطة لاسيرينا بقيادة سوزى كارافا.

(2) الفرقاطة إيزابيلا بقيادة رافائيلو دى كوزا.

(3) الفرقاطة كريستينا بقيادة سافيريو جاروفاللو.

(4) الطرادة الأمير كارلو بقيادة فينشينزو ليتيسيرى.

(5) السفينة ليونى «الأسد».

(6) السفينة تارتارو «الجحيم».

(7-8-9) مدمرة + 8 قوارب مزودة بمدافع بقيادة فريدريكو روبيرتي.

(8) الزورق لامب، بقيادة اكتافيو تركيارو .

ويبدو أن انسحاب الحملة العسكرية النابوليونية يرجع إلى صمود البحرية الليبية وبالتالى مدينة طرابلس للقصف الهمجى الذى قامت به سفن تلك الحملة لمدة ثلاثة أيام متوالية بالإضافة إلى حالة البحر التى جعلت من الصعب جداً على السفن الحربية النابوليونية تصويب قذائف مدافعها إلى ميناء طرابلس، كل ذلك جعل نابولى توافق على مطالب الباشا يوسف بعد تدخل القنصل الفرنسى الذى استطاع إيجاد تسوية للنزاع القائم بين البلدين بعد موافقة الباشا يوسف القره مانلى على عقد معاهدة صداقة فى 1828/10/277 مع نابولى بعد أن قامت نابولى بدفع 20.000 قرش للحصول على موافقته وإعادة العلاقة الودية معها .

وتعتبر الفترة الممتدة من 1830-1835 من الفترات الصعبة التى أدت إلى سقوط حكم القره مانليين فى طرابلس مع ازدياد النفوذ الفرنسى فى الشمال الأفريقى بعد أن استطاعت فرنسا احتلال الجزائر[1] بواسطة الجنرال برومونت مما جعل طرابلس تسارع إلى عقد معاهدة صداقة مع فرنسا فى 1830/8/11 وذلك لتجنب هجوم فرنسى مفاجئ على طرابلس كما حدث للجزائر من قبل، كما تكشف وثائق تلك الفترة محاولات انجلترا تحريض الباب العالى على التدخل فى بسط حمايته على طرابلس ومنع فرنسا من توسيع رقعة نفوذها فى الشمال الأفريقي .

---

(1) لقد قام الدى الحسين فى 5 يوليو 1830 بالتوقيع على تسليم مدينة الجزائر للقوات الفرنسية بقيادة الجنرال برومنت Bourmont .

وتشمل وثائق الفترة الممتدة ما بين 1835 إلى 1860م، جميع الكوارث التى أصيبت بها البلاد مثل المجاعة وانتشار الأوبئة كالطاعون الذى أدى انتشاره فى البلاد خلال 1836-1837م، إلى وفاة كثير من الأهالى ورجال الحامية التركية فى البلاد.

كما تشير أغلبية وثائق تلك الفترة إلى ازدياد التذمر والسخط بين الأهالى ضد الأتراك مما أدى إلى اندلاع الثورات الداخلية، كذلك إلى أسلوب القسوة الذى كان قد اتبعه الأتراك فى إخماد نيران الثورة فى البلاد[1] حيث اتبع الحكام الأتراك أسلوباً قاسياً فى التنكيل بزعماء البلاد[2].

ومن الوثائق الخاصة بالناحية الاقتصادية فى طرابلس، نجد أن تشجيع المشاريع الأجنبية فى البلاد مثل السماح للتجار الأجانب باتخاذ طرابلس مركزاً تجارياً لمزاولة نشاطهم جعل البلاد تعتمد على المبادلات التجارية مع دويلات البحر المتوسط، بالإضافة إلى اعتمادها على تجارة القوافل التى كانت تأتى للبلاد من دواخل أفريقيا بالطرق المعروفة التى كانت تربط معظم الواحات الداخلية بالمدن الساحلية. وقد كانت تجارة القوافل وفقاً للوثائق المبعثرة هنا[3] وهناك، مصدراً اقتصادياً هاماً للبلاد خاصة بعد إلغاء الجهاد البحري.

1- انظر الملف II. F. 3068 الرسالة المؤرخة فى 1842/6/10م، التى تشير إلى قتل الثائر عبد الجليل سيف النصر - أرشيف نابولى.

1- انظر الملف II. 3068 الرسالة المؤرخة فى 1858/4/3م، حول موت غومة المحمودى - أرشيف نابولي.

3- Toschi, Paolo Le Fonti Storiche della Tripolitania . Airoldi. Tripoli . 1934 . P.42.

كمـا أن ازدهار النشـاط التـجـارى فى البـلاد أدى إلى هجرة كـثيـر من اليهود[1] إلى البلاد، حيث استطاعوا احتكار التجارة فيما بينهم، وكان من بين البضائع التجارية التى كـانت تصدرها ليبيا من موانئ طرابلس وبنغازى كل المنتجـات المحليـة اليـدوية والمواشى وجلودهـا بالإضـافـة إلى الزيت والحبوب ثم بضائع تجارة القوافل وهى ريش النعام والعـاج بالإضافة إلى التبر وأنواع أخرى من البضائع.

وتشير الوثائق المحفوظة بأرشيف نابولى ولفورنو إلى ازدياد حالة البلاد الاقتصادية سوءاً بعد الإجراءات الدولية التى اتخذتها ضد تجارتها، وخاصة بعد عام 1855م.

1- وقد بقيت الجـاليات اليـهودية القـادمـة إلى البلاد من المدن الإيطاليـة تحتكر التـجـارة حتى تم طردها نهائياً بعد حرب 1967م، حيث عادت إلى مواطنها الأصلية للاستمرار فى مزاولة التجارة بالمدن الإيطالية مثل : روما - ليفورنو وغيرها.

حلول لبعض مشاكل الحصول على الوثائق وتيسير استخدامها

لا تلعب الوثائق دوراً هاماً فى مجال البحث العلمى فقط كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، بل أن أهمية الوثائق تشمل كافة المجالات الأخرى، لما لها من أهمية فى تنمية المجتمعات بصفة عامة، لكونها تعكس فى الواقع خبرات سابقة مرت بها مجتمعات أخرى فى مسيرتها نحو التقدم يتطلب الاعتماد عليها أثناء القيام بتخطيط أى مشروع بالمجتمع، لهذا فلا يجب النظر إلى أهمية الوثائق من ناحية واحدة فقط سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الاقتصادية أو السياسية، لأنها فى الواقع تساعد فى معرفة تاريخ المجتمع الاجتماعي، والاقتصادى . . . إلخ. فهى مرآة عاكسة لكل ما كان قد حدث فى المجتمع، أى أنها تمثل نتاجاً لمؤسساته المتعددة «هيئات أو إدارات أو قطاعات المجتمع المختلفة»، فالوثيقة تمثل التراث القومى للمجتمع، فلا يمكن لأى مجتمع معرفة مكانته فى التاريخ بدون وثائق، لذلك نجد فى عصرنا الحاضر أن أغلبية المجتمعات قد تنبهت إلى أهمية الوثائق وبصفة خاصة كل ما يتعلق بتاريخها. فأصدرت التشريعات «القوانين» التى يتم بموجبها جمع الوثائق وتذليل كافة الصعوبات والمشاكل

التى تعترض طريق الحصول عليها. لذلك فسوف أتناول فى هذه الورقة بعض مشاكل الحصول على الوثائق، وذلك باقتراح حلول قد تساعد فى الحصول على الوثائق وتيسير استخدامها، وبمعنى آخر الاستفادة من الوثائق وتسهيل تداولها بين المستفيدين.

ما هى الوثيقة؟

يعرف البعض الوثيقة بأنها عبارة عن نص مكتوب أو منقوش على الحجر أو الجلد أو الورق... إلخ.

وهذا التعريف ينطبق على الوثيقة العادية، أما الوثيقة الدبلوماتية فهى عبارة عن مستند مكتوب يمثل واقعة أو فعلاً قانونياً[1]. أما لفظ وثيقة فى اللغة العربية فهو لفظ غير محدد المعنى إذ يطلق على المستند المكتوب قانونياً كان أو غير قانوني، مما يجعله يشمل الوثيقة الدبلوماتية والوثيقة العادية. أما الأستاذ براتيزي[2] فقد ذكر شروطاً رئيسية ثلاثة يجب توفرها فى الوثيقة الدبلوماتية لتمييزها عن غيرها من الوثائق.

وأول هذه الشروط، أن تكون الوثيقة مكتوبة أما الثانى فيتناول غرض الوثيقة بحيث يجب أن تكون الوثيقة لإثبات واقعة أو فعل قانوني، أما

1- Garzanti, A. Dizionario Garzanti della Lingua Italiana. 17 Ed. Milano . A. Garza - Inti. Edit. 1979. P. 566 .

2- Pratesi, Alessandro . Elementi di Diplomatica Generle. Bari, Adriatica Editrice, 1972 . p.6.

الشرط الأخير فهو أن يتم تحرير الوثيقة وفقاً لشكل معين متميز من حيث الصياغة، ثم يضيف الأستاذ براتيزى مؤكداً أن الإيفاء بهذه الشروط يجعل الوثيقة غير قابلة للشك أو التزوير، ومن ثم فإن توافر تلك الشروط يجعلها مصدراً أساسياً فى كتابة التاريخ.

كما يمكن تعريف الأرشيف[1] ، بما يحتوى عليه من الوثائق التى تشمل المستندات القانونية والغير قانونية سواء كانت مخطوطة باليد أو مطبوعة وكذلك النسخ المنقولة عن الأصل، وفى الأرشيف الورقى تمثل المخطوطات المكتوبة باليد الجانب الأكبر من مجموعات الوثائق، وعلى كل حال فإن لفظ الوثيقة الأرشيفية لا يطلق إلا على بعض الوثائق من أجل تمييزها عن البقية، فالوثيقة الأرشيفية تتميز عن الوثيقة العادية لكونها تحفظ فى مكان يحدده القانون خاصة أنها قد صدرت عن هيئة «إدارة» حكومية أو مؤسسة ذات اعتبار، كما أن الوثيقة الأرشيفية تختلف عن الوثيقة العادية من حيث النشأة الطبيعية وليس بطريقة اصطناعية، كما تتميز الوثيقة الأرشيفية بالإضافة إلى ما سبق بصفة عدم التحيز أى أن كل وثيقة تمثل جزءاً من سلسلة الوثائق التى أنتجتها إدارة ما فهى حيادية غير متحيزة.

1- ينقسم الأرشيف الورقى إلى نوعين هما: الأرشيف الميت الذى يشتمل على كافة الوثائق «الأوراق» للإدارات «المؤسسات» التى تم إلغاؤها نهائياً، ومن ثم فهى قد توقفت عن مزاولة نشاطاتها، وبالتالى فلم تعد هناك وثائق عنها. أما النوع الثانى فهو الأرشيف الحى ويشمل كافة الأوراق «الوثائق» أو المحفوظات التى تعكس نشاطات وأعمال المؤسسات المختلفة «الإدارات» بالمجتمع، والتى مازالت تمارس عملها فى الواقع، ويطلق على هذا النوع من الأرشيف، اسم الأرشيف الجاري.

كما أن الوثيقة الأرشيفية بصفة أخرى وهى تعتبر صحيحة بحيث أن محرر الوثيقة لا يستطيع اختلاق موضوعها كما يفعل مؤلفو الكتب مثلاً، وذلك من أجل تلبية رغبة مسؤول ما، أما الصفة الأخيرة كما يورد جنكسون[1] فإن الوثائق الأرشيفية تتميز بالعلاقة فيما بينها.

إن هذه الصفات التى أوردها جنكسون فى الواقع تساعد الوثائقيين على إدراك الاختلاف بين الوثيقة الأرشيفية العادية، ومن ثم يمكن الاستفادة من معرفة تلك الصفات فى تجميع وتنظيم الوثائق الأرشيفية، خاصة وأن مبدأ الأصل الذى يتبعه الوثائقيين فى ترتيب الوثائق لا يتعارض مع تلك الصفات المتميزة التى أوردها جنكسون كما ذكرت. فالجهة أو الشخص الذى يقوم بمهمة تجميع الوثائق يجب أن يراعى تلك الصفات للوثيقة الأرشيفية، خاصة وأن مبدأ الأصل يشترط ضرورة اتباع النظام الذى كانت الوثائق مرتبة عليه بالمؤسسة «الإدارة» التى جلبت منها، فالترابط والتماسك والتسلسل فى تكوين الوثيقة الأرشيفية يجعلها ذات أهمية خاصة وأن أهميتها لا تكمن فقط فى تماسكها وترابطها، بل أيضاً فى تسلسلها بالمجموعة الأرشيفية «Archives Group» التى تنتمى إليها الوثيقة، ذلك أن الوثيقة بمفردها خارج المجموعة لا تعتبر ذات أهمية غالباً .

وبناءً على ما سبق يمكن تقسيم محتويات الأرشيف الورقى إلى :

أ- المجموعة الأرشيفية:

وهى كما ذكرت الوثائق التى تتميز فيما بينها بالترابط والتماسك، وهذه الوثائق «المجموعة الأرشيفية» عبارة عن نتاج لإدارات اعتبارية

1- Hodson, J. H. The Administration of Archives . Oxford. Pergass, 1972 . P. 3

«وزارة-شركة-الخ» وهذه الوثائق تعطى صورة حقيقية لمناشط الهيئة أو الوزارة التى أنتجتها إذا ما تم المحافظة على مبدأ الأصل Principle of Provenance فى ترتيبها الذى كان معمولاً به خلال نشأتها الطبيعية فى المؤسسة أو الإدارة التى انتجتها .

ب- الوثائق الخاصة:

وتشمل الوثائق التى تعود لملكية الشخصيات البارزة فى المجتمع، وهذه الوثائق لا يوجد بينها أى نوع من الترابط أو التماسك .

جـ- الوثائق المتنوعة:

وتشمل الوثائق التى تتناول موضوعات متعددة متمايزة فيما بينها بحيث لا يوجد بينها أى ترابط عضوى خاصة أنها عبارة عن وثائق مختلفة تمثل نتاجاً لعدة إدارات مختلفة .

كيف يتم تجميع الوثائق؟

للإجابة على هذا السؤال، يمكن القول أن مسؤولية تجميع الوثائق، بل والعناية بها، بالإضافة إلى ترتيبها لغرض تداولها بين المستفيدين، يعتبر من واجبات دار الوثائق أو الأرشيف الوطنى وفى بلادنا ليبيا يرجع الفضل إلى تأسيس دار المحفوظات التاريخية الموجودة بطرابلس حالياً إلى المستشرق الإيطالى أوجينو جرافينى الذى كان قد استطاع الحصول على استصدار أمر ولائى من الحاكم العام الفاشيستى نشر بالجريدة الرسمية

الإيطالية تحت رقم 1928/7067م بموجبه تم تأسيس دار المحفوظات التاريخية تحت اسم «مخزن الوثائق»، أما أخر القوانين بخصوص تجميع الوثائق فقد كان القانون رقم (2) لسنة 1983م الصادر فى 3 مارس 1983م بشأن الآثار والمتاحف والوثائق[1]. والذى تم بموجبه تحديد مهمة دار الوثائق بحفظ وتنظيم وتصنيف الوثائق[2].

أما الوثائق التى يجب أن يتم حفظها بدار الوثائق أو الأرشيف الوطنى فهى كما يحددها الأرشيفين[3] متعددة ومنها ما يلي:

(1) الوثائق التاريخية الهامة خاصة تلك التى تشتمل على معلومات تاريخية تتعلق بالبلاد وهى على سبيل المثال كثيرة خاصة منها المحفوظ بأرشيفات إيطاليا وغيرها من الدول[4]

مثال: مراسلات القناصل للدويلات البحرية الإيطالية المحفوظة بإيطاليا.

(2) جميع ملفات وسجلات الهيئات التى تم إلغاؤها نهائياً.

(3) كافة الحجج والقوانين، كذلك الوثائق النادرة.

1- الجريدة الرسمية. ع18، س 21، 3يونيو 1983م. ص ص 731-732

2- الجريدة الرسمية. ع18، س 21، 3يونيو 1983م. ص ص 731-732.

3- الأمين، عبد الكريم: الوثائق فهرستها وتصنيفها: مقدمة تاريخية تمهيدية. مجلة الوثائق العربية. ع3. 1977م. ص 150.

4- Toschi. Paolo . Le Fonti. Storiche della Tripolitania. Tripoli . Intra . 1934 . PP. 85. 127

(4) المجموعات الوثائقية التى تمثل تاريخ فترة معينة أو نظام معين «كالحكم الإيطالى الفاشستى والعهد الملكى المباد[1] ».

(5) محاضر الجلسات «الاجتماعات» والقرارات والتعليمات.

(6) ويمكن أيضاً إضافة المجاميع الأرشيفية المتكاملة الموجودة بالمؤسسات ذات الاعتبار «حكومية» والتى انتهى العمل بها نهائياً.

هذا وتتم عملية التزويد بالوثائق وفقاً لخطة معينة يتم بموجبها فرز الوثائق التى لا تعتبر ذات أهمية تاريخية أو غيرها من المطبوعات المكررة. هذا ويتم ترحيل الوثائق إلى الدار بعد إجراء عمليات الفرز وذلك بالتخلص من الوثائق التى تعتبر عديمة الأهمية سواء فى الحاضر أو على المدى الطويل فى المستقبل. إن الوثائق التى يتم اختيارها وفقاً لمبدأ تقييم الوثائق Record Appraisal المعمول به فى الدار «دار الوثائق» هى التى يجب حفظها فى دار الوثائق، أما غيرها فيجب التخلص منها بحيث يتم إتلافها كغيرها من الوثائق التى لا تعتبر ذات أهمية على الإطلاق، تدريجياً وفقاً لتناقص أهميتها مع الاحتفاظ بقائمة الوثائق التى تم إعدامها.

أهمية حفظ الوثائق:

لاشك أن للوثائق أهمية خاصة تختلف عن بقية مصادر المعلومات الأخرى، وكما يرى الوثائقيون ومن بينهم الإنجليز أن الغرض من تجميع

1- يمكن مراجعة بعض الوثائق المتعلقة بذلك ضمن سلسلة الكتب التى صدرت بعنوان : حقيقة إدريس

الوثائق وحفظها يكمن فى أهميتها من أجل استخدامها فى إدارة الأعمال والبحث العلمي، خاصة أنها تعتبر أدلة كافية يعتمد عليها فى مواجهة بعض المشاكل التى تعترض العمليات الفنية بإدارة الأعمال، ذلك لأن وثائق كل مؤسسة تعكس تجاربها فى كثير من المجالات، بالإضافة إلى أنها تساعد الباحثين «المستفيدين» على معرفة تاريخ تلك المؤسسات وذلك لما تحتوى عليه من معلومات وبيانات وإحصائيات وغيرها من المعلومات التى تفيد المستفيدين بواسطة استرجاعها من وثائق المؤسسات فى كافة المجالات.

إن استخدام الوثائق فى البحث العلمى يساهم بدون شك فى تطوير المجتمع مما يعكس فى الواقع أهمية الأرشيف الذى أصبح يلعب دوراً مهماً فى تنمية المجتمع وذلك لاعتباره أداة إدارية وضرورة تمهيدية[1] يجب الاعتماد عليه من أجل تقوية البحث العلمى بالمجتمع. لهذا يجب أن يتم تجميع واختيار الوثائق الأصلية بدقة بحيث تكون ذات فائدة للبحث العلمى والتى تكون واضحة من حيث محتوياتها وشكلها. وحيث أن الغرض من تجميع الوثائق هو الاستفادة منها إلى أقصى حد، لذلك يجب وضع حلول لبعض مشاكل الحصول على الوثائق، ذلك وفقاً لما يلي:

1 - التزويد: يمكن الحصول على الوثائق بواسطة الشراء والتبادل والإهداء وكذلك الإيداع. لذلك يجب وضع خطة تزويد متكاملة تنظم عملية الحصول على الوثائق من المؤسسات «الإدارات» التى أنتجت الوثائق، ويمكن أن يتم ذلك باتباع بعض الخطوات منها

1-كانفاة، ماجى: فائدة الأرشيف خاصة لدول العالم النامية. ترجمة عبد المجيد علي. مجلة الوثائق العربية، ع 5، 1979م، ص 149.

أ - القيام بحصر الأماكن التى توجد بها الوثائق فى البلاد حيث يتم تقسيم البلاد إلى مؤسسات «إدارات» كالمحاكم، الوزارات . . . إلخ.

ب- توفير المخازن اللازمة لاستقبال الوثائق التى يتم تجميعها من المؤسسات التى انتجتها وذلك من أجل إعدادها لعملية الفرز والاختيار، ثم إتلاف الباقى من الوثائق التى تعتبر عديمة الفائدة.

2- التحيز وعدم الموضوعية: يجب الابتعاد عن التحيز وعدم الموضوعية من جانب الوثائقى فى عملية تجميع وتقييم الوثائق ذلك لأن معاملة الوثائق بنظرة أيديولوجية قد تؤدى غالباً إلى العبث بالوثائق مما يؤدى إلى التقليل من أهمية الوثيقة الأصلية وطمس بعض المعلومات الواردة فيها عن المستفيدين.

3- تشجيع كافة المؤسسات والإدارت بالمجتمع على تأسيس أرشيفات خاصة بها بحيث يتم حفظ جميع الوثائق الصادرة عنها فى كافة المجالات، هذا مما يؤدى إلى تأسيس أرشيفات متخصصة والتى يجب أن تكون منها على سبيل المثال: -

أ- الأرشيف القضائي:

ويشمل هذا الأرشيف كافة وثائق المحاكم وبقية الهيئات القضائية والقانونية والتشريعية بالإضافة إلى وثائق المحاكم الخاصة، وغيرها.

ب- الأرشيف التاريخي :

ويشمل جميع الوثائق التى تتناول تاريخ البلاد من الناحية السياسية، الثقافية والعسكرية . . . إلخ .

جـ- الأرشيف السياسي :

وهذا الأرشيف يشمل كافة الجلسات السياسية الهامة بالإضافة إلى جميع المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الشقيقة والصديقة، وكذلك وثائق عن الشخصيات السياسية البارزة فى المجتمع، وغالباً ما يكون هذا الأرشيف تابعاً لوزارة الخارجية فى بعض الدول الغربية .

4-نشر الوعى الوثائقى بين المسؤولين بواسطة الوثائقيين وذلك من أجل دعم دور الوثائق مادياً، وتأسيس دار وثائق وطنية تشرف على دور الوثائق «الأرشيفات» الفرعية فى المجتمع .

5- الاهتمام بتأهيل المشتغلين بالوثائق وذلك بإعدادهم فنياً فى معاهد خاصة أو من خلال عقد دورات تدريبية تطبيقية سواء فى الداخل أو الخارج، كالتعاون مع معهد الوثائقيين العرب «عربيكا» .

6- رفع مستوى الدراسات التاريخية بالجامعات والمعاهد العليا فى البلاد وذلك بإدخال مادتى الوثائق ومصادر التاريخ الوطنى والقومى ضمن المواد الدراسية المقررة الإلزامية للدراسين فى هذا المجال .

7- التعاون مع المنظمات العالمية للأرشيف «الوثائق» بالإضافة إلى حضور المؤتمرات العلمية والندوات التى تعقدها أحياناً سنوياً.

8- العمل على سن التشريعات «الوثائقية» التى تسمح بتبادل الوثائق خاصة مع البلدان التى تحتفظ بوثائق هامة تعتبر كمصادر تاريخية لبلادنا، فإيطاليا التى تمتلئ دور الأرشيف المنتشرة بها بعدد كبير من الوثائق التى تتعلق بتاريخ بلادنا السياسى والاجتماعي، والاقتصادى والثقافي... إلخ. لا تعارض قوانينها تبادل الوثائق مع البلدان الأخرى، فالمادة Art. 83. reg. 1911 من القانون الإيطالى تسمح بتبادل الوثائق مع دور الأرشيف بشرط أن يتم وفقاً لقرار يصدر من وزارة الثقافة، يشترط تقديم ضمان للمحافظة على الوثيقة من التلف[1]

9- المطالبة بعودة المجموعات الأرشيفية المهاجرة والتى تم نقلها أثناء السيطرة السياسية الأجنبية على البلاد، خاصة من تركيا وإيطاليا.

10- التشجيع المادى للباحثين الذين يقومون بدراسة التاريخ الليبى المحفوظة بدور الأرشيف العالمية، مقابل الحصول على نسخ من تلك الدراسات عند الانتهاء منها مباشرة.

11- سن تشريعات تتم بموجبها تحديد فترة زمنية معينة يسمح بعدها بالاطلاع على بعض الوثائق المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية

1- Vagnoni. S. Archivistica. 2 ed Latina. Bucalo. 1979 . P. 116 .

للبلاد وكذلك الوثائق الخاصة ببعض الشخصيات بواسطة الجمهور مع مراعاة منح بعض الاستثناءات للباحثين[1]

12- يتم الحصول على الوثائق التى يمتلكها الأفراد والتى تعتبر ذات أهمية باستعارتها منهم مقابل ضمان يقدم لهم لكى يتم دراستها أو تصويرها أو نسخها، ثم ترجع لهم، هذا فى حالة عدم موافقتهم على بيعها أو تبادلها بوثائق أخرى.

13- كذلك يمكن حل مشكلة الحصول على الوثائق الخاصة لبعض الشخصيات البارزة فى تاريخ البلاد، بحفظها بالأرشيف الإقليمى الذى يوجد بمسقط رأس تلك الشخصية، أو المكان الذى يقيم فيه بصفة دائمة، أو ورثته، وعلى هذا المنوال يمكن أن يتم إيداع الوثائق التاريخية المتعلقة ببعض الشخصيات فى بلادنا كالمجاهدين وغيرها من الشخصيات التى لعبت دوراً بارزاً فى كافة المجالات فى تاريخ البلاد، بدلاً من أن تبقى محفوظة لدى ورثتهم «أسرهم أو غيرها» حيث تتعرض تدريجياً للتلف وذلك نتيجة لسوء حفظها وتعرضها للعوامل الطبيعية الأخرى وللحشرات.

14- الاستعانة بالتصوير المصغر وذلك من أجل استكمال المجموعات الأرشيفية الناقصة وبناء مجموعات أرشيفية جديدة، كذلك من أجل

1- تحدد المادة 21 من القانون الإيطالى D.P.R الصادر فى 30 سبتمبر 1963م تحت رقم 1409 كيفية الاطلاع على الوثائق السياسية والداخلية والخارجية للحكومة الإيطالية بمدة 50 عاماً من تاريخ صدورها، أما الوثائق المتعلقة بالشخصيات فيمكن الاطلاع عليها بواسطة الجمهور بعد مضى 70 عاماً من تاريخ صدورها مثل الوثائق المتعلقة بالمحاكم.

الحصول على نسخ جديدة من الوثائق الأصلية، خاصة وأن «الميكروفيلم والميكروفيش» يساعد على الحفاظ على الوثائق لأطول مدة ممكنة، وذلك بطرح نسخ للوثائق النادرة والقيمة للتداول على نطاق واسع مع الاحتفاظ بالوثائق الأصلية بالإضافة إلى ما يوفره استخدام المصغرات الفيلمية من حيز بالمكان بشرط أن يتم توفير أجهزة قراءة الميكروفيلم.

15- تشكيل لجان[1] متخصصة تضم إلى عضويتها مندوبين عن كافة المؤسسات والوزارات فى المجتمع، بالإضافة إلى مندوبين مؤهلين فى مجال الوثائق عن دار الوثائق من أجل فرز الوثائق وتقييمها قبل ترحيلها إلى دار الوثائق.

تيسير استخدام الوثائق:

إن وجود إدارة أرشيفية كافية تهتم بإيجاد تنظيم للوثائق وكافة ما يتعلق بصيانتها وحفظها وعمل بطاقات تصنيف لها حتى وضعها على الرفوف وذلك من أجل السيطرة والحفاظ عليها يساعد بالتأكيد على الوصول إلى الوثائق والاستفادة منها وبمعنى آخر يمكن القول أن استثمار الوثائق لا يتم إلا بتوفير بعض التسهيلات، منها ما يلي:

1- حمودة، محمود عباس: مشكلات دور الوثائق. الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والمخطوطات العربية والوثائق القومية. دمشق، مطبعة جامعة دمشق. 1972. ص 391.

1- توفير المبنى المناسب مع تسهيلات الخزن والحفظ وبقية التجهيزات اللازمة كالأجهزة الخاصة بصيانة الوثائق وترميمها بالإضافة إلى أجهزة التجليد وتوفير معدات التغليف الميكانيكية.

2- التصنيف والفهرسة: يجب اتباع نظام ملائم فى تصنيف الوثائق بحيث يحافظ على ترابطها وتماسكها بدلاً من أن يؤدى إلى تشتتها.

إن مراعاة ترتيب الوثائق الذى كان متبعاً فى تنظيمها لدى المؤسسات «الإدارات» التى أنتجتها يساعد بالتأكيد على إعطاء فكرة متكاملة واضحة عن مجموعة الوثائق المراد الاطلاع عليها بواسطة المستفيدين.

أما عن الفهرسة فيجب وضع فهارس مفصلة للوثائق. إن الغرض من توفير الوسائل كالقوائم بأنواعها المتعددة ليس فقط تعريف الباحث «المستفيد» بأماكن وجود الوثائق بل تساعد أيضاً على معرفة محتويات تلك الوثائق كقائمة الفحص التى تقدم للباحث فكرة مفصلة عن محتويات كل وثيقة[1]

3- توفير المراجع العامة مثل القواميس للمختصرات اللغوية وكتب التقويم بالإضافة إلى دوائر المعارف وغيرها من المراشد، لأن توفير ذلك يساعد الباحث فى تكوين خلفية واضحة عن الجهاز الذى أصدر الوثائق والذى تعتبر معرفته ضرورية وهامة جداً للباحث فى

1- ميلاد، سلوى على: قاموس مصطلحات الوثائق والأرشيف. عربى / فرنس/ إنجليزي. القاهرة. دار الثقافة. 1982م. ص 50.

مجال الوثائق، كذلك تساعد بقية منشورات الإحاطة التى يجب أن تصدرها دار الوثائق «الأرشيف» عن كافة ما يتصل بالوثائق لديها، الباحث «المستفيد» على سرعة الوصول إلى المعلومات المطلوبة بأقل جهد وبأسرع وقت ممكن، بالإضافة إلى أنها تساعدهم فى اختيار موضوعات أبحاثهم المستقبلية التى يرغبون القيام بها وفقاً لما هو متوفر من وثائق يمكن الاطلاع عليها بسهولة ويسر لدى دار الوثائق.

4- تصوير ونشر الوثائق الهامة وذلك لمساعدة الباحثين فى الحصول والاطلاع عليها بسهولة ويسر أيضاً.

5- الاستعانة بوسائل الإعلام المختلفة، بالإضافة إلى إلقاء المحاضرات العامة وإصدار النشرات وإقامة المعارض والدورات التدريبية[1]، من أجل تشجيع الجمهور ونشر الوعى بين الأفراد للاستفادة من الوثائق بالإضافة إلى تمكينهم من دعم دور الوثائق بما يمتلكون من وثائق هامة.

6- توفير كافة الإمكانيات اللازمة للباحثين فى الاطلاع على الوثائق سواء بالإعارة الداخلية أو بتصويرها أو نسخها.

7- إصدار دليل للوثائق الهامة التى يمتلكها بعض الأفراد، بالإضافة إلى القيام بتصويرها أو نسخها فى حالة عدم تنازلهم عنها أو موافقتهم على إيداعها مقابل ضمان بدار الوثائق، خاصة وأن ذلك الدليل

1- دى سليفا، ج.ب. الأرشيف فى الدول النامية. ترجمة فرحات توما. مجلة اليونسكو للمعلومات والمكتبات والأرشيف. ع 50، س 13. فبراير / مارس 1983م. ص 20.

سوف يساهم فى إرشاد الباحثين إلى الوثائق الأصلية إذا ما احتاج الباحث إلى الاطلاع عليها.

الخلاصـــــة:

يتضح مما سبق أن توفر العنصر البشرى الكفء يعتبر من أهم العوامل الإيجابية، بالإضافة إلى توفير الدعم المالى «المادي» فى تذليل مشاكل الحصول على الوثائق، لهذا يجب الاهتمام بإنشاء شعبة للأرشيف تلحق بوحدة الإعلام والمعلومات بالجامعات الليبية وذلك من أجل إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المتعلقة بالوثائق ودور الوثائق.

وبما أن حجب الوثائق بمنع تداولها بين المستفيدين خاصة الوثائق التاريخية الهامة التى تتعلق بتاريخ البلاد السياسى، الاقتصادي، الاجتماعى . . . إلخ. يؤدى إلى إحداث ثغرات غامضة تحول دون معرفة حقيقة تلك الأحداث الهامة، فإنه يجب تلافى تلك المشكلة بإصدار قانون يتم بموجبه تجميع كافة الوثائق الهامة ذات العلاقة بتاريخ البلاد لحفظها فى مكان ملائم، وليكن دار وثائق وطنية بحيث تتاح الفرصة للجميع بالاطلاع على تلك الوثائق خاصة وأنها لاتهم فرداً بعينه بل تهم الجميع. كما يجب أيضاً أن يكون ضمن مواد القانون المقترح صدوره منع تهريب وبيع الوثائق ذات الأهمية كذلك يمنع أيضاً خروج الوثائق خارج البلاد، خاصة وأن عدم الالتزام بالمحافظة على الوثائق فى بعض الدول النامية عرض كثيراً من الوثائق الخاصة بفترات زمنية معينة فى تاريخ تلك الدول إلى العبث والسطو بل والحرق أيضاً.

وأحياناً نتيجة لتعاقب الأيديولوجيات السياسية المتعارضة، حيث أدى فى الواقع ذلك إلى فقدان تلك البلدان ذاكرتها التاريخية مع مرور الزمن.

وأخيراً يمكن القول أن التوسع فى استخدام المصغرات الفيلمية فى مجال الوثائق يساعد على حل كثير من المشاكل وتقديم الحلول اللازمة فى الحصول على الوثائق وتيسير استخدامها بين المستفيدين، وذلك لأن التوسع فى استخدامها بين المستفيدين، وذلك لأن التوسع فى استخدام التكنولوجيا الحديثة يساعد بدون شك على تطوير الخدمات التقليدية فى دور الوثائق التى يمكن أن تكون أحد العوائق التى تحول دون استخدام الوثائق بواسطة الباحثين «المستفيدين»، لذلك فإن التوسع فى فعالية التنظيم الذى يجب أن يتبع فى تنظيم وإدارة الوثائق لا يؤدى فقط إلى إيجاد ضبط فعال وطبيعى للوثائق التى تم الحصول عليها.

الرحلات العلمية الإيطالية فى ليبيا

لقد اهتم الرحالة الأجانب بليبيا منذ القدم، وذلك لموقعها الممتاز الذى جعلها حلقة وصل، ما بين الشرق والغرب العربي، مما أدى إلى سهولة النفوذ إليها، والوصول إلى مدنها وقراها كافة بسهولة، هذا بالإضافة إلى ما تميز به سكان البلاد من صفات حميدة، جعلت أولئك الرحالة الأجانب، يفضلون القيام برحلاتهم الاستكشافية العلمية -أحياناً- إلى ليبيا، نظراً لما كان يقدمه لهم سكان البلاد من مساعدات، لا يمكن حصرها، ومن بينها كان توفير الأمن والسلامة لأولئك الرحالة، الذين يتعرضون بصفة مستمرة، إلى القتل والسلب فى بعض البلدان الأخرى. إن بعضاً من هذه التسهيلات هى التى دفعت كثيراً من أولئك الرحالة لارتياد صحارى ليبيا ومسالكها الوعرة، بالإضافة إلى ما كانت تتميز به البلاد من معالم أثرية دفينة، وخاصة وأنها قد لعبت دوراً هاماً وإيجابياً فى الحضارات التى سادت الشمال الأفريقى بصفة خاصة.

وفى الواقع كانت رحلات أولئك الرّواد الأجانب، تتم وفقاً لخطط معينة مرسومة، لتحقيق أهداف علمية واستعمارية توسيعة فى أغلب الأحيان، ومن بين أولئك كان الرحالة الإيطاليون الذين يمكن استعراض

بعض رحلاتهم الاستكشافية التى قاموا بها إلى ليبيا خلال الفترة الممتدة من 1811م إلى 1933م وذلك من أجل معرفة أهداف الدويلات الإيطالية البحرية، قبل تحقيق الوحدة الإيطالية فيما بينها عام 1861م، من خلال المعاهدات والاتفاقيات التجارية كافة التي تم عقدها مع ليبيا، علي الرغم من أن أغلبية اتفاقيات الصداقة، والمعاهدات التجارية، والسياسية، بين الطرفين قد تعرضت إلى هزات عنيفة، أدت إلى انقطاعها، مراراً وتكراراً إلا أن ذلك لم يمنع عودتها بسرعة ما بين البلدين اللذين تربطهما علاقات الجوار منذ القدم، وذلك بسبب موقعهما فى حوض البحر المتوسط، الذى كان يعتبر بحيرة وصل وليست فصلاً ما بين الشعوب كافة التى تطل عليه. لكن بالرغم من ذلك كان للدولة الإيطالية أهداف توسعية خاصة بعد أن استطاعت تحقيق الوحدة الوطنية فيما بينها، حيث عادت فكرة انبعاث الدولة العظيمة من جديد تراود مشاعر القادة وتلهب حماسة الجماهير الإيطالية فى المدن الإيطالية كافة مما جعل أولئك القادة يطالبون باستمرار بضم ليبيا إلى الدولة الأم. وهذا مما أدى إلى سقوط موسولينى وبقية القادة الإيطاليين الذين نادوا بهذه الفكرة التوسعية من قبله.

وعلى كل حال، فإن تلك الرحلات التى قام بها الرحالة الإيطاليون إلى ليبيا كان لها دور إيجابى فى توطيد العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلدين، بالإضافة إلى ما حققته من نتائج علمية، يمكن استنتاجها من تلك الرحلات، التى غالباً ما كانت تقوم بها شخصيات علمية بارزة، حيث كان الرحالة من بين أساتذة الجامعات المتخصصين كالأطباء، علماء الآثار والأنثوبولوجيا، والحيوان، وكذلك علماء الحفريات والنبات

والأثنوغرافيا . . . إلخ ، مما أدى إلى استفادة الدويلات الإيطالية قبل الوحدة وبعدها من النتائج العلمية كافة التى توصل إليها الرحالة فى مجالات المعرفة المتعددة خاصة وأن معظم تلك الدراسات التى قام بها أولئك الرحالة قد نشرت سواء على نفقة الرحالة الخاصة أو تم ذلك بواسطة إشراف وتمويل الجميعات الاستكشافية التى كانت قد قامت بالتخطيط لتلك الرحلات .

ومن خلال استعراض تلك الرحلات العلمية كانت الرحلة التى قام بها الطبيب أوغسطينى شير فيللى A.Cervelle الذى رافق الحملة العسكرية التى أرسلها باشا طرابلس خلال عام 1811-1812م لإخضاع إقليم برقة ، حيث استطاع أوغسطينى بصفته طبيباً زيارة كل من مدن شحات ، درنة ثم بنغازي . وقد تكررت تلك الرحلة من بعده بواسطة الطبيب باولو دى لاشيلا Paolo della Cella خلال عام1817م الذى استطاع بصفته الطبيب الخاص لأحمد بى ابن الباشا يوسف القره مانلى الذى قام بقيادة الحملةالعسكرية لتأديب أخيه المتمرد ، زيارة برقة ، هذا وقد نشرت رحلة الطبيب باولو دى لاشيلا ، كما أنها ترجمت بعض فصولها إلى اللغة العربية[1] أيضاً ، وقد اشتملت تلك الرحلة على وصف شائق لمسيرة الحملة العسكرية للمناطق التى تم عبورها كافة ، بواسطة تلك الحملة من طرابلس إلى بنغازي . ومع حلول عام 1879م تولت مهمة إرسال البعثات العلمية الاستكشافية وتمويلها الجمعية الاستكشافية التجارية لأفريقيا Societa di Esplorazioni Commerciali dell. Africa [2] والتى كان مقرها بمدينة ميلانو الإيطالية ،

1- انظر مذكرات الطبيب ديلاشيلا ، ترجمة الدكتور الهادى أبو لقمة .

2- Le Esplorazioni Scienifiche della Libico Italia Coloniale Anno X . N. 12 Dic . 1939. p.219.

حيث اهتمت هذه الجمعية الاستكشافية التجارية لإفريقيا بإرسال رحلات استكشافية منظمة إلى أفريقيا، وبصفة خاصة إلى ليبيا التى كانت تعتبر نقطة انطلاق لتلك البعثات العلمية نحو بقية البلدان الأفريقية الأخرى، خاصة وأن قناصل الدول الإيطالية المعتمدين بليبيا، كانوا يقومون بالإشراف على بعض تلك الرحلات، وتقديم المساعدات اللازمة كافة لأفرادها خاصة فيما يتعلق بالحصول على تصريح بالسفر من قبل السلطات العثمانية التى أخذت تحاول بالوسائل كافة عرقلة أولئك الرحالة، خاصة بعد أن أصبحت تلك السلطات العثمانية ترتاب فى نيات وأهداف أولئك الرحالة، حيث كانت لا تصدر تصريحاً رسمياً يسمح لأولئك الرحالة بحرية التنقل فى البلاد إلا وفقاً لشروط صارمة، كان أغلبية القناصل يقومون بالتعهد أمام السلطات العثمانية للإيفاء بها ولكن بالرغم من ذلك فقد استطاع كثير من الرحالة الإيطاليون دخول ليبيا بدون الحصول على تصريح مسبق من السلطات العثمانية حيث قاموا بعبور حدود البلاد عبر طرق ملتوية، هذا كما قامت الجمعيات الاستكشافية الأوربية بدور فعال فى تسهيل مهمة أولئك الرحالة وذلك عندما قامت بتأسيس مقرات لها هى عبارة عن محطات رسمية لها بموافقة السلطات العثمانية وذلك من أجل تخطى كافة العراقيل التى كانت تبذلها السلطات العثمانية أمام أولئك الرحالة، ومن بين تلك المحطات الرسمية لتلك الجمعيات الاستكشافية ما قام به الكابتن مانفريد كامبير Capt. Manfred. C. الذى وصل إلى طرابلس ومنها انتقل إلى بنغازى ودرنة حيث قام بتأسيس محطتين تجاريتين استكشافيتين فى كل من مدينتى درنة وبنغازى لتكونا نقطة انطلاق فى المستقبل لرحلات الرواد التابعين للجمعية

الاستكشافية التجارية بميلانو التى استمر نشاطها فى إرسال الرحالة إلى ليبيا، كما قامت بإصدار مجلة Esploratore بمقرها فى ميلانو. وكان من بين الأهداف، التى كانت تسعى إلى تحقيقها تلك الجمعية الاستكشافية التجارية الإيطالية، هى زيادة تأسيس محطات أخرى فى البلاد، من أجل القيام باستكشاف ليبيا. وبالفعل استطاع الكابتن بوتليا Capt. Bottiglia الذى كان مشرفاً على إدارة شؤون المحطة الاستكشافية التجارية الأولى التى تم تأسيسها فى مدينة بنغازي، تأسيس محطة أخرى تابعة لمحطة بنغازي، كان مقرها مدينة طبرق حيث تولى الإشراف عليها العميد جوسيبى هايمان Comm, Giuseppe Haimann أما فى 1881م فقد قام الكابتن مانفريد كامبير M. Camperio بمساعدة كل من بطرس مامولى Pietro Mamoli وفيتوريو باستورى Vittorio Pastore برحلة علمية استكشافية إلى ليبيا حيث استطاع ثلاثتهم الوصول إلى مدينة بنغازى للشروع فى تنفيذ مخطط رحلتين كان قد تم إعدادهما سابقاً، إحداهما ذات هدف اقتصادى برئاسة مانفريد كامبير، حيث شملت زيارة كل من توكرة، المرج، مراوة، سلنطة ثم درنة، خلال رحلة الذهاب، أما رحلة الإياب فقد استطاعت تلك البعثة زيارة كل من القيقب، شحات، المرج، طلميثة وذلك فى طريقها إلى مدينة بنغازى نقطة انطلاق البعثة المذكورة.

أما الرحلة الثانية التى تم تنفيذها فقد كانت برئاسة العميد جوسيبى هايمان G. Haimann حيث انطلقت البعثة من مدينة بنغازى، سلنطة حتى وصلت إلى درنة، أما فى طريق عودتها فقد زارت تلك البعثة الكشفية كلا من شحات، المرج وتوكرة حيث عادت بعدها إلى بنغازي.

وقد استطاعت كافة المحطات الإستكشافية التجارية التى كان قد تم تأسيسها فى كل من بنغازى، درنة وطبرق توحيد جهودها فى القيام بإرسال التقارير العلمية كافة التى تناولت النواحى الاقتصادية والسياسية للبلاد، حيث كانت تلك المحطات تحرص بصورة دائمة على إرسال تقارير علمية بصفة دورية إلى مقر الجمعية الاستكشافية التجارية لأفريقيا بمدينة ميلانو.

وفى عام 1885م حاول المهندس لويجى روبيكى Ing. Luigi R. القيام برحلة علمية استكشافية لعبور الصحراء الليبية ولكنه بعد ان انطلق من القاهرة ووصل إلى واحة سيوة، لم يستطيع مواصلة الرحلة التى كانت مقررة مسبقاً، حيث كان يرغب فى الوصول إلى الجغبوب وجالو ومنها إلى طرابلس، وذلك بسبب ظروفه الصحية، ولكن بالرغم من ذلك، فقد قام بنشر تقارير مثيرة حول رحلته تلك فى مجلة Esploratore وبالإضافة إلى ما قدمت به الجمعية الاستكشافية التجارية لأفريقيا من رحلات إلى بلادنا، قام بعض الشخصيات منها البارزة كتلك الرحلة التى قام بها الأرشيدوق لودفيج دى توسكانه[1] Arciduca Lodovico Salvatore di Toscana عام 1874م، إلى برقة حيث انطلق من السلوم حتى وصل إلى درنة، طلميثة شحات ثم بنغازى حيث حاول بدون جدوى استكشاف مغارات الليثى، «نهر النسيان».

«وخلال شهر يوليو 1910م إلى شهر إبريل 1911م قام الرحالة فيدريك هالبير Fedrico Halberr بتنظيم رحلة علمية انضم إلى عضويتها كل من

1- Narduoci, G: La Colonizzazione della Cirenaica Nell` Antichita E Nel presente Bengazi. Pavoni Fratelle. 1934 - pp. 129 - 136 .

البرفسور جايتانو دى سانكتس Prof. Gaerano Desanctis وزوجته بالإضافة إلى كل من الدكتور الدوماى Dr. Aldo Mei والمهندس سان فيليب Ing. San Filippo وقد زارت هذه البعثة العلمية كلاً من دريانة، توكرة، طلميثة، المرج وقصر بن قديم واستمرت فى مسيرتها حتى وصلت إلى سلنطة ثم عادوا منها إلى قصر بن قديم وواصلوا مسيرتهم نحو شحات ومنها إلى درنة.

وقد تم نشر الانطباعات والتقارير كافة التى كان قد قام هالبير Halbberr بتدوينها حول تلك الرحلة العلمية بعد بضع سنوات من القيام بها بواسطة البروفيسور ج. أو ليفيريو Prof. G. Oliverio الذى كان يشغل منصب مشرف على الآثار فى برقة. أما فى عام 1911م فقد حاول ف. هالبير مرة أخرى القيام برحلة علمية للبلاد. وذلك عندما قام بإعداد برنامج علمى متكامل، وذلك من أجل استكمال بعض النتائج التى تحصل عليها فى الرحلة السابقة لبعض المدن الليبية، وكان من المقرر أن يشترك معه كل من البروفيسور جايتانو سانكتيس والدكتور Dr. Beguinot بالإضافة إلى الدكتور أوريجيما Dr. Aurigemma ولكن السلطات العثمانية منعتهم من القيام بتلك الرحلة عندما كانوا يستعدون للانطلاق من مدينة بنغازى خلال شهر فبراير 1911م وذلك لأسباب أمنية تتعلق بالبلاد.

هذا كما قام بعض الصحافيين بزيارات إلى ليبيا، وكان من بينهم الصحفى جوسيبى بيازا G. Piazza وزميله انريكو كورادينى E.Crradini وذلك بمناسبة قرب العمليات العسكرية الإيطالية فى البلاد عام 1911م.

ويبدو أن الرحلات الاستكشافية قد توقفت بسبب الحرب بين القوات

الإيطالية والمجاهدين العرب الليبيين، خلال الفترة الممتدة من 1911-1922م، إلا أن ذلك لم يمنع بعض المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية من القيام بدراسات ذات أهمية. منها ما قام به العقيد دى أوغسيطنى الذى قام بإجراء دراسة اعتمد فيها على تجميع البيانات والإحصاءات كافة عن سكان البلاد حيث قام بنشرها فى جزئين الأول كان بعنوان: سكان طرابلس[1] ، تم نشره عام 1917م أما الجزء الثانى فقد كان بعنوان: سكان برقة[2]، تم نشره عام 1923م.

ويمكن القول أن انقطاع الرحالة المتخصصين الإيطاليين إلى ليبيا لم يستمر طويلاً حيث نجد البروفيسور زافاترى Prof. Zavattari استاذ علم الحيوان بجامعة بافيا يقوم بنشر كتاب عن الحيوانات الليبية بعنوان Fauna Libica بعد دراسة علمية قام بها فى ليبيا حول هذا الموضوع عام 1926م، كما وصل إلى البلاد فى السنة نفسها المذكورة أمير ديلاتورى وتاسو Della Torre E Tasso يرافقه الدكتور شاكزيماير Dr. Schazimayr الذى كان يشغل منصب مدير متحف تورينور Museo di Torino لغرض القيام بإجراء دراسات وافية عن الحشرات وأنواعها فى الشمال الأفريقى حيث مكثوا بضعة أسابيع بطرابلس زاروا فيها كثيراً من المدن والقرى الواقعة قرب طرابلس .

1- هنريكودى أوغسطيني: سكان ليبيا: القسم الخاص بطرابلس الغرب. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي. ليبيا: الدار العربية للكتاب 1978م.

2- هنريكو دى أوغسطينى: سكان برقة: دراسة تاريخية وأثنوغرافية: ترجمة وتقديم وتعليق: د. إبراهيم أحمد المهدوى. « مخطوط تحت النشر».

أما الكونت فيليب كافاز Conte Filppo Cavazza فقد قام خلال السنوات الممتدة من 1922م–1930م بتجميع كثير من البقايا الحيوانية المتعلقة بفصيلة الطيور فى ليبيا، حيث قام فيما بعد بنشرها خلال فترات زمنية متتالية فى دراسة متكاملة. هذا كما قامت الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية R. Societa Geografica Italiana بتنظيم رحلات علمية استكشافية متكاملة إلى الجنوب خلال عامى 1926م – 1927م. وقد تكونت لذلك الغرض بعثة علمية من كل من الكومندانتى كوجيا Comm. Cugia والبروفيسور أ. ديسيو Prof. A. Desio من جامعة ميلانو والسيد كونفالونييرى Sig. C. Confalonieri مدير المتحف الوطنى فى جنوة، حيث اضطلع كل من البروفيسور ديسو والكوماندانتى كوجيا بإجراء دراسات جغرافية وجيولوجية أما السيد كونفالونييرى فقد اهتم بتجميع نماذج كثيرة لبقايا حيوانية. وقد واصل البروفيسور ديسيو رحلته العلمية حيث وصل عام 1930م إلى كل من سرت بالإضافة إلى زيارة كل من واحات مرادة، أوجلة وجالو بينما عاد رفاقه جميعاً إلى إيطاليا.

وخلال عامى 1925م – 1926م عاد البروفيسور زفاترى Prof. Zavattari إلى البلاد للقيام بجولات علمية قصيرة في بعض المناطق الواقعة شمالي طرابلس ومنها انطلق في رحلته حتي وصل اقليم برقة حيث قام بزيارة كثير من مدن الدواخل فى برقة عام 1929م وتمكن أيضاً خلال عامى 1930م–1931م من الوصول إلى كل من سبها، الشاطئ، الجفرة، الأجال ثم واحات غات.

وفى عام 1930م قام الكابتن الطبيب Capt. G. Brezzi [1] على رأس بعثة طبية علمية بناء على دعوة أحد السنوسيين بالكفرة وبالفعل انطلق من

1- Brezzi, G. Cento Giorni di Prigionia Nell' Oasi di Cufra . Milano. Airoldi, 1930

مدينة بنغازى نحو الكفرة، إلا أنه قد تعرض للسجن بواحات الكفرة، حيث بقى مائة يوم أسيراً لدى قبيلة الزوية. وقد نشر كتابه بعنوان «مائة يوم سجن فى الكفرة» عام 1930م الذى تناول فيه انطباعاته المثيرة كافة حول تلك الرحلة بالإضافة إلى العادات والتقاليد، كما يشير إلى طرد السنوسيين من الكفرة بواسطة مشايخ قبيلة الزوية الذين قاموا بإعلان ما كان يعرف «بحكومة الجمهور».

وفى عام 1931م قام الماركيز س. باتريزى Marchese S. Patrizi مع السيد كونفالونييرى برحلة علمية إلى واحة الكفرة استطاعا خلالها تجميع كثير من المعلومات والبيانات حول بقايا حيوانية وذلك بإشراف المتحف الوطنى بجنوة، كما تمكن أيضاً البروفيسور ديسيو Prof. Desio بمساعدة بعض المتخصصين الآخرين الوصول إلى واحة الكفرة خلال شهر يوليو 1931م، وكانت تلك الرحلة العلمية تحت إشراف وتمويل الأكاديمية الملكية الإيطالية R. Accademia d` Italia وقد واصلت البعثة رحلتها برئاسة البروفيسور ديسيو Prof. Desio حتى وصلت إلى جبال أركنو والعوينات ثم عادت إلى اجدابيا نقطة انطلاقها عن طريق تازربو، واو الناموس، واو الكبير، تمسة، زلة ومرادة، وذلك بعد القيام بعدة دراسات جغرافية لإقليم فزان. وخلال عام 1932م عاد البروفيسور ديسيو بمفرده إلى البلاد حيث قام بمزيد من الدراسات الجغرافية والجيولوجية بمنطقة سرت.

كما حظيت الدراسات الأنثروبولجية أيضاً باهتمام الرحالة الإيطاليين عندما قام البروفيسور نيللو ب. Prof. Nello Puccioni أستاذ

الأنثروبولوجيا بدراسة بعض الأنماط الأنثروبولوجية، حيث شملت حوالى 900 شخص كانوا ينتمون لجميع القبائل فى برقة لمعرفة أصول التجمعات السكانية فى برقة. وفى عام 1929م نفسه قام أيضاً البروفيسور فاجناسا دى ريجنى Prof. V. de Regny «أستاذ الجيولوجيا بجامعة بافيا» بإجراء دراسة جيولوجية شملت معظم مناطق برقة. هذا كما لعبت الجامعات الإيطالية الملكية دوراً إيجابياً فعالاً فى إرسال البعثات العلمية لدراسة ليبيا، حيث ازداد التنافس فيما بينهما مما شجع معهد الشرق الملكى بنابولى على القيام بإرسال بعثة علمية إلى ليبيا خلال شهر إبريل 1933م برئاسة الدكتور فرناندو زانون Dr. Fernado Zanon هذا كما اشترك فى عضوية هذه البعثة العلمية كل من البروفيسور دى كابور ياكو Prof. Di Caporiacco والبروفيسور ساباتينى Prof. Sabatini، حيث قام البروفيسور زانون بدراسات انثروبولوجية كانت تتعلق بأصل السكان المحليين فى واحة أوجلة، كما قامت البعثة أيضاً بتجميع كثير من الأدلة للإجابة عن السؤال الذى كان يدور حول وجود مدينة متحجرة فى الصحراء الليبية. وفى الربيع من عام 1933م تمكن البروفيسور لودفيج دى كابورياكو من جامعة فلورنسا مع أربعة دارسين آخرين من الوصول إلى كل من الكفرة، أركنو، العوينات حيث قاموا بدراسات انثروبولوجية وجيولوجية فى تلك المناطق. أما آخر اعضاء البعثة العلمية المذكورة فكان البروفيسور ارتورو ساباتينى Prof. Arturo Sabatini أستاذ الأنثروبولوجية بجامعة روما الملكية قام بدراسات انثروبولوجية تكميلية لما سبق أن قام به من قبل خلال فصل الصيف عام 1933م لسكان جالو والكفرة.

وقد اهتمت أيضاً الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية R. Societa Geografica Italiana بالشروع فى الدراسات العلمية بليبيا، حيث طالب السيد فاكيلى Vacchelii عام 1932م، بضرورة بذل كافة الجهود للقيام بدراسات شاملة لإقليم فزان بليبيا، وقد لاقت دعوة السيد فاكيلى بصفته رئيساً لتلك الجمعية تأييداً كبيراً فى الأوساط العلمية بإيطاليا عندما قبل دوق أوستا Duca d` Aosta تمويل وإدارة مشروع الدراسات العلمية اللازمة، وقد تم الاتفاق على الشروع فى القيام بذلك بشرط الاكتفاء بإرسال أعداد قليلة من المتخصصين فى البعثات العلمية لدراسة ليبيا، حيث أصبح عدد أفراد كل بعثة لا يتجاوز أثنين من المتخصصين فقط، حتى لا تثير هذه البعثات العلمية المكلفة بإجراء الدراسات المتعددة شكوك سكان المناطق المراد دراستها وبالفعل تم إرسال بعثة علمية مكونة من البروفيسور ليديو شبريانو Prof. Lidio C. «انثروبولوجي» والدكتور أنطونيو موردينى «اثنولوجي» فى خريف 1932م حيث قاما بدراسات انثروبولوجية وانثولوجية للطوارق والتبو من سكان فزان. وقد عادت تلك البعثة العلمية إلى إيطاليا مع نهاية العام بعد أن استطاعت تدوين كثير من المشاهدات والمعلومات الأنثروبولوجية والأثنولوجية الهامة بالإضافة إلى ذكر بعض البيانات الهامة للمتخصصين فى مجالات علوم النبات، الحيوان، ودراسات ما قبل التاريخ. وبعد توقف قصير بسبب وفاة الجنرال فاكيلى Gen. Vacchalli عاد من جديد إرسال البعثات العلمية إلى ليبيا بتشجيع ورعاية السيد كورادو زولى Sig. Corrado Zoli الرئيس الجديد للجمعية الجغرافية، وكإتمام للفائدة التى حققتها نتائج البعثة العلمية السابقة للجمعية التى كان قد قام بها كل من شبريانو

والبروفيسور موردينى إلى فزان تم إرسال بعثة علمية أخرى إلى فزان كانت تتكون من البرفيسور كارادو جينى مع البرفيسور شبريانو حيث استطاعا معاً القيام بكافة الدراسات المقترحة مسبقاً من قبل الجمعية الجغرافية الملكية خلال شهر فبراير - مارس 1933م. حيث تم إجراء استبيانات ديموجرافية لبعض المجموعات العرقية من السكان المحليين، حيث تركز اهتمام الدارسين بصفة خاصة على مجموعة الدوادة الذين كانوا يعيشون فى المنطقة الواقعة شمال وادى الأجال. أما الرحلة العلمية الثالثة التى كانت قد تمت برعاية الجمعية الجغرافية فقد تم إرسالها إلى ليبيا خلال شهر مارس - مايو، حيث كانت تتكون من الدكتور باولو جراسيوزى «عالم حفريات» Dr. Paolo Graziozo والدكتور روبيرت كورتى «عالم نبات» Dr. Robero Corti فبينما قام الدكتور باولو بدراسة وفحص كثير من البقايا الأثرية لاسيما بعض من تلك النقوش الصخرية التى خلفها سكان فزان الذين كانوا قد عاشوا خلال عصور ما قبل التاريخ. أما الدكتور روبيرت فقد اهتم بإجراء دراسات حول النبات لغرض الحصول على إطار كامل لجميع النباتات الفزانية، وبالإضافة إلى تلك النتائج الهامة التى تم الحصول عليها استطاعت البعثة إحضار مجموعة كبيرة من الصور الهامة معها عند عودتها إلى إيطاليا.

وخلال شهرى أغسطس - سبتمبر عام 1932م قام كل من البروفيسور ادورادو Dr. Edorado Zavattari والدكتور فيتوريو ايرسبامير Dr. Vittorio Erspamer معاً بدراسات باثولوجية لفصيلة الحيوانات الرخوية استطاعا الحصول على كثير من المعلومات والبيانات حول علاقة تلك الحيوانات التى تعيش فى مياه الشرب بانتشار مرض الملاريا والصفراء التى كانت تفترس

كثير من سكان تلك المناطق، هذا واستطاعت هذه البعثة أيضاً إحضار مواد كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية عند عودتها إلى إيطاليا.

أما فى شهر أكتوبر 1933م فقد وصلت إلى طرابلس بعثة علمية كانت تتكون من البروفيسور بياجيو Prof. Biagio، كرئيس للبعثة والدكتور جاكومو كابوتو كما انضم إليهما أحد الأنثروبولوجيين فيما بعد، وكان الهدف من تلك البعثة القيام بإجراء دراسات اركيولوجية بوادى الاجال.

أما البعثات العلمية العسكرية فقد بدأت خلال عام 1933م، حيث انطلقت البعثة الجغرافية العسكرية المكونة من الملازم بترولينى Petrolini والملازم لايمير Limer من مدينة طرابلس نحو سرت حيث قامت بعدة دراسات استغرقت عاماً كاملاً فى أراضى سرت الداخلية شملت كلاً من الجفرة وكافة المناطق الشرقية لفزان كالهروج وواو بالإضافة إلى المناطق الملاصقة لإقليم برقة. أما البعثة العسكرية التى انطلقت من برقة فقد كانت تتكوّن من النقيب اوريستى والنقيب بيروفيراتى بالإضافة إلى الملازمين فيدريك جيوفى وجوزيبى تيكون حيث قامت تلك البعثة بالعديد من الدراسات الجغرافية الهامة كالدراسة التى اجريت حول منخفض الكفرة، بالإضافة إلى تحديد الموقع الجغرافى بدقة لكل من جالو واوجلة، وتعيين الحدود الجغرافية لكل من جالو - الكفرة، وغيرها من المناطق الأخرى الواقعة فى اركنو والعوينات هذا بالإضافة إلى تحديد المناطق الواقعة ما بين كل من جالو، العوينات وتازربو، وفى الحقيقة نجد أن تلك الدراسات العلمية قد ساعدت نتائجها السلطات الإيطالية فى التغلب على كثير من

الصعوبات التى كانت قد واجهت الاحتلال الإيطالى فى ليبيا، ويبدو ذلك جلياً للدارسين لمظاهر الاستطيان الإيطالى فى ليبيا، حيث استفاد المستعمرون الإيطاليون من التخطيط بكل دقة وفقاً للمعلومات والبيانات التى تحصلوا عليها من تلك الدراسات العلمية التى أجريت بواسطة المتخصصين فى مجالات المعرفة كافة حيث استعانوا بهذه المعلومات والبيانات فى النواحى الاقتصادية والسياسية كافة بالإضافة إلى العسكرية وغيرها، ولربما كانت نتائج الدراسات العلمية وراء استمرارية النفوذ الإيطالى فى البلاد لمدة طويلة، دامت أكثر من ربع قرن على الرغم من أن الإيطاليين لم يستطيعوا بسط نفوذهم بالكامل على ليبيا، ذلك بسبب اتساع رقعة المقاومة الوطنية التى كان يخوضها المجاهدين العرب الليبيون فى مناطق البلاد ضد قوات الغزو الإيطالى .

الفصل الرابع

- وثائق غير منشورة عن الثورات الداخلية فى ليبيا.
- حركة الملاحة التجارية فى ميناء بنغازى خلال عامى 1827 - 1828م : وثائق غير منشورة .
- سكالارينى ورسوماته الساخرة المناهضة للعهد الفاشيستى فى إيطاليا .
- سياسة فرض الضرائب وضرب الأعناق التركية. 1841-1856م : دراسة وثائقية.
- مصادر تاريخية ليبية فى أرشيف ليفورنو.

وثائق غير منشورة
عن الثورات الداخلية فى ليبيا
1836-1858 م

تشير بعض الوثائق الأرشيفية المحفوظة فى أرشيف ليفورنو والمتعلقة بمراسلات قناصل دوقية توسكانة المقيمين بطرابلس [1] بالإضافة إلى نوابهم المقيمين فى بنغازى خلال تلك الفترة الزمنية الممتدة من 1836م إلى 1858م أى مع بداية تولى طاهر باشا حكم طرابلس وتنتهى مع نهاية حكم عثمان باشا لطرابلس. إذ تشير مراسلات أولئك القناصل التوسكانيين إلى تصاعد رياح الثورة فى البلاد ضد الحكم التركى البغيض، كما أن تلك الوثائق ترجع أسباب اندلاع الثورات الداخلية الأهلية فى ليبيا إلى أسباب سياسية واقتصادية. هذا بالإضافة إلى أن هذه الوثائق تورد أيضاً معاملة الأتراك القاسية والمتغطرسة لأبناء البلاد من الثوار.

إن غطرسة الأتراك وقهرهم ساعدت فى الواقع على ازدياد النقمة وانتشار التذمر ضدهم، إذ كان الأتراك سواء كانوا جنوداً أو حكاماً قياديين

1- كانت أغلبية الوثائق أو المراسلات تحمل توقيع جوفاني روسوني قنصل توسكانة بطرابلس، ونائبه فيليب روسوني المقيم في بنغازي .

ينظرون إلى أبناء الشعب الليبى نظرة فوقية مليئة بالتكبر والغطرسة، وكانوا يعتبرون أنفسهم سادة لأولئك المقهورين، وقد ساعدت هذه المعاملة السيئة على نشوء طبقة اجتماعية جديدة عليا دخيلة فى تركيبة المجتمع العربى الإسلامى الليبي، مما جعل المواطن البسيط يشعر بأن أولئك الأتراك ليسوا حماة للإسلام كما يدّعون، فالإسلام ضد الطبقية الاجتماعية ولا فرق بين المسلمين فكلهم سواسية، ولا يستبعد أن ذلك راجع إلى أن أغلبية الحكام الأتراك فى ليبيا خلال تلك الفترة التى اندلعت فيها الثورات الداخلية قد استعانوا بجنود الإنكشارية الذين كان أغلبهم من أصل ألبانى الذين كان معظمهم اعتنق الإسلام حديثاً فهم لازالوا خلال تلك الفترة الزمنية يضمرون حقداً للمسلمين والإسلام خاصة وان معظمهم قد اجبر على اعتناق الاسلام منذ صغره، هذا على الرغم من وجود شخصيات بارزة عديدة منهم يعتبرون من المسلمين المتمسكين بالدين قولاً وعملاً، إن سلوك كثير من أولئك الجند كانتهاك الحرمات والسرقة[1] والاعتداء على الأفراد قد أدى بالتالى إلى نفور كثير من القبائل منهم. وقد تكبدت البلاد الليبية ديوناً ضخمة بسبب سوء تصرف الحكام الأتراك، وكان القره مانليون من بينهم، وعلى الرغم من أن يوسف باشا فى بداية حكمه كان من أبرز الباشاوات القره مانليين الذين قاموا بإصلاحات كثيرة فى البلاد مما أدى إلى انتعاش،

1- يروى أحد شهود العيان، أن الجنود الأتراك كانوا خلال أواخر الحكم التركي في ليبيا، يقومون بسلب الفلاحين البسطاء في الأرياف، حيث كانوا يستولون على مواشيهم، هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا غالباً ما يطلبون من أولئك الفلاحين الفقراء إقامة وليمة غداء لهم، وعندما يقدم لهم الأكل، يمتنعون عن تناوله حتى يدفع لهم مبلغاً من المال مقابل مضغ أسنانهم للطعام المقدم إليهم من المضيف.

بل وازدهار الحالة الاقتصادية فيها، إلا أن إسرافه وبذخه كذلك طمعه وسوء معاملته لمواطنيه الليبيين قد أدى بالتالى إلى فرض كثير من الضرائب الباهضة على السكان المحليين وذلك بعد أن أجبرته بعض الدول الأوربية على اتفاقية تحريم الجهاد البحرى دولياً «القرصنة البحرية» التى كان يستخدم فيها مثل درغوت سابقاً المواطنين المحليين للبلاد من قبائل ترهونة [1] وورفلة بصفة خاصة كبحارة على متن تلك السفن البحرية. وقد أصاب توقف تجارة القوافل بسبب تحريم تجارة الرقيق بالإضافة إلى تحريم الجهاد البحرى فى البحر المتوسط دويلات الشمال الأفريقى ومنها ليبيا بنكسة اقتصادية حادة أدت إلى تدهور الوضع الاقتصادى مما أدى إلى ازدياد ضخامة ديون البلاد، وقد حاول الباشا يوسف القره مانلى فى أواخر حكمه للبلاد التخلص من تلك الديون بكافة الوسائل باللجوء دائماً إلى عدة حلول منها سك عملات نقدية للبلاد واستبدالها بأخرى بسرعة بعد طرحها فى السوق مباشرة [2]، ولكن هذه الحيلة وغيرها لم تسعفه فأصبح يعانى من الديون مما جعله يلجأ إلى فرض ضرائب على السكان، كانت فى الواقع ضرائب باهظة ساعدت على انتشار التذمر بين سكان البلاد خاصة سكان الأرياف.

إن سوء الحالة الاقتصادية للبلاد التى كانت تعانى فى الواقع من قلة سقوط الأمطار راجع إلى ذلك الجفاف الذى تسبب فى بعض السنوات فى

1- Camilio Manfroni. L` Italia Nelle Vicende Marinare della Tripolitania, Milano. A. Airodi . 1934 . PP 71-72 .

2- G. Cimino : Storia E Numismatica dell` Africa del Nord. Libia Anno 3. N.3. Maggio - Giugno. 1927. PP. 223-224.

انتشار المجاعة بين السكان مما أدى إلى ظهور جماعات مسلحة من أفراد القبائل تحترف النهب والسلب، وبالتالى خرق قوانين الأمن فى البلاد، والخروج عن طاعة الباشا نفسه الذى حاول إعادة الأمن إلى البلاد فلم يستطيع فتلاشت قوته التى حاول مراراً بسطها على القبائل من السكان، هذا بالإضافة إلى ما كان يعانيه البيت الحاكم بالقلعة من مشاكل وخلافات سياسية حول تولى السلطة مما أدى إلى تنازع الأخوة فيما بينهم، ذلك النزاع الذى شطر البلاد إلى قسمين هما الريف والمنشية، مما جعل زعماء القبائل يستغلون هذه الفرصة التى كانت مواتية للامتناع عن دفع الضرائب إلى السلطات وبالتالى التخلص من حكم القره مانليين الذى كان فى الواقع قد أخذ يجر البلاد إلى الهاوية، كل ذلك جعل الباب العالى فى القسطنطينية يسرع فى اتخاذ تدابير صارمة للتخلص من حكم القره مانليين فى البلاد وذلك بتعيين باشاوات جدد، وقد سارعت سلطات الباب العالى بالفعل إلى تعيين مصطفى نجيب باشا ولم يبق سوى بضعة أشهر فى الحكم حتى تم تعيين محمد رئيف باشا عام 1835م وعزمى أفندى كمساعد له، وترحيل أسرة الباشا يوسف القره مانلى السابق إلى تركيا، وذلك للتخلص منهم بعد أن انهارت البلاد اقتصادياً وسياسياً، مما جعل كثيراً من الدول الأوربية ومن بينها بريطانيا تسارع للمطالبة باسترجاع ديون رعاياها، حيث يورد السنيور جيوفانى روسونى فى رسالة موجهة إلى حاكم ليفورنو بتاريخ 16 مايو 1836م مجيء القنصل البريطانى السيد هـ. وارنجتون H. Warington إلى طرابلس على ظهر الطراد الإنجليزى Favorite بقيادة الكابتن ر. موندى R. Mundy للمطالبة بديون الرعايا الإنجليز على أيالة طرابلس والتى بلغت قيمتها حوالى

400.000 ريال «أربعمائة ألف ريال» والتى تراكمت على البلاد خلال عهد أواخر باشوات القره مانلية، حيث كان الأمراء القره مانليون يعيشون فى حياة البذخ والإسراف بينما كان الشعب فى ليبيا يعيش حياة الفقر وعرضة لفتك الأمراض.

وفى عهد الباشا محمد رئيف ومساعده عزمى أفندى أزداد انتشار التذمر بين سكان البلاد فاندلعت ثورة القبائل التى استمرت حوالى 23 عاماً (1858-1835).

إن إزدياد تذمر القبائل الليبية فى دواخل البلاد جعل الباشا محمد رئيف يخشى الوقوع فى قبضة تلك القبائل أو عرضة للاغتيال من قبل رجال أحد تلك القبائل الثائرة ضده، مما جعله يختار مسكناً خاصاً به خارج المدينة وذلك وسط حراسة جنوده حيث أختار فيلقاً من القوات الخاصة المدربة لحراسته من نقمة سكان المدينة أيضاً، على الرغم من وصول إمدادات هائلة من الباب العالى بالقسطنطينية، وقد حاول الباشا محمد رئيف أثناء فترة حكمه للبلاد إخضاع تلك القبائل العربية الثائرة ضد السلطة التركية، فاعتمد على أسلوب تكتيكى هدفه إخضاع القبائل تدريجياً، إذ بدأ بإرسال حملة عسكرية بقيادة طاهر باشا لإخضاع قبائل مصراته عام 1836م، وقد تم تدعيم تلك الحملة العسكرية التركية التى كانت مكونة من ستمائة جندى من جنود الخيالة بإمدادات وجنود آخرين وذلك من أجل احتلال مصراته، كما أن الباب العالى قد أرسل إمدادات عسكرية إلى طرابلس بهذا الخصوص، حيث وصلت هذه الإمدادات بناء على طلب الباشا إلى مدينة طرابلس فى 27 يونيه 1863م[1] وكانت عبارة عن مجموعة من القطع البحرية الحديثة التى

1- رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 10 يوليو 1836م.

Doc. N. 215.

A. S. L. F. Governatore F. N. 889 .

كانت تتكون من : فرقاطتين، أربع سفن حربية متوسطة الحجم سريعة، سفينتين طراد بحرية، سفينة كبيرة حربية، سفينة سكونير بالإضافة إلى تسعة عشر سفينة نقل وتموين كان على متنها حوالى ثلاثة آلاف جندى نظامى من بينهم ثلاثمائة فارس. وقد اشتركت القوات البحرية فى حملة الأميرالاى العثمانى طاهر باشا، حيث شاركت ثلاثة زوارق حربية سريعة بالإضافة إلى ثمانى سفن نقل وتموين، وقد ازداد جنود تلك الحملة العسكرية ضد مصراته حتى وصل تعدادهم إلى أربعة آلاف جندى كان معظمهم من الأتراك بالإضافة إلى العرب المجندين، وقد تم إنزال القوات التركية على ساحل مصراته بينما تمت محاصرة مصراته بقوات برية بلغ تعدادها ثلاثة آلاف جندى. إن حشد هذه القوات الهائل - برية وبحرية- قد جعل زعماء العرب المتمردين غير قادرين على مواجهة هذا الزحف، فسقطت مصراته بعد شن ثلاث هجمات شرسة من قبل قوات الحملة العسكرية التركية بعد أن خسر الأتراك فى تلك الهجمات حوالى أربعمائة جندى كان من بينهم بعض المجندين العرب، وقد استطاع عثمان الأدغم أغا قائد الثورة فى مصراته الالتجاء إلى الجبل ثم الهروب فيما بعد إلى مصر، وبعد تلك الحملة التركية ضد مصراته انتشر التذمر بين سكان ليبيا فى كل من بنغازى وغريان بالإضافة إلى مصراته نفسها حيث أخذ المواطنون من الأهالى يقاومون السلطات التركية والامتناع عن دفع الضرائب الطائلة التى كانت تفرضها تلك السلطات عليهم.

وعندما جاء الباشا حسن (1837-1838) إلى الحكم بطرابلس حاول بإيعاز من نائبه عسكر باشا سحق الثورة بكل قوة بالإضافة إلى أن الباشا نفسه

حاول اتخاذ إجراءات صارمة للحد من تذمر المواطنين داخل طرابلس وذلك بمنع المواطنين العرب من الخروج ليلاً خوفاً من التحاقهم ببقية الثوار، هذا كما منع سكان مدينة طرابلس من حمل الأسلحة أو حيازتها، أما الخروج إلى الصيد فكان يتم بموجب تصريح من الباشا نفسه، وغير ذلك من الأوامر التى بدأ سريانها فى مدينة طرابلس ابتداء من يوم الأحد الموافق 26 نوفمبر 1837م[1] ولكن هذه الأوامر التى كان يهدف الباشا حسن من ورائها إلى المحافظة على الأمن والاستقرار داخل مدينة طرابلس التى كان يتمتع فيها الرعايا الأجانب والمقربون من الباشا العربيد ونائبه باحتكار التجارة، مما جعل السكان يقاومون بكل صلابة وعناد أوامر الباشا حسن ونائبه اللذين كانا قد قررا ضرورة سحق الثورة الأهلية والانتقام من قادتها [2] فى جميع مناطق البلاد بكل قوة وعنف، ذلك الأسلوب الذى أدى إلى سخط الأهالى وتمسكهم بجدية المقاومة.

ولقد أدى عدم استقرار الأمن فى البلاد إلى تدهور الحالة الاقتصادية بحيث لم يبق لدى التجار الأوربيين ما يشترونه وما يبيعونه، وذلك بسبب تعنت سكان البلاد وعدم خضوعهم للحاكم التركى على الرغم من انتشار الأوبئة كالطاعون بالإضافة إلى المجاعة والفقر بين أولئك السكان الذين كانوا يكرهون حسن باشا ونائبه عسكر باشا اللذين لم يستطيعا إيجاد حلول عاجلة

1- رسالة القنصل التوسكاني في 28 نوفمبر 1837م.

Doc. N. 108 . A. S. L. F. Governatore F. N. 890 .

2- استطاع الباشا حسن القبض على قائد الثورة في مصراته عثمان الأدغم اغا، حيث أرسله مع ابنه ونفر من أتباعه إلى تركيا . . . للمزيد انظر:

Rossi, E. Storia di Tripoli ... op. cit., P. 302 .

للمجاعة والفقر المنتشر بين السكان، مما أدى إلى دفع بعض القبائل للإغارة على المناطق والمدن الخاضعة للأتراك فانتشرت الفوضى والإخلال بالنظام وعدم الاستقرار والطمأنينة فى البلاد، حيث قام الشيخ عبد الجليل زعيم قبيلة أولاد سليمان وغيرها من القبائل المتحالفة معه بشن هجمات شرسة على مصراته مما أدى إلى قتل كثير من المجندين المصراتيين مع السلطات العثمانية وغنيمة خمسة آلاف رأس ماشية [1] «أغنام، أبقار، خيول، إبل . . . إلخ» ولم تستطع قوات الحامية التركية فى هذه المنطقة مقاومتهم لمنعهم من عمل ذلك.

وعندما فشل حسن باشا فى القيام بأية إصلاحات ترضى سكان البلاد واعادة الإستقرار والأمن بين المواطنين، تم استدعاؤه إلى القسطنطينية، حيث تم تعيين بدلاً منه عسكر على باشا ليحكم البلاد. وكان عسكر على كما وصفه روسونى قنصل توسكانة بطرابلس فى مراسلاته مع حكومة بلاده، رجلاً فظاً قاسياً ماكراً أنانياً، يبلغ من العمر 45 عاماً عندما تولى حكم البلاد[2] - وقد ترك الباب العالى له حرية التصرف لإخضاع السكان فى ليبيا للسلطة العثمانية، على الرغم من أن القبائل العربية فى ليبيا كانت غير راضية عن تعيينه باشا جديداً لطرابلس، وقد حاول الباشا عسكر على فى البداية كسب مودة زعماء القبائل بالمودة واللين فأغدق الهدايا عليهم حتى يقبلوا الخضوع والاستسلام للسلطة، ولكن انتشار الثورة حال دون ذلك،

1- Doc. N. 9 . A. S. L. F. Governatore F. N. 890 .

رسالة القنصل التوسكاني في 4/8/ 1838م.

2- Doc. N. 10 . A. S. L. F. Governatore F. N. 890 .

رسالة القنصل التوسكاني في 31/8/ 1838م.

فامتدت الثورة لتشمل القبائل التى كانت تسكن المناطق المجاورة لمدينة درنة[1]. وقد سارع الباشا عسكر على لمصالحة كافة القبائل العربية الثائرة فى دواخل البلاد، وذلك لأنه كان يخشى أن تمتد الثورة إلى مناطق أخرى، وبالفعل فقد استطاع عقد مصالحة ودية مع زعماء تلك القبائل المجاورة لمدينة درنة مقابل دفع ضريبة سنوية جديدة للحكومة التركية تتروح قيمتها ما بين أربعين إلى خمسين ألف ريال شرط أن يتولى السلطة تركى شرقى فى تلك الأقاليم الثائرة، أما فيما يتعلق بمسئولية الحفاظ على الأمن فى تلك الأقاليم فيجب إسنادها إلى بعض الشخصيات المحلية [2]، وبالرغم من التوصل إلى اتفاق ودى مع السكان العرب، إلا أن الثورة لم تتوقف بل استمرت فى الانتشار حتى عمت بنغازى مع بقية المناطق المجاورة لها، ويختتم القنصل التوسكانى رسالته المؤرخة فى 23 نوفمبر 1839م حول هذا الموضوع قائلاً «إنى أشك فى مقدرة الباشا عسكر على وقواته فى إخضاع هؤلاء العرب المتمردين على الحكومة العثمانية، لأن القيام بذلك العمل يحتاج إلى وقت طويل كاف، هذا بالإضافة إلى أن الأتراك لا يستطيعون التصرف والتحرك ضد الثوار الذين كانوا يتوغلون فى المناطق الصحراوية الداخلية للبلاد، مما يجعل من المستحيل جداً على الباشا عسكر على أو غيره إخضاعهم بسهولة»[3] وفى الواقع فإن قسوة وغطرسة الباشا عسكر على لم تفده فى تقريب زعماء القبائل للالتفاف حوله ومساندته، بل أدت إلى نفور أولئك منه مع الاستمرار فى مقاومته، حيث قام الشيخ عبد الجليل زعيم أولاد

1- نفس الوثيقة السابقة .

2- نفس الوثيقة السابقة .

3- Doc. N. 46 . A. S. L. F. Governatore F. N. 891 .

سليمان مع بقية القبائل المتحالفة معه بشن هجوم على الأتراك فى تاجوراء وقام رجاله بسلب مدخرات السكان من الحبوب والزيوت، وسكب كميات هائلة من زيت الزيتون على الأرض وذلك للتخلص من الكميات الهائلة من الزيت التى كانوا قد حملوها معهم [1]

أما فى المناطق الشرقية من البلاد فقد استطاع طوسون باشا الحاكم التركى فى بنغازى استدراج زعماء القبائل الثائرة، حيث طلب منهم المجيء إليه لغرض التشاور والتصالح لإيجاد كافة الحلول التى سوف ترضى الطرفين التركى والعربي، وبالفعل استطاع بهذه الحيلة خداع بعض زعماء القبائل الذين حضروا إليه، فقام على الفور بسجن سبعة وعشرين شيخاً وذلك مقابل عدم دفع الضرائب المتأخرة على قبائلهم [2]. كما حاول الباشا عسكر على الحاكم العام للبلاد تحقيق انتصار بواسطة عصابة من العرب الموالين للأتراك ضد الشيخ عبد الجليل سيف النصر بخيانته والالتفات حول الجماعة التى يقودها بنفسه، ولكن خطته فشلت حيث استطاع الشيخ عبد الجليل زعيم قبيلة أولاد سليمان والقبائل الأخرى المتحالفة معها الإفلات من تلك المكيدة التى دبرها الباشا عسكر على الذى كان قد شغل نفسه أيضاً بإخماد الثورة التى اندلعت فى ترهونة فقام بإرسال فرقة عسكرية من الشاميين الشرقيين تتكون من سبعمائة جندى نظامى تساعدهم جماعة

1- Doc. N. 48 . A. S. L. F. Governatore F. N. 891 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 31 ديسمبر 1839م .

2- Doc. N. 50 . A. S. L. F. Governatore F. N. 180 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 15 يناير 1840م .

من العرب المجندين لإخضاع سكان ترهونة وبنى وليد للسلطة التركية بطرابلس حيث استعان الكولونيل باكيربى قائد الفرقة العسكرية بأربعة مدافع لإتمام ذلك الغرض، وتوجهت الفرقة العسكرية بقيادة باكيربى ليس لإخضاع ترهونة، بل إخضاع التمرد فى كل من غريان وبنى وليد أيضاً. وقد عارض الشيخ أرحومة زعيم غريان [1] توغل الفرقة العسكرية التركية فى منطقته ودفعه ذلك للهجوم عليها فجرت معركة بين الطرفين انضم فيها مجموعة من المجندين العرب وعددهم ثمانون جندياً مسلحاً إلى قوات ارحومة شيخ غريان، أما بقية الفرقة التركية التى توجهت بعد ذلك إلى بنى وليد فقد تم سحقها بواسطة الشيخ عبد الجليل سيف النصر. ومن الممكن القول أن ثورة القبائل الداخلية فى كل من مناطق غريان وبنى وليد وترهونة خلال عام 1840م جعلت من طرابلس المدنية الوحيدة التى ظلت خاضعة للسلطة التركية فى البلاد، وأدت استمرارية الثورة فى المناطق الداخلية من البلاد إلى تكرار الصدام المسلح ما بين الليبيين العرب والأتراك فساعد ذلك على تأزم الحالة الاقتصادية للبلاد، خاصة بعد تحالف تلك القبائل معاً ضد الحكم التركي، مثل تحالف ترهونة مع أولاد سليمان بقيادة الشيخ عبد الجليل وبقية القبائل المتحالفة معه لمقاومة الأتراك فى كل من مصراته والقرى المجاورة لها، وأدى الصراع الدموى بين الطرفين المتحاربين إلى مضاعفة أسعار المنتوجات الزراعية حيث وصل سعر الويبة [1] من القمح إلى حوالى

1- Doc. N. 56 . A. S. L. F. Governatore F. N. 180 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 17 إبريل 1840م.

أثنى عشر مجيدى «ريال» خلال شهر أغسطس 1840م، مما مهد لحدوث مجاعة فظيعة خلال عام 1841م، جعلت السكان فى إقليم طرابلس يقدمون على بيع ذهب وفضة نسائهم من أجل الحصول على ما يسد رمقهم من غـذاء.

ووجد الباشا عسكر على فى تلك المجاعة التى أصابت البلاد فرصة ثمينة لإذلال السكان وإخضاعهم، فقام بإصدار أوامره بمنع استيراد الحبوب والأرز وغيرها من المواد الغذائية الأخرى للبلاد، مما ساعد على إعادة بسط نفوذه على سكان الإقليم من جديد، حيث فرضت المجاعة استسلام سكان غريان وخضوعهم للأتراك بعد أن هرب الشيخ أرحومه [2] الذى كان يقود التمرد ضد الأتراك من غريان، كما استطاعت قوات الباشا عسكر على إلحاق هزيمة بالشيخ عبد الجليل وقواته، حيث تم القبض على الشيخ عبد الجليل وقطع رأسه فى يوم 31 مايو 1842م كما يورد قنصل توسكانة فى رسالته المؤرخة فى 5يونيو 1842م، إذ أصدر الباشا عسكر على منشوراً بخصوص هذا الأمر تم تعميمه على كافة السكان والقناصل الأجانب المعتمدين بطرابلس، وبالفعل فقد تم إرسال جميع رؤوس زعماء القبائل المتحالفة مع قبيلة أولاد سليمان والذين كان الباشا عسكر على قد أمر بقطعها

1- الويبة مكيال يستخدمه السكان المحليين في كيل الحبوب. أو أنها تساوي 8كيلات = 8 مرطات أو «ثمان موازير» بالعامية الليبية.

2- Doc. N. 76 . A. S. L. F. Governatore F. N. 193 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 7 أغسطس 1841م.

بعد أن استطاعت قواته أسر معظم أولئك الزعماء الذين كانوا جميعاً بصحبة الشيخ عبد الجليل وأخيه سيف النصر لمقابلة القنصل الإنجليزى بالقرب من سرت، وذلك بعد المعركة التى حدثت بين القبائل العربية والقوات التركية التى كانت بقيادة حسن بى البلعزى فى أبو نجيم. وتم عرض جميع الرؤوس المقطوعة للزعماء مع رأس عبد الجليل وأخيه سيف النصر فى مدينة طرابلس، وتم الطواف بها فى الميادين الرئيسية بالمدينة ثم تعليقها أمام القلعة فيما بعد. وكان الباشا عسكر على يهدف من وراء ذلك ليس إلى معاقبة زعماء الثوار ضد السلطة التركية فى البلاد، بل أيضاً إلى تخويف وإرهاب بقية السكان العرب فى الإقليم الذين يعارضون فيه السلطة سراً وعلانية.

ولم يكتف الباشا عسكر على بذلك الانتقام بل طلب إحضار بقية الأسرى وعددهم خمسون أسيراً كان من بينهم الشيخ أحمد المريض زعيم ترهونة وأخيه وأبناؤه [1] وأمر الباشا عسكرعلى بإعدامهم فوراً بمجرد وصولهم طرابلس، أما بقية الأسرى وعددهم 46 شخصاً فقد سمح لجنوده بالفتك بهم وتعذيبهم وكان من بينهم ثلاثة شبان أبناء للشيخ سيف النصر أخ الشيخ عبد الجليل بالإضافة إلى رأس مصطفى الأدغم ابن أغا مصراته السابق.

وقد قوبلت هذه الأعمال التعسفية الهمجية التى قام بها عسكر على باشا فى طرابلس ضد خصومه من الثوار العرب بالإقليم بعاصفة حادة من الاستياء والامتعاض من بعض الدول الأجنبية كفرنسا وبريطانيا. كما زادت

1- Doc. N. 7 . A. S. L. F. Governatore F. N. 204 .

تصرفات الباشا الوحشية ضد الزعماء الوطنيين فى البلاد من اشتعال الثورة التى استمرت بزعامة أخ الشيخ عبد الجليل الذى تولى قيادة أولاد سليمان فى فزان، أما فى ترهونـة فقد تولى أحـد أبناء الشيخ المريض الزعيم السابق لترهونة قيـادة حركة مقاومة السلطة التركية، كما استمر الشيخ غومة فى قيادة المحاميد بالجبل، مما أدى إلى ازديـاد القلاقل ضد حكم الباشا عسكر على الذى تم استدعاؤه إلى القسطنطينية وتم تعيين المشير محمد أمين باشا (1842-1847) الذى وصل إلى البلاد فى يوم 15يوليو 1842م لتولى مهام منصبه يرافقه اثنان من ابنائه، تم تعيين أحدهما حاكماً لبنغازى - أما الثانى فقد تم تعيينه دفتر دار بطرابلس، وقد قام المشير محمد الباشا الجديد بإطلاق سراح المساجين السياسيين العرب الذين بقوا على قيد الحياة، وكان من بينهم محمد بوعيشـة سكرتير الشيخ عبد الجليل السابق، حيث تم تعيينه كمساعد للبى التركى بفزان، وذلك ضمن المساعى الحميدة للتقرب وتطييب خواطر سكان الإقليم الذين لازالت أفئدتهم تغمرها الثورة ومقاومة الحكم التركي.

وقد حاول باشوات طرابلس زرع بذور الفتنة بين القبائل العربية فى ليبيا وقد أستطاعو بالفعل تحقيق ما أرادوا فى كثير من الأحيان حيث أصبحت القبائل تتطاحن فيما بينها لأسباب تافهة وساعدهم فى ذلك تفشى الأمية بين أغلبية السكان وانتشار الخرافات والأساطير وكثرة المشعوذين «المرابطين» الذين كانت تستخدمهم السلطات التركية أحياناً فى الدعاية لسياسة الباشاوات حكام البلاد الذين كانوا يعاملون سكان البلاد بكل قسوة وهمجية، فسقط ستار التدين الذى كانوا يتظاهرون به أمام السكان بعد أن

فضح رغبتهم فى تكديس الأموال واقتناء الحريم والخصيان، وهذا السلوك المتطرف الشاذ البعيد عن الإسلام جعل أغلبية باشاوات البلاد ينصرفون تماماً عن القيام بأية إصلاحات تنقذ البلاد من الانهيار الاقتصادى والسياسى الذى تنجرف إليه، بالإضافة إلى أن المعاملة السيئة للأتراك جعلت أغلبية المتعاونين معهم من سكان البلاد يختارون الانسحاب إلى مواقعهم الطبيعية مع الثوار فى دواخل البلاد، ولم يبق معهم سوى المنبوذين [1] والفاسقين كالسكارى والمتشردين حيث أصدر الباشا محمد أمين أوامره بالسماح لهم بالانضمام إلى الجيش التركى بالبلاد.

إن نفى غومة المحمودى زعيم الثوار فى الجبل إلى تركيا كان له تأثير سيء فى نفوس كافة سكان البلاد، حيث رفض رفاقه الثوار فى الجبل الاستسلام للسلطة التركية وقرروا المطالبة بعودته إلى الجبل، مما جعل الباشا محمد يغضب بشدة من أولئك الثوار ويقوم بإرسال فرقة عسكرية نظامية يساعدها بعض المجندين المحليين تتكون من عشرة آلاف إلى أثنى عشر ألف جندى تقريباً، بقيادة أحمد باشا [2] لتأديب وإخضاع ثوار الجبل الذين قاموا بقتل حاكم غدامس أحد مماليك الباشا يوسف القره مانلى السابق، وكان قد أجبر سكان غدامس على دفع الضرائب السنوية إلى باشا طرابلس، على الرغم مما يعانون من المعاملة القاسية من ذلك الحاكم، هذا بالإضافة إلى أن

1- Doc. N. 23 . A. S. L. F. Governatore F. N. 221 .

رسالة القنصل التوسكاني فيليب روسوني المؤرخة في 10 فبراير 1843م .

2- Doc. N. 23 . A. S. L. F. Governatore F. N. 221 .

رسالة القنصل التوسكاني فيليب روسوني المؤرخة في 5 إبريل 1843م .

سكان الجبل أصبحوا يضايقون تجارة القوافل القادمة إلى طرابلس عن طريق غدامس، حيث قاموا بتحويل بعض القوافل التجارية التى كانت تحمل بضائع قادمة من أفريقيا إلى تونس، مما أدى بقائد الحملة التركية العسكرية إلى الإسراع فى إخضاع سكان الجبل، فارضاً دفع عشر ريالات على كل رأس من السكان المحليين الجبليين كضريبة يجب دفعها للسلطات التركية بطرابلس، وقد بلغ مجموع المبلغ المالى الذى تم تحصيله من سكان الجبل بواسطة قائد الحملة العسكرية حوالى مائة ألف مجيدي. كما طلب أحمد باشا قائد الحملة التركية إلى سكان الجبل تسليم أسلحتهم، ولما رفض السكان أوامر قائد الحملة أمر بالقبض على عدد كبير من قبيلة المحاميد [1]، حيث تم قطع رؤوسهم لتحريضهم السكان على معارضة أوامره، ثم بعد ذلك أمر بإرسال الرؤوس المقطوعة لبقية الزعماء من شيوخ العرب بالجبل، وذلك لتخويفهم ودفعهم لقبول تسليم سلاحهم والخضوع للسلطات التركية بالإضافة إلى دفع الضرائب التى كان قد فرضها عليهم بعد انتصاره فى الجبل، ولم يكتف أحمد باشا - الذى كان يلقبه سكان الجبل «بالجزار» - بذلك بل أمر بالقبض على مزيد من الثوار فى الجبل لأجل إرسالهم إلى السجن والنفى [2] فى تركيا. كما قام أحمد باشا بإرسال فرقة من الجنود إلى غدامس لإعادة الأمن والاستقرار بها، كما أنه أمر سكان غدامس بدفع مبلغ مالى مقداره مائة ألف مجيدى فتذمر الغدامسيون من تلك المعاملة السيئة

1- Doc. N. 29 . A. S. L. F. Governatore F. N. 221 .

رسالة القنصل التوسكاني فيليب روسوني المؤرخة في 30 مايو 1843م .

2- كان غومة من بين الذين تم القبض عليهم ونفيهم إلى تركيا عام 1843م.

لقائد الحملة أحمد باشا، وأدى ذلك إلى تدهور نشاط تجارة القوافل التى كان يقوم بها الغدامسيون ما بين طرابلس وتونس وأفريقيا، بعد أن تم تعيين قائد تركى جديد لغدامس مهمته تحصيل بقية الضرائب السنوية المتأخرة على السكان بالإضافة إلى تحصيل الرسوم الجمركية على كافة البضائع الواردة إلى غدامس عن طريق القوافل التجارية.

وعندما عاد القائد أحمد باشا من حملته التأديبية لسكان الجبل إلى طرابلس، ترك حامية عسكرية من الجنود الأتراك للحماية والأمن ومساعدة مصطفى قرجى رئيس جباة تحصيل الضرائب من السكان الذين رفضوا بشدة دفع المبالغ المالية التى فرضت عليهم فأدى ذلك إلى حدوث معركة دامية ما بين سكان الجبل والجباة الشاميين الشرقيين الذى كان يساعدهم بعض الطرابلسيين المجندين مع الأتراك، مما جعل الباشا محمد أمين يدرك أن سياسة قطع الرؤوس والتنكيل والنفى مع إرسال الحملات العسكرية التأديبية لم تفده فى إيجاد حلول حاسمة لإخماد الثورة فى البلاد، فطلب فى اجتماعه مع رؤساء القبائل المرموقين ضرورة تعيين حكام عرب بوظيفة بى لتولى إدارة شئون المتصرفيات مع احتفاظ السلطات التركية بفرق عسكرية تتكون من الجند الشاميين «الشرقيين» لمساعدة الحكام الجدد. وكان غرض الباشا من ذلك تلميع صورته لدى مشايخ وأعيان البلاد هذا مع المحافظة على خضوع واستسلام القبائل لحكمه وذلك للقضاء على الثورة بامتصاص غضب السكان فى المناطق الثائرة تدريجياً، لكن هذه البادرة فى الواقع لم تؤد ولو إلى خروج البلاد من الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها، بل ساهمت فى إصرار الأهالى على الامتناع عن دفع المبالغ المالية التى

فرضتها السلطة عليهم بسبب سنوات الجفاف التى كانت قد أصابت معظم المناطق فى البلاد، مما أدى إلى المجاعة التى ساعدت على انتشار غارات السلب والنهب فى عهد الباشا محمد، هذا بالإضافة إلى ارتفاع أسعار الحبوب التى وصلت إلى سعر خيالى فى نظر أغلبية السكان، فدفع ذلك الباشا محمد فى طرابلس إلى القيام بتجنيد أعداد هائلة من العرب لمقاومة تلك القبائل التى عكرت صفو النظام فى البلاد كما كان يعتقد الباشا نفسه.

وقد استغل الجبليون الثوار تلك الظروف القاسية التى تمر بها البلاد، فاستطاع عدد كبير من المنفيين خارج البلاد العودة إلى الجبل وقتل 12 جندياً من بين جنود الحامية التركية الذين كانوا قد بقوا فى الجبل للمحافظة على الأمن والاستقرار فى المنطقة. كما قام عدد كبير من المهاجرين الثوار بتونس بالتسلل عبر الحدود إلى الجبل بتحريض الشيخ ميلود مساعد الشيخ غومة والذى كان قد اجتمع بأولئك المهاجرين وعائلة المحاميد من سكان الجبل بعد رجوعه إلى تونس بحراً من منفاه بتركيا، وقد قام العائدون إلى الجبل من الثوار بالاستيلاء على مناطق كثيرة من الجبل بعد طرد الأتراك والموالين لهم من العرب [1] منها مما دفع الباشا محمد أمين إلى إرسال حملة عسكرية أخرى بقيادة أحمد باشا لإخضاع سكان الجبل، كانت الحملة تتكون من خمسة آلاف جندى منهم حوالى سبعمائة جندى نظامى تركى وعدد خمسمائة فارس من فرق الخيالة الأتراك، أما البقية فكانوا جميعاً من جنود الميليشيا العربية، وقد استطاع أحمد باشا قائد الحملة استعادة كثير من المواقع التى كان قد احتلها الثوار فى الجبل. وقد شرح الباشا محمد أمين فى مقابلته لقناصل

(1) Doc. N. 64 . A. S. L. F. Governatore F. N. 232 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 9 أغسطس 1844 م .

الدول المعتمدين بطرابلس مهمة وأهداف الحملة العسكرية التى تم إرسالها إلى الجبل، وكيف استطاعت إخضاع أولئك الثوار ومعاقبتهم بكل قسوة وعنف، بعد استرداد كافة المواقع الرئيسية فى القرى والأرياف [1] مما دعا الشيخ ميلود إلى الهرب إلى جزيرة جربة بعد قيام سكان ككلة بخيانته وبعد أن استطاع قائد الحملة العسكرية تحقيق انتصار على الثوار فى الجبل، قام الباشا محمد أمين برفع قيمة الضريبة المفروضة على السكان إلى ثلاثة عشر ريالاً «مجيدي» على الفرد الواحد من سكان الجبل بدلاً من عشرة ريالات كما فى السابق، وقد تسبب عدم مقدرة سكان البلاد على دفع قيمة الضرائب الباهظة السنوية المفروضة عليهم من قبل السلطات التركية بالإضافة إلى خوفهم من بطش الأتراك بهم فدفعهم إلى البدء فى الهجرة إلى الأقطار المجاورة خاصة إلى كل من مصر وتونس. أما بقية سكان البلاد الذين فضلوا البقاء فى أقاليم ليبيا الثلاث «طرابلس، فزان، وبرقة» فقد تحالفت معظم قبائلهم معاً لمقاومة السلطات التركية، ولإثارة المشاكل لها، حيث قام سكان كثير من القرى فى فزان بالثورة ضد الأتراك، وأعلنوا استقلالهم عن البى الطرابلسى الذى كان قد تم تعيينه بواسطة الباشا محمد أمين بعد طرد أبناء الشيخ عبد الجليل وقبيلتهم الذين التجأوا إلى برنو الواقعة فى دواخل البلاد مما ساعدهم فى مضايقة القوافل التجارية ومنعها من القدوم إلى فزان، وهذا ما جعل بى فزان الذى كان من الطرابلسيين الموالين للأتراك يطلب نجدة من باشا طرابلس الذى قام بإرسال قوات عسكرية إليه. استطاعت إخماد تلك الثورة المناهضة للحكم التركى فى الإقليم بعد معركة

1- Doc. N. 66 . A. S. L. F. Governatore F. N. 232 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 5 سبتمبر 1844 م .

دامية دارت ما بين الطرفين، وقد امتدحت القسطنطينية ما قام به باشا طرابلس ضد سكان الجبل، وأرسلت شخصية بارزة وصلت طرابلس عن طريق مالطة محملة بالهدايا الثمينة تقديراً للباشا ورجاله فى البلاد نظراً لما قاموا به من بطش وإرهاب ضد الثوار فى مختلف مناطق ليبيا، وتم إهداء سيف مطلى بالذهب إلى الباشا محمد أمين ومساعط تبغ مرصعة بالألماس والزخارف المختلفة إلى كل من باشا بنغازى وبى فزان الذى تمت ترقيته إلى باشا [1]، أما أحمد باشا قائد الحملات العسكرية التركية ضد الثوار فى الجبل، فقد اكتفى بما استطاع جمعه من أموال وذهب وفضة من سكان الجبل كضريبة وتعويض لما خسرته قواته أثناء قمع الثوار بالمنطقة المذكورة.

وعندما تم تعيين الباشا محمد رجب (1847-1848) حاكماً للبلاد بدلاً محمد أمين الباشا السابق الذى تم تعيينه فى منصب رفيع فى القسطنطينية عام 1847م، عادت الاضطرابات إلى البلاد من جديد، حيث اندلعت الثورة فى كل من غريان والجبل، مما جعل الباشا محمد رجب يسارع إلى إرسال قوات عسكرية بلغ تعدادها ثمانية عشر ألف جندى [2] كان معظمهم من القوات النظامية بينما البقية كانوا من جنود الميليشيا العربية بقيادة بشير باشا الذى استطاع بعد معركة دموية رهيبة إلحاق الهزيمة بالثوار الذين هربوا تاركين وراءهم أسلحتهم ومؤنهم، مما شجع القائد بشير باشا على مطالبة سكان الجبل بضرورة دفع كافة الضرائب المتأخرة فى السابق.

1- Doc. N. 70 . A. S. L. F. Governatore F. N. 232 .

رسالة القنصل في 1844/11/11م .

2- Doc. N. 235 . A. S. L. F. Governatore F. N. 299 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 10 فبراير 1848 م .

هذا كما قام الباشا محمد رجب أيضاً بطلب قوات عسكرية أخرى من القسطنطينية يبلغ تعدادها 4000 «أربعة آلاف جندى ألباني» يتوقع أن تصله بسرعة وذلك بمساعدته فى خنق بذور الثورة ضد السلطات التركية والتى أصبحت تنتشر فى مناطق البلاد المختلفة، كما أصدر الباشا أوامره بخصوص معاقبة كل المتعاونين والمتعاطفين مع ثوار الجبل وغريان. وبالفعل تم القبض على شخصيتين بارزتين من الشخصيات العربية كلاهما كان برتبة قائد فى الميليشيا العربية، أحدهما كان يدعى محمد الطبجى والأخر على الصغير [1]، حيث تم إيداعهما فى السجن بسبب تورطهما فى إحداث ثورة الجبل وغريان، على الرغم من أن الطبجى كان قد تحصل على عدة نياشين تقديراً لخدمته سنوات طويلة فى القوات التركية، وذلك لإرسالهما إلى القسطنطينية للمحاكمة مع بقية الأسرى السياسيين.

ويؤكد القنصل التوسكانى فيليب روسونى فى رسالته المؤرخة فى 22 مايو 1850م الموجهة إلى حكومته أن حركة التمرد والثورة قد عادت من جديد فى ترهونة بعد قتل القائد التركى بمنزله منذ فترة قصيرة، كذلك امتدت الثورة لتشمل الورشفان أيضاً، لذلك فلم تؤدى محاولات الحكومة التركية المتعددة السابقة لإيجاد حلول حاسمة لإيقاف انتشار الثورة إلى بقية المناطق الأخرى فى البلاد إلى نتيجة، فقام الأتراك فى سبيل تحقيق ذلك الغرض بالاعتماد على بعض القبائل الموالية لهم والخاضعة لهم فى محاربة بقية القبائل الثائرة ضدهم، وقام الباشا محمد رجب بإرسال حملة عسكرية

1- Doc. N. 247 . A. S. L. F. Governatore F. N. 299 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 4 إبريل 1848 م .

مكونة من ستمائة فارس من مصراته [1] لإخضاع ثورة سكان بنى وليد وتحصيل الضرائب المتبقية عليهم فى السابق. هذا كما أن الباشا فى طرابلس أصدر أوامره بضرورة القبض على كبار أعيان ومشايخ البلاد بالإضافة إلى أبناء الزعماء الثوار وأقاربهم وسجنهم بالقلعة بطرابلس كرهائن، حتى يقبل أولئك الثوار وقبائلهم بد فع المبالغ المستحقة عليهم والتعهد بعدم إثارة القلاقل ومقاومة الحكومة التركية. وبالفعل استطاع الباشا فى طرابلس أن يجمع مبلغاً مالياً قدره مائتان وخمسون ألف ريال خلال عام 1853م على الرغم من الجفاف الذى أصاب البلاد خلال تلك السنة. وقامت باخرة عثمانية بنقل المبالغ المذكورة بعد أن تم جمعها من متصرفيات بنغازي، مصراته، الجبل وفزان.

ولقد حاولت بعض الدول الأوربية مساعدة الثوار فى البلاد، وعندما عاد غومة المحمودى إلى الجبل من تونس التى كانت تؤيده منذ اندلاع ثورته فى الجبل، وجد صديقه القديم الشيخ المرمورى قد تخلى عنه بعد أن تحصل على عفو صدر من الباشا شخصياً بإطلاق سراحه من منفاه بتركيا مع بقية أتباعه الأسرى الذين كانوا معه وانضم إلى جانب الحكومة التركية فى البلاد وأصبح من حلفائها فى الجبل ضد الثوار، مما جعل الباشا بطرابلس يهدى إليه البرنوس تقديراً لمواقفه اتجاه الحكومة التركية، بالإضافة إلى تزويده بالأسلحة [2] والمؤن اللازمة لمحاربة الثوار بالجبل.

1- Doc. N. 254 . A. S. L. F. Governatore F. N. 414 .

رسالة القنصل التوسكاني المؤرخة في 21 أغسطس 1852 م.

2- Doc. N. 143 . A. S. L. F. Governatore F. N. 551 .

وقد اهتمت كل من فرنسا وبريطانيا بثورة غومة المحمودى فى الجبل خاصة بعد عودته من المنفى، فأرسلت له بريطانيا مبعوثاً يدعى هملتون اجتمع بغومة فى الزاوية ولكن القوات التركية استطاعت القبض عليه قبل عودته إلى طرابلس للاتصال بالقنصل الإنجليزي، ثم إرساله إلى القسطنطينية لمحاكمته هناك، وفى يوم 20 يناير 1856م حدثت معركة ما بين القوات التركية والثوار بقيادة غومة فى الرومية بالجبل تكبد فيها الطرفان كثيراً من القتلى والجرحى وبلغ عدد القتلى من الأتراك حوالى مائة جندي، أما الجرحى فقد بلغ عددهم مئتى جندي، أما خسائر الثوار فغير معروفة.

ولما وجد غومة وأتباعه غير قادرين على مقاومة القوات التركية، قام غومة مع رجاله الذين بلغ عددهم 500 رجل بالانسحاب نحو مطماطة بتونس، أما القنصل الإنجليزى الذى كان يراقب المعركة عن كثب فقد سارع بالعودة إلى طرابلس لإرسال أخبار المعركة التى جرت ما بين الثوار والأتراك إلى حكومة بلاده بواسطة الفرقاطة الإنجليزية التى كانت راسية منذ أسابيع قليلة فى انتظار أخبار الثوار فى الجبل، حيث أبحرت الفرقاطة مباشرة ليلة 25 يناير بعد أن تسلمت تقريراً وافياً كتبه القنصل الإنجليزى بنفسه عن تلك المعركة التى اشترك فيها حوالى 1000 جندى ألباني. ولما فشل الأتراك فى القبض على غومة المحمودى وشل حركة اتباعه الثوار بعد تلك المعركة التى حدثت ما بين الطرفين أرسل الباب العالى فى القسطنطينية شخصية بارزة يدعى عزمى بى ليتفاوض مع غومة وليعرض عليه منحه منصب باشا فى الأناضول، ولكن غومة رفض ذلك مما جعل عزمى بى يرجع بسرعة إلى طرابلس يوم 27 فبراير

1856م بدون الوصول إلى اتفاق مع الثائر غومة الذى عاد إلى الجبل بعد رحيل القوات التركية ليقود الثورة من جديد ضد الأتراك، حيث أصبح رجاله بمساعدة القبائل المحلية كورشفانة وغيرها يضايقون القوافل التجارية المتجهة نحو طرابلس، مما جعل باشا طرابلس عثمان باشا (1855-1858م) يقوم من جديد بإرسال حملة عسكرية لمقاومة الثوار، حيث بلغ تعداد تلك الحملة حوالى ألفى جندى من الفرسان بالإضافة إلى المجندين العرب، وقد حاولت تلك الحملة العسكرية القبض على غومة حياً ولكنه هرب مع أتباعه الذين بلغ عددهم أربع مائة فارس إلى منطقة الجريد فى الجزائر ثم انتقل منها إلى تونس حيث استمر فى مهاجمة القوات التركية ثم العودة بسرعة إلى الوراء للاختفاء وراء الحدود التونسية، وقد بقيت القوات التركية فى مواقعها لملاقاته، بعد أن تم معرفة موعد قدومه إلى البلاد قبل ثمانية أيام من أحد المخبرين المتعاونين مع الحكومة التركية بطرابلس، فاستعدت الحكومة لحسم المعركة مع غومة وقامت بحشد وتجهيز حوالى ثلاثة آلاف جندى بالإضافة إلى جماعة من الفرسان العرب المجندين مع الحكومة التركية، وذلك تحت قيادة الخوجة باشا[1] الذى استطاع مقابلة قوات غومة على بعد ستين ميلاً من غدامس[2] وبعد مناوشات استمرت مدة ثلاث ساعات تقريباً بين الطرفين سقط غومة جريحاً حيث أصيب بجراح خطيرة مميتة، فحاصره الأتراك وأطلق عليه الجنود النار فأردوه قتيلاً ثم أمر قائد الحملة العسكرية بقطع رأس

1- وكان يساعده أحمد الأدغم اغا مصراته الذي كان يقود فرقة الفرسان.

2- Doc. N. 243 . A. S. L. F. Governatore F. N. 628 .

رسالة القنصل فيليب روسوني المؤرخة في 10 إبريل 1858م.

غومة[1] لإرساله إلى طرابلس لغرض التعرف عليه وتعليقه أمام القلعة كالعادة. وعندما سمع ابن الشيخ غومة بمصرع والده ومعاملة القوات التركية السيئة له بعد استشهاده، هرب من الميليشيا العسكرية التركية التى كان يعمل فيها كضابط برتبة كابتن ليعود إلى الجبل ولينضم إلى الثوار لمواصلة الثورة بعد التوقف الذى حدث بسبب استشهاد غومة من جديد ضد الأتراك.

(1) نفس الوثيقة السابقة.

حركة الملاحة التجارية فى ميناء بنغازي خلال عامى 1827-1828م: وثائق غير منشورة

يبدو من خلال إحصائية[1] السفن القادمة والمغادرة لميناء بنغازى البحرى خلال عامى 1827-1828م أن مدينة بنغازى قد شهدت بالفعل تحسناً تجارياً ملموساً خلال تلك الفترة الزمنية، بينما كان الباشا يوسف القره مانلى يقوم منذ عام 1825م بإعادة البلاد كقوة بحرية من جديد فى الشمال الأفريقى [2] فقد وصل تعداد السفن القادمة إلى ميناء بنغازى خلال النصف الأولى من عام 1827م، أى فى بداية شهر يناير 1827م إلى 30 يونيو 1827م إلى سبع وعشرين سفينة تجارية وحربية كان من بيتها ثلاثة عشر سفينة قادمة إلى الميناء المذكور فارغة، أما البقية وعددها أربع عشر سفينة وقد كانت

1- Doc. A. S. L. F. Governatore, F.N. 881 . Stato degli Arrivi e Partenze dei Bestimenti di Differenti Nazioni Nel Porto di Bengasi del Primo di Gennaio a Tutto il 30 Giugno 1827 .

أرسلت هذه القائمة بأسماء السفن القادمة والمغادرة لميناء بنغازى بتاريخ 21 مايو 1828م بواسطة هنريكو روسونى نائب القنصل التوسكانى بمدينة بنغازى .

2- Rodolfo, Micacchi, Le Ultime Gesta dei Corsari Tripolini e la Reazione degli Stato Italiani, in Rivista delle Colonie Italione 1933. PP. 212-215 .

محملة بالبضائع المختلفة حيث بلغت حمولتها 1387طناً، أما عدد بحارة تلك السفن القادمة إلى الميناء فقد وصل إلى 252شخصاً، ويمكن توزيع هذه السفن التجارية والعسكرية التى قدمت إلى بنغازى خلال النصف الأول من عام 1827م حسب البلدان المسجلة كما يلي :

(1) **إنجلترا** 15 **سفينة** .

(2) **توسكانه** 3 **سفن** .

(3) **سردينيا** 1 **سفينة** .

(4) **طرابلس الغرب** 2 **سفينة** .

(5) **فرنسا** 3 **سفن**

(6) **النمسا** 3 **سفن** .

أما أنواع البضائع التى تم استيرادها إلى بنغازى فقد كانت تشمل البضائع الآتية :

(1) **أرز.** (2) **فول.** (3) **بلاط**

(4) **أوانى خزفية.** (5) **شعير.** (6) **صوف.**

(7) **زيت زيتون.** (8) **جلود ماعز.** (9) **أخشاب ومعادن.**

حيث بلغت القيمة الإجمالية للبضائع المذكورة أعلاه 11.500 قرشاً. أما أنواع البضائع التى تم تصديرها من ميناء بنغازى إلى كل من مالطا والإسكندرية وليفورنو وزانتى عن طريق ميناء طرابلس الغرب فقد كانت تشتمل ما يأتي:

(1) **أبقار.**	(2) **جلود أبقار.**	(3) **زبدة خاثرة.**
(4) **أغنام.**	(5) **إسفنج.**	(6) **شعير.**
(7) **قمح.**	(8) **عسل نحل طبيعي.**	(9) **جلود ماعز خام.**

وقد بلغت قيمة هذه البضائع نحو 30.150قرشاً. وقد توزعت تلك السفن التجارية المحملة بالبضائع من ميناء بنغازى على المدن التالية:

(1) **مالطا.**	15 **سفينة.**
(2) **ليفورنو**	02 **سفينة .**
(3) **طرابلس الغرب**	06 **سفينة.**
(4) **زانتى**	03 **سفينة.**
(5) **الإسكندرية**	01 **سفينة.**

ويبدو أن عدد السفن التجارية الإنجليزية القادمة إلى ميناء بنغازى فى النصف الثانى من عام 1827م. أى من يوليو - ديسمبر 1827م قد بلغ نحو ثمان سفن كانت قادمة من المدن التالية:

(1) **مالطا** **6سفن .**

(2) **زانتى** **سفينة واحدة.**

(3) **ليفورنو** **سفينة واحدة.**

أما عدد البحارة الذين كانوا على متن هذه السفن فقد وصل إلى 80بحاراً. وقد كان من بين تلك السفن القادمة إلى الميناء خلال النصف الثانى من السنة المذكورة أربع سفن فارغة بينما كانت الأربعة الباقية تحمل البضائع الآتية:

(1) **مصنوعات جلدية.**

(2) **بلاط .**

(3) **بودرة بارود.**

وقد وصلت القيمة الإجمالية للبضائع المشار إليها نحو 1600قرشاً فقط .

وقد توجهت هذه السفن الثمانية بعد شحنها بالبضائع الآتية :

(1) **صوف.** (2) **أبقار.** (3) **جلود ماعز خام.**

(4) **إسفنج.** (5) **شمعة عسل نحل.** (6) **زبدة خاثرة "خام".**

والتى كانت قد بلغت قيمتها الإجمالية 11000 قرشاً إلى كل من :

(1) **مالطا** **7سفن.**

(2) **ليفورنو** **سفينة واحدة.**

أما عدد السفن التجارية التوسكانية فقد كانت عبارة عن سفينتين قدمت إلى ميناء بنغازى عن طريق ميناء طرابلس الغرب فارغة وعلى متنها جميعاً حوالى عشرين بحاراً فقط. وقد تم شحن السفينة Tre Sorelle «ترى سوريللي» بقيادة الربان جاكومو كاربينا Giacomo Carpena بالبضائع الآتية:

(1) صوف. (2) إسفنج. (3) جلود ماعز وأبقار خام.

حيث بلغت قيمة البضائع جميعاً مبلغاً وقدره 2500قرشاً.

وقد توجهت تلك السفن بحمولتها من البضائع المذكورة إلى ميناء ليفورنو خلال يوم 1827/8/24م. أما السفينة التوسكانية الأخرى المسجلة باسم مارجاريتا Margherita التى كانت بقيادة الربان البحرى جوفانى رانى Giovanni Regini القادمة من ميناء طرابلس فكانت فارغة وعلى متنها أحد عشر بحاراً فقط فقد تم شحنها بكمية من جلود الماعز الخام والصوف والتى بلغت قيمتها الإجمالية 1500 قرشاً، وقد غادرت ميناء يوم 7ديسمبر 1827م متوجهة إلى ميناء طرابلس الغرب.

ومن الملاحظ فى هذه السنة 1827م قدوم سفينة روسية إلى ميناء بنغازى كانت حمولتها قد بلغت 140 طناً بقيادة الربان جايتانو وعلى متنها ثمان بحارة قادمة من طرابلس الغرب محملة بكمية قليلة من الألبسة الصوفية «جرود» بلغت قيمتها الإجمالية 500قرش، حيث غادرت ميناء بنغازى يوم 1827/9/8م متجه إلى ميناء ليفورنو وعلى متنها كمية من الصوف بلغت قيمتها ثلاثة آلاف قرش.

أما السفن النمساوية القادمة إلى ميناء بنغازى خلال تلك الفترة الزمنية فعددها اثنين فقط، حيث وصلت السفينة بيلا كياريتا Bella Chiaretta يوم 1827/8/21م وعلى متنها أحد عشر بحاراً من مالطا بقيادة الربان البحرى فاوست شيزار Fausto Cesare فارغة إلى ميناء بنغازي، وقد تم شحنها بكمية من الأبقار بلغت قيمتها 1000 قرش غادرت بعدها ميناء بنغازى يوم 1827/9/5م متجهة إلى مالطا. أما السفينة فال روزا Valorosa فقد قدمت إلى ميناء بنغازى فارغة يوم 1827/8/28م وعلى متنها سبعة بحارة بقيادة الربان البحرى جوسيبى شكاليارينى Giuseppe Scagliarini من مدينة مودونى Modone حيث غادرت ميناء بنغازى يوم 1827/9/25م إلى مدينة زانتى Zante بعد أن تم شحنها بكمية من الزبدة الخاثرة «الخام» والألبسة بلغت قيمتها الإجمالية 1600قرشاً. أما السفن الفرنسية القادمة إلى ميناء بنغازى خلال النصف الثانى من عام 1827م وقد بلغ عددها سفينة واحدة فقط وهى السفينة سانت بطرس التى كانت حمولتها قد بلغت 106طناً، حيث كانت قد وصلت إلى ميناء بنغازى يوم 1827/8/16م محملة بكمية من الأغطية الصوفية التى بلغت قيمتها 400قرشاً بقيادة الربان البحرى P.L. Grangier وعلى متنها 9 بحارة من ميناء طرابلس الغرب. وفى يوم 1827/9/14م عادت إلى ميناء ليفورنو بعد أن تم شحنها بكمية من الصوف بلغت قيمتها الإجمالية 2000قرشاً. أما السفن التجارية الطرابلسية التى قدمت إلى ميناء بنغازى خلال النصف الأخير من عام 1827م فقد بلغ عددها 3سفن فقط. حيث كانت قد وصلت السفينة «مبروكة» Mabroca بقيادة الربان البحرى إبراهيم الشركسى وعلى متنها عشرة بحارة قادمة من طرابلس الغرب تحمل كمية من

الألبسة الصوفية بلغت قيمتها الإجمالية 6500قرشاً إلى ميناء بنغازى يوم 1827/7/23م، وقد غادرت ميناء بنغازى يوم 1827/8/20م محملة بالزبدة الخاثرة «الخام» والصوف والمواد الغذائية التى بلغت قيمتها الإجمالية 1500قرشاً إلى ميناء طرابلس الغرب. أما السفينة الطرابلسية الثانية بقيادة الربان علي الشركسى فقد كانت عبارة عن سفينة صغيرة بلغت حمولتها خمسة عشر طناً فقط. حيث كان على متنها ثمانية بحارة فقد وصلت إلى ميناء بنغازى يوم 1827/11/6م محملة بكمية من الألبسة الصوفية بلغت قيمتها الإجمالية 600قرشاً، حيث غادرت ميناء بنغازى يوم 1827/11/23م إلى طرابلس بعد شحنها بالزبدة الخاثرة والبغال التى بلغت قيمتها الإجمالية 500 قرشاً. أما السفينة الطرابلسية الثالثة التى كانت بقيادة الربان البحرى محمد بوشيبة والتى كان على متنها 70 بحاراً فقد كانت محملة بكمية من الألبسة الصوفية أيضاً بلغت قيمتها الإجمالية 7000 قرشاً، فقد رجعت إلى ميناء طرابلس الغرب فى 17 مارس 1827م بعد أن شحنها بكمية من الزبدة والصوف والمنسوجات وجلود الماعز التى بلغت قيمتها 4000قرشاً ومن ثم فقد تبين أن قيمة البضائع المستوردة فى النصف الثانى من عام 1827م فقد بلغت 16600قرشاً، بينما بلغت قيمة البضائع المصدرة [1] إلى الخارج 28600 قرشاً وبهذا تكون إجمالية قيمة البضائع المستوردة إلى ميناء بنغازى قد

1- Doc. A. S. L. F. Governatore, F.N. 881 . Stato degli Arrivi e Partenze dei Bestiment di Differenti Nazioni Nel Porto di Bengasi del Primo di Gennaio a Tutto il 31 Dec. 1827 .

تم إرسالها بواسطة هنريكور وسونى نائب القنصل التوسكانى بمدينة بنغازى بتاريخ 21 مايو 1828م .

وصلت مبلغاً مالياً قدره 11500+16600=28100قرشاً بينما بلغت القيمة الإجمالية للبضائع المصدرة من الميناء المذكور خلال عام 1827م حوالي: 30150+28600=58750 قرشاً، مما يؤكد أن كفة الميزان التجارى كانت لمصلحة ميناء بنغازى بقيمة مالية بلغت 30650قرشاً خلال تلك السنة.

ومن الجدير بالذكر أن مجموع حمولة السفن القادمة إلى ميناء بنغازى خلال النصف الأول من عام 1827م قد بلغت 28795/100طناً. بينما فى النصف الثانى من العام نفسه قد بلغت 1798طناً.

وفى بداية عام 1828م شهد ميناء بنغازى تناقصاً ملحوظاً فى تعداد السفن التجارية [1] القادمة إليه على الرغم من قدوم سفن تجارية تنتمى إلى جنسيات أخرى كالسويد وتونس وذلك خلال الفترة الزمنية الممتدة من يناير إلى نهاية يونيو 1828م.

كما هو مبين فيما يأتي:

(1) **إنجلترا**	**خمس سفن.**
(2) **توسكانة**	**خمس سفن.**
(3) **تونس**	**سفينتان.**

1- Doc. A. S. L. F. Governatore, F.N. 882 . Stato degli Arrivi e Partenze dei Bestimenti di Differenti Nazioni Nel Porto di Bengasi del Primo di Gennaio a Tutto Giugno 1828 .

أرسلت بتاريخ 1828/7/5م بواسطة هنريكو روسونى نائب القنصل التوسكانى فى بنغازى.

(4) **السويد** **سفينة واحدة.**

(5) **طرابلس الغرب** **سفينة واحدة .**

(6) **النمسا** **سفينتان.**

وقد بلغت حمولة السفن (16) القادمة إلى ميناء بنغازى خلال تلك المدة الزمنية 1935طناً، بينما بلغ عدد بحارتها 220بحاراً، أما قيمة البضائع المستوردة إلى ميناء بنغازى فكانت قيمتها الإجمالية قد بلغت 60.400 قرشاً. أما قيمة البضائع المصدرة فكانت قيمتها 56.270 قرشاً. ويبدو من خلال ذلك أن بنغازى أصبحت تعانى عجزاً فى الميزان التجارى بلغت قيمته 4130قرشاً خلال النصف الأول من عام 1828م. وقد كانت تلك السفن التجارية قادمة إلى ميناء بنغازى من الموانئ الآتية :

(1) **مالطا** **خمس سفن.**

(2) **بوتراسوونافارينو** **سفينة واحدة.**

(3) **طرابلس الغرب** **ثمانية سفن.**

(4) **الاسكندرية** **سفينة واحدة.**

(5) **تونس وليفورنو** **سفينة واحدة .**

أما البضائع التى كانت تحملها تلك السفن فكانت مكونة مما يأتي :

(1) **ذخيرة ومدافع.** (2) **ألواح خشبية .**

(3) **القهوة.** (4) **السكر.**

(5) **الشاي.** (6) **الصابون.**

(7) **الأرز.** (8) **جرار فخارية.**

(9) **ألبسة صوفية.** (10) **أقمشة قطنية.**

(11) **زيت زيتون.** (12) **حصران "حصيرة".**

وقد كانت السفينة التجارية الطرابلسية بقيادة الربان البحرى على قريو، أما حمولتها فهى 65طناً قد وصلت إلى ميناء بنغازى يوم 1828/5/31م قادمة إليه من طرابلس وعلى متنها 22بحاراً محملة بالألبسة الصوفية وغيرها من البضائع الأخرى التى بلغت قيمتها 1500قرشاً، وقد بقيت هذه السفينة راسية فى الميناء حتى نهاية يونيو. أما السفن التونسية فقد كانت إحداها سفينة حربية تسمى «مبروكة» بقيادة الربان على المستيرى حيث بلغت حمولتها 60طناً على متنها 52بحاراً وصلت إلى ميناء بنغازى يوم 1828/1/14م محملة بذخيرة ومدافع بلغ عددها 10مدافع فقط. قادمة إلى الميناء المذكور من مدينة بتراسو ونافارين حيث غادرت الميناء فارغة بدون حمولة إلى ميناء طرابلس الغرب فى يوم 1828/3/15م. أما السفينة التجارية التونسية «مسعود» فقد كانت بقيادة الربان محمد الكبير حيث تبلغ حمولتها حوالى 35طناً على متنها 15بحاراً، وقد كانت هذه السفينة محملة بالألبسة الصوفية وغيرها من البضائع الأخرى من طرابلس الغرب والتى بلغت قيمتها الإجمالية 8000قرشاً وقد غادرت بنغازى متوجهة إلى طرابلس الغرب بعد أن تم شحنها بالمنسوجات والزبدة الخاثرة«الخام» التى بلغت قيمتها الإجمالية 1400قرشاً.
ويمكن الإشارة إلى توجه جميع السفن التجارية المغادرة بنغازى إلى الموانئ الآتية:

(1) **طرابلس الغرب** **سفينتين.**

(2) **زانتى** **سفينة واحدة .**

(3) **الإسكندرية** **سفينة واحدة .**

(4) **قونيه** **ثلاثة سفن.**

(5) **مالطا** **ثلاثة سفن.**

(6) **قبرص** **سفينة واحدة.**

(7) **ليفورنو** **سفينة واحدة.**

أما بقية السفن التجارية وعددها ستة سفن فقد بقيت فى ميناء بنغازى راسية حتى نهاية يونيو فضلاً عن أن السفن التجارية كانت تنقل ركاباً من ميناء بنغازى إلى الموانئ المتجهة إليها فقد تم شحنها بالبضائع الآتية :

(1) **أبقار.** (2) **ألبسة صوفية.** (3) **منسوجات.**

(4) **صوف.** (5) **جلود ماعز خام.** (6) **إسفنج.**

أما خلال النصف الأخير من عام 1828م «يوليو-ديسمبر» فقد وصل تعداد السفن التجارية القادمة إلى ميناء بنغازى 58سفينة كان من بينها 30سفينة تجارية فارغة، وذلك بحسب توزيعها على الجنسيات الآتية :

(1) **سردينيا** **سبع سفن.**

(2) **توسكانه** **تسع سفن.**

(3) **النمسا** **خمس سفن.**

(4) **إنجلترا** **ثلاثة وعشرون سفينة.**

(5) **فرنسا** **سفينة واحدة.**

(6) **اليونان** **عشر سفن.**

(7) **روما.** **سفينة واحدة.**

(8) **كانديا.** **سفينة واحدة.**

(9) **طرابلس الغرب.** **سفينة واحدة.**

أما مجموع تعداد بحارة تلك السفن التجارية فقد بلغ 548بحاراً هذا وقد بلغ وزنها جميعاً بالأطنان 5939طناً. أما قيمة البضائع المستوردة خلال تلك الفترة الزمنية بالسفن التجارية المشار إليها فى أعلاه فقد كان حوالى 30550قرشاً لاغير، وكانت تلك السفن التجارية قادمة إلى ميناء بنغازى من الموانئ الآتية :

(1) **مالطا** **ثمانية عشرة سفينة.**

(2) **المورة** **سفينة واحدة .**

(3) **زانتى** **ثلاثة سفن.**

(4) **نافارين** **سفينتين.**

(5) **طرابلس الغرب** **ثمانية سفن.**

(6) **طرابلس الشام** **سفينة واحدة.**

(7) **قونية** **عشر سفن.**

(8) **جربه** **أربع سفن.**

(9) **مودنى** **سفينتين.**

(10) **صفاقس** **سفينتين.**

(11) **أزمير** **سفينتين.**

(12) **سيرا وباسوس** **سفينتين.**

(13) **ماراتوتيس** **سفينة واحدة.**

أما أنواع البضائع المستوردة التى كانت تحملها تلك السفن التجارية القادمة إلى بنغازى خلال الفترة الممتدة من يوليو - ديسمبر عام 1828م فقد كانت تشتمل على البضائع التالية :

(1) **نحاس** (2) **مجموعة أعمدة خشبية.**

(3) **ألبسة صوفية.** (4) **منسوجات قطنية متنوعة.**

(5) **بقوليات.** (6) **تبغ.**

(7) **أرز.** (8) **مشروبات كحولية.**

(9) **صابون.** (10) **شمع.**

(11) ألواح خشبية ومعدنية. **(12) تين مجفف.**

(13) مواد بناء. **(14) مصنوعات يدوية.**

(15) أوانى خزفية. **(16) حديد.**

(17) فواكه. **(18) زيت زيتون.**

(19) بطاطا. **(20) عسل نحل.**

(21) أحجار مالطية. **(22) مشروبات روحية مالطية.**

(23) قهوة. **(24) زيتون.**

(25) نبيذ.

ويبدو من خلال تعداد السفن التجارية القادمة إلى بنغازى خلال تلك الفترة الزمنية أن إنجلترا تحتل المرتبة الأولى تليها مالطا مما يدل على ازدياد نفوذ انجلترا فى حوض البحر الأبيض المتوسط بعد تدهور أساطيل دويلات الشمال الأفريقى والتى كان من بينها الأسطول الطرابلسى خاصة بعد معاهدة 1816م [1] والتى بموجبها تم تحريم تجارة الرقيق.

أما البضائع التى تم تصديرها من ميناء بنغازى فقد شملت ما يأتي:

(1) شعير. **(2) قمح.** **(3) قطن.**

(4) مواد غذائية. **(5) إسفنج.** **(6) أبقار.**

1- El. Mehdawi, Ibrahim A. Le Relazioni Politiche ed Economiche Fra Libia E Granducato Toscana Nella documentazione Conservata Nell' Archivio di Stato di Livorno (1613 - 1858) . Universita degli Studi di Roma, 1979 - 1980 Vol.3 p.1279.

(7) ألبسة صوفية. **(8) زبدة خاثرة "خام".** **(9) منسوجات.**

(10) صوف. **(11) جلود ماعز خام.**

حيث بلغت القيمة الإجمالية لهذه البضائع المصدرة مبلغاً مالياً وقدره 83.970قرشاً. أما الموانئ التى تم تصدير البضاعة المذكورة إليها فقد كانت كما يلي:

(1) جربه	4 **سفن.**
(2) قونية	5**سفن.**
(3) طرابلس الغرب	11**سفينة.**
(4) أزمير	1**سفينة.**
(5) مالطا	19**سفينة.**
(6) صفاقس	2**سفينة.**
(7) سِّرا	4**سفن.**
(8) مودونى	3**سفن.**
(9) درنة وأزمير	1**سفنية.**
(10) كانديا	1**سفينة.**
(11) سيريجو	3**سفن.**
(12) نافارين	1**سفينة.**

(13) **قبرص** 1 **سفينة .**

(14) **قونية - أزمير** 1 **سفينة.**

(15) **طرابلس - جربه** 1 **سفينة.**

وبمقارنة قيمة البضائع المستوردة بالبضائع المصدرة خلال الفترة الزمنية الممتدة من يوليو- ديسمبر من السنة نفسها يبدو أن الميزان التجارى يميل لصالح ميناء بنغازى مما يدل على انتعاش التجارة فى البلاد على الرغم من أن احتكار حاكم برقة للتجارة خلال العام المذكور، حيث بلغت قيمة البضائع المستوردة خلال عام 1828م مبلغاً وقدره 90.950قرشاً بينما كان مجموع البضائع المصدرة إلى بقية الموانئ فى البحر المتوسط قد وصل 140.240قرشاً من العام المذكور نفسه .

سكالاريني
ورسوماته الساخرة المناهضة
للعهد الفاشيسى فى إيطاليا

ولد الرسام جوسيبى سكالارينى G. Scalarini فى 29 أى النار «يناير» 1873م بمدينة مانتوفا Mantova [1] الإيطالية لأحد عمال السكك الحديدية يدعى راينيرو Rainero الذى كان قد كافح مع بقية عمال السكك الحديدية الإيطاليين فى سبيل انبلاج عصر الانبعاث القومي، ذلك العصر الذى ظهر تأثيره بوضوح فى إيطاليا خلال السنوات الممتدة من 1859م إلى 1866م، على الرغم من أنه قد ساعد فى تحقيق الوحدة الإيطالية عام 1861م.

ويبدو أنه بالإضافة إلى بقية الظروف المحيطة بنشأة الرسام سكالاريني، قد لعبت البيئة الأسرية التى عاش فيها دوراً هاماً، فى إعداده اجتماعياً وسياسياً ليقوم بدور بارز ومهم جداً فى مقاومة الحكم العسكرى الفاشيستي، الذى جثم على بلاده بزعامة موسولينى وزمرته الفاشية، خلال

1- Mario, De Micheli : Scalalarini Vita E Disegni del Grande Caricaturista Polittico. Milano, Feltrinelli . 1962 . p 8 .

عام 1922م، وفى الواقع فقد كره سكالارينى أساليب الفاشيست التى أدت إلى تخريب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى البلاد، بالإضافة إلى سجن مئات الأبرياء خاصة الزعماء البارزين فى مقاومة الفاشيست داخل إيطاليا وخارجها، فى المستعمرات الإفريقية فى ليبيا، إريتريا، وأثيوبيا. . . إلخ، هذا بالإضافة إلى أن سكالارينى كان يعتبر الحكم الفاشستى أسوأ نظام حكم بغيض منيت به بلاده خلال تاريخها الطويل بعد حكم الطاغية نيرون الذى أحرق روما، خاصة وأن مبادئ الفاشيست كانت مناقضة لحرية الإنسان وقيمه المثلى، عكس المذهب الاشتراكى الاجتماعى الذى كان سكالارينى من أتباعه، مما جعله يعكس المبادئ والقيم التى كان ينادى بها الاشتراكيون فى مقاومة الظلم من خلال «رسوماته الساخرة» الناقدة، فكان يحرص على التقاط موضوعات رسوماته من الظروف السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية فى الواقع. وقد اعتبر سكالارينى هدف «الرسم الساخر» استيعاب الاحتياجات الضرورية كافة التى تخص جميع أفراد المجتمع الإنسانى والتعبير عنها بأسلوب فنى ناقد ساخر ملتزم.

وفى الواقع فإن ميول سكالارينى الإشتراكية تبدو واضحة منذ مرحلة شبابه، حيث كان قد انخرط فى كثير من جمعيات الشباب وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى، التى كانت تنادى بضرورة هدم جدار التفرقة بين الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع، وذلك عن طريق إعداد الشباب فكرياً بنشر المبادئ الإشتراكية الإنسانية وبث الروح القومية والمناداة بتوحيد البلاد.

ويبدو أن هذه المبادئ التى كانت تدعو إليها جمعيات الشباب، وغيرها من المؤسسات الإجتماعية المتخصصة فى تنشئة الشباب، لا تتناقض جوهرياً مع مبادئ المذهب الإشتراكى الإجتماعي، الذى كان يعتبر الفن بمعناه الواسع عبارة عن ظاهرة ثقافية، هدفها تحقيق المساواة بين أفراد المجتمع، وحث الشباب على ضرورة التمسك بمحبة الوطن، وتحمل مسؤلية العمل ومشاركة الفقراء والتضحية من أجل تحقيق المساواة والقيم الإنسانية المثلى، وقد استطاع سكالارينى أن يعكس تلك المبادئ فى رسوماته الساخرة منذ اشتراكه لأول مرة فى أحد المعارض المحلية عام 1890م، حيث أشارت صحيفة مانتوفا التى كانت تصدر فى مسقط رأسه، بكل إعجاب، إلى رسوماته التى كانت تعكس الواقع الاجتماعى لبلاده، ومن ذلك الحين استمر سكالارينى فى ممارسة فنه حتى أصبح من بين أشهر الرسامين الساخرين السياسيين، كما أنه ارتبط بصداقات حميمة خلال مرحلة شبابه مع بعض الشخصيات التى برزت فى عصره ومن بينهم ايفانو بونومى Iva-noe Bonomi الذى كان قد تولى مقاليد مناصب سياسية هامة من خلال الحكم الفاشيستي، وقد غضب سكالارينى كثيراً من صديقه ايفانو الذى انقلب على المبادئ التى كان ينادى بها المذهب الاشتراكى الاجتماعي، ولكن هذا الانقلاب المفاجئ والمصلحى الذى أختاره صديقه وابن بلدته إيفانو من أجل تولى مناصب سياسية كان يراها سكالارينى زائلة، زادت من حماسته حيث كان قد بدأ حملته فى مقاومة الفاشيست الذين طلبوا من صديقه القديم دعوته للانضمام إليهم، مقابل إسناد بعض المناصب السياسية الهامة إليه.

ومع انتشار شهرة سكالاريني في مجال الرسم الساخر السياسى الناقد، ارتبط بصداقات متينة مع أشهر الرسامين الساخرين الأجانب فى عصره أمثال ستنلين Steinlen وفوريان Forian وغيرهم، وذلك قبل ظهور الصحيفة المعرفة باسم L` Assiette Au Beurre التى جمعت حولها مشاهير الرسامين الساخرين فى المجال السياسى فى أوربا.

وقد اعتبر الأسلوب الذى اعتمد عليه سكالاريني من أنجح الأساليب الفنية فى مقاومة الحكم الفاشيستى فى بلاده، ويرجع ذلك إلى براعة سكالاريني فى اختيار القضايا الضرورية التى تهم مواطنيه والتعبير عنها بأسلوب بسيط مفهوم ناقد ساخر من الوضعية الاجتماعية السائدة فى المجتمع الإيطالي. هذا بالإضافة إلى سهولة فهم وبساطة القضايا التى كان يطرحها سكالاريني لمواطنيه حيث كانت الأمية منتشرة بين العمال والفلاحين الذين يمثلون أغلبية سكان إيطاليا فى ذلك الوقت، كما أن أسلوب سكالاريني الساخر الناقد كان أسلوباً جديداً فى الرسم الساخر الذى كان قد انتشر فى كل من إيطاليا وفرنسا مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، أما فى بريطانيا وغيرها من الدول الأوربية ففى القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد تدرج فن الرسم الساخر من حيث الأسلوب المتبع فى التعبير عن القضايا الضرورية التى كانت تشغل الرأى العام، حيث ابتدأ يتناول تلك القضايا من جانب اجتماعى ساخر Social Satire ثم انتقل بعدها إلى أسلوب آخر يعرف بالرسم الساخر الواقعى pure Caricature [1] وقد شهدت إيطاليا

1- William Benton (publ) : Caricature and Cartoon . Enyclopaedia Britanica Vol. 4. Chicago. University of Chicago . 1972. p. 905 .

تزايداً مستمراً فى صدور كثير من المجلات والصحف التى كانت تعنى بنشر الرسوم الساخرة، خاصة بعد أن برهن سكالارينى وزملاؤه على مدى فعالية الرسوم الساخرة، فى تحريك شجون الطبقات المسحوقة فى المجتمع الإيطالي، وتنوير عقولها بالقضايا الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية التى تهمها كافة.

وفى الواقع نجد أن تفشى الأمية بين الطبقات الفقيرة فى المجتمع الإيطالى قد ساعد سكالارينى على توصيل أفكاره بأسلوب سهل ومفهوم إلى عقول تلك الطبقات وهزها بعنف للتصدى لجلاديها، خاصة وأن الصورة أو الرسمة الساخرة أصبحت تعتبر لغة عالمية كالموسيقى يفهمها الجميع، بالإضافة إلى تأثير تلك الرسوم مباشرة على جميع الأفراد، على الرغم من اختلاف مستوياتهم.

فالرسم الساخر يعتبر ذا أثر فعال أكثر من الكلمة المكتوبة غالباً، كما أن الصورة الساخرة «الرسمة» تساعد على تنمية دقة الملاحظة لدى الأفراد حيث تلفت الانتباه إلى القضايا الهامة.

وكان من بين المجلات التى اشتهرت بنشر الرسوم الساخرة فى إيطاليا[1]، كل من مجلة IL Pasquino ومجلة IL Fischietto اللتين كانتا تصدران فى تورينو، أما فى ميلانو فقد كانت تصدر مجلة Lo Spirito Follet-to وفى نابولى كانت تصدر مجلة L` Arlecchino وفى جنوة مجلة La Strega أما فى مدينة بولونيا فكانت تصدر مجلة La Rana وفى روما صدرت كثير

1- Mario. De Micheli, Scalarini Vita.., OP . Cit. P. 10 .

من المجلات التى كانت تهتم بنشر الرسوم الساخرة فى شرح الأحداث والقضايا السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التى كانت تجذب الرأى العام الإيطالي، ولكن كان من أهم تلك المجلات، المجلة المعروفة باسم «الازينو» أى الحمار L` Asino التى كانت قد تأسست بواسطة بودريكا Podrecca بروما عام 1891م، التى كانت قد اتخذت من الأسلوب الساخر الناقد أداة لشرح القضايا السياسية والاقتصادية الهامة التى كانت تعصف بالبلاد، هذا بالإضافة إلى فضح أعداء الوحدة والاستقلال لإيطاليا، وقد استطاعت مجلة الأزينو وفقاً لذلك الأسلوب المتبع، جذب اهتمام القراء وكثير من الرسامين فى إيطاليا، وكان من أبرزهم سكالارينى الذى كان يؤمن بضرورة استمرارية الكفاح بريشته المبدعة، رغم ما تعرض له من مخاطر، كالسجن والضرب ثم النفى خارج الحدود الإيطالية، ذلك لأنه كان مؤمناً بحتمية انتصار قوى الخير فى النهاية على القوى الشريرة، خاصة وأنه يعتقد بوجود الخير والشر فى الواقع الحقيقى وليس باعتبارهما فقط كينونة ميتافيزيقية، فالشر وفقاً لرأيه موجود وهو متجسد تاريخياً فى الواقع من خلال أفعال المستغلين الذين من بينهم المحرضون على استمرارية الحروب، والخير أيضاً موجود فى نفوس كثير من الفقراء الذين لا يملكون الدينار على الرغم من أنهم يتخذون كوسيلة لدى الأغنياء فى المجتمع لجلب الدنانير عن طريق جرهم ودفعهم بالوسائل كافة لخوض المجازر البشرية، حقاً إن الفقراء هم الذين يخوضون الحرب من أجل رفاهية الأغنياء الذين يزدادون ثراءً فاحشاً بموت مزيد من الفقراء، فالدينار هو سبب الدموع وإراقة الدماء فى العالم لدى سكالارينى.

لهذا فالكفاح يجب أن يكون ليس من أجل الفقراء المقهورين فى إيطاليا بل أيضاً من أجل جميع الفقراء الذين يعيشون فى ليبيا أيضاً، ومن ثم فقد شهر الفنان سكالارينى ريشته لمقاومة الفاشيست الذين كانوا اعتبروه من الذين لا يمكن التفاهم معهم لأنه أصبح من الذين يتكلمون العربية [1] ومن الذين اتخذوا موقفاً معارضاً لوسائل الإعلام الإيطالية كافة التى سارعت بكل وقاحة إلى تهيئة الرأى العام فى التمهيد لاحتلال ليبيا عسكرياً حيث قام بعض ماسحى الأحذية للحكومة الإيطالية من المراسلين الصحفيين كما يسميهم سكالارينى بزيارات متعددة إلى ليبيا قبيل وأثناء الاحتلال الإيطالى لليبيا، حيث قام كثير منهم بترويج الأكاذيب حول مساعى الحكومة الإيطالية الحميدة نحو ليبيا، وبالفعل فقد كادت أن تنجح وسائل الإعلام الإيطالية، ليس فقط فى تضليل الرأى العام الإيطالي، بل أيضاً الرأى العام العالمي، ومن ثم فقد سارعت إيطاليا لاحتلال ليبيا عسكرياً، فى وقت كانت تعانى من شدة قسوة حكم باشاوات الأتراك الذين حرصوا فى أواخر حكمهم للبلاد على تقييد حرية المواطنين وسلب أموالهم وممتلكاتهم مما أدى إلى تخريب اقتصاد البلاد، الذى أصبح يعانى من العجز باستمرار منذ أن توقفت حركة الجهاد البحري.

إن تفشى الأمية بين الليبيين بالإضافة إلى سوء الأحوال الاقتصادية للبلاد، التى كانت تعتمد على مياه الأمطار فى الزراعة، وأيضاً المشاكل الداخلية التى كانت تعانى منها الإمبراطورية العثمانية، أدى إلى انسحابها

1- « هل أنت تتكلم العربية » [Tu Sei Parla Arabo] مثل شعبى إيطالى يقصد به من الصعب جداً الوصول إلى تفاهم معك.

متخاذلة أمام تهديدات الساسة الإيطاليين الذين سارعوا - تحدوهم نشوة النصر - بإرسال قواتهم لاستلام ليبيا من أيدى القوات التركية المتخاذلة ولكنهم فوجئوا بمقاومة من المواطنين الليبيين العزل بمساعدة نفر من الضباط الأتراك الأحرار الذين انخرطوا فى حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي، والتى أخذت تزداد عنفاً وشراسة مع مرور الأيام.

مما أدى بالتالى إلى إحباط المساعى الإيطالية كافة التى انقادت إليها الحكومة في روما بواسطة الدعاية الكاذبة، التى كانت تروج لها كثير من الصحف والمجلات الإيطالية الشهيرة، التى كانت تصدر فى تلك الفترة، ومن بينها كانت صحيفة «ستامبا» Stampa التى كانت تصدر فى مدينة تورينو حيث زار جوسيبى بيفونى G. Bevone المحرر الصحفى المتجول[1]، ليبيا خلال شهر ناصر «يوليو» 1911م، وقام فى نهاية زيارته بإعداد تقرير نشره فى الصحيفة المذكورة بتاريخ 30 من شهر ناصر «يوليو» 1911م، على شكل رسالة مفتوحة، موجهة إلى الحكومة الإيطالية لغرض الإسراع باحتلال ليبيا، التى كان يرى الصحفى المذكور أنها سوف تساعد على حل كثير من المشاكل التى تعانى منها الحكومة الإيطالية.

وقد ازدادت الحملة الإعلامية التى كانت تدعو إلى ضروة احتلال ليبيا عسكرياً، على الرغم من ازدياد خسائر القوات الإيطالية مع مجئ موسولينى إلى الحكم عام 1922م، الذى كان يحلم من خلال خطبه الرنانة من شرفة قصر البندقية «فينيسيا» بروما بتحقيق انتصارات كيشوتيه فى ليبيا،

1- Bevione, G.: La Campagna Gioralistica Che Preparo la Conquista della Libia: Libia XXV, 1911-1936 Marzo, 1937 pp . 6-7 .

وبالفعل فقد استطاع الدوتشى [1] فى البداية خداع الشعب الإيطالى الذى كان قد هزه الحماس بعنف من خلال خطب موسولينى الداعية إلى بعث مجد الإمبراطورية الرومانية !! وذلك بواسطة ضم ليبيا باعتبارها الساحل الرابع إلى الوطن الأم إيطاليا!! ولكن وسائل الإعلام المعارضة استطاعت من خلال الرسومات الساخرة التى كانت تنشرها خاصة فى صحيفة الأزينو الهزلية وصحيفة الافانتى كشف حقيقة موسولينى الزعيم المزيف التابع لمعبوده هتلر فوهرر ألمانيا النازية، حيث كان يقلد الفوهرر هتلر حتى فى تصرفاته الشاذة مع كثير من الفتيات [2] المعجبات به، هذا بالإضافة إلى ضحالة تفكيره الوجودي، إذ أنه كان معجباً بكتابات كل من سوريل Sorel، نيتشه، سترنير Strner وباريتو Pareto، كما أنه كان لا يعرف تقديراً للأصدقاء حتى أن أصدقاءه خلال فترة الشباب أمثال: قيصر باتيستى [3] Cesar Battisti تعرض مراراً للملاحقة والضرب بهروات أصحاب القمصان السود Ca-mice Nere أما صديقه نينى [4] Nenni تعرض للسجن بسبب استمرار

1- لفظة لاتينية معناها الزعيم أو القائد المعصوم من الخطأ.

2- Gallavotti, Eugenio: IL Figlio Dimenticato di Mussolini: Che Noia Il Centenario Di Papa.. Gente, Anno XXVII. N.5 Feb, 1983 . P. 24.

3- Dall, Ongaro, G. : Un Istrione di Nome Mussolini. Gente, Anno XXVI. N. 46. 12 Novembre 1982 . pp. 77-78.

4- كان موسولينى من المعارضين لسياسة الحكومة الإيطالية الخاصة بمواصلة الحرب لاحتلال ليبيا، حيث تعرض مع صديقه نينى للاعتقال بعد المظاهرة التى اشتركا معاً فى القيام بها بمدينة فورلى الإيطالية خلال شهر التمور «أكتوبر» 1911م وفى عام 1918م، فى النمسا اشتغل محرراً مساعداً لقيصر «شيزاري» باتيستى فى جريدة شعب ترنتو IL Popolo Di Trento الذى تم أسره فيما بعد بواسطة النمساويين وأعدموه شنقاً.

معارضته بشدة للحكومة الإيطالية بمواصلتها الحرب فى ليبيا . إن التقليد وعبادة الأبطال كان لهما أثر كبير فى تكوين شخصية موسولينى الذى لم يكن فساده مقتصراً على حياته الخاصة، بل امتد ليشمل إيطاليا وليبيا أيضاً، فقد أطلق أيدى المستغلين الذين كانت مؤهلاتهم لا تتعدى سوى رفع شعارات الفاشيستية وترديد الهتافات للدوتشى البطل فى المناسبات، إن انزلاق موسولينى نفسه وراء الشعارات الفاشية الجوفاء، قد صم أذنيه عما كان يجرى حوله فى الواقع حيث ترك أيدى أصحاب القمصان السوداء تعبث من دون هوادة فى مصير المعارضين من المثقفين داخل البلاد، كما أنه ساعد فى التخطيط أيضاً للتخلص من المعارضين الأقوياء، حيث قام باعتباره مؤسس حركة أصحاب القمصان السوداء بتحريض ثالوث الفاشيستيه [1]، القذر الذى كان يتكون من كل : أوجست مالاكريا Augusto Malacria الذى شغل منصب متصرف الجبل الأخضر فى ليبيا الفعلي، بينما كان الجنرال داود ياتشى عبارة عن صورة باهتة فقط وكذلك البينو فولبى Al-bino Volpi أما آخرهم فقد كان يدعى أمريجو دوميانى Amerigo Dumini حيث قام هؤلاء الفاشيست الكبار[2] بتدبير مكيدة قتل فيها ماتيوتى Matteot-ti زعيم الاشتراكيين المعارض عام 1924م، ويبدو أن موسولينى قد قام بعد ذلك بإبعاد أولئك حيث منحهم مزارع نموذجية بأفريقيا حتى يتخلص منهم

1- Paganini, P.A. Le Ultime Ore del Garibaldi della Libia: Storia Illustrata. N. 272. Luglio 1980. p. 51.

2- يعتبر أوجست مالاكريا أحد أولئك الفاشيست، وقد كان أول من أصدر الحكم بإعدام عمر المختار بعد مقابلته مباشرة فى معتقل سوسه يوم 1931/9/11م كما يروى ليفى Livio سجان الشهيد خلال الساعات الأولى من الاعتقال .

أيضاً، وقد تعرض مئات آخرون من الشرفاء الإيطاليين للتعذيب والسجن وذلك بسبب موقفهم المعارض للحكم الفاشيستى الذى أصر على ضرورة احتلال ليبيا، وكان من أبرز أولئك، أحد الجنود الإيطاليين الذى أصبح يعرف - باسم «يوسف المسلماني» بعد اعتناقه للدين الإسلامى وانضمامه إلى صفوف المجاهدين من قبيلة الزوية المعروفة بالكفرة، كما أن الرسام سكالارينى نفسه قد تعرض لمحاولات عديدة لقتله ولكنه كان ينجو منها بأعجوبة، هذا بالإضافة إلى الهجرة والنفى خارج بلاده، ولكن بالرغم من ذلك فقد استمر معارضاً للفاشيستية والقهر والظلم فى كل مكان حتى توفى عام 1948م.[1]

ويبدو أن صحيفتى الأزينو والأفانتى كانت أكثر جــرأة من غيرهما من الصحف التى كانت تعارض حكم الفاشيست فى إيطاليا، ففى أثنـــاء موجة الحماس العارمة التى شهدتها إيطاليا بمناسبة استيلاء موسولينى على الحكم عــام 1922م وادعاءاته الكاذبة بانتصار القوات الإيطالية على المجاهدين فى ليبيا نشــرت صحيفة الأزينو رسماً ساخراً لدحض افتراءات دوتشى الفاشية موسوليني، حيث يبدو واقفاً بأعلى كوْمة من الجماجم البشرية وبيده شعار الفاشيست، أما التعليق تحت الرسم الساخر فهو «فى علو مستمر»[2] Sempre Piu In Alto.

1- Brezzi, Giovanni, Cento Giorni Di Prigionia Nell, Oasi Di Cufra, Milano, Mondadori, 1930. p. 157 .

2- مهرجان الشهيد عمر المختار - دليل المعرض - جامعة قاريونس، بنغازى «الحرث» نوفمبر 1979م. ص 111.

أما صحيفة الأفانتى التى تأسست عام 1911م تحت إشراف الحزب الاشتراكى الإيطالى Partito Socilalista، وكان مقر صدورها فى ميلانو، أما مدير تحريرها المسؤول فقد كان ليونيدا بيسولاتى Leonida Bissolati، فقد شجعت الرسام سكالارينى على نشر رسوماته الساخرة السياسية الناقدة بها، حيث بلغ مجموع ما نشره فيها سكالارينى حوالى (3700) رسم ساخر ناقد، تناول فيها سكالارينى القضايا السياسية، الاقتصادية والاجتماعية كافة التى سادت البلاد أثناء الحكم الفاشيستي.

فمن الناحية الاجتماعية كانت رسوماته ضد التفكك الأسرى والفوضى التى خلقتها القوانين الفاشيستية التى كانت تدعو إلى ازدياد النسل واحتضان اللقطاء، وذلك بتشجيع الزواج واعتباره شرطاً أساسياً لترقية الموظفين بالدولة، وقد أشار موسولينى نفسه فى إحدى خطبه إلى الهدف من نياته السيئة قائلاً «نحن لأجل الدفاع عن الإمبراطورية نجهز الشباب المسلح بالروح الفاشيستية، الشباب الذى لن يغلب، هذا هو قانون الثورة الفاشيستية وإرادة الشعب الإيطالى أجمع [1] !! ولكن سكالارينى فضح أساليب الفاشيستية حيث عارض بشدة إرسال الشباب الإيطالى بواسطة الفاشيست إلى أفريقيا للموت فى سبيل نشر الروح الفاشيستية حيث قام برسم خارطة أفريقيا على شكل جمجمة بشرية وكتب تحتها تعليقاً فحواه أفريقيا أرض الموت Africa Terra di Morti وقد تم نشر ذلك الرسم الساخر فى الأفانتى بتاريخ 2 من شهر الحرث «نوفمبر» 1911م[2] .

1- نص خطاب موسولينى فى 24الماء - مايو 1936م العام الفاشيستى 14 . . . مجلة ليبيا المصورة. س 1، ع9، ناصر «يوليو» 1936م، ص 1.

2- لقد اعتمدت كلياً فى هذه المقالة على بعض الرسوم الساخرة المنشورة فى كتاب ماريو دى=

كما أنه هاجم جنرالات الجيش الإيطالى الذين كانوا يشنون حرباً بشعة ضد العرب فى ليبيا، وقد أظهر الجنرال غراسيانى على شكل حيوان مفترس متوحش مرتدياً الملابس العسكرية الذى نشره فى صحيفة الأفانتى بتاريخ 1919/8/10م كما أنه بين بكل صراحة وبأسلوب فنى ساخر ما يفعله جنود الفاشيست فى طرابلس بليبيا كما يتضح ذلك جلياً من الرسم الساخر، الذى نشره سكالارينى فى مجلة الأفانتى عام 1911م وهو يبين مدى قسوة ووحشية جنود الإمبراطورية الرومانية الفاشيست الذين قاموا بتزيين شجرة الميلاد بشنق العرب الليبيين المعارضين للاحتلال الإيطالى، حيث تظهر براعة سكالارينى فى دقة التعبير حيث رسم أغصان شجرة الميلاد على شكل صلبان تتدلى منها مشانق تحمل رؤوس المعارضين وهذا الرسم يعكس فى الواقع مدى تورط الفاتيكان الذى بارك باباواته حملة إيطاليا الهمجية على ليبيا، كما أنه لم ينس دور مصرف روما الذى يعتبره سكالارينى «عرّاب الحرب» ذلك لأنه لعب دوراً بارزاً فى التمهيد لاحتلال ليبيا، وكان سكالارينى بإتباعه أسلوب الرسم الساخر السياسى الناقد، لا يقوم بتعرية أساليب الفاشيستية الملتوية، بل أيضاً كان يدعو إلى توجيه الاتهام صراحة إلى المتعاونين معها كافة فهو قد شن هجوماً لاذعاً ضد الصحافيين الذين كانوا يتقربون إلى حكومة الفاشيست بروما، واعتبرهم عبارة عن ماسحى أحذية فى الرسم الذى نشره فى الأفانتى عام 1924م.

= ميشيل «سكالارينى حياته ورسوماته» باللغة الإيطالية، والذى سبق أن أشرت إليه فى بعض الهوامش السابقة .

كما أن سكالارينى قد تناول لوعة الأم الإيطالية وحزنها لفراق الابن الذى ذهبت به آلة الحرب إلى ليبيا كما يبدو فى الرسم الذى نشرته الأفانتى بتاريخ 1914/8/24م، تحت عنوان «الابن الذى لن يعود أبداً Il Figlio Che non Ritorna Piu »، كما يشير سكالارينى بكل وضوح إلى حقيقة الوضع السياسى فى إيطاليا وإلى أسلوب التخويف والإرهاب الذى كان يسيطر على المواطنين الإيطاليين، فقد كان الشعب الإيطالى حقاً يعانى مثل الشعب الليبى تحت الحكم الفاشى من حكم عسكرى دكتاتورى ومستبد كان همه تحقيق طموحاته التوسعية فى أفريقيا، بإرسال مئات الألوف من الشباب الإيطالى سنوياً إلى ليبيا وغيرها من المستعمرات الإيطالية الأخرى.

أما البقية الباقية من الشباب الإيطالى فقد كانوا عرضة للسحل والقتل والسجن بواسطة شراذم القمصان السوداء الذين كانوا يسيطرون على كافة الأمور السياسية داخل البلاد فى مقابل تقديم الولاء للرأس الفاشستى كما يصوره سكالارينى وهو متكئ على عصا الفاشيست فى الرسم الذى نشرته الأفانتى بتاريخ 30 من شهر الحرث «نوفمبر» 1924م.

لقد كانت الفاشيستيه تطارد المواطنين الشرفاء الداعين للإصلاح وتتسامح مع الغربان الأشرار، كما يبدو فى الرسم الساخر الذى يمثل الرقابة فى عهد الفاشيست وهو بعنوان «الرقابة تقتل الحمائم وتتسامح مع الغربان الأشرار» وقد نشرته الأفانتى بتاريخ 7 من شهر أى النار «يناير» 1917م.

وعندما شعر الفاشيست بمدى الخيبة والهزائم التى لحقت بجيوشهم أثناء محاولاتهم البائسة فى احتلال ليبيا عسكرياً مما أدى إلى تزايد النقمة والتذمر بين فئات المثقفين الإيطاليين الأحرار، الذين كان من بينهم سكالارينى الذى استطاع أن يوقظ بكل صدق الشعور الوطنى القومى لجميع فئات الشعب الإيطالى الذى أصبح متضامناً مع الاشتراكيين فى مقاومة الفاشيست، عند ذلك حاول الفاشيست خلق أسلوب آخر للاحتفاظ بليبيا، حيث قاموا بتجنيد عملاء محليين لهم لنشر افتراءات الدوتشى بين أبناء ليبيا بالوسائل الممكنة كافة، وكان الهدف من وراء ذلك طلينة الشباب العربى الليبى بواسطة تأسيس جمعيات شباب الليتوريو العربى Gioventu Arabo Di Littorio هذا بالإضافة إلى جمعية الليتوريو الإسلامية، وكان الغرض منها تدمير بل وتخريب عقول الشباب العربى الليبي، حيث قام بالدعوة للانضمام إلى تلك الجمعيات الإيطالية الفاشيستية كثير من الخونة المحليين وكان من بينهم الأمير سليمان القره مانلى الذى كان قد ترأس وفداً يضم كثير من الشباب الليتوريو العربى إلى روما لتقديم فروض الولاء والطاعة إلى موسولينى شخصياً بقصر البندقية، الذى أكد لهم قائلاً «أن ليبيا أصبحت الإقليم التاسع عشر من المملكة، أن عينى تراقب الشاطئ الرابع لروما العظيمة ولا يمكن أن تنفصل بعد الآن عن الوطن الأم [1] » ويتضح من الكلمة التى ألقاها أبو الاسعاد [2] مفتى ليبيا وشيخ المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس أمام

1- رحلة شباب الليتوريو العربى إلى روما، ليبيا المصورة. ع9، س1، الصيف/ يونيو/ 1936م عام 14 فاشستي. ص 22.

2- حفلة تدشين دار المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس، ليبيا المصورة، ع2ص4، رمضان - شوال/ 1357هـ/ الحرث/ نوفمبر 1938م عام 17 فاشستي. ص11.

الحاكم العام للإقليم الطرابلسى بتاريخ 3 من شهر الحرث «نوفمبر» 1938م، أن المدرسة الإسلامية تعتبر تابعة مباشرة للحزب الفاشستي، ويشير محمود المنتصر [1] أحد العملاء المحليين الإيطاليين فى مقالة له، أنه لا يوجد فرق بين الفاشستية والإسلام، ويضيف تمجيده لشخصية الدوتشى على عنايته بالمسلمين فى ليبيا، فلولا الفاشيستية وتعاليم الدوتشى لما عادت حقوق المسلمين إليهم، ثم يختتم مقالته بتعهد المسلمين فى ليبيا ببذل الدماء الزكية الغالية من أجل الحفاظ على الوحدة مع الوطن الأم، هذا وقد لعب بعض المثقفين المحليين دوراً بارزاً فى ترسيخ مبادئ وترهات الدوتشى الفاشستية بالإضافة إلى غيرهم الذين انخرطوا فى جيوش الفاشيست النظامية لقمع حركة الجهاد الوطنية، وقد حاول أولئك جميعاً تمجيد الفاشستية وعبادة الدوتشى والتباهى بترديد هتاف الفاشيست «إلينا إيها الزعيم Duce A Noi»، فى كافة المناسبات، ولكنهم سقطوا جميعاً مع غيرهم من أصحاب القمصان السوداء عندما ازدادت حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالى الفاشستى فى ليبيا وقوى نفوذ حركة المثقفين الإيطاليين داخل إيطاليا التى أدت إلى سقوط صنم الفاشست الدوتشى موسوليني.

1- Muntasser, Mahmud. " Fascismo E Islam " Libia, (XV. Marzo / 1937) . pp. 44-45.

سياسة فرض الضرائب
وضرب الأعناق التركية
1841 - 1856م
دراسة وثائقية

لقد ازداد انتشار المجاعة بسبب الجفاف الذى أخذت تعانيه البلاد خلال عام 1841م[1]، مما جعل الأهالى لا يملكون الدينار ولا المحاصيل، فأصبحوا يبيعون ذهب وفضة نسائهم من اجل الحصول بثمنها على المواد الغذائية اللازمة للحياة، وخلال تلك الفترة استغل على عسكر الحاكم التركى باشا طرابلس هذه الفرصة الثمينة فأخذ يقوم بتوريد الحبوب إلى البلاد لبيعها بأثمان عالية للأهالى سكان البلاد. ونتيجة لهذه المجاعة التى هبت على بعض أقاليم البلاد، قام الباشا ببذل مساعيه بكل جدية لإخضاع الزعماء العرب المعارضين للحكم التركي، وبالفعل استطاع إخضاع أهم القبائل

1- Doc. N. 76 A.S.L.F. Governantore . F. N. 204 .

رسالة بتاريخ 1841/8/7م موجهة من هنريكو روسونى القنصل التوسكانى إلى حاكم ليفورنو.

القوية فى غريان والجبل وضيّق الخناق على الشيخ أرحومة [1] أحد الزعماء الأقوياء مما اضطره إلى الفرار خارج البلاد، ومن ثم قام بإرسال حملة عسكرية إلى المنطقة ليس لإخضاع العرب بل لغرض تحصيل ضريبة الرأس والتى كان مقدارها حوالى عشرة محابيب على كل رأس .

وقد كان من بين الزعماء العرب الذين تم القبض عليهم الشيخ عبد الجليل سيف النصر [2] وأخيه من قبيلة أولاد سليمان، حيث أمر الباشا بقطع رأسيهما معاً وللتشنيع بهما قام بتعليقهما على سارية العلم أمام القلعة لمدة ثلاثة أيام بعد أن طاف بهما جنده أغلبية أحياء مدينة طرابلس لنشر الذعر والخوف بين الأهالي، وللتلويح بمدى قدرته وقوته على القضاء على تلك الثورات الأهلية التى بدأت تضايق الحكام الأتراك فى البلاد .

وفى يوم 1841/7/4م أشار القنصل التوسكانى فى مراسلته عن وصول اكثر من (50) خمسين شخصاً من الأهالى تم إحضارهم إلى القلعة. بمقر الباشا كرهائن، كان من بينهم ست شخصيات بارزة هم عبارة عن أبناء وبعض أقرباء المريض شيخ ترهونة، قام الباشا على عسكر بإصدار أوامره فوراً بقطع رؤوس الأشخاص السته، أما بقية الرهائن فقد تم التنكيل بهم جميعاً وقتلهم بوحشية فيما بعد. ولم يكتف الباشا على عسكر بذلك بل آمر بجلب ثلاث أبناء للشيخ عبد الجليل سيف النصر مشياً على الأقدام من فزان إلى طرابلس، هذه البادرة السيئة جعلت بقية أسرة عبد الجليل سيف النصر

1- الشيخ ارحومة هو اسم غومة المحمودى الحقيقى .

2- Doc. N. 76 A.S.L.F. Governantore . F. N. 204 .

رسالة بتاريخ 1842/6/5م .

تلجأ إلى التوغل فى الدواخل حيث اتجهوا نحو بورنو - هذا التصرف السيئ والهمجى الذى قام به الباشا فى طرابلس، جعل بعض القناصل الأجانب والذين كان من بينهم القنصل الإنجليزى وارنجتون التدخل بسرعة لحسم هذا الموضوع الذى أخذ يضايق قناصل الدول الأوربية فى طرابلس، حيث طلب موافقة الباب العالى السماح لأسرة الشيخ عبد الجليل سيف النصر بالاستقلال الذاتى فى حكم إقليم فزان مقابل دفع ما يترتب على ذلك من مبالغ مالية إلى الحكومة التركية بالإضافة إلى تأمين طرق القوافل التجارية ما بين طرابلس وفزان ودواخل إفريقيا أيضاً.

ويبدو أن سياسة قطع الرؤوس لم تفيد الباشاوات الأتراك بطرابلس، لذلك حاول الباشا محمد رئيف[1] الذى أصبح باشا لطرابلس بعد قراءة الفرمان السلطانى بتاريخ 1842/7/18م، أمام القناصل الأجانب فى البلاد تهدئة النفوس الثائرة والمتذمرة ضد الحكم التركى، فأظهر هذا الباشا فى بداية حكمه قليل من التسامح والود كما يبدو فى معاملته عكس الباشا على عسكر المتعصب والمتغطرس والظالم لعباد الله، حيث أخذ يستخدم سياسة استمالة المعارضين للحكم التركى فقام على الفور منذ توليه الحكم رسمياً بإصدار عفو شمل جميع المساجين من العرب وقد كان من بينهم محمد بوعيشة الذى كان يعمل سكرتيراً للشيخ عبد الجليل سيف النصر، هذا وقد شمل قرار العفو عدد من المساجين السوريين والمصريين وغيرهم من العرب بالإضافة إلى بعض السجناء الأتراك المتهمين فى قضايا جنائية خلال عهد

1- Doc. N. 11 A.S.L.F. Governantore . F. N. 204 .

رسالة بتاريخ 1842/7/22م بواسطة فيليب روسونى قنصل توسكانيا .

على عسكر الباشا السابق للبلاد، هذا بالإضافة إلى أن الباشا محمد رئيف حاول التقرب من الشيخ غومة المحمودى لاستمالته للخضوع للحكم التركى إلا أنه فشل فى الواقع، لذلك فقد أمر بترحيله إلى المنفى بمدينة الأستانة إلا أن هذا القرار الجائر من الباشا لم يلق ترحيباً من العرب سكان الجبل فعادت القلاقل من جديد رغم أن الباشا محمد قد استطاع إخضاع بعض زعماء البلاد فى الداخل وغيرها من المقاطعات البعيدة مثل بنغازى ودرنة ومرزق بفزان أيضاً.

ونتيجة لفشل تلك المساعى التى بذلها الباشا محمد فكر فى العودة إلى سياسة القتل والتشريد والتنكيل بالمعارضين وهى السياسة التى كان قد اتبعها أغلبية الباشوات الأتراك الذين حكموا البلاد خلال تلك الفترة (1841-1856م) ومن ثم فقد تبنى فكرة تكوين فرقة جنود نظامية تتكون من الرجال الفاسدين أخلاقياً والمخمورين والمشردين «غير الشرعيين»، وقد أصبحت تلك الفرقة تعرف باسم المليشيا العربية [1] ثم قام بتسيير تلك الفرقة مع قوة عسكرية أخرى تتكون من فرق الفرسان والمدفعية حيث بلغ عدد الجنود ما بين 10-12 ألفاً جندياً، وذلك تحت قيادة أحمد باشا الرجل الدموى الذى قام بإغراء العرب الرافضين للحكم التركى وذلك باستدراجهم باللين والحيلة إلى معسكره ثم أمر بقتلهم جميعاً وإرسال رؤوسهم[2] إلى باشا

1- Doc. N. 15 A.S.L.F. Governantore . F. N. 204 .

رسالة من قنصل توسكانيا فيليب روسونى بتاريخ 1842/9/7 م

2- Doc. N. 29 A.S.L.F. Governantore . F. N. 221 .

رسالة بتاريخ 1843/5/30 م

طرابلس لعرضها أمام الأهالى بالمدينة . أما الشيوخ وكبار السن الذين بقوا على قيد الحياة فقد قام بإرسالهم إلى طرابلس ومنها إلى الأستانة حيث تم نفيهم خارج البلاد .

ثم بعد ذلك قام بفرض ضريبة مقدارها 10دولارات أسبانية على كل رأس فى قبيلة الشيخ غومة المحمودى، فجمع منهم مبلغاً مالياً قدره حوالى 100.000دولار «مائة ألف دولار»، إلا أنهم مع ذلك رفضوا تسليم أسلحتهم إلى الحكومة التركية .

وقد استطاع أحمد باشا الذى تولى حكم بنغازى بصفته ابناً لباشا طرابلس أن يقوم بإخضاع غدامس بعد إرسال قوة عسكرية تتكون من 400 رجلاً مسلحاً .

إن خضوع الأهالى بعد نفى أو قتل الزعماء شجع الباشا بطرابلس إلى رفع قيمة الضريبة المفروضة على الرأس أو ضريبة رأس فى الجبل إلى مبلغ وقدره 13طالينتي[1]، هذا بالإضافة إلى الضغط والبطش مع التلويح باستخدام القوة ضد المخالفين من الأهالى فى البلاد جعل الكثير من السكان الوطنيين البدء فى الهجرة نحو مصر وتونس . هذا كما أدت سياسة القوة والبطش إلى إثارة المزيد من الاضطرابات فى كل من الجبل وفزان وغيرها من القرى الأخرى التى أعلنت استقلالها عن الحكومة التركية بطرابلس وذلك من خلال امتناعها عن دفع الضرائب المستحقة عليها . هذا التذمر الشعبى

1- Doc. N. 15 A.S.L.F. Governantore . F. N. 232 .

رسالة بتاريخ 1844/11/11 م .

الذى ساد كثير من المناطق فى البلاد دفع الباشا محمد إلى ضرورة الزحف بكل قوة على تلك المناطق الثائرة ضد الحكم التركي، بقيادة أحمد باشا الذى يعتبر أيضاً رجل دموى همجى بطش بكثير من البدو العزل بدون رحمة أو شفقة.

ونتيجة لإخضاع المناوئين للحكم التركى وصل مبعوث شخصى من الاستانة يحمل سيفاً مذهباً كهدية من الباب العالى إلى باشا طرابلس بالإضافة إلى سيف مذهباً أخر إلى الباشا قائد الحملة العسكرية ضد الثوار ثم علبه سعوط «نشوق» مزينة بالألماس إلى الدفتر دار بالإضافة إلى أوسمة ونياشين رفيعة المستوى لكل من باشا بنغازى وبى فزان[1]

إن هذا العنف الدموى من قائد الحملة التركية أحمد باشا شجع بعض الشيوخ المعارضين للحكم التركى فى الداخل إلى ضرورة الرد بالمثل وكان من بينهم ابن الشيخ عبد الجليل الذى أقسم على ضرورة الثأر لمقتل أبيه فقام بمضايقة الحكومة التركية متوغلاً فى داخل أفريقيا وأخذ يشن غاراته على القوافل التجارية المتجهة نحو فزان[2]، وكنتيجة لهذا الصراع الدائر ما بين الحكومة والأهالى فقد انتشرت الأوبئة والمجاعة وكذلك ظاهرة السلب والنهب ما بين السكان مع استمرار تصدير الأسرى من الغرب إلى الشرق. إن تردى الأوضاع السياسية فى البلاد بسبب فساد الإدارة التركية جعل كثير

1- Doc. N. 75 A.S.L.F. Governantore . F. N. 232 .

رسالة بتاريخ 1844/12/12 م

2- Doc. N. 247 A.S.L.F. Governantore . F. N. 299 .

رسالة بتاريخ 1845/11/24 م

من المجندين العرب يلتمسون الانضمام إلى القوى الأهلية المعارضة لحكم الأتراك فى البلاد، مما جعل عودة الوعى المفقود ينتشر بين المجندين العرب، وقد انضم اثنان من رؤساء فرق الميليشا العرب إلى الثوار فى الجبل وهم أحمد الطبجى من المنشية والآخر يدعى على الصغير من الريف، إلا أن الحكومة التركية بادرت بالقبض عليهما بعد أن وجهت لهما تهمة الاشتراك فى ثورة الجبل وتم سجنهما بسبب ذلك، ورغم انهما قد امضيا مدة طويلة فى الخدمة العسكرية بالجيش التركى وحصول كل منهما على رتبة بونباشى «رائد» من الباب العال إلا أنه قد تم تسفيرهم على متن سفينة حربية لغرض نفيهم إلى جهة غير معروفة [1] مع بقية السجناء السياسيين وبعض الشيوخ الذين تم القبض عليهم أثناء مداهمة الثوار فى الجبل وغريان .

وقد حاولت الحكومة التركية أن تخرج من تلك الورطة من جديد، فحاولت كعادتها من قبل استمالة الزعماء العرب فأخذت فى التقرب إلى غومة المحمودى لاستمالته إلى جانبها ولكنها فشلت فى مساعيها بعد أن رفض غومة المحمودى لقب الباشوية الذى تم عرضه عليه فلم تفلح جهودها كما نجحت فى استمالت بعض الشيوخ فى البلاد والذين كان من بينهم الشيخ أبى بكر حدوث زعيم قبيلة البراعصة والشيخ على الأطيوش زعيم قبيلة المغاربة الذين منحتهم لقب الباشوية لخضوعهما للسلطة العثمانية، لهذا فقد حاولت التغلغل فى صفوف بعض القبائل، واستطاعت أن تستميل إلى جانبها من قبائل الإقليم الشرقى كل : العبيدات، الحاسة، البراعصة،

---

(1) Doc. N. 247 A.S.L.F. Governantore . F. N. 299 .

رسالة بتاريخ 1848/4/4 م

الدرسة، العواقير، المغاربة، العربيات، العبيد، العرفة، وحلفائهم من قبائل المرابطين. أما قبائل أولاد على وأولاد فايد والجوازى والمجابرة ومن حالفهم من قبائل المرابطين فقد كانوا على عداء مع الحكومة التركية. وكذلك فى طرابلس فقد كانت قبائل أولاد سليمان والجهمة وترهونة وغيرها من القبائل الأخرى تثير كثيراً من المضايقات للحكومة التركية [1].

ويبدو جلياً إن تصرفات الحكومة التركية وإتباعها لسياسة العنف والضغط على القبائل ومطاردة زعمائها وقطع رؤوسهم أو نفيهم من البلاد قد ساهمت بدون شك إلى تفريغ البلاد من السكان تدريجياً، حيث تخلصت الحكومة التركية من العناصر المناوئة لها سواء بالإبعاد أو التشريد، حيث لم يبق سوى القبائل المتحالفة معها والتى توسعت وانفردت بمواطن خاصة لها [2].

هذا بالإضافة إلى الظروف السيئة للبلاد التى أصبحت تعانى من الفقر والمجاعة المنتشرة ما بين السكان، حيث كان هناك جشع الحكام الأتراك فى البلاد والذين تمادوا فى فرض الضرائب المتعددة على السكان.

إن انشغال الحكومة فى إخماد الحروب الداخلية التى كانت قد اندلعت فى البلاد نتيجة فرض الضرائب وملاحقة المعارضين للحكم التركى بالإضافة إلى اشتراكها فى حرب الشرق التى كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد الروس جعل البلاد تفقد كثير من الرجال الذين كانت الحكومة المحلية فى طرابلس ترسلهم إلى الأستانة للمشاركة فى الحرب ضد الكفار

1- بازامه، محمد : تاريخ برقة فى العهد العثمانى الأول. لبنان : دار الحوار العربى الأوروبي، 1994م. ص ص 403-404.

2- نفس المصدر السابق. ص 405.

الروس، وقد استغلت الحكومة بذلك المشاعر الدينية لدى السكان، حيث جندت فرق الدراويش والمتصوفة المحليين للطواف بشوارع المدن والقرى منادين بضرورة الاشتراك فى الجهاد ضد الكفار الروس وكذلك مساعدة السلطان بالمال، وهكذا استطاعت الحكومة سلب الدينار أو اغتصابه من الأهالى فقامت بفرض ضريبة جديدة لمساعدة السلطان فى حربه ضد الكفار[1].

هذا وكانت الحكومة التركية لا تكتفى بطلب رهائن من أبناء القبائل كبرهان لتسديد الضرائب أو كبرهان للخضوع والاستسلام للحكومة. بل كانت تطالب أيضاً بدفع المصاريف المترتبة عل نفقات الحملات العسكرية التى قامت بإخضاع تلك القبائل. بالإضافة إلى دفع الضرائب الأخرى المستحقة عليها .

أن تذبذب ولاء المليشيات العربية للحكومة التركية المحلية جعلها تطلب الكثير من الجنود الألبان وإحضارهم للبلاد لقمع حركات التذمر وإخضاع القبائل لدفع الضرائب المستحقة، لكن بالرغم من ذلك فقد ازداد جشع الحكومة التركية مما أدى إلى ازدياد حالة البؤس والفقر انتشاراً ما بين السكان، فلم تعد الأعياد الدينية كعيد الأضحى وعيد الفطر باعثة للفرحة والبهجة بين السكان كما فى السابق [2]، فقد أصبحت مرتبات الموظفين تتأخر فى الصرف لهم لمدة تطول أكثر من ثلاثة أشهر غالباً، بينما أخذت الأموال

1- Doc. N. 9 A.S.L.F. Governantore . F. N. 443 .

رسالة بتاريخ 1853/12/24 م

2- Doc. N. 146 A.S.L.F. Governantore . F. N. 551 .

رسالة بتاريخ 1856/1/21 م

التى تمت جبايتها من الأهالى ترسل إلى الأستانة بدون أن يصرف منها شيئاً لصالح سكان البلاد من الأهالي، ففى عام 1854م قام وابور تركى بنقل مبلغاً مالياً قدره حوالى 170000دولار أسبانى «مائة وسبعون ألف دولار أسباني» تم تحصيلهما من مدينة بنغازى فقط إلى الأستانة[1]. ونظراً لحاجة الحكومة التركية فى البلاد إلى المال وإلى دخل ثابت يتم تحصيلة من الضرائب لا يتقلص أو ينعدم بسبب الجفاف أو تلف المحاصيل من الزراعة والحيوانات[2] أصبحت الحكومة تفكر جدياً فى ابتكار ضرائب جديدة أخرى لفرضها على السكان، بالإضافة إلى أنها قد آخذت تبحث عن حلول جديدة تنقذها من الغرق من الحالة المالية السيئة، فلجأت إلى بعض الوسائل الأخرى التى يمكن بواسطتها ابتزاز الأموال، فقامت فى عام 1854م بالسماح لحوالى 6000 مواطناً من طرابلس وضواحيها بالذهاب إلى مدينة مكة لتأدية فريضة الحج مقابل دفع ضريبة محددة من قبل أولئك العرب. ولما كانت تلك الوسائل لم تجد نفعاً حاولت تسليح بعض القوارب التجارية وذلك لممارسة نشاط القرصنة البحرية من جديد حيث أخذت تلك القوارب المسلحة تجول البحر المتوسط من ميناء جربه حتى ميناء بمبة [3] بحثاً عن سفن الكفار لسلبها.

1- Doc. N. 40 A.S.L.F. Governantore . F. N. 476 .

رسالة بتاريخ 1857/7/27 م

2- بازامة، محمد : مصدر سابق. ص 406.

3- Doc. N. 31 A.S.L.F. Governantore . F. N. 476 .

رسالة من قنصل توسكانا فيليب روسونى بتاريخ 1854/5/9 م

أن سوء الإدارة للحكومة المحلية التركية فى البلاد أدى إلى ازدياد تغلغل نفوذ أبناء الباشاوات واستغلالهم لنفوذهم السياسى فقاموا باحتكار التجارة فى البلاد مثل صلاح باشا ابن الباشا محمد حاكم طرابلس الذى نصب ابنه حاكماً على بنغازى ودرنه عام 1845م. وكذلك أبناء الباشا عزات الذين احتكروا تجارة محصول الحبوب فى البلاد والذين كانوا يقومون بتحويل العشر فقط من الضريبة المفروضة عن كل صنف من المحاصيل بينما يتقاسمون التسعة أعشار الباقية فيما بينهم مع المسؤولين الإداريين فى البلاد[1] مما ساعد على انتشار الرشوة والاختلاس ما بين الموظفون الكبار والصغار فى الدولة على حد السواء، فتظاهرت الحكومة التركية المحلية فى البلاد بوضع لوائح قانونية للحد من هده الظاهرة السيئة التى أخذت تنتشر شيئاً فشيئاً بين موظفى الدولة فى المدن والأرياف، وعليه فقد أجبرت الحكومة المحلية موظفيها سواء كانوا ليبيين أو أتراك بضرورة الحلف باليمين بالمسجد الكبير على تقديم الولاء للسلطان والتعهد بأداء الخدمة وعدم الاختلاس بسرقة الأموال العامة بالإضافة إلى عدم تقبل الهدايا وتقديمها إلى الموظفين الكبار، ولكن بالرغم من هذه التنظيمات Tanzimat أو التنظيم الإدارى الجديد، إلا أن كبار الموظفين استطاعوا التملص من تلك القوانين الإصلاحية حيث أهملت فأتاحت للحكام وأتباعهم من المسئولين الكبار فى الحكومة كثير من فرص الاختلاس وغيرهم من التابعين لهم فى البلاد، ومن أمثلة تلك القوانين التطهيرية أو الإصلاحية قانون بمنع الإهداء من المرؤوسين إلى الرؤساء أى من الموظفين والضباط الصغار إلى أولئك ذوى الرتب العالية .

1- هاملتون، جيمس : تجوال فى الشمال الأفريقى. ترجمة وتقديم وتعليق : د/ إبراهيم أحمد المهدوي. «مخطوط تحت النشر» ص ص 426-427.

إلا أن الفساد قد دب بين الكبار أنفسهم رغم تظاهرهم بالفضيلة والتقشف والزهد، فقد كانوا من دعاة الفساد وانتشار الرشوة مثل عزات باشا حاكم طرابلس[1].

وقد أشار الرحالة الإنجليزى جيمس هاملتون إلى هذا الموضوع فى كتابه المشار إليه قائلاً : «الباشا يأكل والبى يأكل والجمركى يأكل» وهكذا كل مسئوول يشترى صمت رئيسه بما أختلسه من الأموال العامة [2]. وهكذا فقد أدى سوء الإدارة وفرض الضرائب وقطع رؤوس المعارضين للحكومة المحلية فى البلاد إلى انتشار ظاهرة الرشوة أو أكل مال الحرام بين المسئوولين ولم تفلح قوانين الإصلاح التى سنت من أجل محاربة الرشوة والمحسوبية خاصة وأنها كانت تعتبر قوانين تطهيرية للمفاسد المنتشرة فى ولايات الإمبراطورية العثمانية خاصة وان الباشوات كانوا يتصرفون هكذا وهم يعلمون جيداً إنهم يجب أن يكونوا قدوة حسنة لأتباعهم. إن هذه الظروف السيئة التى عصفت بالبلاد فى ظل الحكم التركى إنما كانت فى الواقع معاول هدم وفساد امتد تأثيرها حتى إلى نفوس الأهالى مما أدى إلى انتشار التذمر بينهم حول الحكم التركى بعدما أصبح أولئك السكان من الأهالى بدون حماية من ظلم الحاكم أو ممارساته الطائشة فلم تعد توجد قوانين تحميهم من الحاكم أو أبنائه أو أتباعه، فلجأ الأهالى إلى الثورة المسلحة ضد أولئك، بينما هاجر البعض إلى الدول المجاورة، هذا المناخ السياسى السيئ شجع كثير من الدول الأجنبية كالولايات الأمريكية وبريطانيا وفرنسا التدخل فى شؤون البلاد الداخلية

1- نفس المصدر السابق. ص - 428.

2- نفس المصدر السابق. ص - 430

والاتصال أحياناً ببعض الثوار لمساعدتهم بالمال والسلاح لغرض استمالتهم إلى جانبها .

كما حاولت بعض الدول الأجنبية الأخرى التفكير جدياً فى التمهيد إلى غزو البلاد، مما جعل الحكومة التركية المنهارة تتخلى عن البلاد بكل سهولة بمجرد إعلان إيطاليا الحرب ضدها اكتفت بغرس رأسها فى الرمال كالنعامة وتركت الليبيون لوحدهم يواصلون الكفاح المسلح ضد الاحتلال الجديد .

مصـــادر تاريخيـــة ليبيـــة
فى أرشـيف ليفورنو

تعريف الوثيقة :

تعنى لفظة الوثيقة Document ورقة أو مجموعة أوراق Codex أو مجلد أو سجلات Registers . فالوثيقة سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة فإنها تمثل جميع الأنشطة التى تقوم بها هيئة أو مؤسسة رسمية أو غير رسمية .

فالوثائق التى يتم توليدها اثناء قيام المؤسسة أو الهيئة بنشاطها ما هى ألا تعبير حقيقى عن كافة الوسائل أو الخطط المرسومة من قبل تلك المؤسسة للوصول إلى تحقيق الأهداف التى تسعى إليها. وعليه فإن الوثائق المنتجة من قبل المؤسسة رسمية أوْ غير رسمية، ماهى ألا تعبير عن وجودها ومزاولتها لنشاطها فى واقع الأمر ، ولهذا فان تراكم الوثائق يتم بشكل طبيعى وغير قابل للتجزئة، ومن ثم يمكن القول أن الوثائق عبارة عن وسط يشتمل على البيانات والمعلومات الخاصة بتلك المؤسسة أو الهيئة فى المجتمع ، وعليه يمكن إضافة : أن الوثيقة «عبارة عن سجل مدون سواء كان رسمياً أو غير

رسمى قانونياً أو غير قانونى (1). أن معجم المصطلحات يشير إلى تعريف الوثيقة بأنها : عبارة عن وحدة أرشيفية، سجل أو مخطوط، غالباً ما تكون غير قابلة للتجزئة [2]». ومن ثم فان الوثيقة عبارة عن وعاء للمعلومات والبيانات يشتمل على تفاصيل ما قد حدث فى إحدى المؤسسات الرسمية أو الغير رسمية فى المجتمع بحيث تعكس تلك الأنشطة التى تقوم بها إحدى المؤسسات فى المجتمع فى زمان ومكان محددين، هذا هو مصدر أهمية الوثيقة الأرشيفية. فهى تساعدنا على إلقاء الضوء لمعرفة تلك الأحداث والظروف التى كان قد مر بها المجتمع. فالمعلومات والبيانات التى تشتمل عليها الوثائق تعتبر ذات قيمة هامة باعتبارها مصدر للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى البلاد خاصة وانه يوجد قول مأثور ينص على انه «لا وجود لتاريخ بدون وثائق». ويتضح ذلك جلياً من سجلات المحاكم الشرعية فى بلادنا والتى تعتبر من أهم المصادر التاريخية [3] لاعتبارها وثائق رسمية. فهى وثائق غير مشكوك فى مصداقيتها، ويمكن الحصول منها على كافة المعلومات الهامة عن العادات والتقاليد المتبعة فى المجتمع بالإضافة إلى الأسماء والألقاب والملابس والمهور وحلى الزينة للنساء... الخ.

1- العسكر، فهد إبراهيم. التوثيق الإدارى فى المملكة العربية السعودية: بحث تطبيقى على الأجهزة المعنية بالوثائق. الرياض : معهد الإدارة، 1987م. ص22.

2- فالن، بيتر. معجم المصطلحات الأرشيفية : إنجليزي/ عربي... ترجمة غسان منير سنو. طبعة منقحة، بيروت : الدار العربية للعلوم، 1990م، ص71.

3- الديك، محمود : بعض الملامح الثقافية من خلال سجلات المحاكم الشرعية خلال العهد العثمانى الثاني. ورقة قدمت إلى المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات فى ليبيا واقعها وأفاق العمل بها. زليطن 1988م. طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1992م. ص 280.

وتمر الوثائق بأربعة مراحل فى حياتها يتقرر بعدها مصيرها أما بالحفظ الدائم أو بالإتلاف، وأن البروفيسور لودوليني يورد فى كتابه [1] مايلى :

(1) الأرشيف الجارى	Archivio Currente
(2) الأرشيف شبه الجارى	Archivio di deposito
(3) الأرشيف الوسيط	Archivio Intermedio
(4) الأرشيف التاريخى	Archivio Storico

وتعتبر المراحل الحياتية للوثائق المشار إليها ذات أهمية بالنسبة للوثيقة، وعلى ضوئها يتحدد مصيرها أما بالحفظ المؤقت أو الدائم أو بالإتلاف نهائياً، ومن ثم تصبح الوثيقة التى يتقرر حفظها بصفة دائمة فى الأرشيف العام وثيقة أرشيفية .

وقبل أن نتوغل فى سرد تعريف الوثيقة الأرشيفية بإيجاز يجدر بنا التعريف أولاً بلفظة أرشيف Archives والتى تشتمل على ثلاثة معانى [2] :

(1) تطلق لفظة أرشيف على جميع الوثائق الجارية التى تستخدمها الهيئة «المؤسسة» أو الأفراد فى إدارة الأعمال بصفة دائمة .

(2) يعرف الأرشيف بأنه المكان المخصص لحفظ المواد الأرشيفية «الوثائق» .

1- Lodolini, Elio : Archivistica principi Eproblemi . 5° ed: Milano: Franco Angel, 1990. P.31 .

2- Pederson, Ann: (ed) Keeping Archives. Sydney : Australian Society of Archives Incorporated, 1987. P.2.

(3) يقصد بهذه اللفظة الوكالة الأرشيفية التى تكون مسئوولة تماماً عن حفظ وإتاحة الوثائق للباحثين وغيرهم من القراء .

وعليه فان جميع الوثائق تمر خلال حياتها بعمليات الفرز والترحيل والحفظ أو الإتلاف. فالوثيقة الأرشيفية نظراً لما تتضمن من معلومات وبيانات قيمة بالنسبة للبحوث التاريخية. لذلك فإنها تخضع لجميع العمليات الفنية المذكورة أعلاه ما عدا عملية الإتلاف، لأن الوثيقة الأرشيفية هى الوثيقة التى تحفظ بصفة دائمة لاعتبارها مصدراً هاماً للتاريخ. وهذا ما جعل المتخصصين فى علم الأرشيف يؤكدون أكثر من خمسون عاماً مضت على أهمية الوثائق الأرشيفية فى نمو الشعور القومى لدى الشعوب الأوربية[1] وقد اتضح فى حرصها الكبير على تأسيس دور الأرشيف لحفظ الوثائق المتعلقة بتاريخها .

وإن الأرشيفات الإيطالية مثال على ذلك، والتى تضم مصادر تاريخية للدويلات الإيطالية قبل الوحدة الإيطالية التى تمت عام 1861م بالإضافة إلى علاقاتها مع بقية دويلات البحر المتوسط والتى من بينها ليبيا .

وإن أرشيفات البندقية وأرشيفات دوقة توسكانة كأرشيف ليفورنو وبيزا هى أمثلة حقيقية. ولزيادة التوضيح فى تنظيم الوثائق الأرشيفية يمكن القول أن هذا النوع من الوثائق الغير جارية أو الميتة «التاريخية» تنقسم إلى قسمين هما :

1- Posner, E. Some Aspects of Archival development since the french Revolution. American Archivist., Vol., 1940, P. 180 .

1- وثائق رسمية «الوثائق العامة»:

وهى جميع الوثائق الصادرة عن كافة الأجهزة الحكومية الرسمية. فهى وثائق صحيحة رسمية لانها تمثل النظرة الرسمية للدولة فلا يمكن أبداً الشك فى مصداقيتها لأنها تتصف «بالتنظيم والتنفيذ» [1].

2- الوثائق الغير رسمية «الوثائق الخاصة»:

وهى عبارة عن كافة الأوراق الصادرة عن أفراد وتكتسب صفة شبه رسمية نظراً لاعتمادها من قبل الجهات الرسمية بالتصديق عليها فهى بذلك تعتبر وثائق شبه رسمية أو أوراق عرفية [2] مثل أوراق البيع والشراء التى يتم تبادلها ما بين الأفراد عقب عقد الصفقات التجارية.

كما يضيف البعض، بأن الوثيقة الأرشيفية هى عبارة عن «وسط غير جارى يشتمل على معلومات نصية أو مرسومة أو مصورة [3]» بحيث يشمل هذا التعريف جميع الوثائق ذات الأهمية الدائمة والصادرة عن الهيئة «المؤسسة». بالإضافة إلى بقية الوثائق التى كانت قد تلقتها خلال تأدية عملها بشرط أن تكون قد خضعت جميعاً لوصاية المنظمة ذاتها أو من ينوب عنها شرعياً لغرض حفظها لاستعمالها فى البحث أو للمراجعة المستقبلية. [4]

1- العسكر، فهد إبراهيم : مصدر سابق. ص 24.

2- السيد، محمود إبراهيم : مقدمة فى الوثائق العربية. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987م، ص ص 51-52.

3- السيد، محمود إبراهيم : مقدمة فى تاريخ الأرشيف ووحداته. القاهرة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1978م، ص ص 11-12.

4- نفس المصدر السابق. ص 13.

خصائص الوثائق الأرشيفية :

تتميز الوثائق الأرشيفية بالخصائص التالية :

1- عدم التحيز Impartiality :

بحيث يتم تحريرها بكل موضوعية من قبل الجهة الرسمية التى تنتجها، وبهذه الصفة تعتبر جزء لا يتجزأ من نشاط الجهة الرسمية التى أنتجتها أو تلقتها.

2- المصداقية Authenticity:

تشتمل على معلومات صحيحة خالية من الشك بسبب إنها قد خضعت للوصاية القانونية Legal Custody من قبل الجهة الرسمية التى أنتجتها أو من ينوب عنها شرعياً .

3- الطبيعية Naturalness:

تتكوّن الوثائق الأرشيفية طبيعياً من خلال مزاولة الجهات الرسمية لأنشطتها اليومية.

4- العلاقات المتبادلة Interrelationship:

ترتبط الوثيقة الأرشيفية بعلاقات وطيدة مع بقية الوثائق الأخرى سواء كانت داخل المجموعات الأرشيفية أو خارجها. لذلك يكون من الصعب جداً فهم محتويات وثيقة ما بدون الرجوع إلى بقية الوثائق التى ترتبط معها.

وللمحافظة على وحـدة الوثائـق الأرشيفية وعـدم تشتيتها تم الأخـذ بمبـدأ المنشـأ أو الأصـل : [1] Principle of Provenance فى ترتيبهـا بالأرشيف العام .

أهمية الوثائق الأرشيفية :

أن الوثائق الأرشيفية هى مصادر تاريخية تمثل ذاكرة المجتمع وتحافظ عليها خدمة للحاضر والمستقبل . ومنذ اندلاع الثورة الفرنسية حرصت معظم الدويلات الأوربية الاهتمام بالوثائق ،وفى هذا الصدد، فان الفضل يرجع إلى رجال الثـورة الفـرنسيـة الذين حـافظوا على وثائق الأسـر المالكة والإقطاعية، ليس إحساساً منهم بأهميتها الثقافية والتاريخية بل لغرض الاستفادة منها شخصياً فى تسيير الأمور الإدارية فى بداية حكم رجال الثورة للبلاد ، مما أدى إلى الاهتمام بتأسيس دور الأرشيف لحفظ تلك الوثائق والحيلولة دون وصول الغوغائيون إليها، وبالتالى فقد ساهمت الثورة الفرنسية بدون قصد فى نشر الاهتمام بالوثائق. ثم أخذت الدويلات الأوربية الأخرى تحذو حذوها، فقامت بتخصيص أماكن لحفظ وثائقها نتيجة لنمو الشعور القومى بين تلك الشعوب .

وفى إيطاليا وحدها فان عدد الأرشيفات قد بلغ عام 1969م حوالى 104داراً للأرشيف[2]، موزعة فى جميع أنحاء البلاد . وقد استفادت بعض

1- Jenkinson, H. Archives Administration . Oxford: (N.P) 1966.

2- L' Archivio della Civilita : Libero dei giorni Italiani, Anno XVIII - 1969. Milano: Alfieri & La Croix, 1969 PP. 153-156 .

الدويلات الأوربية فى إثراء أرشيفاتها أثناء فترة احتلالها للدويلات المجاورة لها وبصفة خاصة الدويلات العربية الضعيفة الواقعة شمال أفريقيا والتى كانت تعانى جميعاً بصفة عامة من استلاب الشعور الوطنى ما بين شعوبها.

وكانت ليبيا كغيرها من جاراتها قد خضعت لجحافل الغزاة التى استطاعت مع مرور الزمن إلى طمس الشعور الوطنى بسبب التخلف والجهل الذى كانت تنشره الإمبراطورية العثمانية فى اوآخر حكمها البشع فى هذا البلد، مما مهد فى الواقع الى مجيء الاستعمار لنهب وترحيل أو سرقة كثير من المخطوطات النادرة والوثائق والتحف الأثرية من قبل دول الاستعمار. وإن تلك التحف الثقافية لا تزال تزيّن متاحف ومكتبات وأرشيفات تلك الدول الاستعمارية حتى وقتنا الحاضر.

وثائق ليبية فى مراكز الأرشيف الإيطالى:

إن إلقاء نظرة سريعة على الأرشيفات الإيطالية تؤكد على وجود كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ بلادنا لازالت محفوظة بدرو الأرشيفات فى أغلبية المدن الإيطالية الكبرى. ومن بين دور الأرشيف الجديرة بالملاحظة بهذا الخصوص ما يلى:

1- أرشيف وزارة الدفاع الإيطالية والخاص بالأسلحة البحرية والجوية والبرية (1911-1932م).

2- أرشيف وزارة المستعمرات والخارجية الإيطالية.

3- أرشيف وزارة الدفاع والمستعمرات الإيطالية .

4- أرشيف نابولى [1] الذى يضم تقارير القناصل الذين عملوا بمدينة طرابلس ما بين عام 1739-1860م .

وقد أشار توسكى فى كتابه [2] إلى جميع المصادر التاريخية الليبية المحفوظة بدور الأرشيفات والمكتبات الوطنية فى العالم ومن بينها إيطاليا، ومن بينها أرشيفات توسكانة كأرشيف ليفورنو حيث يتضمن كمية من الوثائق الهامة، المتعلقة بتاريخ ليبيا، وتتكوّن هذه الوثائق من مراسلات قناصل دوقية توسكانة بطرابلس وبنغازى وغيرها من المدن الليبية الأخرى، مع وزارة الخارجية بالإضافة إلى المراسلات التى كانت تتم ما بين حكام ليفورنو والقناصل بطرابلس. هذا كما توجد بعض المراسلات الودية ما بين باشاوات طرابلس والقراند دوق لتوسكانة بجانب بعض المنشورات الداخلية فى أيالة طرابلس .

وتوجد الوثائق المتعلقة بتاريخ بلادنا [3] محفوظة فى مجموعات أرشيفية مرتبةكرونولوجياً «زمنياً». وكل منها فى إضبارة Filza خاصة بها كما يلى :

1- المهدوى، إبراهيم أحمد. «مصادر تاريخية فى أرشيف نابولي» مجلة الوثائق والمحفوظات. ع1، س1. (1986م). ص 113.

2- Toschi, Paolo: Le Fonti Storich della Tripolitania. Tripoli, Airoldi, 1934.

3- El- Mehdawi, I. Ahmed: Le Relazioni politiche ed Ecnomiche Fra Libia e Granducato di Toscana Nella documentazione Conservata nell' Archivio di Stato di Livorno (1613-1858) 3Vol. 1410 p.

(أطروحة علمية غير منشورة) .

1- F. Governatore Filze

2- F. Sanita Filze

حيث تنقسم مجموعة سجلات الحكام إلى :

1- Affari. 1817-1858

2- Copia Lettere Civili. 1765-1839.

3- Lettere Civili e Militari e Corrispondenza Ministeriale. 1769-1839.

أما الوثائق المتعلقة بسجلات ال Sanita توجد فى الاضبارات Filze المرقمة من 53-102 . وهذه تشمل الفترة الزمنية الممتدة ما بين السنوات 1613-1758م . وتعكس جميع هذه الوثائق بصفة عامة، العلاقات الاقتصادية والسياسية بين ليبيا ودوقية توسكانة .

إن تلك العلاقات المتبادلة لم تنقطع أبداً إلا إثناء الحكم الفرنسى لدوقية توسكانة خلال الأعوام 1804-1814م . ثم استمرت ما بينهما حتى انضمام توسكانة إلى الوحدة الإيطالية عام 1861م . وتتناول هذه الوثائق جميع المعاهدات التى تم إبرامها ما بين ليبيا وتوسكانة مع الإشارة إلى بعض الدول الأخرى التى لعبت دوراً هاماً فى توطيد العلاقات بين البلدين . ومن بين هذه الاتفاقيات على سبيل المثال، تلك المعاهدة التى تم إبرامها بين البلدين بواسطة فرنسا فى 5 مارس1829م الموافق 30شعبان 1244هـ، كما تشتمل أيضاً تلك الوثائق على جميع التقارير التى كان يرسلها قناصل توسكانة

ومساعديهم فى مدينة بنغازى وغيرها من المدن الليبية الأخرى خاصة تلك التقارير التى تتناول حركة الملاحة التجارية فى بعض الموانيء الليبية الكبيرة مثل طرابلس وبنغازى [1]، حيث يمكن للباحث من خلال قوائم حركة الملاحة للسفن التجارية بين ميناء ليفورنو والموانىء الليبية حصر أهم الصادرات الليبية إلى كافة دويلات البحر المتوسط ومن خلال المقارنة بين أسعار الصادرات والواردات يمكن تحديد الميزان التجارى سواء كان لصالح ليبيا أو لغيرها من الدويلات البحرية المجاورة والتى من بينها دوقية توسكانة، وان ميناء ليفورنو كان من أهم الموانىء فى هذه النشاطات التجارية هذا ويمكن الإشارة بإيجاز إلى بعض الصادرات الرئيسية من ليبيا[2] إلى ميناء ليفورنو، وهذه كالتالى :

(1) الإسفنج الطبيعى .

(2) جلود البقر والماعز والضأن.

(3) الحمير والبغال والخيول .

(4) الملح .

(5) البرتقال ،

(6) نبات الحلفا .

(7) خروب .

(8) الصوف .

1- المهدوى، إبراهيم أحمد : حركة الملاحة التجارية فى ميناء بنغازى خلال عامى 1827-1828م .

2- A.S.L.F. Governantore . F. N. 888 .

أما البضائع التى تستوردها المدن الليبية من دوقية توسكانة [1] فهى كما يلى :

(1) الأدوية .

(2) الحديد .

(3) الأخشاب .

(4) مسامير الحديد .

(5) ورق الكتابة .

(6) الفضة .

(7) المشروبات الروحية .

(8) الفحم .

(9) البارود .

(10) الأرز .

(11) الكبريت .

(12) النبيذ .

(13) القهوة .

(14) الفول .

(15) السكر .

1- A.S.L.F. Governantore . F. N. 885 .

(16) الزبيب .

(17) النحاس .

(18) المجوهرات .

وبما أن مدينتى طرابلس وبنغازى كانتا تعتبران محطات تجارية للقوافل القادمة من وسط أفريقيا، فقد كان يتم خلال موانىء هذه المدن تصدير العاج والتبر وريش النعام بالإضافة إلى تصدير الرقيق إلى بعض الموانىء الأوربية ومن بينها ميناء ليفورنو حتى تحريم هذه التجارة خلال عام 1857م، وتشير هذه الوثائق إلى الخطوط الملاحية ما بين الموانىء الليبية وغيرها من الموانىء الأخرى ومن بينها ميناء ليفورنو [1].

ولهذه الدويلات الأجنبية كان يوجد وكلاء تجاريون [2] بمدينتى طرابلس وبنغازي، وكانو ينقسمون حسب دياناتهم إلى ثلاثة فئات هى :

(1) التجار المسلمون .

(2) التجار اليهود .

(3) التجار المسيحيون .

ومن أمثلة الفئة الأولى نجد التاجر مصطفى بن موسى. ومن اليهود نجد بنجامين حسن أحد الرعايا الطرابلسيون. أما المسيحيون فهم كثيرون حيث ينتمون إلى عدة جنسيات منها الإنجليزية والفرنسية والنمساوية . . . الخ .

1- A.S.L.F. Sanià, . F. N. 359 - 64

2- Graberg, Von Hemso, J. Prospetto del Commercio di Tripoli d'Africa, e delle Sue Relazione Con quelle dell ' Italia. Firenze (N.P). 1827. PP. 17-18.

ومن أمثلة أولئك التاجر سالفاتور فريندو، هذا وقد تولى البعض من أولئك التجار والوكلاء التجاريون المقيمون بطرابلس وبنغازى مناصب سياسية منها تولى منصب قنصل للدولة التابعين لها، ومن بينهم رايخ Reich قنصل النمسا.

وقد أشارت هذه الوثائق إلى الوباء الذى أصاب مدينة طرابلس عام 1837م. حيث نجد جوفانى روسونى قنصل توسكانة يشير إلى خطورة هذا الوباء فى رسالتة إلى حاكم مدينة ليفورنو بتاريخ 2 يناير 1837م قائلاً :

«لقد تم إقفال جميع القنصليات الأوربية فى هذا البلد بسبب خطورة انتشار وباء الكوليرا فى طرابلس حيث بلغ عدد الوفيات من الأهالى فى الريف مائة شخصاً يومياً . . .[1]».

ويتناول البعض من هذه الوثائق المحفوظة فى أرشيف ليفورنو، أخبار الرحالة الأجانب وأسماء الشخصيات البارزة فى البلاد، مع أسماء القناصل الأجانب المعتمدين بطرابلس وبنغازي، بالإضافة إلى سفراء الباشا والذين كان من بينهم الحاج محمد بيت المال[2] الذى كان قد شغل منصب سفير للباشا، حيث كان يتردد على زيارة كل من فرنسا وهولندا وبريطانيا وكذلك دوقية توسكانة للإشراف على إبرام الاتفاقيات والمعاهدات بين ليبيا وبعض الدويلات الأوربية الأجنبية.

1- A.S.L.F. Governantore . F. N. 890 .

2- A.S.L.F. Governantore . F. N. 133 .

هذا ونجد من خلال تلك الوثائق إشارات واضحة إلى حرب الجهاد البحرى أو القرصنة البحرية التى كانت تدور بين طرابلس والدويلات البحرية [1] بالإضافة إلى إجراءات الحجر الصحى «الكارانتينا»[2] La Quarantina التى كانت متبعة فى دخول كل السفن القادمة إلى الموانئ الليبية ومن بينها ميناء ليفورنو كما أن أغلبية الوثائق المحفوظة بأرشيف ليفورنو تشير إلى التذمر والفوضى التى كانت تعيش فيها البلاد تحت الحكم التركى البشع مما أدى إلى اندلاع ثورات [3] داخلية : منها ثورة غومة المحمودي، وثورة عبد الجليل سيف النصر من قبيلة أولاد سليمان، بالإضافة إلى ثورات ترهونة وبن وليد كما تسرد هذه الوثائق أهم المحاولات اليائسة لإخضاع الثوار فى البلاد .

ضرورة تأسيس مراكز أرشيفية ليبية:

وفى ختام هذه الورقة يطيب لى أن أطرح فكرة تأسيس دور أرشيف فى بعض المدن الكبيرة فى البلاد وذلك لأهمية هذه المؤسسات العلمية من الناحية الثقافية والتاريخية، كما سبق وأن أشرت. بالإضافة إلى أهمية دور الأرشيف فى مجال المعلومات الإدارية خاصة وان الادارة الحديثة فى عصرنا الحالي تتطلب توفير المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الصائبة لهذا يجب أن يهتم المسؤولين فى كافة المؤسسات الرسمية والغير رسمية فى المجتمع

1- A.S.L.F. Sanita . F. N. 60 .

2- A.S.L.F. Sanita . F. N. 74 .

3- المهدوى، إبراهيم أحمد : « وثائق غير منشورة عن الثورات الداخلية فى ليبيا 1836-1858م . مجلة قاريونس العلمية . ع4، س 2، 1989م . ص ص 66-83 .

بضرورة تأسيس مراكز الأرشيفات للمحفوظات الجارية معايشة لعصر المعلومات. ومن دون توفير المعلومات لا يمكن للمسؤولين التأكد من نتائج اتخاذ القرارات، فالأرشيف فى وقتنا الحالى أصبح مركز معلومات وبيانات يساعد جميع المؤسسات الرسمية والغير رسمية فى المجتمع على تحقيق الأهداف التى تسعى إليها. فالاحتفاظ بالوثائق باعتبارها أوعية للمعلومات والبيانات لم يعد من الكماليات[1] فى عصر ثورة المعلومات بل أصبح من الضروريات فى كافة القطاعات إقامة مراكزها وإدارتها بصورة سليمة للانتفاع بها عند الحاجة فبدون المعلومات لا يمكن اتخاذ قرارات صائبة، بالإضافة إلى أن دور الأرشيف تعتبر مثل بقية بنوك البيانات[2] التى تقام من أجل توفير مصادر المعلومات دعماً للبحث العلمى. إن أهمية دور الأرشيف فى المجتمع نابع من أن الوثائق المحفوظة بها تمثل الذاكرة الحية للمجتمع.

لذا فإننا نأمل من المسؤولين إصدار التشريعات اللازمة بضرورة تأسيس الأرشيفات فى كافة الأمانات والدوائر الحكومية فى البلاد حرصاً على الحفاظ على هذا التراث العلمى الوطنى القيم، لذا يجب البدء فى تجميع الوثائق المتعلقة بتاريخ البلاد، وإيداعها فى أرشيفات عامة تخصص لهذا الغرض مع الحرص على تشجيع الأقسام العلمية فى الجامعات التى تقوم بتدريس علوم الأرشيف واللغات كالإيطالية والتركية وذلك من اجل الاستفادة من خريجي تلك الاقسام فى الجامعات الليبية بحصر وتوثيق كافة ما يتعلق بالمصادر التاريخية الليبية الموجودة فى الداخل أو فى الخارج.

1- Mazikana, Peter C. Archives and Records Management for Decison Makers: A Ramp study. Paris : United Nattions Educational, 1990 . P.10 .

2- Cook, M. Archives Administration. London: Dawson & Sons Ltd., 1986 P. 4 .

الفصل الخامس

- الصحافة فى طرابلس خلال العهد التركى 1866 -1911م
- تاريخ الصحافة فى طرابلس 1911 - 1933 م
- سك العملة بطرابلس الغرب خلال الحكم القره مانلى .
- الساعات الأخيرة من حياة عمر المختار .

الصحافة فى طرابلس [1]
خلال العهد التركى 1866 - 1911م

لقد ساهمت الدراسة التى قام بها جوسيبى ايسيدرو ارنيدو GUESSPPE I ARNEUDO والتى تناول فيها تاريخ الطباعة فى الشرق وأفريقيا فى معرفةتاريخ الفن الصحفى الذى كان قد عرف بتركيا عام 1493 م، أما فى مصر فقد ظهرت الصحافة خلال عام 1798 م والجزائر عام 1830 م أما فى طرابلس وغيرها من الأقاليم فلم يحددها تاريخ معين خاصةوأن منشورات ارنيدو التالية لم تشر إلى بداية تاريخ الطباعة والصحافة فى مدينة طرابلس مطلقًا .

دورية المنقب الأفريقى (1827 م) :

INVESTIGATEUR AFRICANE

يبدو أن هناك معلومات قد وردت فى الببليوغرافيات الصادرة في الدويلات البربرية فى الشمال الأفريقى ومنها الزعم الذى يورد أن الجزائر قد

1 - LA STAMPA DI TRIPOLI TURCA (1866 - 1911)

ظهرت فيها الصحافة قبل غيرها من الدويلات الأفريقية ونتيجة لهذه المزاعم الخاطئة، فقد قام بعض الدارسين الإيطاليين بتمحيص تلك المزاعم للتأكد من أن الصحافة قد عرفت فى مدينة طرابلس عام 1827 م تقريباً وقد أشار منيوتيللى MINUTILLI عام 1903 م فى كتابه « ببليوغرافية ليبيا » إلى صحيفة المنقب الأفريقى » فى معرض تناوله للصحف التى كانت تصدر فى مدينة طرابلس بواسطة الناشر دى همسو » كما أشار إلى صحيفة المنقب الأفريقى أيضًا فومالى FUMAGALLI فى المجلة المعروفة باسم ACCADEMIE ÉBIBLIOTECHE D' ITALIA : الصادرة فى يونيو 1931 (ص ص 485 - 510) وقد أشار أيضًا إلى تلك الدورية كل من مورى MORI وروسى ROSSI (انظر مقالته بعنوان UNA RASSEGNA AFRICANISTA MANOSCRITTA TRIPOLI UN SECLO FA والتى كانت قد نشرت فى مجلة ORIENTE MODERNO فى شهر مايو 1932 م. ص ص 256 - 260 . حيث أثار أيتورى روسى E.ROSSI جدلاً كثيرًا حول صحة الدورية المذكورة بطرابلس لفترة قصيرة .

أما البروفيسور اتيليومورى PROF . ATTILIO MORI فقد أثار كثير من الشك حول مصداقية صدور دورية « المنقب الأفريقى » بطرابلس، وحول صدور « المنقب الأفريقى » بطرابلس نجد البروفيسور جوسيبى فومالى G.FUMAGALLI يقتنع بصدور تلك الدورية بدون الحصول أو الإطلاع على نسخة واحدة منها ويبدو أن تأكيده ذلك إنما جاء تصديقًا لما ورد فى كتاب ببليوغرافيا جرايبرج GRABERG المعروف بعنوان NOTA BIOGRAPHIQUE SUR LE COMTE GRABERG DE HEMSO FLURENUE IMPRIMERIE DE LOUIS PEZZATA 1843 PP. 30 AP

. 19حيث أشار فرضًا إلى أن أحد مقالات جرايبرج دى همسو بعنوان DUBITAZIONIE CONGHIETTURE INTORNO TOMBUCTU المنشور فى مجلة الانطولوجيا ANTOLOGIA فلورنسا الصادرة فى شهر مايو 1829 م ص ص 127 - 137 . قد أوردت أن المقالة المذكورة قد نشرت أيضًا باللغة الفرنسية فى دورية المنقب الأفريقى العدد الثانى بالضبط .

أما ايتورى روسى فقد استند إلى إيراد حجتين هامتين لحسم الموضوع المذكور أولهما التى اعتمد عليهما روسى فى تأكيد رأيه ما استخلصه من أرشيف القنصلية الفرنسية بطرابلس ARCHIVIO DEL CONSOLATO DI FRANCIA TRIPOLI حيث برهنت مراسلات روسو القنصل الفرنسى فى الفترة الممتدة من 1825 - 1831 م مع بلاده على وجود دورية تعرف باسم المنقب الأفريقى INVESTIGATEUR AFRICANO تصدر بطرابلس حيث يشير فى رسالته المؤرخة فى أغسطس 1827 م إلى دورية شهرية سياسية أدبية تعرف باسم « المنقب الأفريقى » يصدرها مع أصدقائه القناصل الأوروبيين بطرابلس، أما أول عدد صدر من المنقب الأفريقى فقد كان فى 31 يوليو 1827م كما يورد القنصل الفرنسى فى رسالته المذكورة، أما الحجة الثانية التى استند عليها ايتورى روسى للبرهنة على صحة فرضيته فقد كانت عبارة عن رسالة مورخة فى 2 أغسطس 1827 م كان قد أرسلها روسو القنصل الفرنسى إلى باربى دى بوكاج BARBIE DE BOCAGE الواردة فى النشرة BULLETTIN التى كانت تصدر عن الجمعية الجغرافية بباريس، السنةالثامنة العدد 182 ص ص 174 - 178 . وقد جاء فى تلك الرسالة ما يلى « لقد تم ببالغ السرور والبهجة تحقيق مشروع إصدار دورية شهرية سياسية أدبية

بفضل التعاون المثمـر مع أصدقائـى قناصل الدول الأوروبية بطرابلس حيث تم صـدور العـدد الأول من الـدورية فى 31 يوليـو الماضـى . . . « وقـد أنهى ايتـورى روسى دراسـتـه حـول ذلك الموضـوع بدراسـة دوريات مـخطوطة كـانت قد نشـرت فى مـجلة BULLETTIN الصادرة عن الجمعية الجغرافية بباريس السنة التاسعة 1928م . ص151

. SOCIETA GEOGRAFICA DI PARIGI IX. 1828 P, 151 ,

هذا كـما أجريت دراسات أخرى فيـما بعد بإشراف مركـز الدراسات لحكومة طرابلس Ufficio Studi Del Governo Della Triplitania ولكنهـا لـم تأتى بنتيـجة إيجـابية . لهذا فإن المعلومات الواردة فى ببليوجرافيا بلاى فير Playfair قد رددها منيـوتيللى Minitilli أيضًا فى «ببليوغـرافيـة ليبيا » لذلك يجب غربلةتلك المعلومات وفقا لما أورده ايتورى روسى حول دورية «المنقب الإفريقى » .

بداية ظهور الطباعة فى طرابلس :

لقد برهنت نتائج البحوث وغيرها من الدراسات التى أجريت من قبل بعض المتخصصين على مقتنيات دور الأرشيف والمكتبات سـواء العامة أو الخاصة ، أن أول صـحيفة مطبـوعة فى طرابلس ترجع إلى العهد التركى الثانى إلى حوالى العام 1866 م ، تلك السنة التى صدر فيها العـدد الأول من جريدة « طرابلس الغـرب الرسمية لحكومة الولاية ، أما عن بداية تأسيس مطبعة فى البلاد فإن المعلومات المستقاة من محتويات دور الأرشيف بالأستانة تفيد بأن استيراد المواد الخام من الخارج للمطبعة الحجرية بطرابلس قد تم بواسطة المدير السـابق للصـحـافة والـنشر بوزارة الـداخلية والـتعليـم العام خـلال تلك الفتـرة

التى صدرت فيها « طرابلس الغرب » الجريدة الرسمية للولاية، مما يؤكد بدون شك أن عام 1866 م كان بداية لصدور أول صحف مطبوعة فى البلاد.

المطبعة الحجرية كانت أسبق من المطبعة العادية :

من خلال تفحص أعداد الصحف المطبوعة فى مستودعات الحكومة الإيطالية بطرابلس أمكن التعرف بدقة على المطبعةالحجرية كانت أسبق من المطبعة ذات الحروف العادية فى الظهور بمدينة طرابلس، ويبدو أن هناك مطبوعات كثيرة مثل : السلنامة أو الجريدة الرسمية للولاية بطرابلس كانت تطبع فى مطبعةالولاية وليس بالمطبعة الحجرية، وذلك لأن المطبعةذات الحروف العادية تعتبر ملائمة فى طباعة السلنامة التى صدر العدد الثانى عشر منها عام 1342 هـ الموافق 5 يوليو 1894 م فى حوالى 201 صفحة، وهذا يعنى أن المطبعة العادية قد عرفت بمدينة طرابلس بعد المطبعة الحجرية بحوالى خمس أو أربع سنوات تقريباً، وذلك بناء على رغبة الوالى التركى بطرابلس الذى قام خلال عام 1890 - 1891 م بشراء قطع الغيار اللازمة والتى كانت تشمل أحرف جديدة للمطبعة من القسطنطينية بلغت تكلفتها جميعا 12 ألف قرش (اثنا عشر ألف قرش)، مما يدل على أن المطبعة الحجرية القديمة لم تعد قادرة على تأدية عملها بعد مضى واحد وعشرين عامًا على تأسيسها بطرابلس، بسبب أن حروفها لم تستبدل طيلة تلك المدة حوالى سنة 1870 م أى بعد مرور خمس سنوات على طباعة أول صحيفة بالمطبعة العادية ذات الأحرف التى كانت تعرف بالمطبعة الحديثة حين ذاك، وبالفعل فقد تم إدخال الحروف اللاتينية لاستخدامها بكميات محدودة فى فنون الطباعة بمدينة

طرابلس، وذلك قبل صدور دستور عام 1908 م، إلا أن ذلك لم يمنع طباعة بعض الدوريات والتى كانت تصدر بلغات أوروبية مثل القوانين ولوائح الأنظمة والأدلة . . . . الخ ، المتعلقة بشؤون الإيطاليين بإيطاليا، بالإضافة إلى جريدة أسبوعية كانت تتناول الشؤون الحياتية بطرابلس تعرف باسم : صدى الصحراء (1893) L'Eco Del Deserto والتى كانت تطبع بصدارتها العبارة التالية «جريدة طرابلس Giornale De Tripoli » مما يبرهن على أن هيئة التحرير وإدارتها المسؤولة كانت بمدينة طرابلس، أما طباعتها فقد كانت تتم فى سراكوزة.

أول مطبعة بطرابلس:

من خلال فحص المطبوعات الصادرة فى ذلك العصر بالاستعانة بمذكرات أحد أعيان طرابلس يبدو جلياً أنه ابتداء من عام 1866 م حتى عام 1908 م لم تكن بطرابلس سوى مطبعة واحدة كانت تابعة لحكومة الولاية مقرها قصر الولاية بالسرايا الحمراء بالقلعة .

وقد كانت مطبعة الحكومة أو مطبعة الولاية خلال العقد الأول من تأسيسها رديئة التجهيز، أما العمل فقد كان يتم بواسطة مكابس يدوية وكان الفنيون العاملون بها جميعًا من تونس وقد كانت التقاويم الحولية للولاية تورد بين صفحاتها كثيراً من المعلومات المتعلقة بالمطبعة كالسلنامة التى تورد قائمة بأسماء العاملين بالمطبعة الحكومية « مطبعة الولاية » كأسماء المديرين / العاملين الفنيين والمحررين المسؤولين وغيرهم من الموظفين الرسميين . . .

الخ، هذا كما كانت السلنامة تهتم بنشر كافة الأخبار المتعلقة بجلب قطع الغيار الجديدة وغيرها من المواد اللازمة للمطبعة الحكومية كما جاء فى السلنامة 1894/95 م ـ عدد 12 ص 201. أما من حيث عدد العاملين بالمطبعة والجريدة الرسمية للولاية فنجد أن السلنامة عدد 8 الصادر 1294 هـ. ص 52 تورد أن عدد الموظفين والعاملين الفنيين بالجريدة بعد جلب آلات الطباعة الجديدة لاستخدامها قد بلغ ما يلى : عدد 3 مصففى حروف، عامل واحد لصيانة المطبعة، عدد اثنين للطباعة ثم موظف واحد يشرف على إدارة الدورية.

وفى عام 1899 م بمبادرة من نامق باشا والى طرابلس وبتمويل من البلدية وسكان طرابلس تم تأسيس مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية وكان من بين أقسامها قسم مختص للطباعة، وحيث أن المدرسة لم تكن تمتلك مطبعةخاصة لتدريب تلاميذها عمليًا فقد كانت تقوم بإرسالهم إلى مطبعة الحكومة (مطبعة الولاية) لهذا الغرض، ومما يدل على وجود مطبعة واحدة بطرابلس حتى عام 1908 م. بالإضافة إلى ما ذكرته سابقًا، فقد أشارت بعض الدوريات الصادرة إلى ذلك فى مقالاتها ومن بينها كانت (مجلة العالم الإسلامى) فى مقالة بعنوان : فى طرابلس، نشرت فى المجلد السادس ص 272 عام 1908 م بقلم أحد الدارسين يدعى ن. سلوش N. Slouch والذى كان موجود بطرابلس خلال عهد الانبعاث والذى كتب عن الصحافة فى الوقت الحاضر Presse Pour Le Moment قائلا (لا يوجد فى طرابلس أى دوريات تصدر ما عدا جريدة رسمية تصدر فى صفحات قليلة خاصة بالشؤون الإدارية للولاية تعرف باسم (طرابلس الغرب) كما توجد بطرابلس مطبعة

واحدة تستخدمها حكومة الولاية) ومنذُ مضى سنتين قام أحد الإيطاليين بنشر دليل لمدينة طرابلس Guide De Tripoli فى طبعته الثانية كما يوجد بالمدينة تقويم عربى تركى Almanach تحت الإعداد بواسطة مجموعة تعرف بالمجموعة Yeunes Tircs يونيس ـ توركس، وأثناء وجودى بطرابلس سمعت أحاديث تدور حول وجود مطبعة بالمدينة بالإضافة إلى تأسيس جريدة شعبية تصدر باللغة العربية .

تطور الفنون المطبعية فى مدينة طرابلس :

شهدت مدينة طرابلس تطورملحوظًا فى مجال الطباعة منذ صدور الدستور العثمانى (1908م) حتى مجيء الاستعمار الإيطالى فى 5 أكتوبر 1911 م حيث قفز عدد المطابع خلال ثلاث سنوات إلى خمس مطابع هى :

1- مطبعة الولاية [1] :

تم نقلها عام 1908 م إلى مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية الواقعة فى شارع ريكاردو المعروف فى ذلك الوقت حيث أصبحت تسمى بمدرسة الفنون والصنائع عام 1910 م .

2- مطبعة الترقى :

اتخذت مقراً لها بصفة مؤقتة خلال 1908 م بطرف مطبعة الولاية بشارع ريكاردو قبل أن تنتقل إلى مقرها الرئيسى بسوق الترك .

1- هي المطبعة الحجرية المعروفة وقد طبعت بها بعض أعداد من « جريدة طرابلس غرب » وكذلك جريدة « الترقي » ، « السلنامة » والجريدة الرسمية للولاية . (المترجم) .

3- مطبعة ج. أربيب :

تأسست عام 1908 م كان مقرها الرئيسى يقع فى شارع جامع محمود حيث أصبحت تعرف فى 1909 م بمطبعةانترناسيونال لصاحبها ج . أربيب G.ARBIB ، وتعتبر هذه المطبعة هى الأولى فى استخدام الحروف اللاتينية لطباعة بعض الدوريات الصادرة باللغات الأجنبية مثل جريدة طرابلس المعروفة « الجورنالى دى تريبولى » التى كانت تصدر باللغة الإيطالية حيث صدر العدد الأول السنة الأولى فى 11 يناير 1909 م .

4- مطبعة أرتى جرافيك :

كان مقرها الرئيسى يقع فى ميدان بنك روما [1]

5- مطبعة أورينتالى [2] :

« المطبعة الشرقية » كانت تعرف أيضًا باسم مالكها أو بمطبعة تشوبه .

الصحافة الطرابلسية : 1908 - 1911 م :

شهدت السنوات الثلاثة الأخيرة من الحكم التركى للإقليم ازدهاراً ملحوظًا فى الصحافة الطرابلسية حيث أزداد عدد المطابع والدوريات فى البلاد ويرجع ذلك إلى حرية الصحافة الممنوحة لكافة رعايا الأمبراطورية العثمانية بموجب دستور 1908 م، وقد استطاع أحد الصحفيين الطليان ويدعى جوسيبى بيازا أثناء وجوده بطرابلس فى مهمة صحفية من قبل

1- ميدان الساحة الخضراء حاليًا .

2- مطبعة تشوبة : صاحبها إبرهام تشوبه أحد اليهود الطليان وكانت تطبع بعدة لغات منها اللغة العربية ، التركية ، العبرية ، . . الخ (المترجم) .

صحيفة التريبونا TRIBUNA منذ منتصف شهر مارس حتى نهاية شهر إبريل عام 1911 م أن يرسم لنا بدقة متناهية موقف القراء من الصحف الصادرة حينذاك بطرابلس حيث يورد لنا قائلاً « لقد كان يعتبر الحديث عن الصحافة والصحفيين قبل صدور قانون 1908 م فى البلاد نوعًا من التجديف فقد كانت الدوريات المطبوعة تصادر بكل قوة وعنف من بين أيدى القراء المواطنين المحليين، حيث تمزق وتستخدم للف الجبن أو غيرها من المواد التموينية الأخرى فلم يكن هناك فرق ما بين كتاب أو جريدة كانت قد تناولت طرابلس أو تركيا خاصة من الناحية السياسية حيث يتم مداهمتها بكل قوة لتمزيقها بواسطة إدارة مراقبة المطبوعات ». لقد استطاع الصحفى جوسيبى بالفعل وصف حالة الصحافة الطرابلسية خلال إقامته بواسطة لقاءاته المتعددة اليومية للمواطنين الطرابلسيين الجالسين فى المقاهى حول النارجيلة « زجاجة النارجيلة » وبملابسهم المتميزة عن الأتراك وقد أصبح خلال تلك الفترة يوجد فى طرابلس ثمانى دوريات تصدر بانتظام وكان من بينها اثنتان تصدران باللغة التركية تعميم حريت : وهى جريدة شبه رسمية أما الجريدة الأخرى فهى جريدة طرابلس الغرب والتى تعتبر جريدة رسميةأما الصحف الصادرة باللغة العربية فهى تشمل كلا من « الترقى » و « المرصاد » وهى صحف مستقلة، بالإضافة إلى صحيفة « أبو قشة » وهى جريدة هزلية .

كما توجد صحيفة تصدر بالعبرية واثنتان باللغة الإيطالية هما ايكودى تريبولى «صدى طرابلس » L.ECO DI TRIPOLI واليكونومست دى تريبولى « الاقتصاد الطرابلسي » ECONOMISTA DI TRIPOLI وهى

صحيفة اسبوعية. وتعتبر جريدة الترقى من الصحف الجادة التى كانت تصدر بطرابلس، وقد كانت تمتلك مطبعة خاصة بها وقد بلغت الكمية المسحوبة من الصحيفة حوالى عشرة آلاف نسخة تقريباً، أما سعر بيع الصحيفة فقد كان يتراوح ما بين فلس واحد إلى ثلاثة أو أربعة أو خمسة أحيانًا وفقًا لعدد صفحات الجريدة، ولقد كان سكان طرابلس يتهافتون على قراءة الصحف حيث يتحلق الناس حول أحد القراء للاستماع إليه وهو يقرأ الصحيفة بصوت عالٍ سواء فى المقاهي، الميادين العامة، الأسواق التجارية أو فى الصالونات حيث كان المواطنون المحليون يحرصون على معرفة أخبار الولاية وبصفة خاصة أخبار المناطق النائية فى الولاية.

الصحف فى طرابلس خلال العهد التركى:

لقد شهدت الفترة الممتدة من يوليو 1908 م إلى شهر أكتوبر 1911 م ازدياداً ملحوظًا فى عدد الدوريات الصادرة فى طرابلس حيث وصل عددها إلى 14 دورية وذلك بالمقارنة بالفترة الزمنية السابقة الممتدة من 1866-1908م. والتى تقدر بحوالى 43 عامًا لم تصدر فيها سوى أربع دوريات فى طرابلس.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن قائمة أسماء الدوريات التى سنذكرها فيما بعد قد تحصلت عليها نتيجة لجهود مضنية قضيتها فى دور الأرشيف والمكتبات بالإضافة إلى دور المطابع وكذلك لدى المكتبات الخاصة وذلك من أجل حصر جميع الدوريات التى كانت فد طبعت فى طرابلس منذ

تأسيس أول مطبعة بالمدينة حتى مجيء الاحتلال الإيطالي . هذا وسوف نعطى لمحة موجزة بقدر الإمكان عن الدوريات الواسعة الانتشار ذات الأهمية وهى كما يلي :

1- طرابلس غرب :

تحمل عنوانًا آخر مكتوبًا باللغة التركية فى بداية القسم العربى منها وتوجد أعداد من الجريدة غير متتابعة . تأسست جريدة طرابلس غرب عام 1866 م الموافق 1282 هـ ـ تحت رعاية محمد نديم باشا والى طرابلس ـ وهى جريدة أسبوعية كانت تصدر أيام الأثنين والأربعاء والخميس من كل أسبوع تطبع فى مطبعة الولاية ، صدرت فى صفحتين مطبوعتين ذات أحجام متعددة (35 x 52 , 28 X 41 , 31 X 50 سنتمترًا) . ثم أصبحت تتكون من أربع صفحات حيث تنقسم الصفحة الأولى إلى ثلاثة أعمدة ، ثم أربعة ثم عادت إلى ثلاثة أعمدة ، ثم لتصبح أربعة أعمدة مرة أخرى ، وتنقسم جريدة طرابلس غرب إلى قسمين كل منهما يتكوّن من صفحتين ، كان القسم الأول فى الجريدة يصدر باللغة التركية أما الآخر فيصدر باللغة العزبية وكانت بعض أعداد من الجريدة تحمل ترقيمًا للصفحات من 1 إلى 2 حيث تبدأ بها صفحات كل قسم من الصحيفة أو الجريدة التى لم يوجد لها مدير مسؤول لأنها تعتبر تابعة لهيئة رسمية فى الولاية حيث تتصل بديوان الولاية مباشرة فهى مثل « السلنامة » دورية رسمية إلا أنه يلاحظ تغيير أسماء محررى القسم العربى والتركى أحيانًا . هذا وقد تم تخصيص مقر لإدارة وتحرير جريدة طرابلس غرب بطرف مقر حكومة الولاية وتحمل جريدة طرابلس غرب فى صدر الصفحة الأولى عبارة « الجريدة الرسمية للحكومة» . كما تعتبر جريدة

طرابلس غرب وسيلة اتصال رسمية من الناحية الإدارية فهى تحتضن كافة الأخبار المحلية بالإضافة إلى احتوائها على الأخبار العالمية وغيرها من الكتابات الأخرى المتنوعة.

وكانت جريدة طرابلس غرب فى بداية صدورها تحتوى على قسمين إحداهما يهتم بالأخبار العالمية بصفة عامة وتوجد إشارة مكررة فى جميع أعداد الجريدة، وبالضبط فى واجهة الجريدة تعلن أن جميع المقالات والأخبار وغيرها من الكتابات أو المقالات بصفة عامة التى تخدم المصلحة العامة تقبل للنشر بدون مقابل، وكانت الجريدة تحرص على نشر « تاريخ طرابلس » فى أحد ملاحقهاوالتى لم أتمكن للأسف من معرفة شخصية كاتبه بدقة والذى يدعى « شمس الدين سامى بى » على الرغم من أنه كان يعتبر أحد الموظفين الحكوميين الكبار فى عصره، فهو بالإضافة إلى انه كان يشغل منصبًا رفيعًا في حكومة الولاية هو أيضًا يعتبر مؤلفًا لبعض الكتب .

أما تاريخ صدور كل عدد من الجريدة فقد كان موضحًا فى أعلى الصفحة الأولى وفقًا للتقويم العثماني، ثم يضاف فيما بعد بالصفحة المواجهة الموافق له وفقًا للتقويم الجريجورى الذى تم إلغاءوه فيما بعد . وأصبحت الجريدة تبين فى أعلى الصفحة الأولى التاريخ التركى والعربى الهجرى فقط.

وكانت جريدة طرابلس غرب تطبع فى السنوات الأولى من صدورها فى المطبعة الحجرية قبل أن تتحول طباعتها فيما بعد إلى المطبعة العادية، وقد استمرت جريدة طرابلس غرب التى كانت تعتبر أول جريدة تتم طباعتها بطرابلس فى الصدور منذ تأسيسها حتى توقفت يوم 22 سبتمبر 1911 م قبل أسبوع من إعلان إيطاليا الحرب ضد تركيا .

2- السلنامة :

تقويم سنوى صدر العدد الأول منها فى عام 1869 م الموافق 9 محرم 1286 هـ، تأسست بناء على رغبة حكومة ولاية طرابلس، حيث أصبحت الحولية الرسمية للولاية، أما آخر عدد صدر من السلنامة فيرجع إلى عام 1894م ـ 1895 م حيث تم تعديل عنوانها فيما بعد إلى « سلنامة ولاية طرابلس الغرب » أو حولية طرابلس الغرب وكانت تصدر سنويًا كما يدل عنوانها، أما طباعتها فقد كانت بالمطبعة الحجرية فى بداية الأمر خلال السنوات الأولى من صدورها ثم انتقلت لتطبع فى المطبعة المخصوصة العادية التى كانت توجد داخل القلعة وكانت حولية ولاية طرابلس الغرب تنشر قوائم بأسماء الموظفين بالمطبعة، وكان مقاس حجمها عبارة عن 16 سم حتى العدد الحادى عشر ثم تغير وأصبح عبارة عن 8 سم للأعداد التالية التى صدرت من السلنامة فيما بعدد. أما عدد الصفحات للأعداد من السلنامة فقد كانت مختلفة وفقًا لقائمة المحتويات التحليلية الخاصة بكل عدد سنوياً. وتصدر السلنامة باللغتين التركية والعربية فهى تنقسم إلى قسمين يعتبر القسم العربى ترجمة حرفية للقسم التركى وحيث أن السلنامة تصدر بإشراف حكومة الولاية فهى لهذا السبب لا يوجد لها مدير تحرير مسؤول بالإضافة إلى عدم وجود مقر ثابت لإدارتهافهى باعتبارها حولية رسمية تتضمن الأخبار المحلية والعامة خاصة ما يتعلق بشؤون حكومة ولاية طرابلس غرب (اللمحات الفلكية المتعلقة بالتقويم، جغرافية، وأخرى تاريخية . . . الخ) بالإضافة إلى ما يتناول النظم واللوائح وكشف قوائم لأسماء الدوائر الحكومية فى الولاية هذا بالإضافة إلى أسماء الموظفين الكبار وإحصائيات عن سكان الولاية وأخبار عن الصناعة والتجارة والزراعة . . . الخ، وقد اشتمل العدد الأول

من السلنامة على خارطة توضيحية للتقسيمات الإدارية للولاية والتى كانت تتكون من خمسة (شنازق) هى : طرابلس، الخمس، الجبل، فزان، وبنغازي. أما آخر عدد من السلنامة فقد كان يحتوى على جميع أعمال الحكام الأتراك التى أنجزت فى البلاد منذ عام 1835 م إلى عام 1894 م.

وقد تمت طباعة الأعداد الأحد عشر الأولى من السلنامة فى المطبعة الحجرية، أما العدد الثانى عشر فقد تمت طباعته فى المطبعة العادية، وحيث أننى لم أستطع معاينة جميع الأعداد الصادرة من السلنامة فقد اكتفيت بالإشارة إلى ثمانية أعداد من السلنامة هى :

العدد الأول، 1286 هـ (13 إبريل 1869 ـ 2 إبريل 1870) ص 97

العدد ؟، 1289 هـ (11 مارس 1872 ـ 29 فبراير 1872) ص 95

العدد ؟، 1290 هـ (1 مارس 1872 ـ 17 فبراير 1874) ص 113 .

العدد الثامن، 1294 هـ (16 يناير 1877 - 8 يناير 1878) ص 103 .

العدد التاسع، 1295 هـ (9 يناير 1878 - 26 ديسمبر 1879) ص 96 .

العدد العاشر، 1302 هـ (أكتوبر 1884 - 9 أكتوبر 1885) ص 188 .

العدد الحادى عشر، 1302 هـ (19 ديسمبر 1887 - 6 سبتمبر 1889) .

العدد الثانى عشر، 1312 هـ (5 يوليو 1894 - 23 يونيو 1895) ص216 .

وقد تضمن العدد الأخير من السلنامة معلومات وتوضيحات عن الأسباب التى أدت إلى توقف الحولية عن الصدور لمدة سبع سنوات. وقد

أصبحت سلنامة الولاية التى كانت تطبع بالمطبعة الحجرية غير قادرة على الصدور كالعادة بسبب بعض الظروف وغيرها من الصعوبات المتعلقة بالحروف المطبعية الجديدة التى تم جلبها إلى البلاد بناء على رغبة الوالى العثماني، وبالفعل فقد تم إصدار العدد الثانى عشر للسلنامة عام 1312 هـ بعد أن تمت طباعته فى المطبعة الحديثة، أما العدد الثالث عشر من السلنامة فقد تم الشروع فى طباعته ولكنه لم يصدر .

3- الترقى :

تنقسم حياة هذه الجريدة إلى فترتين زمنيتين إحداهما مرتبطة بالسنة الأولى لصدور الجريدة التى أسسها بطرابلس الصحفى محمد البويصيرى كما تشير الأعداد الصادرة من «الترقى »التى تأسست عام 1315 هـ. أما أول عدد فقد صدر يوم 26 يونيو 1897 م. وهى جريدة سياسية علمية أسبوعية تصدر كل يوم السبت من كل أسبوع، وكانت تطبع فى بداية الأمر فى مطبعة الولاية مقاس حجم صفحاتها بالسنتمتر يساوى 31 X 43 وكانت الجريدة تشتمل على أربع صفحات تحوى ثلاثة أعمدة وهى تصدر باللغة العربية، أما صاحب الامتياز والمدير المسؤول فقد كان مؤسسها كما تشير العبارة الواردة فى صدارة الصفحة الأولى الآتية « جميع المراسلات يجب أن تكون باسم صاحب الجريدة محمد البويصيرى » وتعتبر جريدة الترقى جريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية كما تورد المقالة الافتتاحية بقلم المحرر المسؤول المنشورة فى العدد الأول للجريدة التى كانت تعتبر « أول جريدة سياسية شعبية تصدر فى الإقليم الطرابلسى »، وقد توقفت الترقى بعد أن استمرت لمدة

عام واحد وذلك لأسباب مالية ثم عادت للصدور مرة أخرى وذلك بعد صدور دستور 1908 م أى بعد مرور حوالى عشر سنوات على تأسيسها، وعلى الرغم من عدم تغيير حجم عنوان الجريدة السابق، ألا أننا نجد العدد الرابع للجريدة يحمل عنوان الجريدة مكتوبًا بالحروف اللاتينية "EL TARAKI" وكذلك إضافة عبارة « طرابلس البربر » أما حق الامتياز فى صدور جريدة الترقى فقد كان لصاحبها ومؤسسها محمد البويصيرى أما إدارة الجريدة فقد تولاها الصحفى على عياد وقد استمرت (الترقى) فى الصدور كل يوم سبت كالمعتاد، أما طباعة الجريدة فقد أصبحت تتم فى المطبعة العصرية للولاية والتى كانت تقع مقابل مدرسة الفنون والصنائع، ثم انتقلت جريدة الترقى لتطبع فى المطبعة التى كانت تملكها الجريدة فى سوق الترك، أما إدارة الجريدة فقد اتخذت من مقر المطبعتين المذكورتين مقرًا لها.

وقد اشتملت الجريدة على صفحتين تحوى ثلاثة أعمدة فى السنة الأولى من صدورها ثم أصبحت فيما بعد تشتمل على أربع صفحات تحوى (4 X 3) وقد ظلت الجريدة منذ بداية تأسيسها جريدة سياسية علمية أدبية، ولم تتوقف عن الصدور إلا قبيل الاحتلال الإيطالى للبلاد بفترة وجيزة. وقد بلغ مجموع سنوات صدور الجريدة خمس سنوات وذلك لأنها عندما عادت للصدور عام 1908 م أشارت إلى السنة الثانية (السنة الأولى لصدورها كانت عام 1897 م).

وقد اهتم بجريدة الترقى (السيد بوفات Mr . Bouvat) حيث تناول العدد الصادر من الجريدة فى شهر مارس 1909 م مقالة له بعنوان : الصحافة الإسلامية La Presse musulmano المنشورة فى مجلة رفيودى موند مسلمان،

المجلد السابع (1909م) ص 361. Revue Du Monde Musulmane . Vol. VII. P 561 (1909) حيث تناول الجريدة فى معرض حديثة عن الصحافة فى العالم الإسلامى بعد استلامه نسخة من الجريدة (الترقى) أرسلت له من طرابلس قائلاً : صدرت (الترقى) منذ عامين باللغة العربية وهى جريدة سياسية علمية تهتم بأخبار البلاد، مؤسسها محمد البويصيري، تصدر فى حجم متوسط فى أربع صفحات. عنوان الجريدة شارع مدرسة الفنون والصنائع بطرابلس، قيمة الاشتراك السنوى : (2) مجيدى داخل الولاية أما خارجها : (18) فرنكًا .

4- مجلة الفنون :

صدر العدد الأول من مجلة الفنون فى أول شهر رمضان المبارك 1316 هـ الموافق يناير 1899 م. وفقًا للمقالة الافتتاحية المنشورة بالصفحة الرابعة فى نفس العدد الأول للمجلة، نجد أن صدور المجلة المذكورة كان بناء على رغبة نامق باشا والى طرابلس الذى ساند المجلة كما أنه ساهم فى اختيار عنوانهاوانتشارها. وقد أشار كاتب المقالة إلى تعليقات مفادها أن الفضل الكبير يرجع إلى نامق باشا والى طرابلس الغرب فى تأسيس مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بطرابلس. وقد أصبحت مجلة الفنون تصدر بصفة منتظمة كل خمسة عشر يومًا بطرابلس، أما طباعتها فقد كانت تتم بمطبعة ولاية طرابلس. أما مقاس حجم الصفحات للمجلة فقد تراوح ما بين 8 سم، 20 سم، 27 × 2 سم، وقد بلغت عدد صفحاتها 16 ص(16 X 2عمود) .

وكانت صفحاتهامرقمة بالترتيب، كما يبدأ إعادة ترقيم المجلة مع بداية كل عام جديد، وتصدر مجلة الفنون باللغة العربية، أما مديرها المسؤول

وصاحبها فهو السيد محمد داود أفندى وتحمل صفحة غلاف المجلة العبارة التالية (مجلة علمية صناعية زراعية مصورة) وفى الصفحة الخامسة من المجلة وتحت عنوان أهداف المجلة : نجدها تورد العلوم والفنون التى تتناولها ومنها : الجغرافيا، علم الحيوان، النبات والمعادن. . . الخ .

وكانت العلوم المنشورة فى المجلة تنقسم إلى قسمين الأول عبارة عن دروس بسيطة خاصة بالمبتدئين، أما القسم الثانى فكان عبارة عن مقالات علمية ذات مستوى ثقافى عال، وكانت مجلة الفنون تهدف من وراء ذلك أن يكون ما ينشر فيها ملائمًا لجميع فئات القراء ومفيدًا لهم. وكانت المجلة تتناول كافة الموضوعات المتصلة بالاختراعات والاكتشافات الجديدة بالإضافة إلى الحرف والفنون التقليدية، وقد استمرت المجلة محافظة على التمسك بالأهداف التى كانت قد رسمتها منذ البداية لهذا فهى لم تهتم بالمسائل السياسية والاجتماعية الأخرى والتى كانت غالبًا تتعلق بأخبار الولاة ما عدا نامق باشا الذى كان يعتبر مؤسس المجلة والذى تم تعيينة فى مدينة بغداد [(انظر العدد رقم 1 الصادر فى شهر رمضان 1316 هـ وكذلك العدد الخامس الصادر فى شهر ذى القعدة 1316 هـ (1899م)]، وقد اشتملت المجلة على التصوير ابتداء من العدد الأول إلى السابع حيث نجد أن كل عدد من المجلة يشتمل على صور لأغلبية الأحداث المنشورة وكانت تلك التصاوير موقعة بواسطة أ. منيوت A . Miniot وقد استخدمت المجلة الزنكوغراف « الطبع بالزنك » فى نشر التصوير الخاص بالمجلة حيث نجد أن المجلة قد استطاعت إخراج رسومات بالزنك للوالى نامق باشا وذلك فى باريس [CLICHE DE EDUCRETETA PARIS] وكذلك تمكنت أيضًا من

إخراج رسومات للوالى سليم باشا من نفس المكان المذكور فى باريس، وقد كانت تلك الرسومات للولاة تحمل توقيعات هـ. تحريات H THIRIAT مكتوب بالحروف اللاتينية، أما مجموع الأعداد الصادرة من المجلة فقد بلغت خلال العام الأول لصدور المجلة 24 عدداً، أما خلال العام الثانى فلم تتجاوز سوى ثلاثة أعداد كانت قد صدرت من المجلة. وكانت سنوات صدور المجلة لا تحسب وفقًا للسنة القمرية بل وفقا لمرور 12 شهراً من صدور العدد الأول للمجلة، وقد توقفت المجلة نهائيًا عن الصدور بعد سفر السيد محمد داود الموظف التركى الذى كان يقوم بتحرير المجلة إلى مدينة القسطنطينية .

5- الكشاف :

وجد مبينًا اسم الجريدة « الكشاف » مكتوبًا على الصفحة الأولى بالخط الكوفى بالإضافة إلى أنه مكتوب أيضًا بالحروف اللاتينية، وقد صدر العدد الأول من جريدة الكشاف بطرابلس فى ديسمبر 1908 م، وكان صاحب الامتياز والمد ير المسؤول السيد محمد بى النائب الأنصاري، ويبدو فى واجهة الصفحة الأولى العدد الثالث لجريدة الكشاف [النسخة الوحيدة التى تم العثور عليها]، أن الجريدة قد صدرت من أجل المحافظة على وحدة الوطن طبقًا للمبادئ الدستورية، فهى جريدة حرة سياسية علمية يومية مصورة تصدر باللغات العربية، التركية، الفرنسية، إلا أنه يبدو أن ذلك لم يتحقق أبدًا حيث ظلت الجريدة تصدر باللغة العربية فقط كل أربعاء أسبوعيًا حيث كانت تشتمل على أربع صفحات تحتوى كل صفحة على عمودين أما حجمها فقد كان متوسطًا (36 X 24) .

واستمرت جريدة الكشاف تطبع فى مطبعة الولاية، أما إدارتها فكانت تقع فى شارع البلدية رقم 87 طرابلس، وبقيت الجريدة تصدر باستمرار حتى توقفت عام 1909 م .

6- الجورنالى دى تريبولى IL GORNALE DI TRIPOLI :

صدرت باللغة الإيطالية وقد كان يرأس تحريرها البروفيسور ل. زاناسى ثم تولى بعده السينيورب. باستى وكانت الجورنالى دى تريبولى تصدر مرتين أسبوعيا [السبت، الثلاثاء] حيث اشتملت على أربع صفحات ذات حجم كبير متوسط، وقد صدر العدد الأول من الجريدة فى 8 يناير 1909 م، أما الهدف الذى تأسست من أجله الجريدة الجورنالى دى تريبولى فقد كان الدفاع عن حقوق إيطاليا، بالإضافة إلى غرس المبادئ الأخلاقية والمادية الإيطالية، لهذا فقد كانت الجورنالى تسعى لتحقيق الأهداف التوسعية الإيطالية وذلك من خلال تناول الحقائق وفقاً لمنظورها الحقيقى الواقعى وذلك من أجل تحطيم الخرافة الأسطورية واللامساواة والتى كانت من الأسباب الجوهرية التى عرقلت إيطاليا من اتخاذ أى عمل حاسم فى شمال أفريقيا بدون اللجوء إلى نزع طرابلس من بين مصالح تركيا الجديدة وعودتها إلى إيطاليا، « ويضيف أيضًا السنيور بوفاتى بالإضافة إلى الفقرات المشار إليها أعلاه » أن البلاد أصبحت فى ظل ا لنظام الحر الجديد تسير نحو تحقيق تطورسريع » وكانت الجورنالى دى تريبولى تطبع فى مطبعة أربيب بينما يوجد مقر إدارة الجريدة فى شارع هرارة بطرابلس .

7- تعميم حريت :

أو « الحرية للجميع » صدرت باللغة التركية خلال فترة الانبعاث الثقافى والسياسى التى جاء بها دستور 1908 م الذى أدى إلى صدور ثلاث صحف جديدة اثنتان تصدران باللغة العربية أما الثالثة فقد صدرت باللغة الإيطالية وقد أشرت إليها سابقًا [الترقي، الكشاف، والجورنالى دى تريبولى].

وقد صدرت جريدة تعميم حريت بعد مدة طويلة « ظل فيها العنصر التركى الحاكم لإقليم طرابلس عنصراً غريبًا عن الأهالى سكان البلاد، حيث لم تستطع جريدة (طرابلس غرب) الجريدة الرسمية للحكومة أن تحدث التغير المطلوب بين الأهالي، لهذا فقد ظهرت عام 1909 م بطرابلس جريدة (تعميم حريت) التى لم يكن لها تأثير ملموس على كافة سكان البلاد حيث لم يتعد تأثيرها سوى فئة من الموظفين وبعض الشخصيات الطرابلسية المثقفة التى كانت فى الواقع تجيد اللغةالتركية. وكانت الجريدة تسعى إلى تحقيق أهداف سياسية وثقافية، حيث كان من بين أهدافها السياسية تمثيل القوى الأجنبية التركية فى البلاد، وبمناسبة صدور العدد الأول من جريدة (تعميم حريت) أشارت إليها مجلة العالم الإسلامي. ع 109، س 8، ص 287 . . . فى مقالة بواسطة السيد بوفاتي، الذى أشار فى مقالته المذكورة بالمجلة الفرنسية إلى الموضوعات التى كانت تتناولها جريدة (تعميم حريت) خاصة ما كان يدور بين القناصل الأجانب وموقف الحكومة التركية التى كانت تقوم

الصحافة بنشرها، كذلك مطالبة جريدة (تعميم حريت) بإلغاء المحكمة التجارية ونقل سلطتها إلى المحكمة المدنية، كما أشار كاتب المقالة أيضًا إلى الآراء المختلفة للقناصل الأجانب لإيطاليا، فرنسا، وبريطانيا حول مسألة نشر نفوذها على الساحل الأفريقى على الرغم من معارضة تركيا لذلك.

وكانت جريدة (تعميم حريت) تصدر أسبوعيًا وتشتمل على أربع صفحات تحتوى على أربعة أعمدة حيث تطبع بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع. أماصاحب الجريدة المسؤول فقد كان المحامى محمد قدرى[1].

وقد أشار إليه بياتزا PAZZA فى كتابه :

أرضنا الموعودة LA NOSTRA TERRA PROMESSA وذلك من خلال فقرة وردت بالكتاب المذكور بعنوان : رسائل من طرابلس LETTERE DALLA TRIPOLITANIA كما أشار المؤلف المذكور فى كتابه الصادر بروما 1911 م إلى (جريدة تعميم حريت) والهجوم العنيف اللاذع الذى كان قد دار حول المحامى محمد قدرى مديرها المسؤول.

8- ايكو دى تريبولى : L'ECO DITRIPOLI

أو (صدى طرابلس) صدر العدد الأول فى 24 ديسمبر 1909 م، كان مديرها وصاحبها جوستاف أربيب GUSTAVO ARBIB أما صاحب امتياز الجريدة المسؤول فكان فيتوريو عقيب VITTORIO AGHIB وكانت تطبع فى

1- ساهم في جمع التبرعات لضحايا زلزال سيناء وكلابريا الذي حدث عام 1905 م (للمزيد : أنظر : المصراتي، على : صحافة ليبيا في نصف قرن . بيروت . دار الكشاف . 1960 م ص 107

مطبعة انترناسيونال لصاحبها جوستاف أربيب الواقعة فى شارع جامع محمود حيث كان يوجد مقر إدارة تحرير الجريدة. وقد اشتملت الجريدة على أربع صفحات مقسمة كل منها إلى خمسة أعمدة (4 ص×5عم).

أما مقاس حجم صفحات الجريدة فقد كان 35 X 50. وظلت الجريدة تصدر باللغة الإيطالية بالرغم من أنها قد تعرضت للإغلاق عدة مرات حتى عام 1912 م حيث توقفت نهائيًا عن الصدور .

9- العصر الجديد :

مديرها وصاحب امتيازها محمد البارودي، تأسست عام 1910 م، تصدر باللغة العربية وتعتبر (العصر الجديد) ذات صبغة أدبية وتجارية، أسبوعية تشتمل على أربع صفحات تحتوى كل منها على ثلاثة أعمدة ولم تتوقف عن الصدور إلا عام 1911 م مع بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد .

10- المرصاد :

جريدة سياسية أدبية فكاهية أسبوعية تصدر باللغة العربية تأسست بطرابلس فى شهر نوفمبر 1910 م، صاحب امتيازها المسؤول السيد أحمد الفساطوي، وكانت جريدة المرصاد تطبع فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، وتشتمل المرصاد على أربعة صفحات مقسمة كل منها إلى أربعة أعمدة من الحجم 31 X 48 وقد توقفت عن الصدورنهائيًا فى عام 1911 م .

11- أبو قشة :

وهى عبارة عن اسم لمهرج يرتدى قناعًا للسخرية يعرف بالعامية الطرابلسية باسم (أبو سعدية) ويبدو أن جريدة أبو قشة لا تتناول السخرية المحلية الطرابلسية لكنها تركز على السخرية التونسية، تلك البلاد التى انحدر منها محمد الهاشمى المكى مؤسس الجريدة. وقد تم طباعة الجريدة فى البداية بالمطبعة الشرقية، حيث كانت تشتمل على أربع صفحات مقسمة كل منها إلى أربعة أعمدة (4 X 4 عم) وكانت الجريدة تحرر باللغة العامية الدارجة الطرابلسية وأحيانًا أخرى باللغة العامية الدارجة التونسية وقد أشار جرافينى GRIFEINI صاحب كتاب (اللغة العربية كما يتكلمها الليبيون)L'A RABO PARLATO DELLA LIBIA الذى قام بنشره هو بيل بميلانو حيث أورد بالصفحة 374 من الكتاب المذكور حوارًا فكاهيًا باللهجة العامية الطرابلسية كان قد أعيد نشره فى جريدة « أبو قشة » س 2 ع 10 بتاريخ 19 صفر 1328 هـ 2 مارس 1910 م. وقد ذكر جرافينى أن جريدة « أبو قشة » يبدو أنها تصدر بأسلوب أدبى لغرض تحقيق هدف ثقافى ولكن الحقيقة هى أن الجريدة كانت تصدر لتحقيق أهداف سياسية وذلك من خلال أسلوب ساخر هزلي.
أما الرسومات الكاريكاتورية المنشورة بالجريدة هى صالحة لأن تكون موضوعًا للدراسة حيث يمكن عن طريقها معرفة أسلوب البدو فى تأليف أغانيهم العامية المعبرة عن أحاسيسهم. وقد استمرت جريدة أبو قشة فى الصدور حتى توقفت مع بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد .

12- لايكونومست : LECONOMISTA

وهى عبارة عن نشرة إخبارية أسبوعية يديرها جـ. فابرى G. FABBRI تأسست عام 1910 م ثم توقفت عن الصدور مع بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد. وكان آخر عدد فى الإيكونومست فى 26 سبتمبر 1911 م، وكانت تطبع فى مطبعة ارتى جرافيك. وكانت الجريدة تشتمل على أربع صفحات تنقسم كل منها إلى أربع أعمدة (4ص ×4 عم) .

13- ستيلادى أورينتى : STTELAD' ORIENTE

أو نجمة الشرق، أسبوعية أدبية فكاهية تجارية صناعية لطرابلس وبرقة، تأسست 1910 م وتوقفت عن الصدور عام 1911 م. قبل بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد، مديرها المسؤول السنيور فالانتينى VALENTINI وكانت ستيلادى أورينتى تطبع فى مطبعةارتى جرافيك حيث اشتملت على أربع صفحات تنقسم كل منها على أربعة أعمدة (4X4عم) .

14- البروجريسو : IL PROGRESSO

أو « التقدم » جريدة أسبوعية سياسية مدير تحريرها المسئوول جوسمان (G.GUSMAN) تأسست عام 1910 م، ولم يصدر منها سوى 31 عدداً ثم توقفت نهائيًا بعد طرد مدير تحريرها من طرابلس وذلك بسبب إثارة مسألة صيد الإسفنج بواسطة الإغريق، وكانت الجريدة تطبع فى مطبعة ج. أربيب حيث كانت تشتمل على أربعة صفحات كل منها تحتوى على أربعة أعمدة (4 X 4 عم) .

15- الرقيب :

جريدة أسبوعية سياسية أدبية . صدر العدد الأول منها فى 1 مارس 1911 م (329 هـ) مدير التحرير المسئوول السيد محمود نديم بن موسى، وكانت الجريدة تشتمل على أربع صفحات : اثنتان منها تصدر باللغة العربية واثنتان باللغة التركية، وكانت الجريدة تطبع فى « مطبعة الترقى » وقد توقفت الرقيب عن الصدور مع بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد .

تاريخ الصحافة فى طرابلس 1911 - 1933 م
منذ الاحتلال الإيطالى حتى عام 1933 م [1]

يمكن ملاحظة التطور الذى حدث فى الصحافة الدورية بمدينة طرابلس بكل وضوح حيث شمل كافة الدوريات التى كانت تصدر فى المدينة (الجرائد، النشرات، الحوليات، والمجلات). وذلك منذ ظهور الطباعة فى طرابلس حتى عام 1933 م. وذلك من خلال إلقاء نظرة سريعة موجزة بحيث يتم تقسيم تلك الفترة الزمنية إلى ما يلى :

1-الصحافة فى طرابلس خلال الحكم التركى :

أ ـ 1866 - 1908 م :

تبدأ منذ نشر أول دورية حتى صدور دستور عام 1908 .

ب ـ 1908 - 1911 م :

وتمتد منذ صدور دستور 1908 م إلى بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد .

1- لم يشر كاتب المقالة إلى الدوريات التي كانت تصدر في مدينة بنغازي خلال تلك الفترة الزمنية التي شملتها دراسته هذه ، ومن بين تلك الصحف كانت : « بريد برقة : تأسست عام 1921 م وظلت تصدر حتي عام 1941 م » .

2- الصحافة فى طرابلس خلال الحكم الإيطالى :

جـ- 1911 - 1919 م :

وتمتد هذه الفترة من بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد إلى صدور قانون الأحوال الليبي.

د - 1919 - 1933 م :

وتمتد هذه الفترة من صدور قانون الأحوال الليبى إلى عام 1933 م .

ومن خلال تفحص الفترات الزمنية السابقة يتضح لدينا أن الصحافة فى البلاد قد تأثرت فى الواقع بكافة التطورات التى لحقت الفنون الطباعية فى البلاد، وذلك كما أشرت فى القسم الأول فى الدراسة. ويمكن إيجاز ذلك إذا ما تناولنا الفترة الأولى والتى تمتد من 1908 م، فإن المطبعة الوحيدة الموجودة فى البلاد هى المطبعة الحجرية والتى كانت تشتمل على أحرف عربية فقط، لهذا فقد تأثرت الصحافة الصادرة خلال تلك الفترة بذلك، حيث لم تصدر فى البلاد سوى أربع دوريات (أربع دوريات) باللغة العربية والتركية، كما كانت تلك الفترة الزمنية تتميز بتقييد حرية الصحافة وعدم السماح بجلب المواد اللازمة للطباعة، لهذا فإن أغلبية الصحف الصادرة خلال تلك الفترة الزمنية يغلب عليها الطابع الرسمي.

حيث نجد من بين الأربع الصحف الصادرة خلال تلك الفترة اثنتين تعتبران صحف رسمية . أما الفترة الثانية الممتدة من 1908 إلى 1911 م فقد انتعشت الصحافة فى البلاد وذلك بصدور دستور 1908 م الذى سمح بحرية

الصحافة فى البلاد مما أدى بالتالى إلى زيادة ملحوظة فى تأسيس المطابع الأهليةوالرسمية فى البلاد، وبالفعل فقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد الدوريات التى كانت تصدر فى البلاد باللغات العربية، التركية، العبرية، الإيطالية .

أما خلال الفترة الممتدة من 1911 م ـ 1919 م فقد تم إلغاء جميع الصحف المحلية ولم يبق سوى الصحف الصادرة باللغة الإيطالية .

أما خلال الفترة الممتدة من 1919 م إلى 1933 م فقد شهدت البلاد عودة الصحف وفقًا للمادة السابقة للقانون الخاص بالمستعمرات الإيطالية (مستعمرة طرابلس) الذى صدر فى أول يونيو 1919 م والذى تم بموجبه السماح بإعادة صدور الصحف المحلية العربية والعبرية فى البلاد .

وتعتبر السنوات العشر من الفترة الرابعة (1919 - 1933 م) العصر الذهبى للصحافة المحلية فى طرابلس حيث صدرت فى البلاد كثير من الدوريات كالجرائد اليوميةمثل : الشاطىء الرابع LA QUARTA SPONDA ومستقبل طرابلس L'AVVENIRE DI TRIPOLI بالإضافة إلى بعض المجلات والتى تعتبر مفخرة للصحافة المحلية، ومن تلك المجلات كانت «مجلة طرابلس » LARIVISTA DELLA TRIPOLITANIA ومجلة الأرشيف الإيطالى للعلوم الطبية بالمستعمرة ARCHIVIO ITALIANO DI SCIENZE MEDICHE COLONIALI ومجلة طرابلس الزراعية TRIPOLITANIA AGRICOLA وكذلك مجلة تريبوليتانيا TRIOLITANIA التى صدرت عام 1924 وكذلك « النشرة الاقتصادية للإقليم الطرابلسى » NOTIZIARIO

ECONOMICO DELLA TRIPOLITANIA BOLLETTNO GEOGRAFICO

والمجلة الجغرافية، ويمكن الإشارة إلى كافة الدوريات الصادرة بطرابلس خلال العهدين التركى والإيطالى فيما يلى :

أولاً : الدوريات التركية فى طرابلس :

1- طرابلس غرب :

جريدة حكومية رسمية ـ مطبعة الولاية منذ 1866 إلى 1911م .

2- السلنامة :

حولية . مطبعة الولاية منذ 1869 - 1895 م .

3- الترقي :

طبعت فى مطبعة الولاية ثم فى مطبعة الترقى 1897 - 1898 م . توقفت عشر سنوات ثم عادت للصدور حيث استمرت من 1908 - 1911 م .

4- مجلة الفنون :

مجلة شهرية، طبعت فى مطبعة الولاية منذ 1899 - 1900 م .

5- الكشاف :

أسبوعية، طبعت فى مطبعة الولاية 1909 م .

6- الجرنالي دي تريبولي IL GIORNALE DI TRIPOLI

طبعت فى مطبعة أربيب 1909 م .

7- تعميم حريت :

(الحرية للجميع) طبعت فى مطبعة الفنون والصنائع منذ 1909م إلى 1911 م .

8- ايكو دي تربيولي « صدي طرابلس » L'ECO DI TRIPOLI

كانت تطبع فى مطبعة انترناسيونال لصاحبها ج. أربيب : منذ 1909 م إلى 1912 م .

9- العصر الجديد :

(لم توردا لمطبعة) صدرت خلال 1910 - 1911م .

10- المرصاد :

كانت تطبع فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع خلال 1910 - 1911م .

11- أبو قشة :

(تم اشتقاق اسمها من اسم مهرج) كانت تطبع فى المطبعة الشرقية خلال 1910-1911 م .

12- الايكونومست L'ECONOMISTA أو الاقتصادي

كانت تطبع فى مطبعة آرتى جرافيك 1910 - 1911 م .

13- ستيلا دي أورينت LA STELLA D'ORIENTE أو « نجمة الشرق»

تطبع فى مطبعة آرتى جرافيك 1910 - 1911 م .

14- التقدم أو البروجريسو IL PROGRESSO

تطبع فى مطبعة ج. أربيب 1910م .

15- الدردنيل :

المطبعة الشرقية تشوبه ، 1911 م .

16- الرقيب :

مطبعة الترقى .

الدوريات الإيطالية والعربية بطرابلس[1] :

1- ايكودي تريبولي « صدي طرابلس » L'ECO DI TRIPOLI

(انظر رقم 7) صدر العدد الأول فى 24 ديسمبر 1909 م، صاحب امتيازها جوستاف أربيب GUSTAVO ARBIB أما مدير التحرير المسؤول فقد كان فيتوريو عقيب VTTIORIO AGHIB كانت تصدر يومى السبت والأربعاء من كل أسبوع، على شكل 35 X 50 سم حيث اشتملت الجريدة

1- أهمل كاتب المقالة الإشارة إلى مجلة الإصلاح : مجلة علمية سياسية أدبية . تولى إدارة تحريرها عبد الله جمال الميلادي ، صدر العد الأول منها في 31 ديسمبر 1921 (28 ربيع الثاني 1340 هـ) .

على أربع صفحات كل منها تنقسم إلى خمسة أعمدة (4 ص × 5 عم) .
وكانت الجريدة تصدر باللغة الإيطالية حيث كان تتم طباعتها فى مطبعة انترناسيونال لصاحبها جوستاف أربيب التى كانت تقع فى شارع محمود بجانب مقر إدارة تحرير الجريدة . وقد تعطلت الجريدة أثناء قصف القوات الإيطالية لمدينة طرابلس حيث توقفت عن الصدور حتى بداية 1912 م ولكنها لم تستمر طويلاً حيث توقفت نهائيا بناء على الاتفاق الذى تم مع جريدة إيطاليا الجديدة « لانووفا إيتاليا LA NUOVA ITALIA » خلال شهر أغسطس 1912 م .

2- كوريري دي تريبولي CORRIERI DI TRIPOLI

كانت تطبع فى مطبعة ارتى جرافيك 1911-1912 م، جريدة نصف شهرية إعلامية إخبارية، مديرها المحامى ي. كاريتا AVV.E.CARETTE صدر العدد الأول يوم 16 نوفمبر 1911 م ثم توقفت بعد صدور العدد 17 .
كانت تصدر فى شكل 4 ثم 1 حيث اشتملت على أربع صفحات تنقسم كل منها إلى 3 عمود (4 ص × 3 عم) . وقد أشار مدير تحريرها فى كتابه (تسعة أشهر فى طرابلس) (ص ص 38 - 47) إلى هذه الجريدة بتفصيل أكثر E,CARETTE: NOVEMESI A TRIPOLI.

3- المساجيرو دي تريبولي IL MESSAGGERO DI TRIPOLI

تطبع فى مطبعة الخامس من أكتوبر أو مطبعة الترقى السابقة 1912م وهى جريدة سياسية نصف شهرية، مديرها المسئول م. أوتورا M. OTTORA وكانت تصدر فى أربع صفحات فى ثلاثة أعمدة (4 ص × 3

عم) . ثم توقفت بعد صدور العدد الرابع . وكان العدد الأول كتب باللغة العربية اسم الجريدة « رقاص طرابلس » أو الكوريرى دى تريبولي ، أما الأعداد التالية وهى تشمل الأعداد 2 , 3 , 4 التى صدرت فى الجريدة فقد كانت تكتب اسم الجريدة بالعربية « بريد طرابلس » والتى تعنى المساجيرو دى تريبولى IL MESSAGGERO DI TRIPOLI .

4- راكولتا ديل أتي RACCOLTA DEGLI ATTI

وهى تشتمل على اللوائح والنظم المتعلقة بإقليمى طرابلس وبرقة . صدر العدد الأول منها بدون الإشارة إلى اسم المطبعة ، ثم أصبحت تطبع فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، 1912م .

تم تعديل عنوان اسم الدورية بعد صدور العدد الأول منها ، حيث أصبحت تعرف باسم « Raccolta Degli Atti Della Libia » راكولتا ديلى أتى ديلاليبيا وكانت تقوم بنشر كافة المراسيم ، واللوائح والنظم للحكومة الإيطالية المتعلقة بالمستعمرة حتى صدرت الجريدة الرسمية لحكومة طرابلس عام 1914 م التى قامت بنشر كافة المراسيم واللوائح وغيرها من النظم والقوانين المتعلقة بحكومة طرابلس Bolletine Ufficiale Del Governo Della Tripolitania وكانت تصدر فى شكل 16 X 22 X عمود واحد ابتداء من مارس إلى أغسطس 1912 م .

5- راكولتا ديل أتي دي كوماندي كوربي دار اوكوبازيوني ديلا تريبوليثانيا إشيرنايكا : Raccolta degli Atti del Commandi del Corpi D'occupazioni della Tripolitania Cirenaica.

تطبع فى مطبعة الجيش « الميليتارى » 1913 م. كانت لا تختلف عن الدورية السابقة من حيث الشكل والحجم وقد صدرت خلال الفترة الممتدة من سبتمبر 1912 م إلى يناير 1913 م.

6- راكــولتــا ديلي أتي ديل جــوفــيــرنوديلا تريبــوليــتــانيــا :
RACCOLTA DEGLI ATTI DEL GOVERNO DELLA TRIPOLITANIA

كانت تطبع فى مطبعة الجيش، 1913 م. وتشبه الدورية من حيث المحتوى والشكل الدوريات السابقة لها التى تبدأ بنفس العنوان « الاسم » مما يجعلنا نؤكد أنها عبارة عن استمرار للدوريات السابقة. وتغطى الدوريات الفترة الممتدة من يناير ـ مارس 1913 م.

7- فــاكــولتــا ديلي أورديني ديل جــورنوديل كــومــاندوديل كــوربودي أوكــوبازيوني ديلا ليــبــا FACCOLTA DEGLI ORDINI DEL GIORNO DEL COMMANDO DEL CORPO DIOCCUPAZIOE DELLA LIBIA

كانت تطبع فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ثم انتقلت إلى مطبعة الجيش " الميليتارى " 1912 - 1914 م. صدر منها خمس ملفات، الأول فى شهر أغسطس 1912 م، أما الأخير ففى شهر يناير 1914 . وكانت تصدر فى شكل 22 X 16 فى عمود واحد.

8- لانووفا ايتاليا : أو « إيطاليا الجديدة » LA'NUOVA ITALIA

كانت تطبع فى مطبعة إيطاليا الجديدة « نووفا إيتاليا » ثم فى مطبعة نووفا أرتى جرافيك 1912 - 1926 م. وهى جريدة يومية مصورة، تشتمل

على أربع صفحات فى ستةأعمدة. أما شكل الجريدة 42X56 سم. صدر العدد الأول منها فى 20 أغسطس 1912 ، وقد حرصت الجريدة على أن يكون قسم منها يصدر باللغة العربية. وقد تولى إدارة الجريدة على التوالى كل من

انطونيو أو لشيلى ANTONIO OLCELLI هيوجو كافييرو UGO CAFIERO فنشينزو سيريو VINCENZO SERIO ثم المحامى جوتيرو AVV. GUTTRES ثم هيوجو كافييرو للمرة الثانية ثم كانوفارى - موزيولى - مازوليني. CANOFRI , MUZIOLI , MAZZOLANI ثم M. CANOFARI م. كانوفاري. ج. فيليشيتى G . FELECETTI، فيتوريو. ب. VITTORIO BATACCHI فيليب. أ FILIPPO. A وقد تولى إدارتها فنشينزوسيريو VINCENZO SERIO فى عام 1925 م بعد دمجها مع جريدة كورييرا دى تريبولى CORRIERE DI TRIPOLI لفترة وجيزة ثم تولى بعده ادموند. س. EDMONDO SCIFONI الذى كان يعتبر مديريها المسؤول. هذا وقد تولى لفترة قصيرة خلال شهر فبراير - مارس 1922 م حيث لم تكن هناك إشارة إليه. وقد استمرت الجريدة فى الصدور حتى توقفت عام 1926م.

9- **البوليتينو** BOLLETTINO

أو « نشرة رابطة التجارة والصناعة بطرابلس » نشرة أسبوعية تصدر عن رابطة التجارة والصناعة فى طرابلس، تطبع فى مطبعة أرتى جرافيك، 1914-1916م. صدر العدد الأول فى 28 يونيو 1914 م واستمرت على ذلك تصدر أسبوعية حتى وصلت العدد 27 الذى صدر فى 29 مايو 1915 م

واستمرت على نفس المنوال حتى وصلت العدد 44 وفى 7 يونيو 1916م صدر العدد الأول للسنة الثالثة للنشرة. مدير تحريرها المسؤول المحامى جوفانى موندينى GIOVANNI MONDINI

10- BOLLETTINO UFFICIALE DEL GOVENREO DELLA TRIPOLITANI.

البوليتينو أوفيشالى ديل جوفيرنو ديلا تريبوليتانيا أو « النشرة الرسمية لحكومة طرابلس » طبعت الجريدة الرسمية لحكومة الإقليم الطرابلسى فى بداية الأمر فى مطبعة حكومة طرابلس ثم بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع عام 1914 م (العدد الأول، السنة الأولى) فى شكل 24 X 34 سم فى (×) 3 عم. وابتداء من عام 1925 م أصبحت تصدر فى شكل 24 X 17 سم فى (×) 1 عم.

11- ايكودي تاجورا L'ECO DI TAGIURA

أو « صدى تاجورا » تطبع فى مطبعة أرتى جرافيك، منذ عام 1917 م. وتعتبر جريدة أسبوعية فكاهية صدرت فى تاجوراء بواسطة فرقة ضباط المشاة لسردينيا حيث كانت متداولة بين أفراد الفرقة بدون مقابل.

12- قبلي GHIBLI

مطبعة الحكومة 1918 - 1919 م، جريدة أسبوعية فكاهية ساخرة مصورة، كانت تصدر بواسطة إحدى فرق القوات المسلحة الإيطالية فى البلاد، صدر العدد الأول للسنة الأولى منها فى 7 سبتمبر 1918 م. توقفت جريدة قبلى بعد صدور العدد الثالث عشر ـ السنة الثانية فى 30 يونيو 1919م. وكانت الجريدة توزع مجانًا على الجنود، وكانت طيلة فترة صدورها تظهر على مقاس 34 X 25 سم، فى (×) 1 عم (عمود واحد).

13- الجريـــد EL. GERID

كانت تطبع فى مطبعة أرتى جرافيك طيلة فترة صدورها 1918-1922 م وتعتبر الجريدة عبارة عن تقويم سنوى قام بإعداده ف . م. روسى F.M صدر عددان فقط من هذا التقويم السنوي ، العدد الأول الخاص بعام 1918 م صدر فى 1919 م أما العدد الثانى الخاص بعام 1919 م فقد صدر فى 1922 م . وكان هذا التقويم يصدر فى شكل 20 X 14 سم و 23 X 16 سم (×) 1 عم .

14- البيكولو IL BICCOLO

أو (الصغير) مطبعة بارليمرو 1919 م تصدر أسبوعية وكانت تحمل عنوانًا فرعيًا : (صدى وصوت المصلحة الشعبية) صدرت منها ثلاثة أعداد فقد لم يبقى منها سوى العدد الثانى الصادر فى 25 أكتوبر 1919 م . المدير المسؤول بارليروا C. BARILERO وكانت البيكولو (الصغير) تصدر فى شكل 34 X 25 سم (×) 3 عم .

15- الرينوفامينتو IL RINNOVAMENTO

طبعت فى مطبعة نووفا آرتى جرافيك ، 1919 م . والإنعاش أو الرينوفا مينتو جريدة للمحاربين القدماء . المدير المسؤول المحامى كاسا شيو CASACCIO .

16- الوقت :

مطبعة تشوية . 1919 - 1922 م ، جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية مدير تحريرها الشيخ محسن ظافر المدني .

17- العــدل :

مطبعــة الفنـــون والصنائع 1919 م، جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية ـ كما صدرت منها بعض الأعداد باللغة الإيطالية. المدير المسؤول عبد الله بانون. كانت الجريدة تصدر فى الشكل المتوسط 58 X 42 سم (×) 5 عم .

18- الرقيب :

مطبعة تشوبة 1911 م (انظر رقم 16). تعتبر استمراراً لجريدة الرقيب التى كانت تصدر فى طرابلس قبل الاحتلال الإيطالى للبلاد، حيث كان قد ظهر العدد الأول فى 1 مارس 1911 م. وقد عادت للصدور للمرة الثانية بعد صدور الدستور الخاص بمستعمرة ليبيا عام 1919 م حيث أصبحت تعرف بـ (الرقيب العتيد) وكان الاسم يكتب بأحرف لاتينية فى صدارة الصفحة الأولى، وتعتبر الرقيب العتيد جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية. المدير المسؤول الشيخ محمود نديم بن موسى ثم من بعده على فهمى نديم بن موسى. وكانت الجريدة تصدر فى شكل 40 X 28 سم فى (×) 4 عم. ثم 40X54 سم فى (×) 2 , 3 , 4 عم .

19- اللواء الطرابلسي :

مطبعة تشوبة 1920 - 1922 م، جريدة أسبوعية سياسية للحزب الوطنى العربي. المدير المسؤول عثمان القيزانى بدأت فى الصدور بعد إعلان دستور المستعمرات الإيطالية الخاص بليبيا. وكانت الجريدة تصدر فى شكل 48 X 35 سم فى (×) 5 عم .

20- سيف الحق :

صدرت فى مصراته 1919 - 1920 م .

21- أفريقيا :

صدرت فى مصراتة 1919 - 1920 م. وقد صدرت كل من « أفريقيا » و « سيف الحق » فى مصراته أثناء عهد الجمهورية الطرابلسية، وكان مدير جريدة سيف الحق مصرى الجنسية يدعى عبد الرحمن عزام بي. وكانت كل من « سيف الحق » و «أفريقيا » تعتبران من أكثر الجرايد المحلية التى كانت تنتقد الحكومة الطرابلسية الإيطالية وتهاجم إيطاليا .

22- فوليو داورديني ديل جوفيرنو ديلا تريبوليتانيا FOGLIO D'ORDINE DEL GOVERNO DELLA TRIPOLITANIA.

أو « صحف أوامر حكومة الإقليم الطرابلسى « جريدة اللوائح والنظم لحكومة الإقليم الطرابلسى ـ مطبعة الحكومة من 13 أبريل 1922 م، وقد بدأ صدورها فى 1 أكتوبر 1920 م (العـدد الأول ـ السنة الأولى)، وبناء على توصيات لويجى ميركانتينى LUIGI MERCATENI أصبحت تصدر يوميًا ثم تغيرت فترة صدورها فيما بعد ، وكانت الجريدة تصدر فى شكل 27 X 19 سم فى (×) 2عم. وفى عام 1922 م توقفت الجريدة عن الصدور (السنة الثالثة، العدد 11 ,1 إلى 20 أبريل 1922 م) .

23- « بوليتينو ميتر ولوجيكو ديلا تريبوليتانيا » BOLLETTINO METEROLOGICO DELLA TRIPPLITANIA

أو نشرة الأرصاد الجوية لإقليم طرابلس : مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، 1920 م تصدر سنويًا، بلغت مجموع أعدادها الصادرة 12 كراسة، وتصدر هذه النشرة فى شكل 31 X 21 سم ثم أصبحت فى شكل 34 X 25 سم وكان صدور العدد الأخير رقم 12 متعلقًا بعام 1930 م. مدير النشرة : البروفسور أ. فانتولى PROF. A . FANTOLI

24- « يونيوني » L'UNIONE أو الاتحاد:

صدرت عن رابطة عمال الإقليم الطرابلسى مطبعة باتريا لصاحبها ر. حبيب R.HABIB ثم أصبحت تطبع فى مطبعة نووفا أرتى جرافيك « الفنون الطباعية » من 1920 - 1922 م، ثم أصبحت تصدر عن « اتحاد رجال البحر » خلال عام 1922 م. إذ كانت تصدر فى شكل 35 X 25 سم فى (×) 4 عم حيث كانت تحرص على إصدار صفحة باللغة العربية أحيانًا. مدير التحرير المسؤول : بارسوتى الفييرى BARSOTTI ALFIERI .

25- ARCHIVIO ITALIANO DI SCIENZE MEDICHE «أركيفيو اتياليانو دي شينزا ميديكي كولونيالي COLONIALI

أو مجلة الأرشيف الإيطالى للعلوم الطبية ـ المطبعة الحكومية - 1927 1920 م. مجلة شهرية ـ المدير المسؤول : البروفيسور ر. اونوراتو R.ONORATO ثم توقفت عن الصدور بمدينة طرابلس فى عام 1927 م، وأصبحت تصدر فصلية بنفس العنوان للمجلة فى مدينة بولونيا الإيطالية

برعاية معهد طب الجراحة والأمومة، ثم انتقلت لتصدر فى مدينة مودينا بصفة شهرية عن مطبعة بوليجرافيك مودنيسى POLIGRAFICO MODONESE، تحت إدارة البروفيسور ج. فرانكينى (مودينا) .G FRANCHINI أما فى طرابلس فقد تولى إدارة المجلة ر. أونوراتو . R.ONORATO

26- بولليتينو ميتروبولوجيكو ديلا تشيرنايكا BOLLETTINO METEREOLOGICO DELLA CIRENAICA

« نشرة الأخبار الجوية لإقليم برقة » - مطبعة مدرسة الفنون والصنائع 1921 م - حولية - صدر منها أحد عشر عدداً فى شكل كراسات 25X34 سم، وقد صدر العدد الأخير رقم 11 لعام 1930 م. مدير تحرير الحولية البروفيسور أ. فانتولى A.FANTOLI .

27- الذكري :

تصدر باللغة العربية أسبوعيًا عن مطبعة تشوبة 1921 - 1922 م. المدير وصاحب امتيازها السيد عثمان أحمد بن موسى. صدر العدد الأول فى شهر نوفمبر 1921 م. وكانت تصدر فى شكل 34X50 سم فى (×) 5 عم .

28- الكوريرا دي تريبولي IL CORRIERE DI TRIPOLI

مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، 1921 - 1924، جريدة سياسية تجارية مدير التحرير : فنشينزو سيريو VINCENZO SERIO صدر العدد الأول بتاريخ 26 أغسطس 1921 م. وقد أثارت كثيراً من الجدل لدى صدورها فى

طرابلس مع جـريدة أخـرى تعـرف باسـم لانووفـا ايتـاليـا LA NUVOVA ITALLA أو إيطاليـا الجديـدة حيث تم بالفـعـل دمج الجـريدتين معًا فى عـام 1927م حيـث أخـذت تصـدران باسـم جريـدة « لانووفا ايتاليا كوريري دى تريبـولى» (انظـر رقـم 21) . LA NUOVA ITALIA CORRIERE DI TRIPOLI وذلك فى شكل 44 X 32 سم، فى (×) 4 عم .

29- تشـيـرانو CIRANO - مطبعـةمـدرسـة الفنون والصنائع 1921-1924م، جريدة اسـبوعـية أدبية فكاهية سـاخرة مصـورة تـصـدر عن منتـدى الدرامـا الإيطالى المعـروف باسم "VOLUNTAS" وقـد صدر العـدد الأول بتاريخ 21 أغسطس 1921 م وكـان مـدير تحريرها ج. ب كـوسـتـا G.B COSTA وقد تـولى إدارة تحريرها فيما بعد P.SCHEMM و DECIOAOLIO ثم اضطـرت للتـوقف فى 27 مـايو 1922 م ثم عـادت للصـدور فى 6 فبراير 1924م. ولكنهـا لم تستمر طويلاً حيث تـوقفت نهائيًا فى 25 مايو من العام نفسه .

30- الفاشيو IL FASCIO.

أسبوعـية تصـدر عن جماعة الفـاشيو للمحاربين القـدماء، وقـد لاقت هذه الجريدة مع جريدة « الاتحاد » L.UNIONE كثيراً من الجدل بين الأوساط ذات الاهتمام فى الإقليم ـ مدير التحرير المسؤول السيد أوسكار كـاروتشى OSCAR CARUCCI .

31- LA RASSEGNA COLONIALE : (لاراسينا كولونيالي)

مطبعــة نووفا ارتى جرافيك أو (الفنون الطباعية الجميلة) -1921 م . مجلــة شهـرية خاصة بنشــر القـوانين واللوائح والنظــم ـ صدر العــدد

الأول ـ السنة الأولى 31 يناير 1921 م حيث لم يصدر منها سوى أعداد قليلة (السنــة الأولى ـ العدد 4 أكتوبر ـ ديسمبر 1921 م) مدير التحرير المسؤول ج . لاروكا G.LAROCCA وكانت المجلة تصدر على شكل 22 X 61 سم (×) 1 , 2 عم .

32- فاميليا كريستيانا FAMIGLIA CRISTIANA

(الأسرة المسيحية)مجلة دينية مصورة، تهتم بالأمور الدينية الكنيسية كما تهتم أيضا بأخبار رعايا الكنيسة والبعثات التبشيرية فى طرابلس، سرت وفـزان، مـدير المجلة المسؤول : ب. فـينانزيو فليـبـينى P.VENANZIO FILIPPINI O.F.M طبـعت المجلة فى مطبـعـة مـدرسـة الفنون والصنائع لصاحبها ب : ماجي. 1923م، حيث صدرت فى شكل 28 X 19 سم فى (×) 2 عم .

33- انواري « السجلات السنوية » ANNUARI

تصدرها الغرفة التجارية الصناعية الزراعية 1923 - 1924 م صدرت منها ثلاث سجلات سنوية خلال السنوات 1923 - 1924 -1926 -1927 م . لم يطبع منها سوى العدد الأخير فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع. ولكن العـددين السـابقين اللذين صـدرا خلال السنتين 1923 , 1924 م فقـد تمت طباعتهـما خارج مدينة طرابلس، ويحمل على الغلاف العدد الصادر فى طرابلس لفظة «طرابلس» وكانت هذه السجلات تصدر فى شكل 25 X 17 سم فى (×) 1 عم. وكان يدير الحولية ويرعاها ويعدها أيضًا السيد أدولف ماريو موجانتينى ADOLFO MORGANTINI .

34- المصباح « لانتيرنا » LA LANTERNA

جريدة طلابية ـ طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع فى عام 1923 م. وهى للأسف لم يمكننى الحصول على نسخة منها.

35- RASSEGNA DEL COMMERCIO DELL INDUSTRIA E DELL' AGRICOLTURA **أو « المجلة التجارية الصناعية والزراعية »**

تطبع فى مطبعة نووفا أرتى جرافيك (الفنون الطباعية الجميلة) 1923م. مجلة شهرية رسمية، تتناول كافة النظم واللوائح المتعلقة بالغرف التجارية الصناعية الزراعية فى إقليم طرابلس، تحمل على الغلاف السنة العاشرة وذلك باعتبارها استمراراً لصدور النشرة التى كانت تصدرها الغرفة التجارية الصناعية الزراعية المعروف باسم Bollettino « انظر رقم 22 » وفى الواقع لم يصدر سوى عدد واحد من هذه المجلة بتاريخ 15 يوليو 1923 م مدير التحرير السيد أ. أوليشيللى A.OLCELLI. وكانت المجلة تصدر فى شكل 25 X 17 سم فى (×) 2 عم .

36- BOLLETTINO DEL PROTESTI CAMBIARI DELLA TRIPOLITANIA **بوللتينودي بروتستي كامبياري ديلا تريبوليتانيا**

لا توجد إشارة إلى المطبعة التى كانت تقوم بطباعة هذه النشرة. صدرت خلال عامى 1924 - 1925 م. وقد كان مديرتحريرها السيدماريو

جواسكو Mairo Guasco توقفت النشرة نهائيًا عن الصدور فى عام 1925 م .
أما الشكل الذى كانت تصدر فيه فهو 29 X 18 سم فى (×) 1 عم .

37- تريبوليتانيا TRIPOLTANIA

دورية شهرية لا توجد إشارة إلى المطبعة التى كانت تطبع بها، صدرت عام 1924 م، كانت توزع مجانًا على العسكريين والموظفين فى الحكومة الإيطالية بطرابلس - أشرفت حكومة المستعمرة على صدورها حيث كانت الدورية تهتم بنشر مونوجرافيات أحادية الموضوع فى التاريخ، الجغرافي، الاقتصاد، والقوانين المدنية والعسكرية الخاصة بإقليم طرابلس. بلغ مجموع الأعداد الصادرة من هذه النشرة عشرة أعداد فقط مجموع صفحاتها 215 صفحة، وقد صدرت الكراسة الأولى من هذه الدورية فى شهر يناير 1924م، أما العدد الأخير (الكراسة رقم 10) فقد صدرت فى شهر أكتوبر من نفس السنة المذكورة، وكانت تصدر فى شكل 30 X 21 سم فى (×) 2 عم .

38- RIVISTA DELLA TRIPOLITANIA « ريفستا ديلا تريبوليتانيا »

مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1924 - 1926 م مجلة نصف شهرية تهتم بالبحوث والدراسات العلمية حول المستعمرة يحررها ويشرف عليها مكتب الاستيطان فى حكومة الاقليم الطرابلسي، وقد تمت طباعة العددين الأول والثانى اللذين صدرا خلال يوليو أكتوبر 1924 م بطرابلس، أما بقية أعداد هذه المجلة فقد طبعت فى روما بعد انتقال مقر المجلة إليها وذلك فى مطبعة السناتو لصاحبها الدكتور ج. باردى G.

BARDI وقد أصبحت تعرف ابتداء من 1 يوليو 1926 م باسم مجلة (ليبيا) LIBIA بعد أن أصبحت تحت إشراف وزارة المستعمرات الإيطالية . أما الشكل الذى كانت تصدر فيه المجلة فقد كان 25 X 17 سم فى (×) 1 عم .

39- فياكولا فيردي FIACCOLA VERDE أو «المشعل الأخضر»

طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع 1925 م ـ لسان حال رابطة الطلبة . تولى إدارة تحريرها ن. تاسكونى N.TASCONE كانت لها اهتمامات كثيرة. توقفت عن الصدور مع نهاية 1925م. تم فقط الإطلاع على الأعداد الصادرة فى السنة الأولى وهى العدد رقم 3 الصادر فى 8 فبراير 1925 م وكذلك العدد رقم 7 الصادر فى 6 أكتوبر 1925 م . كانت هذه الدورية تصدر فى شكل 44 X 28 سم فى (×) 4 عم .

40- BOLLETTINO DELLA CAMERA DI COMMERCIO INDUSTRIA ED AGRICOLTURA PER TRIPOLITANIA

أو « نشرة الغرفة التجارية الصناعية الزراعية لإقليم طرابلس »

طبعت فى مطبعة بارليرو 1925 م ابتداء من 1930 م أصبحت تصدر نصف شهرية ضمن جريدة « افينيرى دى تريبولى » AVVENERE DI TRIPOLI بالإضافة إلى أنها صدرت شهرية كملحق للنشرة المعروفة باسم BOLLETINO DEL PRETESTI CAMBIARI « انظر رقم 33 » وقد تولى إدارة تحريرها أ. م مورجانتينى A. MMORGATINI وكانت تصدر على شكل 50 X 34 سم فى (×) 5 عم حتى عام 1930م .

41- BOLLETTINO QUOTIDIANO «بولليتينو كوتديانو» النشرة اليومية »

مطبعة مدرسة الفنون والصنائع 1926 م ـ نشرة يومية تتناول الأخبار السياسية والمسرحية كما تهتم أيضًا بأخبار السينما والرياضة، توزع مجانًا بلغت كمية التوزيع من هذه النشرة 2500 نسخة. صدر منها حوالى 30 عددًا فقط. توقفت عن الصدور يوم 30 سبتمبر 1926م. الموافق لليوم السابق لصدور الجريدة اليومية المعروفة باسم (الشاطىء الرابع) LA QUARTA SPONDA تولى إدارة تحريرها ج. دى ميو G. DEMEO وكانت هذه النشرة تصدر فى شكل من الحجم 56 X 38 سم فى (×) 5 عم .

42- (كوارتا سبوندا) LA QUARTA SPONDA

أو (الشاطئ الرابع) كانت تطبع فى مطبعة آرتى جرافيك (مطبعة الفنون الطباعية) فى بداية الأمر ثم انتقلت لتطبع فى مدرسة الفنون والصنائع 1926 - 1928 م. وتعتبر كوارتا سبوندا جريدة سياسية يومية. بدأت فى الصدور فى اليوم الأول من شهر أكتوبر 1926 م، حيث نشرت فى الافتتاحية تصريح السكرتير العام للحزب الفاشيستى فى صدارة صفحتها الأولى بالإضافة إلى المدير المسؤول جوفانى دى ميو GIOVANNI DE MEO، واستمرت الجريدة فى الصدور على شكل 28 سم × 5 عم حتى توقفت فى شهر مارس 1928 م .

43- ميساجيرو دي تريبولي MESSAGGERO DI TRIPOLI

جريدة أسبوعية، طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، 1926 م صدرت منها أعداد قليلة (السنة الأولي، العدد الأول، فبراير 1926 م)

المدير المسؤول، ن. تاسكونى N. TASCONE وكانت الجريدة تصدر فى شكل 44 X 32 سم فى (×) 4 عم .

44- VIGORE DI VITA IN TRIPOLITANIA فيجوري دي فيتا ان تريبوليتانيا.

طبعت فى مطبعة مدرسة ا لفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1926-1927م. نشرة سنوية لمكتب الدراسات والدعاية لحكومة إقليم طرابلس، قام بإعدادها وتنظيمها أنجلو بيشولى ANGELO- PICCIOLI رئيس مكتب الدراسات والدعاية، صدر منها ثلاثة أعداد خلال السنوات الثلاثة 1926 ,1927 ,1928 م، أما شكل حجم الحولية فهو 34 X 16 سم فى (×) 1 عم .

45- TRIPOLITANIA AGRICOLA « تريبوليتانيا أجريكولا »

طبعت فى مطبعة آرتى جرافيك الجديدة « مطبعة الفنون الطباعية الجديدة »، (العدد 36 بتاريخ 6 ديسمبر 1926 م) أما بقية الأعداد التى صدرت من هذه الدورية فقد طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، 1926 - 1929 م. العدد الأول ـ السنة الأولى صدر فى 3 إبريل 1926 م بصفة أسبوعية. أما ابتداء من عام 1929 م فقد أصبحت شهرية بواسطة الهيئة المعروفة باسم .SOC.AN.COOP حيث أصبح اسم الجريدة LA TRIPOLITANIA AGRICOLA وقد تولى إدارة تحريرها باولو فاسورا PAOLO VASSIRA ومنذ صدور العدد رقم 15 بتاريخ 10 يوليو 1926 م والأعداد الصادرة بعده فقد تولى إدارة تحرير الدورية جويدو كورتينى

GUIDO CORTINI وأصبحت الدورية تحمل عبارة « دورية .S.A.C » ابتداء من 18 إبريل 1927 م (السنة الثانية العدد 16) وكانت تريبوليتانيا اجريكولا LA TRIPOTANIA AGRICOLA تصدر فى شكل 48 X 35 فى (×) 5 عم فى البداية ثم أصبحت فى شكل 31 X 21 سم (×) 2 عم .

46- ANNUARIO DEL R.ISTITUTO SPERIMENTALE AGRARIO DE SIDI MASRI **أنواريو ديل رويال استيتيوتو سبيريمنتالي اجراريو دي سيدي المصرى.**

حولية المعهد الملكى للتجارب الزراعية بسيدى المصري، طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع، 1928 م. كانت تصدر هذه الحولية بإشراف إدارة الزراعة والمكتب الملكى للإرشاد الزراعى لحكومة إقليم طرابلس، صدر عدد واحد من هذه الحولية بلغت صفحاته 256 صفحة. فى شكل 24 X 17 سم فى (×) 1 عم .

47- لا أفينيري دي تريبولي LA VENIRE DI TRIPOLI

مستقبل طرابلس. طبعت فى مطبعة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1928 م. لسان حال اتحاد الفاشيست بالإقليم الطرابلسي، صدر العدد الأول فى 7 مارس 1928 م جريدة يومية، كانت تصدر فى شكل حجم كبير تراوحت صفحاتها من 4 , 6 , 8 فى (×) 7 عم. تولى إدارتها ج. ب. كوستا G.P. COSTA كذلك الجنرال ج. ميلكورى GIACINTO MELCHIORI، أما رئاسة تحرير الجريدة فقد تولاها بيروكوستا PIERO COSTA .

NOTIZIARIO ECONOMICO DEL GOVERNO DELLA -48 TRIPOLITANIA نوتيزياريو اكونو ميكو ديل جوفيرنو ديلا تريبوليتانيا

طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبهاب . ماجى 1928م تأسست NOTIZIARIO ECONOMICO DELLA TRIPOLITANIA فى شهر مايو 1928 م حيث صدر العدد الأول ـ السنة الأولى أشرفت على تنظيمها وإعدادها إدارة الشؤون الاقتصادية والمالية ابتداء من فبراير 1929 م حيث أصبحت تابعة لإدارة الشؤون الاقتصادية والاستيطان ففى يناير 1930م أصبحت NOTIZIARIO ECNOMICO DELLA TRIPOLITANIA تابعة لقسم الصحافة والدعاية فى عام 1922 م تصدر فصلية ثم عادت لتصدر شهريًا ابتداء من شهر إبريل لتلك السنة أما بقية الأعداد الصادرة منها بعد شهر إبريل فقد ضُمت مجلة أويا OEA وإلى طرابلس TRIPOLITANIA التى قامت بإصدار مستلة خلاصة فى غلاف أزرق عام 1931 م خلال شهور يناير، مارس، إبريل، مايو، أكتوبر 1932 م العدد رقم 10، ص 1 ففى العدد الأول السنة السادسة بتاريخ يناير 1933 م تم إصدار كشاف تحليلى لموضوعات الدورية طيلة صدورها خلال الخمس سنوات 1928 - 1931 م. وقد تولى رئاسة تحرير هذه الدورية منذ عام 1931 م إلى 1933 م. م. سكابارو M.SCAPARRO. أما شكل الحجم الذى صدرت فيه طيلة السنوات الأربع فقد كان 31 X 21 سم.

-49 BOLLETTINO DELLA STAMPA NAZIONALE ED ESTERA IN MATERIA COLONIALE. **طبعت في مطبعة مدرسة الفنون** والصنائع 1929 م. صدرت بإشراف مكتب الدراسات والدعاية لحكومة طرابلس. لم يصدر منها سوى أربعة أعداد. صدر العدد الأول منها فى 15 مارس ـ 15 إبريل 1929 م. أما العدد الثانى فقد صدر فى 15 إبريل ـ 15 مايو 1929 م. والعدد الثالث صدر فى 15 مايو ـ 15 يونيو 1929 م. والعدد الأخير أو الرابع فقد صدر فى 15 يونيو ـ 15 يوليو 1929 م، وكانت تصدر فى شكل حجم 24 X 17 سم فى (×) 1 عم.

-50 REAL TEATRO MIRAMARE E CINEMA **طبعت في شركة الهمبرا للاستنساخ إسبيريا،** 1929 - 1930 م،

نشرة إعلانات يومية بواسطة S.P.R.T إدارة وإشراف مؤسسة النشر F.R صدرت يومية بانتظام ابتداء من 1 أكتوبر 1929 م إلى 30 ديسمبر 1930م. وقد كانت الأعداد الصادرة فى عام 1929 م تشير إلى السنة الأولى، ما التى صدرت فى 1930 م فهى قد أشارت إلى السنة الثانية لصدور هذه النشرة اليومية التى كانت تصدر فى شكل حجم 25 X 12 سم فى (×)1 عم و 6 صفحات.

SITUAZIONI STATISTICHE DELLA COLONIZZAZIONE -51

طبعت في .AGRARIA IN. TRIPOLIANIA 1914 - 1929

شـركـة الاسـتنسـاخ اسـبيـريا، 1929 م . أمـا ATTIVITA

.DEVALORIZZAZIONE AGRARIA IN TRIPOLITANIA

فقد طبعت فى شركة الاستنساخ اسبيريا، 1931 م . (من صفحة رقم 3 إلى صـفـحـة رقـم 411) أمـا البـاقى فـقـد طبع فى مطبـعـة مـدرسة الفنون والصنائع، 1932 م . اما حـولية TRIPOLITANIA ECONOMICA فقد طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب . ماجى 1933 م . حيث كـانـت تتناول سنويًا كـافـة المنشـورات الصادرة عن مكتب الشـؤون الاقتـصادية والاسـتيطانية وكـذلك ما يهـم الغرفـة التجـارية والصناعـيـة والزراعية . وقد تميزت بطابع موحد على الرغم من التغيرات الطارئة التى كانت تحدث فيما يتعلق بالعناوين لهذه الدورية . وقد صدر من هذه الحولية 4 كراسات فقط (أربع كراسات «فصلات ») خلال السنوات ,1914 ,1929 1930 م ثـم 1931م . 1932م . وكـانت الكراسة الأخيرة هى التى تحمل العدد العاشر ، الجزءالأول من NOTIZIARIO ECONOMICO (انظر رقم 63) والتى قـامت بنشـر مـسـتـخلصـات خـاصـة ذات أغلفـة زرقـاء من TRIPOLITANIA ECONOMICA حيث اعتمدت فى تلك المستخلصات على العـددين التـاسع والعـاشر منها . وقـد كـان صـدور الكراسات الثلاث الأولى من هذه الدورية فى شكل أو فى الحجم 33X 23 سم فى (×) 1 عم . أما الكراسة الأخيرة أو الكراسة الرابعة فقد كـان شكل حجمها 21 X 28 سم فى (×) 2 عم .

52- RIVISTA AUTO CLUB TRIPOLI ريفيستا اوتو كلوب تريبولي :

«مجلة نادى السيارات بطرابلس » . طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب . ماجى 1930 م حتى 1931 م . مجلة شهرية خاصة بنادى السيارات فى طرابلس، صدر العدد الأول السنة الأولى فى 1 يوليو 1930 م . مدير التحرير المسؤول : باولو فاسور PAOLO VASSURA أما شكل حجم المجلة 28 X 21 سم فى (×) 2 عم .

53- A.P.I. ARTISTI PICCOLI ITALIANI أ.ب.أى. ارتيستي بيكوليي ايتاليانى.

« مجلة الفنانين الصغار الطليان » تصدر عن مدرسة فوتوغرافيا للبنين والبنات. طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب . ماجى 1930 م . أصدرت ملحقًا خاصًا « الرياضة والرياضيون فى طرابلس » SPORTE SPORTIVI A TRIPOLI (انظر رقم 69) مديرها المسؤول أ . ج . ثيودور A.G. TEODORO صدرت على شكل حجم 24X34سم فى (×) 2 عم، ثم فى (×) 3 عم . توقفت المجلة عن الصدور فى ديسمبر 1930م .

54- SPORT E SPORTIVI A TRIPOLI « سبورت ي سبورتيفي تريبولي »

«الرياضة والرياضيون فى طرابلس » . طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع 1930 م، تعتبر الرياضة والرياضيين نشرة رياضية لمجلة ارتيستى بيكولى ايتاليانى A.P.I مديرها المسؤول أ . ج . ثيودور A.G.TEODORO صدرت فى شكل حجم 24X34 سم فى (×) 3 عم .

NOTIZIARIO TURISTICO DELLA TRIPOLITANIA -55
نوتيزياريو تورستيكو ديلا تريبوليتانيا

شركة البوليغراف « النسخ » اسبيريا، 1930 م نشرة سياحية. خاصة بإقليم طرابلس، توزع مجانًا، صدرت بإشراف مصلحة السياحة بطرابلس (السنة الأولى ـ العدد الأول، 1 يونيو 1930 م) لم تصدر منها سوى بضعة أعداد قليلة. مديرها المسؤول الدكتور أ. م. مورجانتيني A.M.MORGANTINI صدرت هذه النشرة فى شكل حجم 34 X 24 سم فى (×) 2 عم. كانت صفحاتها مطبوعة على وجه واحد فقط.

56- IL BOLLETTINO DEL PROTESTI CAMBIARI البوليتينو
دي بروتيستي كامبياري

مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1931 م، نشرة شهرية تصدر كملحق لمجلة الغرفة التجارية الصناعية الزراعية لإقليم طرابلس. تولى إدارة النشرة أ. م. مورجانتيني. أما تحرير النشرة فقد كان أ. م. تشيسانا A.M.CESANA. صدرت على شكل حجم 32 X 22 سم فى (×) 2 عم (انظر رقم 56).

57- الجبلي IL GHIBLI

أسبوعية فكاهية. طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1930 م. المدير المسؤول فرناندو جورى FERNANDO GORI .

58- باتوليانيرا PATTUGLIA NERA

تعتبر « الفرقة السوداء « لسان حال ج. يو. ف. G.U.F تولى إدارتها كل من ايفانو أرانى EVANO ARANI ثم فرناندو جورى FERANANDO

GORI وريناتو كورسى RENATO CORSI، صدر العدد الأول منها فى 9 مارس 1931 م، ولم تتوقف عن الصدور إلا بعد العدد رقم 16 .

59- BOLLETTINO GEOGRAFICO بولليتينو جغرافيكو.

النشرة الجغرافية » طبعت فى مطبعة ر . كوربو تروبى كولونيالى ديلاتريبوليتانيا « مطبعة القوات المسلحة الإيطالية بإقليم طرابلس » 1931 م . كانت تصدر هذه النشرة مرتين فى السنة تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات لحكومة إقليم طرابلس، وقد صدر العدد الأول من النشرة الجغرافية فى أغسطس ـ ديسمبر 1931 م . مديرها المسؤول هنريكودى أوغسطيني . صدرت فى شكل 20 X 16 سم ى (×) 1 عم .

60- BOLLETTINO طبعت في البداية بمطبعة باليرو ثم مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب . ماجى ثم أخيرًا بمطبعة كوربو تروبى كولونيالى ديلا تريبوليتانيا، 1931 م . تولى إدارتها غوليالم ماريا ريفيللو G. MARIA RIVIELLO كانت تصدر فى شكل 35 X 25 سم فى (×) 3 عم .

61- مجلة شهرية مصورة أدبية تاريخية

أصدرت النشرة الاقتصادية للإقليم الطرابلسى NOTIZIARIO ECONOMICO DELLA TRIPOLITANIA (انظر رقم 36) مديرها فرانشيسكو بيرونتى FRANCESCO PIRONTI. صدر منها ثلاث كراسات فقط (رقم 1 صدرت فى إبريل، أما رقم 2 ففى مايو، أما الكراسة رقم 3،

والكراسة رقم 4 فقد صدرتا فى يونيو ـ يوليو 1931 م). تم دمجها فى المجلة الجديدة «تريبوليتانيا TRIPOLITANIA » وقد كانت تصدر فى شكل 29 X 21 سم .

62- آويا OEA

طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع بللينيو ماجى 1931 م .

63- تريبوليتانيا TRIPOLITANIA

طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجي، 1931 م. دورية شهرية مصورة للاتحاد الفاشيستى بإقليم طرابلس (السنة الأولى ـ العدد الأول ـ أكتوبر 1931 م) قامت بإصدار NOTIZIARIO ECONOMICO DELLA TRIPOLITANIA (انظر رقم 63)، حيث كانت تمثل الجزء الثانى لمجلة تريبوليتانيا على الرغم من احتفاظها بغلاف، وترقيم معين لصفحاتها. المدير المسؤل فرنشيسكو كورو FRANCESCO CORO أما هيئة التحرير فتتكون من : الجنرال ميليكورى رئيساً GIACINTO MELCHIORI توراكواتو كيوروتى TORQUATO CUROTI فرانكو ميللونى FRANCO MELLONI دومينيكو سانتانيللو DOMENNICO SANTANNELO ماريو سكابارو MARIO SCAPARRO أعضاء، وكانت مجلة تريبوليتانيا تصدر فى شكل 29 X 21 سم × 2 عم .

64- AGENZIA DILIBIA « اجينسيا دي ليبيا »

طبعت فى مطبعة الفنون والصنائع 1932 م ففى شهر فبراير 1932 م بدأت فى إصدار أدلة كملاحق بعنوان : SERVIZIO ARTICOLI كانت

تشتمل على مقالات تتعلق بشؤون المستعمرات. كما قامت باستنساخ مقالات أخرى فى هذا المجال. مدير الوكالة : أوجوماكيتى UGO MACHETTI وكانت تصدر فى شكل 32 X 22 سم × 3 عم .

65- BOLLETTINO DEL R.UFFICIO PER I SERVIZI AGRARI DELLA TRIPOLITANIA **«نشرة المكتب الملكي للخدمات الزراعية في الإقليم الطرابلسى»**.

طبعت فى مطبعة الفنون والصنائع سابقًا، والمعروفة فيما بعد بمؤسسة الطباعة والنشر لصاحبها ب. ماجى 1932 م. صدرت النشرة فى شكل 21 X 30 سم × 2 عم.

66- ANNUARIO GENERALE DI TRIPOLI E DELLA TRIPOLITANIA **«انواريو جنرالي دي تريبولي أي ديلا تريبوليتانيا »**

طبعت فى مطبعة مدرسة الفنون والصنائع لصاحبها ب. ماجى 1932م. صدرت فى السنة الأولى (1932 م) فى 260 صفحة .

أما فى السنة الثانية (1933م) ففى 188 صفحة. مدير الحوالية ك. م فيصولى M.FISOLI ثم ج. د. فوساتى G.D FOSSATI

67- BOLLETTINO DELLA S.P.A.R.T **بولليتينو ديلا س. ب. أ. ر. ت.**

طبعت فى مؤسسة الطباعة والنشر لصاحبها ب. ماجي، 1933 م. نشرة يومية إعلامية تهتم بالشؤون المسرحية والسينمائية، لم تصدر

منها ســوى أعـــداد قليلة جـــدًا خـــلال شهر إبريل 1866 م، كانت تــوزع مجانًا .

تطور الفنون الطباعية :

سبق وأن تحدثت فى الجزء الأول من هذه الدراسة عن بداية الفنون الطباعية فى مدينة طرابلس والتى تجلت بوجود المطبعة الوحيدة (مطبعة الولاية) فى المدينة منذ عام 1866 م والتى استمرت فى أداء عملها حتى عام 1908 م، أن ذلك التطور فى الفنون الطباعية يبدو واضحًا بعد صدور دستور 1908 م والذى أدى بالفعل إلى ازدياد عدد المطابع فى طرابلس خلال ثلاث سنوات فقط، حيث وصل عددها إلى خمس مطابع هى :

1- **مطبعة الولاية** (1866 م)

والتى أصبت فى عام 1901 م، تعرف بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع .

2- **مطبعة الترقي** .

3- **مطبعة ج. أربيب** .

4- **مطبعة أرتي جرافيك** « الفنون الطباعية » .

5- **المطبعة الشرقية** (أورينتالى) عرفت أيضًا بمطبعة تشوبة .

ومع بداية الاحتلال الإيطالى للبلاد فى 5 أكتوبر 1911 م، شهدت مدينة طرابلس تطوراً ملحوظًا فى الفنون الطباعية على الرغم من توقف بعض المطابع بالمدينة كمطبعة مدرسة الفنون والصنائع التى كانت تطبع بها «طرابلس الغرب » الجريدة الرسمية للولاية، بالإضافة إلى جريدة « تعميم حريت » وجريدة « المرصاد » وكذلك توقف مطبعة « الترقي» التى أصبحت تعرف بمطبعة الخامس من أكتوبر . كما تعرضت أيضًا كثير من المواد الخاصة بتلك المطابع إلى التدمير، أما المتبقى منها فقد تم الاستلاء عليه عسكريًا بواسطة القائد العام للقوات المسلحة الإيطالية والسكرتير العام فى الحكومة الإيطالية بطرابلس، وبذلك فقد تكونت « مطبعة القوات المسلحة » - TIPO LITIOGRAFIA MILITARE والتى أصبحت منذ 1 يوليو 1914 م تعرف باسم « المطبعة الحكومية » حتى توقفت عام 1920 م لأسباب فنية وإدارية.
وقد أشار ميركاتيلى حاكم طرابلس MERCATELI فى حديثه المنشور تحت عنوان " FOGLIO D'ORDINI " ورقات قانونية لحكومة إقليم طرابلس (السنة الأولى ـ العدد 4ـ 5 أكتوبر 1920 م) بقوله : « سوف تنتقل المطبعة الحكومية خلال فترة زمنية قصيرة لن تتجاوز على كل حال 31 أكتوبر من الشهر الجارى من مكانها الحالى بالقلعة إلى مقرها الجديد» وأصبحت تعرف بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع فى شارع ريكاردو وذلك فى نفس الموقع الذى كانت تشغله أثناء العهد التركي. وقد أصبحت مدرسة الفنون والصنائع مؤسسة صناعية أمتلكها بللينيوماجى عام 1926 م، حيث بقيت تحت إدارته لمدة خمس سنوات وأصبحت تعرف باسم « شركة مدرسة الفنون

والصنائع لصاحبها بلينيوماجى "AZIENDA TIPO-LITOGRAFCA SCUOLA D'ARTIEMESTIER DI PLINIO" أما فى عام 1932 م فقد تغير اسمها إلى « مؤسسة الطباعةوالنشر لصاحبها بلينيو ماجى STABILMENTO POLIGRAFICO EDITORIALE DI PLINIO MAGGI » هذا وقد وصل عدد المطابع بعد مضى عام واحد من الاحتلال الإيطالى للبلاد خمس مطابع هى :

1- **مطبعة « الجيش »** : التى كانت تعرف بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع بعد أن تغير اسمها من مطبعة حكومة الولاية .

2- **مطبعة انترناسيونال** لصاحبها جوستاف أربيب .

3- **مطبعة آرتي جرافيك** « الفنون الطباعية » .

4- **مطبعة تشوبة** والتى عرفت فيما بعد بالمطبعة الشرقية .

5- **مطبعة إيطاليا الجديدة**: (نووفا ايتاليا) والتى كان لها الفضل فى استخدام اللونتيب LINOTYPE (ماكنة تصفيف الحروف الطباعية) لأول مرة فى طرابلس خلال عام 1912 م .

مع بداية عام 1913 م تم افتتاح مطبعتين جديدتين هما مطبعة برانجى جايتانو BRANGI GAETANO ومطبعة ليونيللو LIONELLOI التى تم إغلاقها فى نفس السنة . وخلال عام 1914 م تم دمج مطبعة الفنون الطباعية حيث أصبحتا تعرفان معًا بالمؤسسة الجديدة للفنون الطباعية .

وفى نفس العــام (1914م) تم أيضًا افتتـاح مطبعـة بيروتا وبريشـيانى PEROTTA E BRESCIANI، أما فى عام 1917 م فقد أصبحت مطبعة بيروتا وبريشيانى تعرف بمطبعة الكسندر لفيردى والتى تغير اسمها عام 1918 م لتصبح مطبعة باتريا PATRIA لصاحبها أ. تشوبة. وقد انتقلت ملكيتها إلى ر. حبيب فى العام التالى .

وفى عـام 1919 م اندمجت مطبعة بارليرو BARILERO مع المطبعة السابقة، أما فى عام 1921 م فقد توقفت مطبعة حبيب نهائيًا .

أما مطبعة لارابيدا LA RAPIDA فقد تأسست عام 1927 م بواسطة كل من نقـاش وبردة TIPOGRAFIA "LARAIPIDA " DI NACCASCH E BARDA، وعندما توقفت «مؤسسة الفنون الطباعية الجديدة NUOVE ARTI GRAFICHE» عن ممارسة نشاطها خلال عام 1928 م، تم تركيب مطبعتين جديدتين بطرابلس هما :

1- شركة البوليغراف سيبريا AZIENDA POLIGRFIA ESPERIA " " شركة سبيريا للطباعة .

2- مطبعـة ر. تشي. تي. تش. للإقليم الطرابلسى TIPITOGRFIA DEL R.C.T.C. DELLA TRIPOLITANIA أما مطبعة زارد TIPOGRAFIA ZARD فقد افتتحت فى عام 1929 م، وفى عام 1930 م تم افتتاح مطبعة برانجى TIPOGRAFIA BRANGI والتى اندمجت فيما بعد مع مطبعة كليمنت زارد السابقة الذكر. وفى عام 1933م تم افتتاح المطبعة التجارية « الكوميرشالى »

بمدينة طرابلس TIPOGRAFIA COMMERCIALE، ومما سبق يمكن حصر المطابع التى كانت موجودة بمدينة طرابلس خلال عام 1933 م فيما يلى :

1- مـؤسـسـة الطبـاعـة والنشـر لصـاحـبـهـا بللينو مـاجي

STABILIMENTO POLIGRAFICO EDITORIALE

PLINIOMAGGI

والتى عرفت فيما بعد بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع

TIP.SCUOLA ARTIE MESTIERI

2- مطبعة تشوبة TIPOGRAFIA TESCIUBA .

3- مطبعة بارليرو TIPOGRFIA BARILERO .

4- مطبعة باتريا لصاحبها ر. حبيب

. TIPOGRAFIA PATRIA DI R. HABIB

5- مطبعة « رابيدا » لصاحبها نقاش وبردة

TIPOGRAFIA " LA RAPIDA" NACCASCH E BARDA

6- شركة سيبريا للطباعة « بوليغرفيك سيبريا »

. AZIENDA POLIGRAFICA ESPERIA

7- مطبعة ر. تشى. تى. تشي للإقليم الطرابلسي

TIPO LIT . DEL R.C.T.C DELLA TRIPOLITANIA

8- مطبعة كليمنت زارد TIPOGRAFIA DI C. ZARD

المطبـعـة التـجـارية « الكـومـيـرشـالى » لصـاحـبـهـا إي. بيـرا
TIPOGRAFIA COMMERCIALE DI. BIERA

أما المناطق بالمستعمرة فلا توجد بها مطابع [1]

1- كـانت تصـدر فى بعض المناطق الداخلية صـحف خطيـة مثل (البلاغ) التى كـان يصـدرها المجاهدون خلال عام 1921 فى دواخل طرابلس .

سك العملة بطرابلس الغرب
خلال الحكم القرة مانلى [1]

تعتبر هذه المقالة من أهم المقالات التى نشرت للأستاذ جويدى فى هذا الموضـوع الذى استطاع من خلاله أن يتناول حالة البلاد الاقتصادية والسياسية فى عهد الأمراء القره مانليين حيث قام بدراسة مستفيضة لأحد الأسباب التى أدت فى النهاية إلى انهيار الحكم القره مانلى فى ليبيا، وقد اعتمد فى دراسته هذه على الوثائق الأرشيفية باعتبارها مصدراً هاماً لمعرفة خفايا تلك الفترة الزمنية فى تاريخ البلاد، حيث كشف عن معلومات هامة فى مراسلات القناصل الأجانب المقيمين بطرابلس الغرب أثناء حكم القره مانليين للبلاد، كما أنه استطاع أن يبين بعض المحاولات الإصلاحيه التى قام بها الباشا يوسف القره مانلى من أجل إنقاذ البلاد من الانهيار الاقتصادى الذى أصاب البلاد فى عهده والذى كانت قد بدأت تباشيره تلوح فى الأفق عندما أصبحت العملة [2] المحلية بتدهور خطير حيث تدنى سعرها بشكل لم

1- هذه المقالة التى كانت قد نشرت بقلم جويدى شيمين . Guide C فى المجلة المعروفة باسم :

La Zecca di Tripoli d'occidente Sotto Il dominio dei caramanli .

2- Notiziario Archcologico 1922 . pp. 113-143 .

يسبق أن حدث من قبل. إن هذا فى الواقع كانت له انعكاسات سيئة استطاعت أن تنهى الحكم القره مانلى فى ليبيا بعد أن دام حوالى 124 عامًا كانت معظمها مليئة بالأزمات الاقتصادية والسياسية كما وصفها أغلبية قناصل الدول الأجنبية فى البلاد وفى مراجعة سابقة لكتاب م. فالنتينى [1] M.valentine كانت قد نشرت فى الفصلة الثانية من هذه المجلة، تعرضت بإيجاز لذكر بعض أنواع العملة النقدية التى ضربت فى إيالة طرابلس فى عهد آخر الأمراء القره مانليين وتعرضت كذلك على إثر ذلك إلى الأحداث التاريخية والظروف الأخرى كافة التى كانت بطرابلس سائدة خلال السنوات السابقة لعهد الإصلاح العثمانى أو الحكم العثمانى للبلاد. وقد أتيحت لى خلال مراجعة الكتاب المذكور فرصة القيام بتجميع كثير من الوثائق غير المنشورة التى كانت من أهمها الوثائق التى قمت باستخراجها من السجلات الخاصة بمراسلات القناصل الأجانب المقيمين بطرابلس خلال تلك الفترة التى توجد محفوظة فى أرشيف القلعة [2] كما أننى اعتمدت على بعض الكتب الأخرى المخطوطة التى لم تنشر بعد، وقد أتاحت لى هذه المعلومات التى تحصلت عليها من المصادر غير المنشورة، كما ذكرت، بالإضافة إلى غيرها من البيانات التفصيلية التى كانت تدور حول هذا الموضوع، الفرصة من

1- W.H. Valentine. Modern Copper coins Of The Mohammadan States. London. 1911 .

2- مازالت توجد بعض مراسلات القناصل الأجانب الذين كانوا مقيمين فى مدينة طرابلس خلال الحكم القرة مانلى محفوظة فى أرشيف القلعة أو (دار المحفوظات التاريخية) ولكن للأسف إن معظم تلك المراسلات ناقصة. خاصة مراسلات بعض القناصل ومنها على سبيل المثال : مراسلات قناصل مملكة الصقليتين [المترجم] .

جديد للبحث فى أنواع العملة الطرابلسية خلال العهد القره مانلي . إن القيام بمثل تلك الدراسات يتطلب منا منذ البداية تحديد الخطوط العريضة العامة لهذا الموضوع التى تحملنا بكل تأكيد على ضرورة اللجوء فى أحيان كثيرة إلى التنقيب فى تاريخ الإقليم خاصة فيما يتعلق بالفترة الزمنية المعاصرة لتلك الحقبة من الحكم القره مانلى بطرابلس . ومن بين تلك الكتابات التى يمكن اللجوء إليها لمعرفة تاريخ الإقليم ، الكتاب القديم Libro Vecchio الذى قام بتأليفه المبشرون الذين تولوا رئاسة البعثة الرسولية التبشيرية الفرنشيسكانية[1] وقدورد فى الكتاب المذكور أنه قد تم (فى مساء يوم 21 أكتوبر 1709 م حركة تمرد وعصيان ضد خليل باشا وقد استمرت هذه الحركة بطرابلس حتى اليوم 30 من الشهر نفسه) .

وتعتبر الفترة الزمنية الممتدة من 1709 م إلى 1711 م فترة مجهولة فى تاريخ الإقليم حيث لم يتم تناولها فى الحوليات الطرابلسية [2] لشارل فيرو[3] ولا فى مذكرات الحاخام (الرّبى) إبرا هام خلفون . م .[4] الذى كان يتفق مع شارل فيرو فقط فى أنه قد تم خلال عام 1711 م المناداة بأحمد القره مانلى قائد الخيالة العثمانية باشا على طرابلس ، بعد أن استطاع تدبير مذبحة

1- قام كوستانزو برينا بأخذ نسخة من المخطوط الأصلى لهذا الكتاب . حيث استطاع تقديمه فى عام 1915 م للقراء .

2- نشرت فى المجلة المعروفة Revue Africane .

3- ترجم كتاب الحوليات الطرابلسية لشارل فيرو إلى اللغة العربية بواسطة . د. محمد عبد الكريم الوافي . (المترجم) .

4- أشرت إليه فى المقالة السابقة .

رهيبة للزعماء المعارضين له، بالإضافة إلى تقديم كثير من الهدايا من أجل الحصول على الاعتراف به أيضًا من السلطان أحمد الثالث [1]

وبما أن عام 1711 م يعتبر بداية حكم الأسرة القره مانلية الذى يوافق عام 1123 هـ، يمكن القول أن العملة النقدية لفترة الحكم العثمانى الأول قد توقفت خلال تلك السنة (وفقًا للقاعدة الأساسية المعروفة فى تلك الفترة)، خاصة فيما يتعلق بالعملة النحاسية، ذلك النوع أو الشكل الذى ذكره فالينتينى فى كتابه المذكور خلال الصفحات 19 - 20، وما سبق أن أشرت إليه فى مقالتى السابقة حول هذا الموضوع فى صفحة (3)، ما يؤكد بشدة أن ذلك الشكل أو النوع من العملة النحاسية يعود إلى أحمد الأول وذلك بسبب أن أغلبية قطع العملة النحاسية المتعددة الأنواع التى تحصل عليها الكتّاب، كانت تحمل جميعًا تاريخ العام 1115 هـ. إن تاريخ صعود أحمد الثالث على العرش يجب أن يكون تاريخًا لسك عملة تكون مغايرة للنظام الذى أشرت إليه، بحيث يكون رسم تاريخ الصعود على العرش على الوجه الأول للعملة، أما تاريخ السلطنة فيجب أن يكون على الوجه الآخر للعملة. ومن الأنواع الأولية التى صدرت للعملة فى السنوات اللاحقة لعام 1711 م، ثلاث قطع نقدية نحاسية دائرية الشكل كان قد رسم فى أحد أضلاعها تاريخ 1134 هـ الذى يوافق عام 1721 م وهذه العملة النحاسية بالذات يمكن اعتبارها خاصة بالحكم الجديد للقره مانليين فى طرابلس، فهى تعتبر النوع الوحيد من

1- يلاحظ أن اختلاف التواريخ لا تطعن فى مصداقية المصدرين الآخرين على الرغم من أنه يبدو أن حركة التمرد التى أشار إليها الكتاب القديم، تبدو كأنها حركة مختلفة تمامًا عن تلك التى كانت قد جاءت بأحمد القره مانلى ليكون قائدًا للبلاد .

العملة الذى تم سكه من معدن النحاس فى عهد أحمد القره مانلى إذ يبدو أنه لم تعرف أية عملات أخرى ضربت أو سكت فى عهده سواء كانت ذهبية أو فضية .

ويورد شارل فيرو أن الباشا أحمد القره مانلى قد فارق الحياة فى 4 نوفمبر 1745 م بعد أن فقد بصره وقد تولى بعده الحكم ابنه محمد الذى دام حكمه للبلاد عشر سنوات تقريبًا أى من عام 1745 م إلى 1754 م الموافق 1157-1168 هـ. وفى عهد الباشا محمد القره مانلى ازدهرت القرصنة وأصبحت قوية تنمو باستمرار حتى أن سفن البحرية الطرابلسية أخذت تتحرش باستمرار بالسفن التابعة للدولة الأوروبية على طول الساحل الطرابلسى فى البحر المتوسط . وفى عهد الباشا محمد لم تعرف البلاد سك أية عملة طيلة فترة حكمه وبعد وفاة الباشا محمد القره مانلى بتاريخ 24 يوليو 1754 م تولى الحكم ابنه البكر الذى كان يدعى عليًا ، والذى كان يعتبر رجلاً ضعيف الشخصية حيث أنه عجز تمامًا عن فرض إرادته من أجل حل النزاع الذى نشب بين أبنائه الثلاثة وهم البى حسن وأحمد ويوسف الذين كانوا خاضعين لسلطة والدتهم للاّ حلومة أو للاّ الكبيرة (السيدة الكبيرة) كما كانت تعرف فى الأوساط الشعبية .

وقد كانت للاّحلومة امرأة ذات نفوذ وهيبة حيث كانت معروفة بالجد والصرامة فى حياتها الخاصة وكذلك فى علاقاتها مع الأمراء والأميرات القاطنين فى القلعة وفقا لما ترويه قريبة [1] القنصل الإنجليزى التى عاشت فى

1- هى مارى ووراثلى المعروفةباسم الأنسة توللى قريبة القنصل الإنجليزى ريتشاد توللي.

تلك الفترة فى مراسلاتها [1] المليئة بالجاذبية والتشويق لما تشتمل عليه من ملاحظات قيمة، حيث كانت فترة باشوية على القره مانلى فترة مليئة بالخلافات الحادة والقلاقل السياسية، حيث قام بتاريخ 20 يوليو 1790 م الموافق 1204 هـ، يوسف، الابن الأصغر للباشا، أمام والدته اللاّحلومة فى القاعة، بإطلاق رصاصتين من غدارته على أخيه الأكبر البى حسن فأرداه قتيلاً، وقد أشارت التقاليد المتوارثة فى هذاالعصر إلى تلك الجريمة الشنيعة التى كانت السبب فى التحريض على الصراع الدموى بين الأمراء الذين تمردوا على الباشا، حيث انضم إلى جانب الأمير أحمد، قسم من الشعب بالإضافة إلى قوات الجنود التابعة لقيادته، حيث نادوا به أميرًا (بى) على البلاد بعد موافقة والده الباشا على .

وتشتمل العملة النحاسية التى ضربت خلال الأربعين عامًا ـ التى تبدأ منذ صعود الباشا على القره مانلى على العرش واستلامه الحكم حتى السنة التى تولى فيها على برغل حكم طرابلس بعد طرد الأسرة القره مانلية ـ على أشكال متعددة متنوعة تم سكها بأسماء سلاطين هم عثمان الثالث [2] (1168-1171 هـ الموافق 1754 - 1757 م)، مصطفى الثالث (1171-1187 هـ

1- تم ترجمة مذكرات الأنسة توللى إلى عدة لغات منها الفرنسية والهولندية وترجمها إلى اللغة العربية المرحوم الدكتور عبد الجليل طاهر الذى كان يقرأ علينا (طلبة قسم الاجتماع والفلسفة لعام 1967-1968 م بكلية الآداب) فقرات من تلك الرسائل المليئة بالتشويق والجاذبية، والتى تم نشرها فى كتاب صدر عام 1967 م بعنوان « عشرة أعوام فى طرابلس » [المترجم] .

2- لا تعرف سوى قطعة نقدية واحدة ضربت باسم هذا السلطان وصفها فالنتينى فى صفحة رقم 22 من كتابه المذكور سابقًا .

الموافق 1757 - 1773 م)، عبد الحميد الأول (1187-1203 هـ الموافق 1773-1788 م)، سليم الثالث (1203-1222 هـ الموافق 1788-1807 م)، وقد كانت تعرف عملة فضية رخيصة [1] سبق أن تم انخفاض سعرها كثيرًا، وقد تم سكها باسم السلطان مصطفى الثالث (وتحمل تاريخ 1173 هـ) والسلطان عبد الحميد الأول (1188 هـ) والسلطان سليم الثالث (1203 هـ) ولا توجد سوى عملة ذهبية واحدة (المحبوب = 4 ليرات تقريبًا) [2] سكت باسم عبد الحميد الأول حيث يرجع تاريخها إلى عام 1187 هـ. ونظرًا للاضطرابات والقلاقل التى سادت طرابلس خلال تلك الفترة من أواخر حكم على القره مانلى، فقد استغل على برغل أو على قرجى (الذى وصفته الليدي وورثلى Lady Worthley فى مذكراتها عن طرابلس) باسم (على بن زول) تلك الفرصة فجاء إلى طرابلس فى يوم 29 يوليو 1793 م الموافق 1207 هـ على رأس قيادة أسطول بحرى معلنًا أنه قد أرسل بفرمان من السلطان لإعادة الأمن والاستقرار فى البلاد، بعد أن تم تعيينه باشا لطرابلس. وكان على برغل يشغل منصب قائد للبحرية فى الجزائر قبل مجيئه إلى طرابلس. ونتيجة لذلك فقد لاذ القره مانليون بالفرار ولم يدركوا زيف الفرمان إلا متأخرًا، الأمر الذى جعلهم يتصالحون فيما بينهم من أجل إعادة الإقليم إلى حكمهم، فعادوا وحاصروا طرابلس لمدة 14 شهرًا حيث استطاعوا عزل المدينة تمامًا، مما أدى إلى تفشى مجاعة فظيعة [3] فى يوم 29 أغسطس 1794 م

1- وهى عملة نقدية معدنية مفضضة (المترجم).

2- كان ذلك وقت كتابة هذا البحث عام 1916 م (المترجم) .

3- كما يورد الكتاب القديم Libro Vecchio المشار إليها سابقًا.

استطاع على آغا الانتصار على الأخوة القره مانليين وأجبرهم على الفرار إلى تونس[1] التى كان قد سبقهم باللجوء إليها والدهم العجوز على القره مانلى، وبذلك فقد استمر هذا الغاصب فى حكم طرابلس (كطاغية مستبد[2]) إلى نهاية 19 يناير 1795 م الموافق 1209 هـ، حيث قام أسطول بحرى تونسي بناء على توسلات الباشا العجوز على القره مانلى بالإضافة إلى مساندة جيش قوى بلغ تعداده ستين ألف رجل كان قدجهزه وأعده أبناء الباشا أحمد ويوسف فأجبر الطاغية على برغل على الفرار ليلاً مع (خمسين ألف شيطان)[3] بعد مذبحة رهيبة حدثت بين الأسرى والمواطنين.

وسبق أن أشرت فى مقال سابق، حول موضوع سك العملة بطرابلس، بأنه لا توجد أية أدلة جوهرية تثبت أنه قد تم سك عملة بواسطة على برغل أثناء استيلائه على طرابلس. وقد عثرت على ملاحظات حول ذلك الموضوع فيما بعد فى الكتاب القديم Libro Vecchio الذى يورد: « لقد تم خلال تلك الفترة التى حكم فيها الطاغية الماكر على باشا طرابلس، بعد سفر الوريث الشرعى للحكم[4] بأربعة أشهر وعشرين يومًا، سك عملة جديدة للبلاد[5] ولكن يتضح جليًا من فحص المادة التى جمعناها بدقة أنه لا توجد عملة نقدية تحمل تاريخ الفترة الزمنية الممتدة من 1207 هـ (29 يوليو

1- حيث قابل باى تونس حموده باشا الأسرة القره مانلية عندما لجأت إلى تونس. (المترجم).

2- انظر مذكرات إبراهام خلفون المشار إليها سابقا.

3- انظر الكتاب القديم ـ مصدر سابق.

4- بعد سفر البى الشرعى أحمد القره مانى إلى تونس الذى كان قد هزم أمام الغاصب على برغل.

5- وتشبه العبارة الموجودة على النقود العثمانية التى تستخدم فى « تخليد الملك للسلطان ».

1793 م) إلـى 1209 هـ (19 يناير 1795 م)، والتى استولى فيها على برغل على حكم طرابلس .

ومن الملاحظ على العـملة التى كـانت قـد سكت فى طرابلس باسم السلطان سليم الثالث أنها تحمل تاريخ 1203 هـ، سواء كانت من العملة النحاسية أو الفضية أو غيرها من المعادن الأخرى. إلا أنها تحتفظ بنفس الرسم الموجود فى العملات الأخرى التى تم سكها خلال نفس الفترة الزمنية أو التاريخ ومع ذلك فإنها قد اختلفت عنها فى شكل الكتابة حيث استبدل بحرف (ٮس) المسننة التى كانت موجودة فى كلمة طرابلس حرف(ـں) أخرى غير مسننة أضيفت لكلمة طرابلس وفقًا لخط الرقعة المعروف. وبدون أى تأكيد، يمكن القول أنه من الجائز جدًا افتراض أن تلك النماذج أو الأشكال من العملة ترجع إلى طاغية طرابلس على برغل، حيث إنه لا يوجد أى مانع من القول [وفقًا لما أشرت إليه فى مقالة سابقة] من أنه لم يتم فى عهد السلطان سليم الثالث تعميم استخدام الإشارة إلى ضرورة بيان تاريخ صعود السلطان على العرش على العملة النقدية، وذلك لأنه لم يتم بعد اتخاذ ذلك النظام كقاعدة مطلقة يتحتم التقيد بها أثناء سك العملة كما كان فى السابق. وعلى كل حال يمكن القول أن على برغل كان قد اختار إهمال بيان تاريخ الحكم. إذ كان ذلك غير ممكن، فإنه لا يجب قبوله، مما يحملنا على البحث عن تصديق الملاحظات التى وردت فى الكتاب القديم، حيث أنه لم تصل إلينا أية عملة للطاغية على برغل من بين آلاف الأنواع من العملات التى قمت بفحصها وهناك برهان أخر يبدو أنه معزز بحدسنا الذى افترضناه وفحواه أنه كان يوجد على العملة الفضية التى كانت من بين

النماذج التى أشرت إليها فى البداية بلفظة « دام ملكه » [1] استبدلت بها فيما بعد لفظة « عز نصره » [2] التى كانت قد تم تصويرها أو نقشها على وجه العملة الفضية للباشا على القره مانلى والمسكوكة فى عهده باسم السلطان عبد الحميد الأول اللذين يعتبران اسبق من حيث الترتيب الكرونولوجى من على برغل . ولكن ربما يعنى التغير الذى طرأ على اللفظة السابقة واستبدالها بالأخرى أنه كان يرمز إلى التغيير الذى حدث للحكومة . وقد وجدت نفس اللفظة السابقة منقوشة على العملة الفضية التى سكت فى عهد يوسف باشا فيما بعد مباشرة بعد طرد على برغل من طرابلس .

كان هذا فى الواقع على العملة النقدية الأولية التى سكت فى عام 1210 هـ (أما فى بقية أنواع العملة التى صدرت بعد ذلك التاريخ فقد تميزت بعودة حرف السين إلى اتخاذ شكله القديم) . بعد أن تم استبدال الشكل الآخر لحرف السين (س) الأكثر شيوعًا به كما فى العبارة التالية : سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان .

ويورد الكتاب القديم للإرساليين الفرنشيسكان أنه قد حدث فى يوم 11 يونيو 1795 م بعد ساعتين من منتصف نهار ذلك اليوم (14 ظهرًا) بعد أن خرج سيدى أحمد وابنه إلى المنشية ، أن قام أخوه يوسف بإغلاق أبواب القلعة حيث تم استيلاؤه عليها ، وعين نفسه باشا لطرابلس ، فلاذا أخوه أحمد بالفرار مع ابنه خوفًا من قيام أخيه يوسف باغتياله كما كان قد فعل من قبل

1- وتعنى أدام نصره وعزه وجعلهما مخلدين طول الدهر .

2- سجل مراسلات القناصل مع وزير الحربية والبحرية ورئيس قيادة الإمبرالية من 2 نوفمبر 1810 إلى 2 إبريل 1830 م .

بأخيه البى حسن، وتابع هروبه إلى أن استطاع بعد رحلة، تعرض فيها للمخاطر الوصول إلى مالطا ومنها انتقل إلى تونس.

أما الباشا يوسف الذى استولى على مقاليد الحكم فى ايالة طرابلس خلال الفترة الممتدة من 1795 م إلى 1832 م (1210 - 1248 هـ) فقد كان، كما يقولون، يعتبر من أشهر الشخصيات بين امراء الأسرة القره مانلية « فهو رجل لا يمكن اعتباره طاغية لكنه كان عنيدًا ومتغطرسًا ومغرورًا معجبًا بنفسه لا يدين بأى احترام لقناصل الدويلات الإيطالية ولا لقناصل بقية الدول الأوروبية. كما يصفه الكتاب القديم للفرنشيسكان أنه كان (رجلاً شديد الانفعال وإيجابيًا نشطًا) وفقا لمذكرات الحاخام ابرهام خلفون، وبالرغم أنه ليس غرضنا فى هذا المجال وصف أحداث التاريخ الهامة لتلك الفترة الزمنية إلا أنه يمكن التأكيد على أن مستوى المعيشة للحياة قد ازداد ارتفاعًا بصورة جلية بين أفراد حاشية الباشا وغالبية سكان إيالة طرابلس خلال السنوات الأولى من حكم يوسف باشا للبلاد، ويمكن أن يعزى ذلك الازدهار إلى النمو المتزايد لعائدات القرصنة البحرية للباشا (أو الجهاد البحرى) بالإضافة إلى فرض الضرائب على المواطنين واحتكار الحاجات الأساسية الأولية الضرورية بصفة عامة، وكذلك العطاءات التى أهتم بها الأمراء بصفة خاصة. ولكن تسديد الديون المالية الضخمة فى السنوات العشرين الأخيرة من حكم يوسف باشا بالإضافة إلى الأزمات السياسية فى البلاد والتوقف التدريجى لنشاط القرصنة البحرية أو الجهاد البحرى، قد أدى إلى انتشار الفقر فى البلاد مما جعل البلاط يلجأ إلى الدول الأوروبية للحصول على

القروض المالية، بالإضافة إلى وسائل أخرى يهمنا منها ما كان يتعلق بسك العملة فى البلاد.

ويبدو أن أول عملة فضية سكت فى عهد يوسف باشا كانت تلك التى تحمل تاريخ 1210 هـ (18 يوليو 1795 م) وهذا يجعلنا لا نستبعد هذا الشكل من النقود حيث يمكن أن نعزوه إلى برغل وذلك بسبب أن النوع الأخير من العملة يعتبر أقل قيمة من حيث كمية المعدن الخالص المسكوك به. حيث يحتفظ فى الوجه الأول من العملة بنفس المغامرة التى لا يمكن بأى حال أن تتكرر فى السنوات اللاحقة، أما الوجه الآخر من العملة فلم يقدم شيئًا جديدًا آخر ماعدا استثناء التاريخ وشكل الكتابة حيث استعاد فقط حرف السين لكلمة طرابلس ـ كما قلت ـ شكله القديم المتعارف على استخدامه فى بقية العملة القره مانلية، وقد تم العثور على وثائق رسمية (مع نقص تلك الوثائق التى ترجع إلى تواريخ سابقة) خلال العشرينات، حيث تورد تلك الوثائق بصورة واضحة جلية تدهور سك العملة الفضية والنحاسية كما ورد فى تقرير تحريرى لقناصل مملكة صقلية [1] المؤرخ فى 31 ديسمبر 1818 م ما يلى : « أن الأنواع المستوردة من العملة ربما تكون ذات عواقب كبيرة لما هو موجود، حيث أن العملة المحلية لم يكن لها سعر ثابت محدد خارج الأيالة، لذلك يجب إقامة نوع من التوازن الضرورى بين الاستيراد والتصدير »

1- يطلق على هذه القروش ريال ـ ريالات. أو ريال سبيليا Sibilia حيث يعادل 2 سبيلينى [كان السبيلينى معروفًا بين الأهالى وقت كتابة هذا البحث (1916م) على الرغم من اندثار تلك القطعة] ويعادل السبيلى 60 سنتيمًا.

وقد أثبتت ذلك رسالة نفس القنصل المؤرخة فى 5 نوفمبر 1819 م إلى رئيس قيادة الأميرالية لمملكة صقلية :

(أخيراً قد تعرضت كافة البضائع التجارية إلى التدمير فى هذه الساحة التجارية (السوق) بسبب أن العملة النحاسية أصبحت بدون سعر محدد لهاخارج هذه الأيالة) .

وخلال عام 1824 م الموافق 1239 هـ، كان الباشا يوسف فى حاجة ملحة للمال ، حيث نجد فى سجل المراسلات لنفس القنصل السردينى تقريراً يبرز فيه كيف أن الباشا يوسف القره مانلى توسل إليه لكتابة طلب إلى ملك سردينا من أجل الحصول على قرض مالى تبلغ قيمته مائة ألف كولوناتى أسبانى (دولار أسبانى) . وقد أحال القنصل رسالة بخصوص طلب الباشا يوسف إلى حكومته بتاريخ 27 إبريل فى العام نفسه مع بعض المقترحات التى تشمل بعض الإيضاحات كما يلى :

(الباشا فى حاجة ماسة إلى ذلك المبلغ المالى وذلك من أجل القيام ببعض عمليات مقترحة لتثبيت سعر عملته التى كانت قد تعرضت لتدهور قيمتها منذ ستة شهور حتى وصلت قيمة النقصان فى سعر العملة المحلية للباشا إلى نصف القيمة التى كانت عليها من قبل ، حيث تم تحديد سعر الكولوناتى بما قيمته ستة ريالات التى تعنى القروش فى هذا البلد والتى تعد بالبليون ، وقد تم رفع قيمة الكولوناتى الأسبانى حتى وصلت قيمته حوالى أثنى عشر ريالاً[1]) .

1- سجل نسخ مراسلات قناصل دوقية توسكانا 1831 - 1836 م .

وقد شرح القنصل الأسباب التى دعت الباشا إلى طلب المال والتى كانت، كما يوردها، ترجع إلى الحاجة الضرورية إلى التزود بالحبوب من الخارج، بسبب أن جميع أنواع العملة الفضية والذهبية (بما فى ذلك أيضًا العملة الأجنبية المفضضة والمذهبة التى تشمل الكولوناتى الأسبانى أو غيرها من القطع النقدية الأخرى الأسبانية، بالإضافة إلى المحبوب التركى » « لم تخرج بعد » بالإضافة إلى حاجته للتسلح من جديد، أما الأمل فى رفع سعر العملة المحلية وتثبيت قيمتها يبدو أنه سيكون مرهونًا من حيث وِجهة النظر، بالحصول على محصول وفير. وقد أشار نفس القنصل فى رسالة مؤرخة فى 30 يوليو 1826م إلى حكومته حول « غش العملة » التى قام الباشا بإصدارها).

وقد ازدادت الأمور تعقيداً فى هذه الايالة بعد أن تفجرت الثورة فى المنشية بقيادة سيدي محمد بن عثمان حفيد الأخ السابق ليوسف باشا الذى كان قد لجأ إلى مصر وتوفى بها، ويمكن متابعة أحداث ذلك الصراع من خلال السجلات المحفوظة فى أرشيف القلعة بطرابلس، منذ بدايته فى عام 1832 م (1247 هـ) ولم ينته إلا فى 26 مايو 1835 م (1251هـ) وذلك بتدخل الباب العالى لحسم ذلك الصراع، عندما استطاع نجيب باشا القيام بتدبير مكيدة جعلت بى طرابلس على باشا الابن الثالث ليوسف باشا يطمئن إليه [لقد تم تنازل الباشا العجوز يوسف القره مانلى، بسبب تلك المكيدة وهى اختلال عقله فى 10 أغسطس 1832 م عن الحكم إلى ابنه على وذلك من أجل الوصول إلى حل حاسم للصراع] وبهذه المكيدة تمت إعادة السيطرة المباشرة على أيالة طرابلس لسلطان القسطنطينية. وقد تعرضت المدينة خلال

السنوات الثلاثة من الحصار الذى قامت به قوات سيدى محمد لمجاعة خطيرة بعد أن تمت محاصرتها أيضًا من جهة البحر حيث أخذ الثوار يصوبون قذائفهم بالسفن التى كانت تحاول تزويد المدينة بالمؤن الضرورية . وقد أشار ج . روسونى G.Rossoni قنصل دوقية توسكانة فى رسالته[1] المؤرخة فى 25 فبراير 1832 م إلى حكومته ما يلى :

(لقد أصبحت العملة المحلية فى ايالة طرابلس عملة غير موثوق[2] فيها حيث أنها بقيت كما هى عليه بعد مضى 24 ساعة من صدورها ، ولم يحدث عليها أى تغيير بل ازدادت نسبة هبوط قيمتها حتى تجاوزت من 50 إلى 70٪ وقد وجد الباشا نفسه فى ضائقة مالية ملحة نتيجة لتمرد أغلبية العرب ضده وعجزه عن إخضاعهم لسلطته ، مما جعله يغرق فى الديون من كل جهة لمواجهة تلك المصاعب بدون فائدة . وبما أنه لم يتريث حتى يجنى محاصيل أراضيه الواسعة فإنه يبدو من الصعب تحقيق أى إنعاش بواسطة سك عملة ، كما سبق وأن حدث فى السنوات الماضية عندما قام بتخفيض عملته ، كما أنه أقدم على بيع بعض من مدافعه البرونزية ، ولكن فى الواقع . إن تلك الإجراءات لم تفده فى ذلك الوقت ، مما جعله يقوم باستدعائنا نحن القناصل الأجانب إلى القلعة ، وذلك من أجل اتخاذ ما يلزم عمله فى سبيل ترويج عملته النقدية الهابطة الرديئة ، وعندما قابلناه أجبناه بصوت واحد بضرورة إنشاء مصرف بحيث يستطيع تغيير نفس عملته النقدية تلك التى أصدرهابسعر ثابت للعملة الأخرى الفضية الأجنبية ، وهذا يتطلب منه ترك

1- لمزيد من التفاصيل حول تلك الرسالة ، انظر رسالة الدكتوراة للمترجم .

2- بالإضافة إلى هذه الأنواع من العملة المذهبة ، توجد أخرى منها غير مذهبة لكنها مفضضة للاستعمال أيضًا لنفس الغرض . (المترجم) .

مهمة إنشاء المصرف المذكور للقناصل الأوروبيين المقيمين بطرابلس، حيث يسمح لهم بتولى الدخول فى عملية العطاء أوالمقاولة الخاصة بذلك المصرف وذلك من أجل إتمام ذلك المشروع الذى سيؤدى إلى تحسن أفضل ليس فيما يتعلق بتأسيس رصيد ثابت للعملة المحلية فحسب بل سيؤدى أيضًا فى نفس اللحظة إلى انعاش التجارة بصفة شاملة بتلك الايالة« وبالرغم من أن الباشا كان فى حاجة ماسة لتحسين بل لرفع مستوى المعيشة بين شعبه الذى كان يعيش فى حالة كرب بسبب الفقر والبؤس، إلا أن الباشا رفض المشروع ليس فيما يتعلق بسك العملة التى لم يكن فى استطاعته القيام بسكها خلال تلك الفترة فقط بل لأنه لم يعطى هذا المشروع أهمية كبرى. حيث أنه كان من ناحية أخرى فى حاجة ماسة إلى تدبير الحصول على وسائل أخرى لتحسين المعيشة بين أفراد شعبه ـ لأنه كان لا يريد أن تقوم ثورة فى المدينة مثل تلك التى حدثت فى الريف (المنشية) والتى لم تحدث بعد، هذه هى الحالة السائدة فى هذه الايالة كما نراها، أرجو من الله أن يجعل عاقبة الأمور خيراً».

ويمكن إدراك مدى قيمة العملة التى كانت قد سكت فى تلك الفترة من خلال الملاحظات التى وردت فى رسالة القنصل السابق. هذا وقد أشرت فى مقالتى السابقة عن مشهد معاقبة بائع الخضر بواسطة الباشا، ولذلك لأنه كان قد رفض قبول العملة التى أصدرها الباشا، ويكون من الممتع جداً إذا ما حاولنا التعرف على تلك الحادثة كاملة كما يرويهاسلوش Slusch الذى كان قد استخرج تلك الحادثة من مذكرات الحاخام إبراهام خلفون حيث يقول : «بعد الإلغاء النهائى للقرصنة البحرية (الجهاد البحرى) وجد يوسف باشا نفسه يعانى من نقص فى الموارد المالية، مما جعله يحاول الإسراع فى إيجاد

وسيلة تخلصه مما هو فيه بالرغم من إنها كانت باهظة جداً على السلاطين المغاربة كافة، حيث قام بسك عملة ذات نوعية رديئة تصدر بالسعر الثابت أو المحدد للعملة الفضية المعدنية، ومن ثم فإنه بمجرد صدور تلك العملة الجديدة لتصبح فى التداول، عمل على الإسراع بسحب العملة المتداولة وذلك من أجل إحلال عملة نقدية أخرى بدلها تكون ذات نوعية أكثر رداءة من السابقة من حيث نوعية المعدن المصنوعة منه وقد استمر الباشا فيها على هذا المنوال حتى أنه قد تم استبدال العملة فى الايالة خلال الفترة الممتدة من فبراير 1829 م (1244 هـ) إلى يونيو 1832 م (1248 هـ) حوالى أحد عشرة مرة. وقد كان من الطبيعى جداً. أن رفض جميع رعايا الدول الأجنبية قبول عملة الباشا المغشوشة وفقًا للسعر الرسمى المحدد لذلك. أما رعايا الباشا من المواطنين فقد كانوا مجبرين على قبول تلك العملة بالسعر الذى كان يحدده الباشا بنفسه، خوفًا من عقوبة الموت التى يتعرض لها كل من يرفض التعامل بتلك العملة.

وهناك ملاحظات أخرى فى الواقع تتعلق بالعملة الفضية ألا أن قلة النماذج التى لدينا لا تتيح لنا إعطاء شروح مفصلة ودقيقة بشكل مضمون عنها. وبصفة خاصة عن العملة التى تم تذهيبها ظاهريًا وفقًا لرغبة النساء المحليات اللاتى كن يستعملن تلك العملة على شكل عقود يضعنها فى رقابهن للزينة [1]

1- هى قيام الدولة بزيادة كمية معدن النحاس تدريجيًا فى العملة الفضية فى البداية، ثم القيام بسحبها بعد ذلك وطرح عملة أخرى بدلاً منها تكون فيها كمية معدن النحاس أكثر من السابق، وهكذا بالتدريج (المترجم).

كمايوجد هناك أيضًا عملة أخرى مطلية بالذهب مشابهة لتلك العملة الذهبية التى كانت قد صدرت فى القسطنطينية خلال تلك الفترة الزمنية خاصة من حيث الحجم والكتابة المستديرة التى لم تستخدم فى العملة الفضية مطلقًا، مما يؤدى إلى التأكيد على أن الدولة قامت بتزوير العملة أو بمعنى آخر غش العملة [1] خاصة وأن تلك العملة قد تم سكها فى عام 1243 هـ (الموافق 1827 م) خلال تصاعد ازدياد الأزمة الاقتصادية التى اجتاحت ايالة طرابلس حتى وصلت إلى درجة خطيرة، مما جعل القنصل السردينى يورد فى رسالته المؤرخة فى 30 يوليو 1826 م. الخاصة بغش العملة إلى حكومته الحاح الباشا فى الحصول على قرض مالى من مملكة سردينا. مما جعل أنواع العملة الذهبية التى صدرت خلال العهد القره مانلى [2] تعتبر قليلة جدًا، بالإضافة إلى أنه قد تم تصديرها خلال تصاعد الأزمة الاقتصادية فى البلاد التى سبق وأن أشرت إليها وذلك من أجل استثمارها للتعويض عن المواد الأولية التى كانت تستخدم فى تصنيع بعض أنواع حلى الزينة الخاصة بالنساء المحليات.

1- العملة الذهبية التى صدرت فى العهد القره مانلى هى : أولا : الشريفى = 48 خمسينًا. نصف شريف = 24 خمسينًا. ثانيًا : المحبوب الطرابلسى = 28 خمسينًا. أما العملة الفضية فهى كثيرة منها البوزيح، الخمسيني، توزاكات الخمسيني، نصف البارة، البيناسك، أما العملة النحاسية فهى العادلية والاسيلح (نحاس مفضض) فيوجد أبو ستمائة والفلس والقرش- راجع بهذا الخصوص ملاحظة رقم (1) الواردة فى صفحة 245 من كتاب انهيار حكم الأسرة القره مانلية فى ليبيا لمؤلفه عمر بن إسماعيل. منشورات مكتبة الفرجانى 1966 م (المترجم).

2- حيث كان يتراوح حجم قطرها من 13 ملم إلى 40 ملم.

وقد بقيت العملة المفضضة (22 قيراط) محددة السعر مضمونة حتى عام 1218 هـ حيث تم سك عملة ذهبية هى ا لمحبوب بواسطة على القره مانلى باسم السلطان عبد الحميد الأول عام 1187 هـ (1773 م)، وكذلك سك نسخة مكررة من نفس المحبوب باسم السلطان سليم الثالث (كتب على الوجه الأول منه تاريخ 1203 هـ) الذى يمثل صعود السلطان سليم الثالث على العرش، أما الجهة الأخرى فقد كتب عليها مدة حكم نفس السلطان التى استمرت لمدة 15 عامًا تقريبًا . هناك نوع آخر من المحبوب يعتبر أقل حجمًا من المحبوب السابق ويعود إصداره إلى عام 1213 هـ. ويبدو أنه قد تم سك هذه الأنواع من المحابيب المذكورة بواسطة الباشا يوسف القره مانلى بنفسه فى وقت متأخر جدًا، وذلك بدل من العملة المفضضة التى كان سعرها قد تعرض للهبوط حتى وصلت إلى حوالى ثمانيةقراريط تقريبًا وقد كان النموذج الأخير من المحابيب التى سكت فى عهد يوسف باشا يحمل على الوجه الأول تاريخ صعود السلطان محمود الثانى على العرش (1223 هـ)، أما الوجه الآخر للعملة فيشير إلى مدة حكمه والتى استمرت حوالى 31 عامًا أما سك العملة فقد تم 1236 هـ ـ 1820 م أى عندما بدأت الظروف الاقتصادية السيئة تعكس آثارها على سك العملة فى أيالة طرابلس. أما العملة النحاسية فى عهد يوسف باشا فقد كانت كثيرة ومتعددة الأشكال حيث كانت تشمل عددًا كبيرًا من الأنواع المختلفة من حيث الوزن والحجم والتصوير. لهذا يمكن القول أن المدة الزمنية التى تفصل بين سك عملة وأخرى تتراوح بين سنتين أو ثلاث سنوات فى الفترة الأخيرة من الحكم القره مانلى، وأحيانًا

سنويًا وأكثر من مرة فى السنة الواحدة، إن هذا البعد الزمنى قد أدى فى الواقع إلى تغيير شكل العملة النحاسية خاصة، وهذا ما يجعلنى أؤجل الدخول فى هذا الموضوع إلى فرصة أخرى حتى تتوفر لدى بيانات دقيقة حول قيمةوتسميةأشكال العملة النحاسية كافة .

الساعات الأخيرة
من حياة عمر المختار

بعد حوالى نصف قرن مضى على إعدام الثائر الليبى عمر المختار بواسطة رودلفو غراتسياني، تحدث ليفى Livio Dall' Aglio سجان عمر المختار عن الساعات الأخيرة التى قضاها عمر المختار فى معتقله بسوسة [1] :

أشار كاتب المقال فى فقرات عنوان المقالة إلى عمر المختار باعتباره غاريبالدى ليبيا، وذلك بمناسبة توزيع فيلم عمر المختار أسد الصحراء على دور العرض العالمية بعد أن فرغ من إخراجه مصطفى العقاد السورى الجنسية والذى كان قد قام بإخراج فيلم الرسالة من قبل، وقد بلغت تكاليف الفيلم الأخير حوالى 50 مليون دولار أمريكي، وقد تم الاعتماد فى سيناريو شريط عمر المختار على الوقائع التاريخية، ولكن برغم ذلك فقد تجاوز المخرج بعضاً من تلك الوقائع. وقد صرح مصطفى العقاد فى مقابلة صحفية له مع مجلة «الدستور اللندنية Aldoustour بقوله : أن قيامى بإخراج فيلم عمر

1- عنوان المقالة كما نشرت باللغة الإيطالية :

Paolo A. Paganini : Le Ultime Ore del Garibaldi Della Libia . Storia Illustrata , N. 272. Luglio 1980. pp. 46-54 .

المختار فى ليبيا، جعلنى أكتشف ولأول مرة مدى فظاعة جرائم الفاشيست الطليان فى ليبيا، حيث قام الجنرال زودلفو غراتسيانى أثناء محاولاته اليائسة تنفيذ خطته فى ترسيخ الاستيطان الاستعمارى فى ليبيا نقل 200,000 نسمة من المواطنين الأبرياء طوال ثلاث سنوات فقط قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله ثم يستمر الكاتب فى توجيه بعض الانتقادات إلى الشريط منها استخدام نوع من السيارات الحربية أثناء محاصرة عمر المختار لاعتقاله كانت لم تستخدم بعد بواسطة القوات الإيطالية فى أفريقيا، ثم يشير إلى أن الجلاد الذى وضع حبل المشنقة فى رقبة عمر المختار لم يكن من بين أحد الفاشيست الإيطاليين، بل كان زنجيا سودانيًا من أهالى البلاد يدعى محمود[1] وذلك وفقًا لما ذكره سجان الشهيد فى اعترافاته لكاتب المقال. ولكن الذى يعنينا فى هذا المقال ليس من وضع حبل المشنقة حول رقبة الشهيد، فهو واحد، فسواء كان الجلاد الحقير هو محمود السودانى السكير أو غيره من المتعاونين مع رودلفو غرسيانى سفاح ليبيا، فالذى يهمنا هنا أنه ساعد على توضيح بعض الجوانب الخفية فى تاريخ بلادنا حيث أشار باولو باقانينى إليها خلال حواره مع Livio سجان الشهيد عندما تم اعتقاله فى سوسة. وقد قام الكاتب بتقسيم مقاله إلى فقرات صغيرة لكى يمكن إدراك تلميحاته إلى بعض النقاط التى يوردها على لسان السجان الذى قام بحراسة عمر المختار طيلة بقائه لبضع ساعات فى سوسة، كما نجد إن إحدى الفقرات بالمقال تعطى نبذة مختصرة عن الشهيد عمر المختار حيث يورد أنه

1- كان يعرف بلقب اللونقو (الطويل) وهو زنجى سكير مات أخيرًا بضاحية البركة فى مدينة بنغازي. كما يروى أحد شهود العيان الذين عاصروه وعرفوه. (المترجم).

قد ولد بالبطنان عام 1862 م، ثم التحق فيما بعد بمدرسة الجغبوب القرآنية حيث قضى بها 8 سنوات استطاع بلباقته ومهارته اكتساب ثقة معلميه مما ساعد على انتقاله إلى الكفرة ثم اسند إليه منصب شيخ زاوية القصور عندما بلغ من العمر 40 عامًا. وقد تزوج عمرالمختار من ثلاثة زوجات فى حياته [1] كانت الزوجة الأولى من أقاربه المنفه توفيت بعد سنوات قليلة من اقترانه بها، أما الثانية فقد كانت ابنة أحد أعيان البلاد، والزوجة الأخيرة فقد كانت ابنة أحد المجاهدين توفيت خلال معركة [2] وقعت ما بين المجاهدين بقيادة عمر المختار والقوات الإيطالية عام 1927 م .

وبعد احتلال بنغازى أصبح عمرالمختار من أنشط المبشرين بالحرب المقدسة (الجهاد) ضد القوات الإيطالية، حيث كان يقوم بتحريض القبائل العربية وتدريب رجالها على السلاح، بالإضافة إلى أنه كان قد رفض عقد أية اتفاقيات من شأنها الخضوع للحكومة الإيطالية، حيث نجد غراتسيانى يورد ذلك فى مذكراته بقوله « لقد كان عمر المختار يقوم بتحريض سكان الجبل بالتحرش ضدنا بل ومهاجمة الحاميات العسكرية الإيطالية وقطع جميع الطرق فى وجه قوافل التموين التى كانت تزود مراكز الحاميات العسكرية[3]»

1- أشار إبراهيم بن عامر مترجم كتاب (برقة الهادئة) لمؤلفه غراتسيانى فى أحد هوامش الكتاب إلى أن الشهيد عمر المختار كان قد تزوج من 6 نساء، للمزيد انظر هوامش الكتاب المذكور ص ص 269 - 270. وكذلك كتاب (عمر المختار) لمؤلفة محمد الطيب الأشهب، ط ١، ص ص 31 - 32 .

2- هى ابنة الشهيد محمد أبو نجوى المسمارى التى استشهدت فى معركة ميراد مسعود عام 1927م، أما والدها الشهيد محمد أبو نجوى فقد استشهد فى معركة يوم الرحلان أو عقيرة أم الشفاتير عام 1926 م. (المترجم) .

3- نشرت مذكرات رودولفو غراتسيانى فى كتابه الأول الذى كان بعنوان (برقة المهدأة) =

كما حاول عمر المختار فى يونيو عام 1922 م تكوين تحالف إسلامى مع الزعماء الوطنيين بإقليم طرابلس من أجل محاربة القوات الإيطالية .

ويمتاز عمرالمختار بذكاء متوقد حاضر البديهية، كما أنه مثقف واسع الإطلاع خاصة فى الأمور الدينية ويرجع ذلك إلى تعليمه الديني، وكان تقيًا ورعًا عاش فقيرًا طيلة أيام حياته، فى التخطيط والتنظيم للهجمات الشرسة التى كان يقودها ضد جنود الحاميات العسكرية الإيطالية . فقد كان دائما يحرص على قيادة المجاهدين بنفسه وأحيانًا يكتفى بإدارة المعارك من بعيد . وبأتباعه أسلوب قيادة المعارك بنفسه كان يزيد من جذوة ارتفاع الروح المعنوية القتالية بين أتباعه ضد الإيطاليين، وعندما ترك إدريس السنوسى البلاد إلى مصر مع أتباعه، أصبح عمر المختار القائد الوحيد فى البلاد، حيث كان يقوم بجمع المال وقيادة حرب التحرير، وقد كان بالإضافة إلى ذلك يجمع الإتاوات السنوية التى كانت تدفعها القبائل البرقاوية لصالح حركة الجهاد، وبإصرار عمر المختار على خوض الحرب المقدسة ضد القوات الإيطالية بالرغم من قلة المؤن والعتاد بالإضافة إلى هروب الكثير من الشخصيات المرموقة إلى مصر وغيرها من البلاد المجاورة [1] استطاع عمر المختار قيادة المجاهدين لمدة 15 عامًا دوخ فيهاا لقوات الإيطالية التى كانت تعتبر من القوات المجهزة بأحدث الآليات العسكرية الراقية فى ذلك الوقت،

=CIRENAICA PACIFICATA والثانى بعنوان (السلام الرومانى فى ليبيا)PACE ROMANA IN LIBYA .

1- الحرير، إدريس : مواقف خالدة لعمر المختار . مقال فى كتاب (عمر المختار نشأته وجهاده من 1863-1931 م) إشراف عقيل البربار . طرابلس، 1981 م ص 69 . (المترجم) .

حيث جعل قادتها العسكر يشعرون بالخيبة والفشل بعد كل معركة يخوضها ضدهم. وقد تم القبض على عمر المختار يوم 1931.9.11 م وفى يوم 1931.9.16 م بسلوق جرى حكم الإعدام الصادر ضده شنقًا حتى الموت. وقد اعتبر المختار أحد شهداء الحرية ذلك لأنه استطاع أن يقدم أسلوبًا جادًا ليس فقط لليبيين بل إلى جميع المضطهدين فى العالم الذين كانوا يقاومون شتى أنواع الاستعمار من أجل نيل الحرية لشعوبهم المقهورة. إن إعدام البطل عمر المختار بحضور الجنرال غراتسيانى نفسه الذى حرص على إعطاء إشارة البدء فى تنفيذ الحكم إلى الجلاد الطويل القامة والضخم الجثة الزنجى الذى كان يقف وراء عمر المختار فوق منصة المشنقة، لم يوقف حركة الجهاد الليبى التى استمرت ضد القوات الإيطالية كما توقع عمر المختار أثناء مقابلة غراتسيانى له فى مدينة بنغازى .

وقدا أشار رودلفو غراتسيانى إلى أحداث الحرب الليبية كافة خاصة فيما يتعلق بوصف مراحل اعتقال عمر المختار إلى أن تم تنفيذ حكم الإعدام فيه، وذلك فى كتابه الأول بعنوان « برقة المهدأة » [1] أما الثانى فقد كان بعنوان « السلام الرومانى فى ليبيا » والذى كان قد كتبه المؤلف على نسج عنوان الكتاب الأول تقريبًا ويورد الكتابان المذكوران بالتفصيل بيانات جغرافية للمناطق البرقاوية بالإضافة إلى حصر لأسماء الشخصيات التى لهاعلاقة بأحداث الحرب الليبية الإيطالية، ولكن بالرغم من ذلك فإن غراتسانى قد حاول الإشارة بإيجاز إلى عملية نقل عمر المختار إلى سوسة بعد

1- غراتسياني، رودولفو : برقة الهادئة. ترجمة إبراهيم بن عامر، دارالأندلس، بنغازي، 1974 م، ص ص 282 - 283 .

اعتقاله فى سلنطة مباشرة، ولعل ذلك الإيجاز من غراتسيانى يخفى المعاملة القاسية التى لقيها البطل عمر المختار فى اللحظات الأولى من أسره فى سوسة قبل إن يتم اقتياده إلى بنغازي. تلك اللحظات كان يجب على غراتسيانى الإشارة إليها بالرغم من أنها تفضح المعاملة السيئة التى وجدها عمر فليس هناك أهم شيء لدى المؤرخ سوى محاولته معرفة تلك اللحظات فى حياة عمر المختار وذلك من خلال الاعتماد على الفضول التاريخى لكى يصل إلى ردود الفعل التى كانت قد لازمت عمرالمختار أثناء القبض عليه والذى كان يعتبر شخصية مهمة لما يتمتع به من وجاهة واستقامة بين مواطنيه، فقد كان عمر المختار يعتبر العقل المدبر للمجاهدين فى برقة، فقد استطاع القيام بحشد وتدريب بالإضافة إلى تنظيم وقيادة المجاهدين بكل مهارة ورباطة جأش وعزيمة قوية لم تعرف الاستسلام فى مقاومة القوات الإيطالية الفاشستية المجهزة بمختلف الأسلحة المتطورة وذلك طيلة سنوات الجهاد التى خاضها ضد قوات العزو الإيطالي. وقد أورد غراتسيانى فى كتابه الأول[1] من دون التوسع فى الشرح اللحظات الأولى لاعتقال عمر المختار ونقله إلى سوسة حيث أمضى بضع ساعات هناك ثم انتقل إلى بنغازي، حيث أشار فى بعض فصول كتابه قائلاً « لقد اتسم عمر المختار بالهدوء والصبر أثناء الاتصالات الأولية التى قام بها بعض المسؤولين الإيطاليين معه، حيث أجاب بهدوء على جميع الاسئلة الموجهة إليه بنبرات تحد وتمرد »، وقد وصل عمر المختار إلى بنغازى يوم 12 . 9 . 1931 م عند تمام الساعة الخامسة مساء على ظهر الطراد اورسيني، حيث كان يرافقه متصرف الجبل والقائم مقام كاستريوتا.

1- يقصد كتابه CIRENAICA PACIFICATA .

ومن خلال قراءة بعض فقرات من كتاب غراتسيانى « برقة المهدأة » فى طبعته الأولى يظهر جليًا للقارئ إن غراتسيانى طمس بعض المعلومات التاريخية المهمة، حيث نجد المؤلف قد أشار إلى اعتقال عمر المختار بسرعة وبإيجاز لدرجة أنه اكتفى بعدم الإشارة إلى أسماء بعض الشخصيات التى حضرت بسرعة إلى مكان اعتقال المختار للتعرف عليه، بالرغم من أنه أشار إلى رتب تلك الشخصيات والوظائف التى كانت تشغلها بالرغم من أنه كان من المعروف عن غراتسيانى اهتماماته الدقيقة بالشخصيات الواردة خلال الوقائع التاريخية وذلك من حيث عنايته بذكر شتى التفاصيل الخاصة بتلك الشخصيات سواء كانت الأسماء والألقاب التى كانت تعرف بها بالإضافة إلى ذكر الوظائف التى كانت تشغلها. إن غراتسيانى قد أشار بغموض إلى شخصية متصرف الجبل الذى كان قد رافق عمر المختار إلى بنغازي. فلماذا لم يورد غراتسانى فى الطبعة الأولى لكتابه المذكور اسم المتصرف الغامض؟. بينما حاول بواسطة جبرية حتمية تاريخية إن يورد اسم داودياتشى لأقدميته فى رتبة جنرال باعتباره متصرف الجبل الأخضر فى جميع الطبعات التالية للكتاب، بينما حاول التستر على القاتل الحقيقى أغسطس ملاكريا Augusto Malacria والذى كان متصرف الجبل الفعلى أثناء قضية اعتقال عمر المختار، فماذا كان وراء قصد غراتسيانى عندما اغفل ذكر اسم متصرف الجبل ؟

ولإزالة هذا الغموض نقول أن متصرف الجبل هو المدعو أغسطس مالاكريا الذى كان أحد المتورطين عام 1924 م فى حادثة مقتل ماتيوتى Matteotti زعيم الاشتراكيين الطليان مماجعل موسلينى يقر به إليه حيث أسند

إليه منصب متصرف الجبل فى ليبيا. هذا وقد تم نشر كتابى رودلفو غراتسيانى وهما : « برقة المهدأة » و « السلام الرومانى فى ليبيا » بكل حرص وحكمة فقد كان نشر الكتابان المذكورين يهدف إلى غاية ما، لذلك كان على المؤلف غراتسيانى التحليق بعيداً عن بعض الوقائع التاريخية وذلك بحرصه على عدم ذكر اسم المجرم القاتل أغسطس مالاكريا خاصة فيما يتعلق بمناسبة إلقاء القبض على الشيخ عمر المختار، فقد حاول المؤلف إعادة إيراد الوقائع التاريخية لتلك الواقعة بصخب رنان بدلاً من ذكر الحقيقة بالتفصيل.

وإذا ما عدنا إلى الواقع نجد أن اعتقال عمر المختار قد تم بعد مناوشة بالذخيرة الحية حدثت ما بين المجاهدين بقيادة عمر المختار نفسه وسرية الصوارى للفرسان التى كان أغلبية جنودها من الليبيين، حيث أصيب حصان عمر المختار بطلقة نارية فوقع على الأرض وعلى ظهره عمر المختار الذى أصيب بجرح بسيط، مما أدى إلى محاصرته بجميع جنود السرية بعد أن تعذر على أتباعه مساعدته على النهوض، مما جعله يحاول الاختباء تحت إحدى الشجيرات حيث لم يبق طويلاً حتى تعرف عليه أحد الليبيين الذين كان من بين جنود سرية الصوارى الإيطالية، حيث أخذ يصيح بأعلى صوته منادياً بقية الجنود قائلا « عمر، عمر المختار أسرعوا » مما جعل ضابط السرية يصدر أوامره لجميع الجنود بمحاصرة الجريح من أجل اتخاذ الاستعدادات السريعة لنقل عمر المختار إلى مقر القوات الإيطالية فى سوسة.

وقد صادف أن كان غراتسيانى فى روما يستعد لأخذ القطار إلى باريس لزيارة معرض المستعمرات، وعندما علم باعتقال عمر المختار سافر بالطائرة

رأسا إلى طرابلس فى الساعة الواحدة صباحًا، ومن طرابلس سافر على متن طائرة عند الساعة 14 بعد الظهر إلى بنغازى وذلك لمشاهدة عمر المختار الذى كان مكبلاً بالسلاسل يرقد فى السجن تحت حراسة مشددة .

وقد كان لانتشار نبأ اعتقال عمر المختار صدى عميقًا بين فرق القوات العسكرية الإيطالية والمواطنين فى البلاد، وقد وجد غراتسيانى أن تلك فرصة ثمينة لا يجب التفريط فيها، فقام باستغلالها إعلاميًا من أجل تدمير أسطورة البطل عمر المختار، كذلك من أجل إخماد استمرارية المقاومة نفسيًا (سيكولوجيًا) لدى المجاهدين الليبيين[1] وكذلك فى نفوس بقية المواطنين العرب حيث أخذ يلوح بالدرس القاسى الذى لحق بعمرالمختار على حد قوله بسبب عناده وعدم استسلامه لسلطة الحكومة الإيطالية .

وقد تحدد مصير عمر المختار يوم 1931/9/15 م فى صالون بلاس ليتوريا بمدينة بنغازي، حيث تم إجراء محاكمة صورية له تم فيها الحكم عليه بالإعدام شنقًا حتى الموت وفى صباح يوم 1931/9/16 م كما يورد غراتسيانى فى كتابه « برقة المهدأة » بقوله « عند الساعة التاسعة صباحًا بالضبط من يوم 1931/9/16 م وبحضور جميع أعيان القبائل البرقاوية فى المعسكرات القريبة من بنغازى تم تنفيذ حكم الإعدام شنقًا فى عمر المختار زعيم الثوار المتمردين»، ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[2] هذا ما ردده عمر المختار عندما

1-لقد استمرت المقاومة الليبية بعد القبض على عمر المختار لمدة تزيد عن أربعة أشهر . حيث استشهد يوسف أبو رحيل نائب عمر المختار فى 1931/12/22 م فى معركة شرق طبرق «المترجم » .

2- هذه الآية الكريمة هى التى رددها الشهيد عمر المختار فوق منصة المشنقة كماسمعها شهود العيان العرب « المترجم ».

وقف على منصة المشنقة، ولكن نجد أنه فى الحقيقة وقبل تنفيذ حكم الإعدام فيه قد قال بازدراء ومن دون مبالاة للجنود الطليان المحيطين به «هكذا أنتم أيها التعساء، ليس لديكم على الأقل رصاصتين تقتلونى بهما» هذا هو نص العبارة التى رواها ليفى Livio [1] الذى كان يعتبر شاهد عيان الحرب الليبية والذى تم بواسطته كشف غموض شخصية متصرف الجبل أغسطس مالاكريا، كما أنه ساعد برواياته أن يسد ثغرة الساعات الأخيرة من حياة عمر المختار التى قضاها فى المعتقل بسوسة تحت الحراسة المشددة .

ولقد كان من أهم واجبات متصرف الجبل مالاكريا المكلف بها هى إخضاع سكان منطقة الجبل بالقوة، لذلك أصبح من واجبات فرقة الصوارى

1- بعد أن تخرج ليفى Livio dall' Aghlio من مدرسة الفرسان توردى كوينتو وقع عليه الاختيار للقيام بالخدمة العسكرية الإلزامية. حيث تم توقيعه على الخدمة لمدة ثلاث سنوات وذلك فى عام 1926 م حيث التحق كمتطوع للخدمة العسكرية فى ليبيا ضمن كتيبة الفرسان العربية الصواري، وفى عام 1928 م كان قد تم تعيينه قائداً للسرية العربية غير النظامية والتى كانت سوسة تعتبر مركز قيادتها، حيث كانت تلك السرية تعتبر تحت صلاحيات (سياسيًا) أو مسئوليات أغسطس مالا كريا وأثناء بقاء ليفى فى سوسة تزوج من فتاة عربية تدعى (سدينة) تبلغ من العمر 14 عامًا. وقد كان ليفى يعتبر من رجال القناصة الماهرين، حيث كان يستطيع إصابة سيجارة من على بعد بضعة أمتار بطلقة واحدة. كما أنه كان يستطيع إصابة غزال مسرع بكل دقة. وقد عرف فيما بعد بلقب (لورانس ليبيا).

وعندما رجع إلى إيطاليا عام 1932 م تحصل على وسام الطيران من أكاديمية الطيران فى كاسيرتا، كما أنه اشتغل بعد ذلك كمراسل صحفى متجول صحيفة Fox. Movetione News فى الشرق بالإضافة إلى أنه كان يعتبر مبعوثًا خاصًا للمعهد الوطنى لوتشي، ثم أصبح فيما بعد مديرًا لبعض الفرق العسكرية، ويعتبر ليفى شاهد عيان لمقتل بالبو وهو لا زال على قيدالحياة حيث يبلغ من العمر 78 عام ويتقاضى معاشًا تقاعدى وليس لديه هم سوى كتابة مذكراته فى الوقت الحالى .

غير النظامية والتى كانت تتكون من أهالى البلاد والتى كانت تعتبر رهن إشارة متصرف الجبل حماية القبائل فى تلك المناطق من غارات رفاق عمر المختار الذين كانوا يقومون بتلك الغارات المتكررة على نجوع القبائل من أجل الحصول على الماشية والتموين اللازم بعد قيام غراتسيانى بإغلاق الحدود الليبية المصرية بالأسلاك الشائكة لمسافة 270 كم، من أجل منع وصول التموين للمجاهدين والذين كان يصلهم عن طريق الحدود المصرية وعندما تم إلقاء القبض على عمرالمختار سارع متصرف الجبل للتعرف على هوية الأسير، لذلك فعندما فرغ من التأكد من شخصية عمر المختار قام بإيداعه لدى السجان ليفى Livio مساء يوم 1931/9/11 م فى سوسة أشار إليه محذراً وهو يرفع سبابته فى وجهه نحو عمر المختار قائلا : « هل ترى هذا المتمرد، أحرص لا تدعه يهرب منك، لأنى سوف أقتله » وقد حاول المجاهدون من أتباع عمر المختار الإفراج عن زعيمهم بعد ما علموا بوقوعه فى الأسر بواسطة القوات الإيطالية، وذلك بعد انتظار له لم يدم طويلاً. ويصف شاهد العيان ليفي، عمر المختار قائلا : « كان شيخًا متوسط الطول عنيدًا، عيناه تشعان ببريق الدهاء والحيلة، ويبدو منظره كطائر جارح بسبب التقوس الذى يبدو فى ظهره، بالإضافة إلى عمق التقاطيع التى تمتد من أعلى جبهته لتستمر فوق حاجبيه ثم تنحدر إلى أسفل حيث تتقاطع عند فمه ثم تتوارى عند ذقنه تحت لحيته البيضاد القصيرة أما لون بشرته فإنه كان يميل إلى اللون الأسمر. ويستطيع المرء أن يدرك مدى ما يتميز به عمر المختار من سمو وطموح بالإضافة إلى عزة النفس عن قرب، حيث أن تلك الصفات جميعًا لا تنفى مدى ما يتصف به من نبل ووجاهة ». وقد نظر عمر المختار إلى سجانه

قائلا: هل تعرفنى ؟ فأجاب ليفى بقوله : « كلا لم أعرفك أبدًا » ولكن عمر المختار بادره بهدوء « أنى قد رأيتك عدة مرات، فأنت معروف بين الأهالى بارتدائك الزى الوطنى العربي، كما أنك تعتبر أشهر وأسرع قناص فى إطلاق النار، أنا أعرف ذلك فالحرب هى التى جعلت منا أعداء. أن رجالى يعرفونك جيدًا حيث يلقبونك باسم «الشيطان » فأنت الذى كنت تحرس بنات القبيلة عندما كن يقمن بزيارة سيد ى عبد الواحد، أتذكر رجالى عندما قاموا بمهاجمتك عند وادى الكوف، لقد نجوت بأعجوبة من وابل الرصاص عندما اضطررت إلى تغيير الحصان الذى كنت تمتطيه والذى كان قد أصيب بطلقات الرصاص لثالث مرة. فلنقل لأن الله قد نجاك، بعد توقف إطلاق النار، هذا كل ما حدث وأنا الأن اعتبر نفسى سجينك » وعندما توقف عمر المختار عن الكلام، بادره ليفى بقوله « سوف أعقد معك معاهدة سلام إلى غد، فأنت لست سجينى فقط بل ضيفى فى اليوم الأول، حيث يعتبر الضيف عندكم فى ذلك اليوم ابن الله، » ثم يستمر ليفى فى روايته أن عمر المختار قد التفت إليه مجيبًا إياه بقوله « السلام عليك » حيث رد عليه ليفى وهو يتركه لوحده قائلا « وعليك السلام إلى غد » .

ويستمر السجان فى روايته لكاتب المقالة السنيور باولو باقانينى بقوله: « وعندما تركت عمر المختار لوحده، ذهبت لإعداد الطعام له، والذى كان يتكون من طهى دجاجة له، وعندما قدمت له الطعام، اعتدل عمرالمختار فى جلسته ولم تمر إلا ثوانى وقد التهم الدجاجة حيث لم يترك منها إلا العظام بعد أن خرطها من اللحم بواسطة أسنانه الناصعة البياض، وعندما شعر بنظراتى تتجه إليه التفت إلى قائلاً « إن اللحم يعتبر غذاء رئيسيًا

لى لانه يمنحنى القوة » وبعد أن فرغ من التهام الطعام جلس وأخذ ينظر إلىّ بينما بادرته قائلاً « أريد أن اسألك الآن » وبعد أن رد بالإيجاب وهو يعتدل فى جلسته قلت له متسائلاً : كيف استطعت أنت ورفاقك البقاء على قيد الحياة طويلاً دون حماية وتموينات ؟ أجابنى وهو يهز رأسه قائلاً : « نحن البدو مثل عصافير السماء التى تجد ما تأكله فى المكان الذى يخيل إليك أنه يخلو من الطعام »

وبعد أن تركت عمر يسرح فى خياله، نهض من مكانه وهو يزمجر غضبًا كالأسد متأثرًا بما حصل له : بينما أخذ يتفوه ببعض العبارات يرددها قائلا : الكلب. . الكلب، حتى عمر غدر به، حتى عمر كان له يهوذا وعندما هدأ غضبه اقتربت منه حيث جلس وأخذ يروى كيف وقع من على حصانه الذى أصيب بجراح، ثم كيف حاول الاختباء تحت الشجيرات القريبة منه، ولكن أحد فرسان الصوارى والذى كان من العرب استطاع اكتشاف عمر المختار وهو مختبىء تحت الشجيرة. (يصمت عمر قليلاً، ثم يضيف بحدة وغضب : « إن العربى الذى اكتشفنى تحت الشجيرة يعتبر أخي، لم يسكت بل بدأ يصرخ عندما عرفنى بأعلى صوته باسمى كاملاً، وهو يردد عمر، عمر المختار، فلو أن ذلك الكلب الخائن لم يتفوه بكلمة واحدة عنى لربما تم نقلى مع بقية الأسرى كشخص عادي، فلا أحد يعلم فيما بعد فربما أستطيع الهرب بمساعدة أحد رفاقى » .

وطوال تلك الليلة التى قضاها عمر فى سوسة، والتى لم يعرف أبدًا بأنه سوف ينقل بواسطة البحر إلى بنغازى صباحًا أخذ يروى شتى القصص[1]

1- وهى روايات تطور مراحل الجهاد والمعارك التى خاضها عمر المختار ضدا لإيطاليين .

على مسامعي، بينما كان بين الحين والآخر يتململ وهو يتأوه قائلا : مكتوب، مكتوب فالذى قد سطر فلا مفر منه، فحياة الإنسان كالسبحة تتساقط حباتها متتالية مثل توارد الأفكارعلى الإنسان نفسه، فمرة يشعر بالسعادة وأخرى بالحزن، وهكذا إلى النهاية فمرة حظ سعيد وأخرى حظ سيىء تعس، فالمكتوب هو المكتوب لن يتغير أبدًا » وبعد أن توقف عن الكلام حدجنى بنظرة وهو يقول : « أنت شاب محارب مخلص، فأنا مسرور جدًا لأكون سجينك، هذا بالإضافة إلى أنك متزوج من فتاة مسلمة عربية من قومنا، ولكن المسلمة لا تتزوج من مسيحى » فقاطعته قائلا : « إن الفتاة العربية التى من قومك قد تزوجت من رجل طيب وأمين ثم بسطت له يدى مصافحًا » .

ثم يستمر ليفى سجان الشهيد فى سرد حكاياته عن الساعات الأخيرة فى حياة البطل عمر المختار حيث يصف شخصية البطل المسلم المؤمن بالقضاءوالقدر بقوله : « وفى الحقيقة كان عمر رجلاً يصلى لله من انبلاج الصبح إلى غروب الشمس مع نهاية كل يوم، رجلاً يصلى لله ليلاً بدلاً من أن يتمشى، رجل يصلى لله من أجل أسرته وماشيته ثم الطريق الذى سوف يسلكه، رجلاً يصلى لله من أجل حماية حياة المسلمين جميعًا ومن أجل مواصلة الكفاح العادل المقدس الذى أمر به الله سبحانه وتعالى، الله أكبر، الله أكبر، ألقى عمر المختار نظرة إلى الخارج، إن بزوغ الصبح لقريب هكذا قال وهو يتململ فى مكانه ثم أضاف قائلا : « إن بزوغ النهار يكون طريًا منعشًا مثل صوت شابة تغنى على البئر، ثم يكون توالى النهار فيما بعد باعثًا على السأم والملل مثل سيرخطوات الجمل البطيئة، أو حارق مثل حدوة الحصان

الذى يركض مسرعًا وأخيرًا يأتى المساء وهو مثل لون الرماد، إن الحياة مثل تعاقب النهار، شعارها فعل وإرادة يكونان معًا شيئًا مهمًا فى حياة الإنسان، ثم يتدخل القدر فيما بعد ليدل على مصير حياة الإنسان.

إن حتيمة النهاية أو المكتوب « القدر » بالنسبة للإنسان تأتى تلقائيًا مثل نافورة مياه أو مسجد فى الصحراء عندما تصل إليهما تجد نفسك تعبان وبالتالى غير قادر على مواصلة السير، فتبقى تنتظر بجوارهما حلول المساء أو بمعنى أخر النهاية أو المصير، فأنت كما ترى أن حياتى قد رسمت مسيرتها منذ الولادة حتى النهاية. فحياتى ليست مثل حياة أولئك الشبان[1] تبدأ مع شهر رمضان ولكنها كانت قد بدأت قبل ذلك، فأنا ولدت لأقود الآخرين ولأفهم ما جاء به القرآن الكريم من معان، بينما البعض الآخر يكتفى بتعلم قراءته فقط ثم قام عمر بخلع جرده عن كتفه، وبينما انهمك ليفترشه فوق حصيرة الديس استعداداً للنوم خرجت أنا ـ ليفى ـ لأقوم بالدورية الليلية المعتادة ممتطيًا صهوة حصانى وذلك للتأكد من أن كل شىء يدور حول المعسكر على مايرام، وما أن رجعت إلى عمر بعد أن تأكدت من الهدوء الذى كان يحيط بالمعسكر، حيث وجدته مستغرقًا فى النوم، بينما لا زال رفاقه لم يعرفوا بعد المكان الذى نقل إليه، مما جعل ابن عمرالمختار الذى كان يعتقد أن المختار لم يقبض عليه بل تاه ولم يستطع الوصول إليهم بسبب الجروح التى أصيب بها يجرى مهرولاً فى الجبل مناديًا بيأس : يا باتي، ياباتي، بينما كانت أسرته تشعر بالقلق عليه لعدم عودته مع رفاقه كالعادة.

1- يقصد حياته الروحية. « المترجم ».

وفى الفجر عندما سمع عمر المؤذن ينادى المسلمين لأداء الصلاة بقوله « الله أكبر ، الله أكبر » قام عمر من نومه وتوجه نحو القبلة بمكة وأدى الصلاة كبقية المسلمين » وفى الحقيقة وجدت نفسى (ليفى) معجبًا بفلسفته فى الحياة ، فهو يشعر فى وجدانه بأنه محارب وقد هزم ولكنه مع ذلك لم يفقد الهدوء وعزة النفس والوقار الذى كانت تتميز به شخصيته » .

وعند تمام الساعة السادسة صباحًا قمت بمرافقته إلى الطراد الحربى اورسينى حيث تم التسليم والاستلام مع الجنود الذين اقتادوه إلى داخل الطراد بينما كان يلقى على تحية الوداع وعندما عدت إلى المعسكر ، كنت أفكر فى عمر المختار بينما كنت أهمس إلى نفسى فى هدوء لربما أراه وربما لن أراه أحقًا أن الموتى لا يرجعون » وما أن وصلت إلى المعسكر حتى قلت لنفسي ، يموت عمر ، لا مفر من ذلك . أما أن يقاسى إهانة الشنق كأى مجرم عادى أو أى شرير جاحد لله ، فهذا ما يعتبره المسلمون إهانة ، حيث يعتقدون أن حبل المشنقة عندما يلتف حول الرقبة لا يسمح بخروج الروح من الحلق[1] ، وهكذا كما يعتقدون أن روح عمر سوف لن تستطيع الرجوع إلى الخالق ! ! .

1- إن الروح لا يعلمها إلا الله كما هو معروف فى الدين الإسلامي ، أما عن حصول الإنسان على الشهادة فى سبيل الله فلا يمنعها حبل المشنقة أو الصلب أو الرمى بالرصاص متى كان الإنسان مظلومًا يجاهد فى سبيل وطنه ودينه . « المترجم » .

الفصل السادس

- العرب فى مالطة .
- تاريخ طرابلس الغرب لأيتورى روسى والدراسات الإيطالية حول ليبيا
- صفحات هامة فى تاريخ ليبيا .

العرب فى مالطة [1]

يعتبر العهد الإسلامى بمثابة الجسر Pons Asinorium للمؤرخين المالطيين فى تاريخ مالطة، حيث تكاد لا توجد فترة تاريخية مليئة بالأحداث، وبمشاعر الخوف والكراهية والتراكمات النفسية المكبوتة والظاهرة مثله. تلك الأحداث المختلطة التى كانت قد استطاعت فى الواقع التغلغل إلى عمق الشعور الوطني. مماجعل تلك الفترة التاريخية الهامة فى تاريخ مالطة لا تعد مرحلة تاريخية تبعث على الاحتقار والكراهية غالبًا، بقدر ما كانت باعثة للانشراح والبهجة فى نفوس الجميع .

موجز ببليوجرافى :

ذهب كل من ج. ف . ابيلا G.F Abela وغيره من المؤرخين المالطيين اللاحقين بعده حتى وقتنا الحاضر، إلى أنه لم تكن هناك أية علاقات ودية بين الحكام العرب المسلمين ورعاياهم المالطيين المسيحيين، سوى العلاقات

1- محاضرة بعنوان : العرب في مالطة : The Arabs In Malta ألقاها الدكتور جودفري وتنجر بالمركز الثقافي الليبي ـ فاليتا ـ يوم السبت 6 / 4 /1985 .

المليئة بالكراهية والحقد والخوف المتبادل بين الطرفين. ويبدو أن ذلك أدى إلى حدوث انعكاسات سلبية، كان من بينها التفسيرات التقليدية للمؤرخين المالطيين لدوامة الصراعات الصليبية والإسلامية ما بين فرسان مالطة والمسلمين، التى ظلت لمدة طويلة، والتى كانت قد بدأت مع بداية العصر الحديث. إن الحملات الصليبية للمسيحيين وحملات الجهاد للمسلمين، جعلت مالطة والمالطيين يعيشون في دوامة من الأحداث، مما أدى بالمؤرخين المالطيين إلى الوصول إلى تفسيرات سلبية، فيما يتعلق بالفترة التاريخية التى خضعت فيها مالطة للحكم العربي. وهكذا نجد المؤرخ ج. ف. أبيلا G.F.Abela يفضل ترجيح الروايات التى يوردها كل من توماس فازيللو Tommaso Fazello، وروكو بيرى Rocco Pirri، تلك الروايات أو الفرضيات التى تركزعلى المنجزات التى قام بها الكونت روجر Count Roger فى مالطة، حيث يعتبرها روايات غير مشكوك فيها. بينما يرى المؤرخ مالاتيرا Malaterras أن تلك الروايات تعد مصادر ثانوية وليست أولية، فهى فى نظره عبارة عن روايات أقل احتمالاً للحدوث. وهذا مما يدفع المرء للتساؤل عن الكيفية التى استطاع بها الكونت روجر التخلص من العرب الأذكياء بسهولة، وفى وقت مبكر من حكمه للجزيرة.

أما روايات سيباستيان بولس Sebatiano Palis، فإنها تقصر إنجازات الكونت روجر على إلزام المسلمين رعاياه فى مالطة بدفع الإتاوة. ذلك الافتراض الذى رفضه الكونت شانتير Count Cianter عام 1772 م جملة وتفصيلاً، ذلك لأنه يناقض ما يورده كل من فازيللو Fazelo وبيرى Pirri، بسبب ما يبدو واضحًا من خلال كتاباتهم من تلفيق (لربما يعود للمصادر

التى اعتمدوا عليها فى كتابة تلك الروايات الملفقة)، كما يبدو من تلك المغالطات المليئة بالأخطاء الفاحشة الناتجة عن الوثائق المزيفة التى قام بإعدادها جوسيبى فيلا G.Vella فى أواخر القرن الثامن عشر لغرض الاستهلاك المحلى كما يبدو .

أما روايات ميجى Miege فهى باطلة، وذلك لقبوله بعضًا من الافتراءات الشائعة التى كان قد قام بدسها فيلا Vella

أما وقد علق ج. فاساللو . G. Vassalo حول تلك المعلومات التى أوردها فيلا بأنها معلومات غير منطقية، وبالتالى فهى غير موثوق بها، ولكنه بالرغم من ذلك انتهى بقبول بعض من تلك المعلومات. أما أ. أ. كاروانا A.A. Caruana فيرى أن تلك الدراسة كانت ستكون ذات أهمية علمية، ولكنها فسدت بواسطة الآراء الذاتية الخاصة للراهب فيلا، خاصة وأنه لم يكن قادراً على تصور كافة البيانات والمعلومات الواردة فى تفصيلات وثائقه، التى يبدو أنه قام بتدوينها ونسخها معًا من أجل استنتاجها .

وفى بداية القرن العشرين استطاع المستشرق الإيطالى ايتورى روسى E. Rossi أن يقدم حجة قوية ـ باعتباره مؤرخًا ـ حول الحكم العربى والنورمانى فى الجزيرة. كما قام مؤخراً أ. ت. ليوتيريللى A.T. Luttrelle بفحص كافة الروايات الملفقة الشائعة، وذلك من أجل الوصول إلى التلفيق والتزوير والوارد فى مصادر الروايات التقليدية، التى تعد مصادر للتاريخ المالطي. إن هذا التفكير المتطرف الهزيل الوارد فى الروايات التقليدية

الشائعة الاستخدام بواسطة المؤرخين كما تمت الإشارة إلى ذلك، لا يبدو أن الراهب أبيلا كان قد فكر فيه كثيراً.

أما ما يتعلق بالمصادر العربية الموجزة التى كانت قد تناولت مالطة جغرافيًا أو تاريخيًا، فقد قام ميشيل أمارى M. Amari المستشرق الإيطالى بالإشارة إلى أغلبية تلك المصادر منذ حوالى قرن مضى تقريبًا فى كتابه « المكتبة العربية الصقلية » Biblioteca Arabo - Sicula حيث قام ب. منيانتي P. Minganti مؤخراً بمراجعة وترتيب تلك المصادر، مع إضافة بعض التعليقات التى توصل إليها فى ضوء الدراسات الحديثة.

أما مبارك رجا الله Mbarck Redjala، فقد قام مؤخراً بدراسة شملت كثيراً من المصادر العربية التى أشار إليها ميشيل اماري، حيث قام بمقارنتها بالنصوص الواردة بالمخطوطات الأصلية، كما أنه أضاف كثير من الموضوعات التى لا تعتبر ذات أهمية، هذا بالإضافة إلى أنه أغفل أحد نصوص تلك المصادر الذى كان محفوظًا فى مكتبة : Statsbibliotedk Preussischer Kultu-besitz بمدينة برلين الألمانية، والذى كان قد تم نشره مؤخراً فى تونس ولربما فى مكان آخر، هذا وقد اعتمد عليه المؤرخ التونسى محمد الطالبى M. Talbi فى كتابه « إمارة الأغالبة » .

أما بقية هذه المصادر العربية فيبدو أنها عبارة عن كلمات مزدوجة ليس إلا ؟ ! حيث كان أغلبها يعتبر هزيلاً جداً أو مختصراً جداً، وغامضًا وغير ذى صلة بالموضوع، فكثير منها كان عبارة عن تكرار لبعضها البعض، بالإضافة إلى أن بعض تلك المصادر العربية كان قد اعتمد على

مصادر غير معروفة. وعلى الرغم من ذلك فيمكن القول بإمكانية وجود مصادر أخرى غير تلك المشار إليها، لا زالت لم تكتشف بعد عن تاريخ مالطة، وقد تكون تلك المصادر موجودة فى أقطار بعيدة كالهند، باعتبارها مكان قصيًا لحفظ التراث المقدس كأدبيات الدين الإسلامي، خاصة ما يتعلق بالفرق الشيعية التى حكم أتباعها صقلية ومالطة. أما فيما يتعلق بوثائق الجينيزا Geniza Documents التى اشتملت على العلاقات التجارية بين تونس وصقلية خلال القرون الوسطى، فلا يبدو أن هناك ثمة شيئًا بها يتعلق بمالطة.

لقد كانت نتائج الحفريات الأثرية التى تم اكتشافها حول العصر الإسلامى العربى فى مالطة مخيبة للآمال إلى حد بعيد جداً، ففى عام 1881 م شرع فى التنقيب عن مقبرة عربية تقع خلف دارة (فيلا) رومانية ثم توقف حتى عام 1920 م، حيث تم استئناف العمل من جديد بواسطة ت. زاميت T. Zammit الذى وجد أن تاريخ نصب حجرى لشاهد قبر مجهول يعود إلى عهد النورمان وحكمهم لمالطة، أما فيما يتعلق بالعثور على بقايا لمبان تدل على الحكم العربي، فلم يتم فى الواقع العثور على بقايا مسجد أو أية مبان أخرى مهما كان نوعها ترجع إلى الحكم العربى للجزيرة، ولكن بالرغم من ذلك فقد تم العثور على بعض القبور الإسلاميةفى أماكن مختلفة من الجزيرة المالطية، ومن أشهرها شاهد قبر ميمونة الذى تم العثور عليه فى جزيرة جوزو. وقد شجعت هذه الاكتشافات للمقابر الإسلامية الكثير من المؤرخين على عدم إعطاء أية أهمية للتراث الإسلامى فى مالطة، متناسين أنه حتى فى صقلية لم يتم تناول بقايا المعمار الإسلامى إلا من خلال استخدامها في

المبانى النورمانية خلال العهد النورمانى بمالطة، ويبدو أن السبب فى ا ندثار المعمار الإسلامى فى مالطة يرجع بالتأكيد إلى التدمير الذى لحق بالجزيرة، بعد إعادة غزوها بواسطة المسيحيين عن طريق جزيرة صقلية، ولربما يكمن السبب أيضًا إلى قابلية حجر البناء المالطى بصفة عامة للفناء بسهولة، هذا كما يجب التنوية إلى أنه لم تجر حتى الآن حفريات أثرية منظمة حول المواقع الأثرية الإسلامية المعروفة، ما عدا تلك الأعمال الحفرية التى كانت قد أجريت سابقًا على مقبرة رباط Rabat Cemetery المشار إليها .

ويبدو أنه من الصعب الشروع فى تنفيذ عمليات حفرية حول المواقع الأثرية فى مدينة[1] Mdina، التى تحتوى على بقايا أثرية إسلامية هامة . كما يبدو أن هناك احتمالاً كبيراً فى العثور أيضًا على اثار إسلامية فى كل من قلعة رباط وجزيرة جوزو بالإضافة إلى المنطقة الفضاء غير المبنية حاليًا، والواقعة بالتحديد خارج مدينة ومالطة، وكذلك المنطقة الواقعة بعد رباط Rabat .

وعلى كل حال، فإنه يبدو من نماذج الفخار العربى التى تم العثور عليها بتلك المناطق على أن المور (العرب)[2] كانوا قد شيدوا بها مساكن يمكن اكتشافها والتعرف عليها بسهولة . وعلى الرغم من العثور على كمية من القطع النقدية العربية عام 1698 م، خلال إعادة بناء الكنيسة التى كانت تعرضت للتدمير بسبب الزلزال الذى حدث فى مالطة عام 1692 م، فقد تم صهر أغلبها، وتم بيعها كسبائك ذهبية لغرض تغطية مصاريف إعادة بناء

1- مدينة Mdina عاصمة الجزيرة أثناء الحكم العربي ، كما عرفت أيضًا لدي المؤرخين الإفرنج باسم Notabile أو النبيلة .

2- المور أو الموريش : لفظة تطلق على العرب أيضًا .

الكنيسة المذكورة. لهذا السبب فلم يبق سوى بضع قطع نقدية عربية تم حفظها، ولكن لسوء الحظ فقد تم إهدائها لبعض كرادلة الكنيسة وغيرها من الشخصيات خارج الجزيرة، مما أدى إلى صعوبة تقصى أثرها. وبالرغم من ذلك فلا زالت بعض المتاحف المالطية تعرض مجموعة قليلة من القطع النقدية الذهبية العربية، التى تم سكها خلال حكم العرب للجزيرة، حيث كتبت عليها عبارات باللغة العربية .

ويرجع تاريخ سك بعض تلك النقود إلى الحكم النورمانى فى الجزيرة حيث نقشت عليها عبارات باللغة العربية واللاتينية معًا، ويبدو أنه توجد قطع نقدية عربية أخرى، يحتفظ بها أصحاب المجموعات الخاصة (هواة جمع النقود الأثرية) ومصدرها غير معروف، وعلى كل حال فإنه بالرغم من وجود تلك القطع النقدية العربية، فإنه لا يمكن الاعتماد عليها فى معرفة الحالة الاقتصادية فى الجزر المالطية (مالطة وجوزو)، وإن كانت أهميتها الثقافية لا تنكر، خاصة وأن الكتابات العربية المدونة على النقود العربية التى تم العثور عليها خلال عام 1698 م، تمثل فى الواقع شعارات الشيعة الفاطميين، مما يساعد بالتالى فى معرفة تواريخ طمر تلك النقود تحت الأرض، التى ترتبط بأحداث هامة فى تاريخ حكم العرب للجزيرة، ويمكن بواسطتها الحصول على تصورمتكامل لغزو مالطة بواسطة الملك روجر عام 1127 م، وكذلك الوصول إلى معرفة كافة الأحداث الهامة التى أدت إلى طرد المسلمين نهائيًا من الجزيرة، ذلك الحدث الهام فى الجزيرة الذى لم يعرف تاريخه بالضبط على الرغم من أنه كان قد حدث مع بداية النصف من القرن الثالث عشر .

وتشير المصادر المسيحية إلى رسالة الرهبان التى تؤكد سجن أسقف مالطة فى باليرمو أثناء سقوط سيراكوزة فى يد المسلمين عام 878 م. أما الراهب الآخر، يدعى جوفريد مالاتيرا G.Malaterra، فإنه يشير فى رواية مكونة من آلاف الكلمات اللاتينية إلى مجيء الكونت روجر إلى مالطة عام 1090 م. هذا كما تفيد تعليقات الأسقف برشارد Burchard أثناء مروره بالجزيرة عام 1175 م فى سفارة إلى صلاح الدين، بالإضافة إلى العفو الإمبراطورى الصادر فى عام 1198 م، وكذلك أحد التقارير الرسمية الصادرة فى عام 1240 م، تفيد فى إلقاء الضوء الكافى حول العلاقات ما بين المسيحيين والمسلمين بالإضافة إلى غيرها من التقسيمات الإدارية فى الجزيرة، وهذا مما يتطلب فحص كافة قوائم الوثائق المسيحية المتوفرة بدقة.

مالطة قبل الفتح العربى:

كانت جزيرة مالطة قبل مجيء الفاتحين العرب خاضعة لحكم البيزنطيين، فكان سكان الجزيرة يدينون بالمسيحية منذ قرون مضت ، كما دلّت على ذلك المقابر التى تعود إلى تلك الفترة التاريخية، والتى كان يتم فيها تعيين قائد عسكرى Dux بالجزيرة على رأس فرقة من الجنود Drungarios بالإضافة إلى حكم Archo للجزيرة التى كانت تعتبر قاعدة بحرية هامة للبيزنطيين. أما اللغات التى كانت سائدة فى الجزيرة بين السكان فهى غير معروفة ما عدا اللغة الإغريقية، التى كانت تعتبر اللغة الرسمية للإدارة فى الجزيرة، على الرغم من وجود بعض النقوش التى تدل على أن سكان

الجزيرة كانوا يتكلمون أحد أشكال اللغة اللاتينية المتأخرة، مما أدى إلى حدوث جدل حول ذلك. غير أن ذلك الدليل لا يعتبر قاطعًا، بل هو ضعيف جدًا لا يمكن الاعتماد عليه فى تقرير ذلك الزعم، لعدم توافر الأدلة الكافية، خاصة وأن أسماء الأماكن بالجزيرة تشير أيضًا إلى أن سكان الجزيرة كانوا قد ظلوا طويلا يتكلمون أحد أشكال اللهجة البونيقية الممزوجة بلهجة قرطاجة.

الفتح العربى لمالطة :

لقد بدأ التمهيد لفتح العرب لجزيرة صقلية ابتداء من عام 827 م، ولكن الفتح النهائى لم يتم إلا خلال عام 878 م، وحتى ذلك الوقت بقى كثير من المدن الإغريقية الواقعة على مرتفعات جبل نبرودى Nebrudi محتفظًا باستقلاله الذاتى لفترة طويلة. أما فيما يتعلق بفتح العرب لمالطة فقد أشار كتاب : تواريخ كمبردج أو Chronicle of Cambridge إلى أنه قد تم يوم 29 أغسطس 870 م .

أما ابن خلدون فيرى أن فتح العرب لمالطة قد تم قبل ذلك بعام واحد فقط، ويذكر ابن الأثير أن جيشًا إسلاميًا [1] توجه ن صقلية إلى الجزيرة المالطية لإنقاذها عام 870 - 871 م الموافق 256 هـ، من حصار البيزنطيين الذين قاموا بالانسحاب تدرجيا من الجزيرة، بعد أن علموا بقدوم الجيش العربى الإسلامى خوفًا من الأصطدام بالعرب. ويبدو من ذلك أن مالطة كانت فى

1- تم إرسال جيش إسلامي من صقلية بواسطة الأمير محمد بن خفاجة في عام 869 م - 256 هـ كما يورد ابن الأثير في كتابه .

أيدى السملمين العرب فى عام 870 م، بالرغم من أن تاريخ استيلاء العرب المسلمين على الجزيرة لا زال مشكوكًا فيه .

أما كتاب « العيون » فيذكر أن فتح مالطة قد تم عام 256 هـ ـ الموافق 28 أغسطس 871/870 م حيث نجده يختلف فى يوم واحد عن التاريخ الذى حدده كتاب تواريخ كمبردج Chranical of Cambridge. غير أن كتاب العيون يرى أن الفتح العربى لم يكن عملية إنقاذ، مستشهداً بالنقوش الموجودة على قاعة حبشى Habashi بسوسة، التى كانت قد تم تسجيلها بواسطة ابن الجزّار Ibn- al - Gazzar، حيث وجد أن الأحجار المقطوعة بالفأس، بالإضافة للأعمدة الرخامية بالقلعة، كانت فى الواقع قد جلبت من مالطة بعد فتحها بواسطة حبشى ابن عمر، الذى ذكر محمد الطالب المؤرخ التونسى بأنه كان يدعى أحمد بن عمربن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب قائد الأسطول البحرى العربى للمسلمين، والذى كان يلقب أيضًا بالحبشى أو «الأثيوبى» .

وعلى كل حال فبالرغم مما سبق فإنه لازالت شكوك تدور ليس حول تحديد تاريخ معيّن لفتح العرب لمالطة فقط، بل حول بداية تملص مالطة من النفوذ العربى الإسلامى كذلك فقد انخدع كثير من المؤرخين بالتلفيق المزور للراهب فيلا Vella، حيث قاموا بمراجعة كثير من التواريخ المحتملة، ومن ثم استطاعوا إعطاء تفسيرات فحواها أن العرب المسلمين كانوا قد قاموا بالهجوم على مالطة ابتداء من 833 م إلى 836 م، ومن بين أولئك المؤرخين كان ميجى Miege و ج . أ. فاساللو G.A. Vassallo وأخيرًا يبدو أن المستشرق الإيطالى ايتورى روسى E. Rossi قد توصل إلى نتيجة فحواها أن

المسلمين العرب لا يبدو جليًا أنهم قرروا فتح مالطة حتى عام 869 م، على الرغم من مضى فترة زمنية طويلة على فتحهم لجزيرة صقلية. وقد أشار ابن الأثير فى كتابه إلى أنه من المحتمل أن تكون الجزر المالطية من بين الجزر التى أرسل أمير صقلية العرب الأسطول العربى الإسلامى لفتحها. ولهذا فقد كان يعتبر ذا أهمية فى معرفة هذه الحادثة التاريخية بواسطة الراهب فيلا Vella سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

إن إعادة قراءة التاريخ المالطى أكدت حدوث ذلك الفتح العربى الإسلامى المبكر للجزيرة، مما أدى إلى حدوث تعايش ودى ما بين السكان الأوائل والفاتحين الجدد سواء قبل أو بعد 869 م، وهذا يعنى بالضرورة أن كثيراً من أسماء الأماكن فى مالطة بعد الفتح العربى يجب أن تحافظ على بقائها بعد زوال المستوطنين العرب، وهذا ما كان قد حدث فى الواقع للسكان الأصليين فيما بعد.

وحيث أن حوالى 99٪ من أسماء الأماكن فى مالطة كان قد تم تدوينهاخلال القرون الرابع عشر، الخامس عشر والسادس عشر، فإن تلك الوثائق بدون شك كانت تنتمى إلى مصدر سام، مما يؤكد أن اللغة التى كانت سائدة فى جزيرة مالطة ما قبل اللغة العربية كانت لغة تنتمى إلى مجموعة اللغات السامية، هذا القول يقودنا إلى الاعتقاد بأن اللغة السائدة فى الجزيرة حينذاك كانت عبارة عن شكل من أشكال اللغة البونية القديمة.

أما إذا كنا قد سلمنا بأن فتح العرب الأول لمالطة قد تم عام 869 م، وأن المالطيين المسيحيين قد شاركوا فى القوات البيزنطية للدفاع عن الجزيرة لمدة

عام قبل فتحها نهائيًا فى العام التالي 870 م، فإن ذلك يجعلنا نتصور أن العرب عاملوا المالطيين معاملة قاسية خالية من أى شفقة أو رحمة بعد فتح الجزيرة نهائيًا، مما أدى إلى طرد بضعة آلاف من سكان الجزيرة، وأصبحوا تحت ظروف لا يمكن التكهن بها، مما أدى بالسكان المالطيين إلى استخدام لغات أخرى غير لغتهم الأصلية، كاللغة البونية اللاتينية القديمة والإغريقية، خاصة وأن المرء يجب أن يتوقع تناسبًا لأسماء الأماكن يعكس ذلك الواقع، خاصة وأن الأحداث اللاحقة لذلك أصبح من اصعب جدًا إيجاد تفسير لها مهما كانت الأسباب .

أن الأصول اللغوية السامية لأسماء الأماكن فى مالطة فى وقتنا الحاضر لا يمكن إرجاعها إلى إعادة تعمير الجزيرة بالسكان الذى يتكلمون اللغة العربية فقط، خاصة أنهم قد لا ينحدرون من الجنس العربي. لهذا فإن الجماهير المطرودة المغلوبة على أمرها قد استنجدت بالمسلمين الفاتحين بالرغم من أنها قد عانت من المعاملات القاسية ضدها فى بداية الفتح العربى الإسلامى للجزيرة، على يد حبشى قائد الأسطول البحرى العربى الإسلامى الصقلي، هذا كما يبدو فى الكتابات التى تم تسجيلها فى سوسة بواسطة ابن الجزّار، هذا وقد تم العثور بعد تلك الكتابات على شواهد برهنت على سجن أسقف مالطة فى مدينة باليرمو، كما تدل الشواهد التاريخية على أن المواقع الأثرية فى مالطة كانت قد تعرضت لموجة من التدمير المتعمد، خاصة فى كل من سان باول ميلجى San Pawl Milgi، وتسيلج Tsilg بواسطة الفاتحين العرب فى البداية، مما أدى إلى حدوث فوضى امتدت إلى كافة نواحى الحياة الاجتماعية فى الجزيرة، وتسبب فى هروب كثير من المالطيين المسيحيين

الذين كانوا قد لجؤوا إلى صقلية، ومنها إلى بعض المناطق الآمنة فى البلاد مثل كالابريا، قبل وصول العرب إلى مالطة .

هذا ويمكن الإشارة إلى أن كثيراً من الكنــوز النقدية المطمــورة التــى تم اكتشافها كانت تحتوى على عملات نقدية بيزنطية متداولة فى كل من صقلية ومالطة خلال القرون الوسطى. ولقد كان من المفترض أن تكون تلك العملات هيلنستية فقط، إلا أنه تبيّن بوضوح أن تلك النقود التى تم العثــور عليها فى مالطــة عام 1698 م كانــت تشتمل على نقــود عربيــة إسلامية أيضًا .

انبعاث المسيحية :

ارتبط انبعاث المسيحية بالمعتقدات الدينية لسكان الجزيرة الأصليين، مما يجعلنا نتساءل كم كان عدد الفارين والمطرودين، أو كم كان عدد القتلى منهم أثناء الغزو أو حكم الغزاة ؟

أما فى شمال أفريقيا فقد ظلت الديانة المسيحية باقية حتى القرن الحادى عشر فى بعض المناطق، هذا ولا زالت جماعات مسيحية تعيش فى الشرق إلى وقتنا الحاضر أما فى صقلية فقد ظلت المسيحية هى الديانة السائدة على نطاق واسع، خاصة فى المدن والقرى الواقعة على التلال الجبلية المرتفعة فى غرب وجنوب مسينا، تلك المدن والقرى التى ظلت فى الواقع شبه مستقلة

من الناحية الإدارية أكثر من بقية مدن جزيرة صقلية، أما فى مالطة وجوزو لم توجد أية شواهد أثرية تفيد أن المسيحية كانت الديانة المتبعة لعدة قرون بعد الفتح العربى الإسلامى لتلك الجزر، حيث أنه قد تم العثور على كنائس، ورسومات أو تماثيل دينية تعود إلى تلك الفترة الزمنية، بالإضافة إلى أنه لم يتم العثورعلى أية قبور مسيحية، وقد أشار القزوينى (1203 - 1283م) [1]، الذى استطاع الإطلاع على المصادر الأولية المفقودة، إلى أن المسلمين قد قرروا خلال عام 440 هـ الموافق لعامى 1048 - 1049 م ـ أثناء قيام البيزنطيين بالهجوم على مالطة ـ إعادة النظر فى موقفهم من رعاياهم المالطيين، الذين كانوا يتفوقون عليهم من حيث عددهم، حيث طالبوهم بضرورة المشاركة فى مقاومة البيزنطيين ووعدوهم بمنحهم الحرية، بالإضافة إلى المشاركة فى الممتلكات، إذا تم الانتصار على البيزنطيين وطردهم عن الجزيرة. وقد استطاع الفاتحون العرب والمالطيون مقاومة البيزنطيين بقوة معًا. وبفضل الله تحقق النصرحيث الحقوا بالبيزنطيين هزيمة منكرة، وهكذا حصل الرعايا المالطيون أو العبيد على حريتهم، فأصبح سكان جزيرة مالطة باتحادهم معًا يمثلون قوة تخيف البيزنطيين، الذين لم يتجرءوا بعد ذلك على مهاجمة الجزيرة مرة أخرى.

ويلاحظ أن القزوينى لم يشر أثناء روايته لتلك الحادثة ولو مرة واحدة إلى السكان المسيحيين، بل أشار فقط إلى عبيد المؤمنين فقط.

1- القزويني، زكريا بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت، دار صادر، 1960 م ـ ص557.

إن أغلبية المؤرخين المالطيين كانوا فضلوا تأويل تلك الحادثة باعتبارها معاهدة سياسية واجتماعية، كانت قد أبرمت بين حكام الجزيرة المسلمين ورعايهم المالطيين، الذين كانوا بلا شك يعاملون كالموزاريش Mozarabs (الأسبان المسيحيين تحت الحكم العربى) فى أسبانيا. ولكن لماذا كان يجب عليهم أن يلاقوا الموت من المهاجمين مثل حكامهم المسلمين لو أن الغزاة قد نجحوا فى الاستيلاء على الجزيرة ؟ هل قام المسيحيون بمساعدة حكامهم المسلمين ضد فرق التحرير البيزنطية حقًا ؟

أن ذلك كله يمكن فهمه إذا ما عرف المرء لفظة عبيد التى كانت ترمز إلى الرعايا من السكان، لربما المالطيين الذين كان قد تم تعريبهم واعتناقهم للإسلام بالفعل ـ الموالى Muwallads وليسوا الموزارابيش أو المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت الحكم العربي، ولهذا فإن معاملتهم كانت تختلف تمامًا عن المسيحيين الأسبان .

وفى عام 1966 م أثارت التقارير الأولية، عن الحفريات التى كانت قد أجريت حول بعض المواقع الأثرية فى سان بول ملقى San Pal Milqi ادعاءات جديرة بالملاحظة حركت الشعور العام، ليس فقط بسبب العثور على « البئر المقدس » الذى تم التعرف عليه باعتباره البئر الوحيد الذى كان قد استخدم فى تعميد المسيحيين الأوائل فى جزيرة مالطة بواسطةالقديس بولس St. Paul شخصيًا ولكن للعثورعلى رموز مسيحية أخرى كان من بينها الرسم الذى يبين صورة رجل مرتديًا قلنسوة راهب ونقش للفظة باولوس Paulus، هذا بالإضافة إلى الوعاء الرومانى المقدس، وحيث أن التقاليد المتوارثة منذ القدم حتى الوقت الحاضر كانت قد تزامنت فى تحديد المكان ومجىء ذلك الحورى

إلى الجزيرة ، ونتيجة لتلك الموجودات فإنه يمكن اتخاذها برهانًا لتربطهما معًا حتى بعد مضى ألفى عام على تلك الأحداث ، ولكن لسوء الحظ فإن جميع تلك الموجودات أو الشواهد الأثرية التى تم العثور عليها قد رفضت كلها بواسطة مارجريت جوارادوتشى Margarita Guaraducci التى تعتبر خبيرة فى الآثار المسيحية . هذا ويمكن بالإضافة إلى ذلك الإشارة الى المكان الذى يعرف باسم بن ياريد Beniared لا يمكن أن يكون بن الوريث Bin-il-Werriet كما يدعى ، فلفظة بنيراند Benerand هى لفظة مختلفة تمامًا عن لفظة بن ياريد وليس بسبب خطأ باليوغرافى « كتابى » كما يعتقد البعض فحسب .

الإسلام فى مالطة :

لا شك فى أن الإسلام قد بقى لمدة ثلاثة قرون متتالية يعتبر دينًا لأغلبية سكان الجزيرة ، وليس الدين المطلق لكل السكان ، هذا ما كان قد لاحظه بوضوح الأسقف بيوركارد Bishop burchard أثناء مروره بالجزيرة فى سفارة إلى صلاح الدين عام 1175 م ، إذ بدا له أثناء تنقله أن الجزيرة كانت مأهولة بالعرب (السراشينى Saracens) . وفى الواقع فقد تم العثور على بعض القبور الإسلامية ترجع إلى القرن الثانى عشر التى كان من ضمنها شاهد قبر ميمونة [1] الذى تم العثورعليه فى جوزو عام 1174 م ، كما أنه لم

1- عثر على شاهد القبر على نص مكتوب بالخط الكوفي بدايته :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي محمد وعلي آله وسلم تسليمًا . لله العزة والبقاء ، وعلي خلقه . كتب الفناء ولكم في رسول الله أسوة حسنة » هذا قبر ميمونة بنت حسان بن علي الهذلي عرف بإبن السوسي . توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس الساد

يعثر على أية بقايا أثرية أخرى فى مالطة، سواء كانت تلك البقايا الأثرية لمساجد أو مبان إسلامية أخرى، وهذا القول ينطبق على صقلية، حيث أنه لم يتم العثور على أية بقايا أثريــة إسلاميــة، ترجع مباشرة إلى عهد حكم العرب للجزيرة، إلا أنه مع ذلك فقد وجدت بقايا أثرية إسلامية بجزيرة صقلية تعود إلى العهد النورماني، على الرغم من أن كثيراً من المناطق فى الجزيرة قــد استوطنت بالمسلمين قبــل إعادة احتلال النورمان للجزيرة وليس خلالها [1].

تعريب اللغة المالطية :

هناك اتفاق بين علماء اللغة فى وقتنا الحاضر، يؤكد أن اللغة المالطية الحالية قد اشتقت من اللغة العربية وليست من اللغة البونية، ويبدو أن العرب الذين كانوا قد جاءوا إلى جزيرة مالطة قادمين إليها من صقلية كانوا يتحدثون بأحد أشكال اللهجات العربية التى كانت مماثلة للهجة العامية

= عشر من شهر شعبان عرف ابن السوسي . توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس السادس عشر من شهر شعبان الكائن من سنة تسع وستين وخمسمائة وهي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . . . إلى آخره . انظر بقية النص كماورد لدى أغلبية الدارسين لتاريخ مالطة ومن بينهم : سليمان ، أحمد طلعت : مالطة عرض موجز للتاريخ واللغة . مالطة ، ميدتيرينيان ببلشينج. M . Pub 1980, م ـ ص 57 .

1- إن عدم العثور على أية بقايا أثرية إسلامية عربية يرجع في الواقع إلى حركة التدمير الشاملة التي رافقت طرد العرب المسلمين من صقلية ومالطة ، بسبب التعصب المسيحي الذي شجعته الكنيسة بإصدار Pardon أو الغفران الكنسي لكل من يقوم من المسيحيون بقتل المسلمين وتشريدهم .

التونسية، المختلفة تمامًا عن اللغة العربية الفصحى ؛ لهذا فإن تلك اللهجة فقدت مقومات اللغةالعربية الفصحى كالأفعال مثل فعل الأمر والأفعال الدلالية، بالإضافة إلى ما يتعلق بمصادرالأفعال والاسم، وغيرها من صيغ الأشكال اللغوية الأخرى المتبعة فى استخدام الاسم المثنى، وفعل الأمر والفعل الماضى غير التام، حيث اتخذت صيغ بعض الأفعال فى اللغة المالطية شكل صيغة الأفعال المغربية، ولكن مع ذلك فيبدو لعلماء الموروفولوجى اللغوية أو علم صرف اللغة أن اللغة المالطية ظلت محافظة على شكلها أكثر من اللهجة التونسية العامية نفسها، على الرغم من أن تركيب الجمل فى اللغة المالطية قد تغير بسبب تأثره الشديد بتركيبات بعض الجمل اللغوية فى اللغات الأوربية. وهذا ومن جهة أخري، يبدو أن ثمة صيغًا لغوية فى تركيبات الجمل المالطية قد دخلت فى علم صرف اللغة المالطية، بواسطة التأثيرات اللغوية الشرقية التى من بينها لبنان.

إن حجم التعريب أو قياس التأثير العربى على مالطة يمكن ملاحظته جليًا من خلال الأسماء العربية لأغلبية الأماكن فى الجزر المالطية، خاصة تلك التى يشتمل مصدرها على كلمات لاتينية أو إغريقية مثل (فرن Forn، إسطبل Stable)، والتى أصبحت مع غيرها من الكلمات ضمن مفردات قواميس اللغة العربية فى الوطن العربي. ومن جهة أخرى، فإن أحد الدراسات التى كانت قد أجريت حول اللغة المالطية قد كشف على أن كثيرًا من الصلات اللغوية كالأسماء التى أطلقت على الأماكن المحلية فى مالطة هى فى الأصل عبارة عن أسماء أشخاص إغريقية مثل : حل كيركوب Hal Kirkop، رحل بيركوب Rahal Percopu وتاساباس Ta'Sabas، تاشيبس

Ta'Xbiex، وييد نيكيتا Wide Nikita، بالإضافة إلى غيرها من الأسماء التى تتكون بإضافة بعض الألقاب الإغريقية إليها مثل : كاكيا Cachia، كاللوس Callus، وكومبو Cumbo، وليس فحسب جريشتى Grixti، وشيمبرى Schembri التى ربما ترمز أساسًا إلى استمرارية وجود أسماء وألقاب لشخصيات إغريقية فى اللغة المالطية، كما يمكن أن تعود الأسماء والألقاب الأخيرة الواردة أعلاه إلى النورمان أو إلى عصر ما قبل مجيء النورمان .

وبإجراء مقارنات دقيقة للأسماء المالطية بتلك الأسماء المنتشرة فى صقلية، خلال الفترات التاريخية المتعاقبة يمكن الحصول على معلومات دقيقة تفيدنا فى تحديد تواريخ بداية استخدام تلك الأسماء فى مالطة، بالرغم من المحاولات السابقة التى كانت قد بذلت فى هذا المجال .

إن أسماء كثير من الأماكن فى مالطة وجوزو ترمز إلى عدد من الأسماء الشخصية العربية، كما يبدو ذلك جليًا من خلال اسماء العبيد (الأقنان) المسلمين تحت حكم النورمان لصقلية، ومن بين هذه الأسماء : مرزوق Marzuq، بوجبة Bugibba، زنجور Zongur، سلامة Salama وغيرها .

وجدير بالذكر أيضاً أن كثيراً من الألقاب التقليدية للمالطيين تبدو كأسماء الشخصيات العربية مثل : سموط Sammut، بوحجر Buhagiar، سعيد Said، والعجوز Agius . . . وقد ظل المالطيون يحتفظون بأسماء أصيلة حتى القرون الخامس عشر الميلادي، حيث بدأت تلك الأسماء فى الاندثار خلال القرون التالية تدريجيًا، ومن بين تلك الأسماء العربية التى كان

المالطيون يستخدمونها : محمد Muhammad، حكيم Hakim، مختار Mohtar، وقطيطى Qutiti، والمخنوق Mahanuq . . . . الخ [1]

هذا وقد ساد نمط المعمار العربى (المور) فى مالطة حتى أواخر عام 1536 م، حيث أشار إلى ذلك كوينتينوس Quintinus فى أول مطبوع وصفى لمالطة تناول فيه جزءاً كبيراً من مدينة Madina، بالإضافة إلى عدد من المنازل السكنية الواقعة فى ضواحى رباط Rabat، التى يمكن اعتبارها مماثلة جميعاً للمساكن الإفريقية .

وفى الواقع نجد أن وثائق القرن الخامس عشر تشير إلى أن منازل المدن فى القرون الوسطى كانت تتميز بمجالسها : (مجلس Miglis أو غرفة الجلوس) . ويبدو واضحاً أن المجلس يختلف تماماً عن الصالة أو الصالون Sala، الذى يعتبر نموذجاً لغرفة الاستقبال الأوربية، ولا زالت لفظة مجلس العربية تطلق فى المساكن الريفية، مما يدل على استمرارية بقائها ضمن التقاليد المتوارثة بين الفلاحين الذين يطلقونها على غرف الجلوس، ومما لا شك فيه أن لفظة مجالس أو مجلس لدى الفلاحين كانت فى الأصل تعنى الدكة Dukkiena أو البنك الحجرى الممتد على طول الحائط، والذى يستخدم

1- كما لا زالت الأمثال الشعبية المالطية تشير إلى العلاقة المورفولوجية اللغوية مع اللغة العربية، هذا بالإضافة إلى المعاني التي ترمز إليها الأمثال المالطية كما يلي :

- رحمة ربنا واسعة Alla hanin أو الله حنيّن .
- ما فيش دخان من غير نار In-nar italla' I-Fwar النار تطلع لِفْوارْ . . »
- الدم يحن Id-demm Jigbed « الدم يجِبْد » .
- IL borma Taklibba Khal fomma, il bint Tixbah I'omma .

البرمة تقلبها على فمها تشبه البنت أمها « البرمة تقلبه كال فومها ، البنت تشبه لأمه »

لجلوس الزوار أو للاتكاء عليه، عكس الموضة الرومانية التى تقوم عل بسط الحصران الملونة بالمنزل، أما الفرش فقد كانت توضع ليلاً فى الحجرات الداخلية للنوم عليها، وهذا ما يفسر عدم وجود كراسى عالية ضمن قوائم جرد الممتلكات الخاصة، أو حتى مجرد سرير نوم واحد وفقًا للنمط الأوروبي، حتى أواخر القرن الخامس عشر فى مالطة. وهذا ما يفسر أيضًا أن الفرش كان يتم خياطتها وفقًا للأسلوب المالطي، حيث كانت تلك الفرش قابلة للف لكى توضع على حدة أثناء النهار.

وفى أواخر القرن الخامس عشر أيضًا كانت أفضل المنازل فى مدينة Mdina تتكون من عدة حجرات Cammara، صالة Sala، فناء بالإضافة إلى سقيفة Sikifa .

أما فى بعض المدن الأخرى بمالطة، فقد كانت توجد منازل خاصة لليهود تعود إلى تلك الفترة الزمنية، تتكون من سقيفة Sikyfe، مطبخ، حجرة تقع فى الطابق الأسفل تعرف بالمجلس Migilisi تكون مواجهة لمدخل المسكن (عادة ما تكون مواجهة للسقيفة Sikifa). كما أن كثيراً من تلك المنازل يشتمل على حجرات خاصة لأفراد آخرين وصهريج للمياه واصطبل، وحجرات كثيرة تقع فوقها بالإضافة إلى السقيفة.

إن تقسيمات المنزل المشار إليها لا يمكن معرفتها بدون الإلمام بالتقاليد العربية المستخدمة فى فنون النمط المعمارى المتبع فى تشييد المنازل. تلك التقاليد العربية الواضحة من خلال مدخل فناء المنزل، ذلك المدخل المغطى بالسقيفة وقد استخدم هذا المصطلح فى صقلية، وكذلك فى تونس منذ

القرن الخامس عشر إلى وقتنا الحاضر. وهذا ولا يبدو مجرد صدفة بقدر ما هو طبيعى جداً أن يفضل الموثقون الرسميون فى مالطة وجوز واستخدام لفظة: Tenimentum أو Locum domorim وذلك عند تحديد موقع بهو البيت، إلا أنه مع ذلك فقد تعوّد نفس الموثقين الرسميين استخدام لفظة بهو البيت Cortile domorum بدلاً من اللفظة السابقة فى جزيرة جوزو، حيث استمر ذلك اللفظ شائع الاستخدام فى الجزيرة حتى بداية القرن السادس عشر.

الشعر العربى المالطى:

لا زال يوجد عدد قليل جداً من قصائد الشعر العربى الفصيح لشعراء مالطين عرب عاشوا فى مالطة خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادي، وردت ضمن أنطولوجيا الشعر العربى فى صقلية أو المقتطفات الأدبية الشعرية المختارة من الشعر العربى فى صقلية، المحفوظة فى المكتبة الوطنية Bibliotheque Nationale بباريس، على الرغم من أن اللغة المتداولة فى المحادثة بمالطة لم تكن صالحة فى الأغراض الأدبية، بالإضافة إلى أنها لم تستخدم مطلقًا فى الكتابة على شواهد القبور الإسلامية بمالطة خلال تلك الفترة الزمنية .

هذا وقد استطاع المستشرق الإيطالى ميشيل آمارى M.Amari نشر نماذج شعرية من الشعر العربى المالطى أكثر من قرن مضي، حيث تمت ترجمت أغلبية الشعر المالطى العربى إلى اللغة الإيطالية بواسطة آماري، ثم

ترجمت فيما بعد من الإيطالية إلى اللغة المالطية بواسطة ج. كسّار بولليشينو J. Cassar Publlicino ومن بعده ترجم إلى اللغة الإنجليزية ثم إلى اللغة المالطية بواسطة الكاتب نفسه نجد أبا القاسم بن رمضان المالطى[1] يقول : إنه كان للقايديحى صاحب مالطة شكلاً رياضيًا صنعه له أحد المهندسين، يمكن بواسطته معرفة ساعات النهار بواسطة رمى بنادى على الصناج، فقلت لعبد الله بن السمنطى « أجز هذا المصراع »

« جارية ترمى الصنج » فقال « بها النفوس تبتهج »
كأن من أحكمها إلى السماء قد عرج
فطالع الأفلاك عن سر البروج والدرج

أما القصائد الشعرية القصيرة (الأبيجراما) المشار إليها أدناه ، فقد نظمت بواسطة عبد الرحمن بن رمضان المالطى المعروف بالقاضي، على الرغم من أنه لم يشتغل بالقضاء أبدًا، وكان قد أشار المستشرق الإيطالى مشيل آمارى بأنه هو الشاعر أبو القاسم بن رمضان المالطى المشار إليه أعلاه، هذا كما اعتبره النقاد فى وقتنا الحاضر شاعرًا « يمتاز بنهر مليء بالأفكار ونبع فياض من الإلهام ». كان قد نظم كثيرًا من القصائد الشعرية فى مدح الملك روجر King Roger، طالبًا منه السماح له بالعودة إلى موطنة مالطة، ولكنه لم يحصل إلا على وعود جوفاء لم تتحق أبدًا. ومن بين قصائده الأبيجراما[2] مايلى :

1- القزويني ، زكريا بن محمود : مصدر سابق ، ص 557 .

2- الأصفهاني ، العماد : خريدة القصر وجريدة العصر . تحقيق محمد المرزوقي ، محمد العروسي المطوي والجيلانى بن الحاج يحيى . تونس ، الدار التونسية ، 1966 م - قسم شعراء المغرب I . ص ص 20-21 .

أ ـ تاه الذى زُرتـــه ولاذا عنى ولـم يخْفِ ذا وَلاذا

وكان من قبلُ أن رآنى يَبْسُطُ لى سُنْدُســا ولاذَا

صار كُليّ عليــه كـلاّ يا ليتنى مِتّ قبـــل هذا

ب ـ إخوان دهرك فالقَهُمْ مثل العِدا بســلاحــكــا

لا تَغْتَرِر بتَبَـــسُّم فالسيف يَقْتُل ضــاحكــا

أما عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن السوسى[1]، المولود فى مالطة موطن أقاربه ومعارفه، فقد كانت مالطة تعتبر مصدر إلهامه، وفيها تلقى العلوم عن والده وصقل موهبته، ثم انتقل للاستقرار فى باليرمو التى كان قد اختارها باعتبارها موطنًا ثانيًا له، وبلغ من العمر أكثر من 70 عامًا تقريبًا .

رزق بعدد وافر من البنين، امتاز شعره برهافة حسه وجودة نظمه، قام عثمان بإنشاد مرثية لنفسه قبل وفاته بأيام قلائل، وهى عبارة عن قصيدة طويلة مطلعها :

ركابُ المعالى بالأسى رحلَه حطا وطودُ العلى العالى تهدم وانحطّا

فنائى مساءات الأسى متقـــرّب وقرب مسرات الســرور لناشطا

وكيف لنور الشمس البدرِ عودةُ وهذا منــار المجـد والعز قد قُطّا

أصيب فما ردّ الردى عنه رهطه بلى أودع الأحزان إذ ودّع الرّهطا

يعــز علينـا أن ثوى فى بسـيطـــة وردّ الردى عن كفه القبض والبسطا

1- نفس المصدر السابق ، ص ص 46-47 .

كـأن حَمـامـا للْحـمَام قـد انبـرى ... لأرواح أهــل الفـضــل يلقطهـا لقطـا

فيا رزء ما أنكى، ويا حزن ما أبكى ... ويا دهـر ما أعدى، ويا مـوت ما أسْطى

عـزاءً عـزاءً قـد مـحـا الموتُ قـبلنا ... ملوكًا كــمـــا يمحــون من كُتُبٍ خطـّا

وفى الواقع أنه لم يكن معروفًا متى بدأ الشاعر العربى يشعر بالهجران فى كل من مالطة وجوزو، أما فى صقلية فيبدو أنه قد ثابر على ذلك حتى السنوات الوسطى من القرن الثالث عشر. أما فى القرن الخامس عشر فقد وجدنا أول شعر باللغة المالطية (اللغة العربية) التى كان يتحدثها الشعب المالطى .

الحالة الاقتصادية لمالطة وجوزو تحت الحكم العربى :

يعتبر الإدريسى الجغرافى الوحيد الذى استطاع أن يعطى بعض الحقائق عن اقتصاد جزيرة مالطة وجوزو خلال حكم النورمان للجزيرة، تلك الحقائق أو المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى معرفة الحالة الاقتصادية مالطة وجوزو أثناء الحكم العربي. حيث يورد الإدريسي بأنه على بعد مسافة من جزر البليار تبلغ حوالى 100 ميل نحو الشرق تقع جزيرة جوزو، التى تمتاز بمينائها المحمى من الأخطار، حيث ويمكن الوصول بها إلى جزيرة كمونة الصغيرة، و منها إلى جزيرة مالطة التى تتميز بمينائها الهام، الذى يقع فى الجانب الشرقى من الجزيرة، وفى مالطة توجد مدينة « عاصمة مالطة أثناء العهد الإسلامى »، وتعتبر جزيرة مالطة غنية بمراعى المواشى كالأغنام،

كما تشتهر بالفواكه والعسل، أما جنى القطن وبذور الكمون لم يوردها الإدريسي، فلربما كانت قد اندثرت لعدم توفر الأسواق الملائمة لها فى الخارج بعد مقاطعة العالم المسيحى، مما أدى إلى منافسة المصدرين لها من أسواق العالم الإسلامى الأخري، ويبدو من ذلك أن العرب هم الذين قدموا زراعة القطن فى صقلية، ثم نقلوها فيما بعد إلى مالطة. بالإضافة إلى أنواع متعددة من الفواكه كالبرتقال وغيره.

كما يبدو أيضًا أن مالطة كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون، حيث كان تكرير زيت الزيتون يعتبر من الدعامات الأساسية لاقتصاد البلاد خلال القرون الوسطى. هذا وتعد القرصنة البحرية من أهم الأنشطة الاقتصادية. حيث كانت السفن المسيحية تمارس ذلك النشاط فى المدن الساحلية، حتى أن الكونت روجر Count Roger كان قد وجد كثيراً من الأسرى الرقيق المسيحيين عند وصوله إلى مالطة وكانوا يشعرون بالرعب والفزع خاصة وأن سفنهم كان يتم إغراقها بكامل حمولتها، مما أدى بالتالى إلى ازدياد الضحايا من الإغريق الذين كانوا قد تجمهروا لتحية محررهم من الرق، مرددين صيحات الفرح والابتهاج بالإغريقية لقدوم الكونت روجر.

مجىء الكونت روجر إلى مالطة عام 1090 م :

اعتبرت رواية مالاتيرا Malaterra عن مجيء الكونت روجر إلى مالطة وجوزو عام 1090 م بمثابة مصدر رئيسى حول تاريخ مالطة فى القرون الوسطى، فقد وصف مالاتيرا كافة الاستعدادات والتجهيزات التى قام بها

الكونت روجر قبل رحيله من صقلية، هذا بالإضافة إلى أنه قام بوصف وصول الكونت روجر إلى مالطة برئاسة أسطوله البحري، ثم نزوله من السفينة إلى البر ممتطيًا جواده، وكيف كانت معاملته لسكان الجزيرة المعارضين له، والتدمير الذى استمر لمدة يومين بالريف قبل وصول قائد الجيش Cayd الذى تضرّع بالسلام. هذا ووفقًا لمالاتيرا فإن السلام الذى كان قد التمسه القايد كان يفرض الشروط التالية :

(1) اعتراف سكان الجزيرة بالكونت روجر سيدًا لهم .

(2) تسليم أسلحتهم إلى قوات الكونت روجر .

(3) التعهد بدفع إتاوة سنوية للكونت .

(4) تحرير كافة الأسرى المسيحيين فى مالطة .

وعليه فقد اهتم مالاتيرا بالتركيز على النقطة الأخيرة التى تضمنها السلام، واصفًا أولئك الأسرى المسيحيين وقد احتشدوا خارج المدينة لتحية الكونت روجر وهو فى طريقه إلى المدينة بأغصان النخيل، مرددين بصوت عال : اللهم يا رب أحفظه Kerie Eleison مما جعل الكونت روجر يأمر بنقل جميع الأسرى معه إلى صقلية، حيث قام بتحريرهم وتخصيص مدينة لهم للعيش فيها، ولكنهم رفضوا خاصةوأنهم كانوا يرغبون فى العودة إلى المدن المتعددة التى كانوا يعيشون فيها قبل وقوعهم أسري.

ويبدو مماسبق ملاحظة أن مالاتيرا لم يستطع الإشارة ولو مرة واحدة لسكان الجزيرة من المسيحيين المالطيين، على الرغم من أنه كان قد أشار إلى

المسيحيين الأجانب باعتبارهم أسرى فى مالطة، إن هذا القول لم يمنع أغلبية المؤرخين المالطيين من إدخال التعديلات اللازمة على كلمات مالاتيرا، لكى تكون برهانًا على وجود المسيحية فى الجزيرة، وبالتالى وجود مسيحيين مالطيين، ولكن بالرغم من الجدل السلبى الذى كان قد أثير حول ذلك الموضوع، فإن فشل مالاتيرا فى الإشارة إلى وجود المسيحيين المالطيين له ما يبرره ؛ لأنه لا يمكن تأكيد ذلك ببساطة بدون مواجهة أيّة صعوبة فى تفسير ذلك القول.

وعلى كل حال فإنه بالرغم من عدم وجود شواهد مادية وثائقية للبرهنة على الإنجازات التى قام بها الكونت روجر، فإنه يمكن القول بأنه كان قد سمح للمسلمين بالبقاء فى الجزيرة، بالإضافة إلى مشاركتهم فى تدبير الشؤون الإدارية فيها. كما أنه قام بإعادة بناء الكاتدرائية وتشييد عدد من الكنائس والأديرة فى شتى أنحاء الجزيرة، وقام بترميم وتحصين قلعة القديس سان انجلو، مما أدى بمالطة إلى استعادة هويتها الوطنية.

مالطة ما بعد المسلمين :

ظلت مالطة لمدة أجيال تبدو كأنها لم تتغيّر، حيث كان المسلمون المحليون قد استأنفوا نشاطهم السابق، فقاموابشن غارات قرصانية كان من الصعب كبحها، وألحقت أضرارًا برعايا الإمبراطورية البيزنطية التى كانت على خلاف مع النورمان بصقلية وجنوب إيطاليا.

وأخيرًا فقد قام الملك روجر عام 1127 م، الذى يعتبر ابنًا للكونت روجر - بإعادة احتلال الجزر المالطية ضمن احتلاله لكافة الجزر الواقعة ما بين صقلية وساحل الشمال الأفريقي، حيث قام بعد ذلك بترك حامية عسكرية مسيحية مؤقتًا فى الجزيرة. ومنذ ذلك الوقت أصبحت فى مالطة إدارة مسيحية صرفة، يقوم بتدبيرها مسيحيون، على ا لرغم من أن نمو السكان المسيحيين كان بطيئًا جدًا عكس المسلمين، وهذا ما جعل الاسقف بيوركارد Bishop Burchard يورد فى تقريره المجمل عن السكان فى مالطة عام 1175م، معتقداً أن سكان مالطة هم من العرب أو السراشينى Saracens، وهذا ما يؤيده العثور على قبور إسلامية تعود إلى خمسين عامًا بعد احتلال النورمان للجزيرة. ومع ذلك فإنه من المعروف أنه كان لمالطة أسقف خلال عام 1156م، وهذا مما يجعل المرء يتخيل أن ممتلكات لينتينى Lentini قد أعطيت لأبرشية مالطة خلال تلك الفترة الزمنية ؛ التى كانت تعتبر فيها الأبرشية. من الأقسام غير المؤمنة Partibus Infidelium، وفى المرحلة الأخيرة، عندما أصبح المسيحيون يسيطرون على الجزيرة، بدا من السهل قيام الأبرشية المالطية بضم ممتلكات المسلمين من الأراضى إليها خاصة بعد أن تم طردهم، مع ذلك يبدو أن الإسلام ظل معترفًا به بجانب الديانة المسيحية والعبرية فى الجزيرة لمدة قرن من الزمان بعد عام1127م. وبالرغم من ذلك فقد حدثت نزاعات مذهبية دينية بين سكان الجزيرة، مما أدى بالكنسية إلى القيام بإصدار غفران Pardon عام 1199 م، يسمح للمسيحيين بقتل المسلمين، كما يبدو من تصوير تلك الأحداث فى الحكايات الفلكورية المعروفة باسم Ghajn Klieb Folk-tale .

طرد المسلمين :

يعتبر التقرير السكانى الذى كتبه الراهب جلبيرت عام 1240 م من بين الوثائق المشهورة فى تاريخ مالطة خلال القرون الوسطى، ومازال هذا التقرير محفوظًا على شكل ملخص تناول فيه فئات السكان الثلاث المكونة من المسلمين، المسيحيين واليهود، فى كل من مالطة وجوزو. وقد أشار بالأرقام إلى عدد الأسر التى تتكون منها كل فئة على حدة كما يلى :

	مالطه	جوزو	المجموع
المسلمون	681	155	836
المسيحيون	47	203	250
اليهود	25	8	33
المجموع	753	366	1119

وحيث إنه كان من الصعب تفسير النص الذى كتبه الراهب جليبرت بنفسه، فهناك شك حول الإحصائية المشار إليها أعلاه خاصة فيما يتعلق بالمسيحيين. فمن الصعب جدًا الاعتقاد بأن عدد الأسر المسيحية فى مالطة خلال عام 1240 قبل بلغ حوالى 47 أسرة فقط، فلربما تم تحريف التقرير السكانى المذكور بالتلاعب بالأحرف التى تمثل الأرقام كما يورد المؤلف نفسه، فبالإمكان إسقاط الحرف(M) الذى يمثل خانة الآلاف وكذلك اسقاط الحرف المئات أيضًا، على كل حال فإن هذا التقرير يبرهن بدون شك ـ وفقًا للأرقام المتعلقة بإحصائية المسلمين ـ على أن جماعة كبيرة من المسلمين ظلت تعيش فى الجزيرة حتى أواخر عام 1240م.

أما فى عام 1429 م، نجد ابن خلدون يورد أن الإمبراطور فريدريك الثانى Frederick II قام بإرسال المسلمين المالطيين إلى المنفى، مع المسلمين الصقليين الذين كان قد تم نفيهم إلى لوجارة Lucera الواقعة فى شرق وسط إيطاليا، بعد تمرد المسلمين فى غربى جزيرة صقلية عام 1220 م. وفى لوجارة Lucera يخبرنا ريكاردوس مالتيزى Riccardus Malthesi بأن المسلمين المنفيين قد قبلوا بالتعميد واعتناق المسيحية فى أواخر عام 1300 م.

أما المسلمون فى مالطة فقد تعرضوا قبل طردهم إلى الاستيلاء على أملاكهم، مما ساعد فى اختفاء الإسلام والمسلمين من الجزيرة، هذا بالإضافة إلى تطبيق المرسوم الذى أصدرته الكنيسة والخاص بطرد المسلمين من الجزيرة، سواء كانوا عربًا أو غير ذلك، ذلك أن المرسوم الكنسى لم يتناول جماعة عرقية معينة من سكان الجزيرة، بقدر ما كان يتعلق بكل ما يعتنق الإسلام. إن هذه الظروف التى واجهت المسلمين، سواء فى صقلية أو مالطة، فرضت على المسلمين قبول التعميد واعتناق المسيحية رسميًا، وذلك من أجل الإفلات من الطرد، وهذا ما يفسر اعتناق كثير من المسلمين الدين المسيحى الرسمي، خاصة أولئك الذين كانوا يخافون فقدان ممتلكاتهم إذا ما رفضوا التعميد المسيحي. وهكذا فقد ظل كثير من المسلمين يعيشون فى كل من مالطة وجوزو، مما يبرهن على احتفاظ اللغة المالطية بشكلها القديم الذى كانت قد عرفت به خلال القرون الماضية التى سيطر فيها العرب المسلمون على ا لجزر المالطية، بالرغم من قدوم كثير من المستوطنين الأوربيين للجزيرة كالإداريين وا لجنود ورجال الكنسية والتجار.

تاريخ طرابلس الغرب لايتورى روسي والدّراسات التاريخية الإيطالية حول ليبيا*

لم يكن هناك تعريف متكامل لكل من إقليمى طرابلس وبرقة وبالتالى لم يكن كلاهما معروفين مثل بقية أقاليم أفريقيا الشمالية حتى بداية الاحتلال الإيطالى المناطق الساحلية فى ليبيا، حيث بدأت كافة الدراسات التاريخية والعلمية [1] بواسطة تشجيع المسؤولين فى الحكومة الإيطالية ابتداء من 1911م، حيث أنه كان من الصعب جداً القيام بدراسات علمية للبلاد قبل مجيء الإيطاليين إليها، ولكن برغم تشجيع الحكومة الإيطالية للباحثين للقيام بهذه الدراسات، إلا أنه لم تقدم دراسات علمية جدية إلا مع عام

1- قام الأستاذ خليفة التليسى بترجمة الكتاب بعنوان : ايتورى روسي. تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى 1911 م. بيروت، دار الثقافة، 1974 م. (المترجم).

* نشرت هذه المقالة للأستاذ سلفاتورى بونو فى مجلة الجمعية الأفريقية الإيطالية :

Bollettino Della Associazione Degli Africanisti Italiani N. 3.4. Luglio - Dicembre 1968, pp. 14 - 13.

البروفيسور سالفاتور بونو من مواليد مدينة طرابلس أثناء الاحتلال الإيطالى لليبيا، يشغل حاليًا وظيفة أستاذ بكلية العلوم السياسية والتاريخية بجامعة بيروجيا، كما أنه يشرف على إدارة مجلة الجمعية الأفريقية الإيطالية التى تصدر بمدينة كومو Como الإيطالية. (المترجم).

1920 م حيث تزايد تشجيع المسؤولين الإيطاليين للباحثين، وكان على رأس أولئك المشجعين جوسبى فولبى Giusepe Folpi، مما ساعد ايتورى روسى Ettore Rossie الذى كان يشغل وظيفة مترجم لدى الحكومة الإيطالية فى طرابلس خلال 1920 - 1922 م على القيام بالإطلاع على المصادر التاريخية التى كانت محفوظة فى أرشيف السراى الحمراء بالقلعة، وكذلك جميع الوثائق المخطوطة المحلية التى يحتفظ بها بعض المواطنين المحليين. وقد ساعدته معرفته اللغوية فى تكوين فكرة شاملة عن المخطوطات والمؤلفات التاريخية التى كانت مكتوبة باللغتين العربية والتركية، كل ذلك ساعد ايتورى روسى على تقديم عمل تاريخى تناول فيه تاريخ مدينة طرابلس والإقليم الطرابلسي، وقد نال على ذلك الجائرة الأولى فى المسابقة التى أقامها وأشرف عليها جوسبى فولبى خلال سبتمبر 1922 م.

ومنذ ذلك الوقت أخذ ايتورى روسى يعمل من أجل تطوير وتوسيع بحثه المذكور الذى تناول تاريخ ليبيا بصفة عامة.

ويبدو أنه بالرغم من أن ايتورى روسى نفسه قد انتهى عام 1928 م من القيام بصياغة جديدة أخرى لعمله المذكور كما أشارت المستشرقة ماريا ناللينو فى هوامش آخر طبعة نشرت بعد وفاة المؤلف تحت عنوان: « تاريخ طرابلس والإقليم الطرابلسى منذ الفتح الإسلامى حتى 1911 م » روما، معهد الشرق، 1968 م، 398 صفحة، إلا أنه لم يستطع كما تذكر ماريا ناللينو القيام بصياغة نهائية كاملة لكتابه التاريخي المذكور لكى تتم طباعته، وذلك يرجع إلى أنه قام بتأليفه فى مرحلة الشباب ولم يقم بتصليح بعض نصوص

المتن إلا فى مرحلة متأخرة من عمره، حيث تم العثور بعد وفاته عام 1955 م على تصحيحات وإضافات مكتوبة بيد المؤلف نفسه لبعض نصوص كتابه المطبوع، قد أضيفت خلال فترات زمنية مختلفة . . . »

وقد سنحت الفرصة لايتورى روسى بنشر أعماله المبكرة ضمن دراسات منفردة، حيث نشرت له كثير من الدراسات الأخرى المتعددة كان معظمها يدورحول المسائل والأحداث المتعلقة بتاريخ الإقليم الطرابلسي، تلك الأحداث المثيرة التى وردت فى الطبعة التى ظهرت بعد وفاة المؤلف والتى كانت تحت إشراف ماريا ناللينو التى كانت تشغل منصب مدير البحث العلمى فى مركز الدراسات الشرقية بروما، ذلك المنصب الذى كان قد شغله ايتورى روسى لسنوات طويلة.

إن إخراج ذلك العمل التاريخى إلى الوجود، يثير فى الواقع نظرة إعجاب وتقدير لذكرى وفاة ايتورى رسوى وإلى ما قام به من دراسات تاريخية حول تاريخ طرابلس تستحق كل اهتمام وتقدير.

إن القيام بنشر الدراسات التى قام بها المؤلف البحاثة يتطلب فى الواقع كثيراً من الجهد والمثابرة من أجل طباعة ذلك العمل وإخراجه للوجود. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن العمل الذى قام به المؤلف كان يحتوى على مقالات كثيرة متفرقة لم تتم صياغتها نهائياً لتكون جاهزة ضمن عمل موحد، فقد كانت أيضًا تنقصها الإشارة إلى المصادر الببليوجرافية. مما جعل ماريا ناللينو تقوم بحصر تلك المراجع أو المصادر الببليوجرافية التى كانت قد أغفلت بواسطة المؤلف نفسه، وقد أتبعت ناللينو فى سبيل ذلك أسلوب

الدقة والتمحيص معتمدة فى تحقيق ذلك على النص الأصلى، وقد ساعدها فى ذلك البروفيسور فرانشيسكو كاسترو فى تصحيح النصوص وإعداد القوائم الببليوجرافية لهذا الكتاب، أما انجلو بيمونت فقد قام بإعداد فهارس للكتاب المذكور.

وقد أثار كتاب ايتورى روسى إعجابى عندما بدأت القيام بدراسات حول تاريخ السكان فى دويلات الشمال الأفريقي، خاصة فيما يتعلق بنشاط القرصنة والأساليب المتبعة مقابل فدية الرقيق المسيحي، بالإضافة إلى أن هذا الكتاب قد أعاد إلى نفسى ذكرياتى عندما كنت طالبًا بجامعة روما، تلك الذكريات الجميلة لمدينة طرابلس مسقط رأسى حيث قضيت فيها مراحل طفولتى الأولى، إن هذا الكتاب قد شجعنى بغمرة من الحماس الحنين إلى الاهتمام بتاريخ مدينة طرابلس، حيث قادتنى الصدفة للعثور على بعض الوثائق الأرشيفية المجهولة [1]. وقد ساعدنى البروفيسور ايتورى روسى أثناء قيامى بأبحاثى حول تاريخ مدينة طرابلس خاصة فيما يتعلق بالقرصنة البحرية والأساليب المتعبة فى إطلاق سراح الرقيق مقابل فدية مالية، حيث كانت إرشاداته ونصائحه خير معين لى فى إتمام أبحاثى بخصوص تلك الموضوعات فقد كنت أتردد عليه عدة مرات فى مدرسة الدراسات الشرقية Scuola Oreientale.

1- هذه الوثائق تكوّن فى الواقع مصادر أرشيف رهبان دى جونفالونى Archivo Confraternita del Gonfalone والتى تعتبر قسمًا من الأرشيف السرى بالفاتيكان: حيث يرجع معرفة تلك الجماعة الدينية عند ما تم العثور بأحد عربات بيع الكتب بروما على طابع شهير يشير إلى تحرير أحد الرقيق المسيحيين البولونيين.

وقد كان ايتورى روسى يعتبر من بين المستشرقين الأكفاء المتواضعين، حيث كان يتسم بمقدرته الفائقة على فحص كافة المصادر فى تاريخ الولايات البحرية فى الشمال الإفريقي وعلاقاتها مع أوروبا .

ويعود الفضل إلى ايتورى رسوي، حيث اعتبر نشر كتابه (تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى 1911 م) نقطة هامة للانطلاق منها فى دراسة كثير من أحداث تاريخ ليبيا .

أما البروفيسورة ماريا ناللينو فيعود إليها الفضل أيضًا فى إخراج الكتاب المذكور لايتورى روسى إلى النور بمساعدة معهد الشرق ـ بروما وكذلك مركز البحوث الوطني. وقد أشارت ماريا نالينو بأسلوب مبسط فى مجمل تعليقاتها على الكتاب بقولها : « يعتبر كتاب تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى 1911 م »، من المؤلفات التاريخية الهامة جدًا خاصة فيما يتعلق بتاريخ مدينة طرابلس، حيث أنه لم يسبق وجود كتاب حول تاريخ المدينة متكاملاً بهذا الشكل فى جميع اللغات الأخري، لأن هذا الكتاب أشتمل على تاريخ طرابلس منذ الفتح العربى حتى نهاية الحكم التركى للبلاد، حيث أنه لم يوجد من قبل سوى بعض الكتب التى تشمل تاريخ مدينة طرابلس مكتوبة بأسلوب بسيط متفرق وغير متكامل. وعلى سبيل المثال : تلك الكتب التى تناولت تاريخ مدينة طرابلس خلال العهد القره مانلي، كما أنه لم يسبق لأى مؤلف أو مؤرخ تناول تاريخ مدينة طرابلس من قبل الاعتماد على المصادر العربية وكذلك الاستعانة بالوثائق الأرشيفية كما فعل ايتورى روسى .

وقد استفاد ايتورى من معرفته اللغوية التى كتبت بها كثير من المصادر التاريخية حول طرابلس، حيث كان يجيد اللغة العربية بالإضافة إلى إجادته للغة التركية مما جعله قادراًعلى فحص وتحقيق كثير من المصادر العربية والتركية التى كانت فى معظمها غير منشورة من أجل إنجاز كتابه، وفى الواقع كانت أغلبية تلك المصادر التى أعتمد عليها روسى تعتبر مصادر مجهولة لدى الباحثين المستشرقين وغيرهم، كما أنه قد ا عتمد على المصادر الغربية المنشورة أيضًا، بالإضافة إلى المصادر الأرشيفية الوثائقية خاصة ما كان منها يتناول مراسلات قناصل الدويلات الأوروبية المعتمدين لدى طرابلس، كما أنه لم يغفل المصادر الببليوجرافية التاريخية حول البلاد والتى تعود أساسًا إلى باحثين إيطاليين.

إن الفضل الكبير الذى يعود إلى ايتورى روسى هو الاستفادة من المصادر العربية الطرابلسية، حيث أعتمد على كتاب المؤرخ الطرابلسى ابن غلبون (يمكن مقارنة النص المطبوع فى القاهرة مع النص الأصلى المخطوط المحفوظ بطرابلس) [1]. كما اعتمد أيضًا على كتاب المؤرخ الطرابلسى أحمد النائب الأنصارى الذى نشر بالقسطنطينية خلال الفترة الواقعة ما بين 1899-1900، كما أنه استخدم المقارنةوالشرح خاصة فيما يتعلق بالتواريخ التى وردت فى كل من المصادر الشرقية والغربية على حد السواء، حيث كانت المصادر الشرقية وفيرة بالإضافة إلى أنها تعتبر من المصادر التاريخية

1- قام ايتورى روسى بنشر تاريخ ابن غلبون بعد أن نقله إلى اللغة الإيطالية عام 1963 م تحت عنوان :

La Cronaca Arabo-Tripolina Ibn Ghalbun (Sec. XVIII). Bologna, 1963 .

الموثوق بها خلال القرون الوسطى، أما المصادر الغربية فقد تناولت عصر نشوء الدويلات البحرية فى الشمال الإفريقى بالإضافة إلى الحكم العثمانى لتلك الدويلات.

وبالرغم من ذلك فقد حاول ايتورى روسى تحاشى بعض ما نشر حول تاريخ مدينة طرابلس، خاصة ذكر تلك المصادر الببليوجرافية التى تتناول عصر نشوء الدويلات البحرية بالشمال الإفريقي.

لهذا فقد قمت شخصيًا بالمثابرة على القيام بأبحاث من أجل تجميع كثير من البيانات المتعلقة بالقرن السادس عشر حول مدينة طرابلس، والتى كانت قد نشرت فى مقالات منها ما يلى :

G.S. Gargano, Ricordi inglesi del 500 Tripolitano , in 16 Marzocco , XVII. 1912 , n . 1 , 17 gennaio , p. 1-2 .

وتشير مقالة ج. س. جرجان هذه « ذكريات إنجليزية من طرابلس خلال القرن السادس عشر » إلى حملة توماس ساندر Thomas Sander الذى كان قد حاول الإنزال على ساحل مدينة طرابلس عام 1584 م، أما فيما يتعلق بالحملة العسكرية البحرية ضد طرابلس عام 1559م. فقد أشار إليها أ. دا موست A. Da mosto فى مقالته :

Lettera inedita Sulla Spedizione di Filippo LI Re di spagne Contro Tripoli in Rivista Marittima . XXV , 1892 , II trim ., PP. 47 - 60;

تورد المقالة المذكورة أعلاه أو « رسالة غير منشورة حول حملة ملك أسبانيا فيليب الثانى على طرابلس » أطماع أسبانيا نحو طرابلس عام 1559م.

أما المقالة الثالثة فهى بقلم ج . بوجى .

G. Poggie, la spedizione di Tripoli nel 1559 Rodi e le devastaztion di Turchi nell' Egeo, in Rivista ligure di Scienze , lettere . ed arti , XXXIX 1912, PP. 110-118

وتشير هذه المقالة (حملة طرابلس عام 1559 م . رودس وتدمير الأتراك فى بحر إيجة) إلى اشتراك الأسطول الطرابلسى فى معركة رودس فى بحر إيجه إلى جانب الأتراك .

أما ن . ت فقد نشر مقالاً بعنوان :

" Gli Italiani ' nel ' impresa di Tripoli ' Fatta da filippo II . in Marzocco XVII. 1912 , n . 8 , 25 febnbraio, P.2 .

أشار فيها إلى اشتراك الإيطاليين فى الحملة العسكرية الأسبانية التى أرسلها الملك فيليب الثانى ضد طرابلس .

أما فيما يتعلق بقصف طرابلس بواسطة الفرنسيين خلال عام 1685 م نجد مقالة :

M.Bodin, Le Bombardement de Tripoli de Barbarie par le Marechal d'Estrees en 1685 raconte par un musulman marcoain, temoin oculaire in La Revue Tunisienne XXV . 1918, PP. 204 - 209 .

أو : « قصف طرابلس بواسطة المارشال دى ستريس عام 1685 م، رواية لأحد شهود العيان من المغاربة المسلمين » .

أما فيما يتعلق بوصف أحداث القرن الثامن عشر، فتوجد بعض المقالات منها :

Ahmed Zeki Pacha, Curiosite historique sur I'Occupation de la Tripolitaine par L'Italie (un document inedit vieux de 135 ans) , in Bulletin de L'Institut egyptien , 5. A serie , Vi, 1912, PP. 15 - 45 .

وتتناول مقالة أحمد زكى باشا « استطلاعات تاريخية حول احتلال إيطاليا لإقليم طرابلس « وثيقة غير منشورة ترجع إلى 135 عامًا) كافة الأحداث التى أدت بإيطاليا إلى احتلال إقليم طرابلس، كما يوجد حول هذه الحادثة أيضًا مقالة U.Bonomo وهى بعنوان : L'Occupazione della Tripolitania da Parte dell'Italia precolonizzata nel Secolo XVIII, in L'Africa Italiana, XXXII, 1913 , pp. 109 - 115 .

وقد تناولت مقالة بونومو « احتلال إيطاليا لإقليم طرابلس والإعلان عنه فى القرن الثامن عشر » نفس الأحداث التى كانت قد تناولتها مقالة أحمد زكى باشا السابقة .

وحول العلاقات السياسية والاقتصادية بين طرابلس وصقلية، نشرت مقالة :

V. Epifanio, Sulle Relazioni Politiche commerciali tra la Sicilia e la Tripolitania nella Prima meta del Secolo XVIII, in Archivio Storico Sicilano , XXXVI, 1911- 1912 , pp. 431 - 442;

هذا وقد أثارت الحملة العسكرية البحرية لسردينيا على طرابلس عام 1825 م اهتمام كثير من المؤلفين كان من بينهم ما يلى :

1 - E. Prasca. La Spedizione della Regia Marina Sarda A Tripoli nel 1825, in Rassegna Nazionale , XXX IV, Vol., 183 . pp. 186 - 206;

2 - G. Gonni. Carlo Felice e il Bey di Tripoli, in Rassegna nazionale. XXXIV, 1912, Vol. 183. pp 457- 461 .

أما عن بقية الأحداث الغريبة أو النادرة والتى كانت قد حدثت بطرابلس خلال القرن الثامن عشر فقد أشار إليها بعض المؤلفين منهم :

1 - Rousseau. Un Fete Nazionale Francaise a Tripoli en 1826, in Revue Africaine , XXXVI. 1892, pp. 244- 261 .

2 - S. Romano, Un bel dono di Ferdinando II ai Siciliani residenti a Tripoli di Barberia , in Archivio Storico Siciliano, XXXII, 1907 , pp. 453-458 .

3 - O. Tencioli, Tripoli e gli Stati Romani, in Lettura . XII, 1912, pp. 653-654.

وتوجد هناك مقارنة بين الأخبار التى أوردها محمد بن عمر التونسى فى « رحلته إلى واداى » والأحوال السائدة بطرابلس فى بداية القرن الحالي، أشار إليها مسافر فى مقالته التى كانت بعنوان :

La Tripolitani il y a cent ans et aujourd'hui . in Revue du monde musulman, VII, 1909, pp. 311-315 .

وبالاعتماد على هذه الكمية الوفيرة من الوثائق استطاع ايتورى روسى استعادة كافة الأحداث التى كانت قد تناولت مدينة طرابلس والإقليم الطرابلسي، بطريقة منظمة ومفصلة بدقة، حيث اشتملت على ثلاث فترات زمنية، كانت الفترة الأولى تشمل الفتح العربى حيث امتدت من 624 إلى 1510 . أما الفترة الثانية فهى تبدأ من 1510 (فترة الاحتلال الأسبانى للبلاد) وتنتهى فى 1835 (إصلاحات قوانين الحكم العثمانى) . ثم الفترة الأخيرة وهى التى تشمل الحكم العثمانى للبلاد (1835-1911) .

وبواسطة المقارنات التى قام بها ايتورى روسى بين المصادر الببليوجرافية المتعددة، استطاع تصحيح كثير من الأخطاء التى كان قد وقع فيها بعض المؤرخين، كما أنه قام بعرض كثير من الحالات التى كان يكتنفها الشك، بالإضافة إلى أنه قد أثار كثيراً من الفرضيات القابلة للتصديق والجدل، كما قدم اقتراحات كثيرة حول بعض الموضوعات التى يجب أن تكون منطلقًا لأية أبحاث جدية لاحقة حول تاريخ طرابلس .

أن تقييم جوهر كتاب ايتورى روسى لم يقصد به التقليل من قيمة أهمية العمل الذى قام به ايتورى روسي، فقد ساعد كتاب ايتورى روسى حول تاريخ طرابلس، منذ أكثر من 40 عامًا على توسيع مفاهيمنا وتوجيه اهتمامنا نحو أساليب جديدة فى كتابه التاريخ، وهكذا نجد أننا فى الوقت الحاضر ندين بالمعروف إلى مؤلفات كل من براوديل Braudel فيما يتعلق

بتاريخ البحر المتوسط خلال عهد الملك فيليب الثانى وإلى الدراسات التى قام بها ايتورى روسى والتى كانت قد تميزت بكثرة المعلومات والدقة .

ومما لا شك فيه أن كل باحث يجد فى كتاب روسى الذى يدور حول تاريخ طرابلس كثيراً من التلميحات التى تنبجس عنها بالتالى إرشادات تالية تفيد الباحث فى البحوث اللاحقة التى يرغب القيام بها . وعندما قمت (كاتب المقال) بالإطلاع على تاريخ طرابلس لايتورى روسى شعرت أن ذلك الكتاب قد أثار اهتمامى نحو كثير من الموضوعات منها على سبيل المثال : العلاقات بين طرابلس وبرقة خلال القرنين السادس والسابع عشر .

ويورد ايتورى روسى فى الصفحة 185 من كتابه المذكور خبراً عن مارمول Marmol مفاده تنازل عن ملكية صبيان عرب كانوا رهينة لدى تاجر مسيحى من صقلية مقابل استلامه كمية من الحبوب ، حيث كان الشباب العرب يتحولون بهذه الطريقةإلى رقيق فى صقلية ، وهكذا كان يتم إحضار الشرقيين إلى إيطاليا (سواء كانوا عربًا أو بصفة عامة مسلمين ، وكذلك أيضًا الزنوج) خلال القرن السادس عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر ، وتبدو مسألة إحضار الرقيق إلى إيطاليا سواءكانوا من العرب المسلمين أو من الزنوج جديرة بالبحث والتنقيب ، كذلك بعض المظاهر الأخرى التى تمثل التاريخ الاقتصادى والاجتماعى فى إيطاليا ، تلك العلاقات التى كانت قد تكونت ما بين العالم الأوروبى والعالم الإسلامى والأفريقي ، وقد استطعت منذ زمن تجميع كثيرمن البيانات والأخبار [1] التى تناولت الرقيق الأفريقى

1- فيما يتعلق بالإشارة إلى شخصية الراهب البنيديتى الزنجى (1524-1589) الذى كان يعتبر من الرقيق الصقلى من أصل أثيوبى تم ضمه إلى فئة القديسين عام 1856 م فقد قمت =

والإسلامى فى إيطاليا وأوربا ، حيث كانت تجارة الرقيق من السمات المرتبطة ارتباطًا مباشرًا بتاريخ البحر المتوسط المعاصر نتيجة لازدياد نشاط القرصنة التى كان مارسها المسلمون البربر فى البداية ثم المسيحيون فيما بعد .

وقد أشار ايتورى روسى إلى نشاط القرصنة بتوسع فيما قبل الصفحة 214 فى كتابه المذكور ، حيث أشار إلى الرقيق الأتراك الذين يعيشون فى مدينة تشيفيتا فيكيا Civita Vecchia ، وقد كان فى الواقع يوجد حينذاك نوعان من جاليات الرقيق فى إيطاليا ، أبرز تلك الجاليات كانت جالية الرقيق المسلمين ، وقد تناول روسى كذلك المفاوضات التى كانت بخصوص فدية الرقيق كماورد ضمن (الصفحة 216 والتعليق رقم 97) ، ومن أمثلة تلك المفاوضات التى كانت تجرى بخصوص إطلاق سراح الرقيق ما تم خلاله 1704-1706م بخصوص فدية أحد الرياس الطرابلسيين ، حيث استمرت البيانات حول أخبار الرقيق الموجودين بإيطاليا إلى أوائل العشرينات من القرن الماضي ، وإلى حوالى 1820 م حيث كانت توجد ثمة أخبار عن وجود رقيق ينتمون إلى دويلات الشمال الأفريقى فى إيطاليا : وتشير على سبيل المثال ، إحدى الرسائل المؤرخة فى 22 أكتوبر 1816 م والتى كانت قد أرسلت بواسطة الماركيز دى شيرسيللو Marchese di Circello وزير خارجية مملكة الصقليتين كردّ على رسالة القنصل الإنجليزى وارنجتون Warrington الذى كان يقوم أيضًا بأعمال قنصلية مملكة الصقليتين بطرابلس ،

= بتناوله فى التعقيب الذى كان بعنوان :

Due Santi negri : Benedetto da San Fratello e Antonio da Noto, in Africa, XXI, 1966, pp. 76-79.

وقد كانت تلك الرسالة فى الواقع بخصوص ثلاثة من الرقيق الطرابلسيين المتواجدين فى سيراكوزة، والذين صدر أمر بالإفراج عنهم وتسفيرهم إلى طرابلس عن طريق مالطة [1]. وذلك وفقا للاتفاقية التى تم التوصل إليها بواسطة اللورد اكسموث Exmouth بين البلدين .

ويفتقر كل من وجود الرقيق الشمال أفريقى بإيطاليا وتجارة تهريب الرقيق الزنوج من أفريقيا عبر الصحراء إلى طرابلس وبقية المراكز الساحلية فى ليبيا إلى دراسات جدية خاصة وأن تلك التجارة استمرت نشطة حتى بعد أن تم تحريم تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، حيث استمرت تلك التجارة تصدر الزنوج إلى مراكز متفرقة بالمشرق (ولم يبق سوى بعض من أولئك الزنوج فى مدن أفريقيا الشمالية) ومن هنا ـ أى من المشرق وصل كثير من الرقيق الزنوج إلى إيطاليا أيضًا ـ وهكذا نجد أن وجود الرقيق فى إيطاليا، كانت له علاقة من جهة أخرى بتجارة تهريب الرقيق الزنوج من أفريقيا إلى مدينة طرابلس عبر الصحراء .

وقد أسهب روسى فى إيجاد كثير من البيانات والأخبار المتنوعة بما يخص تجارة تهريب الزنوج من أفريقيا، حيث كان قد تناول تجارة الرقيق خلال 1690 م كما يورد فى الصفحة 212، أما فيما يتعلق بالقرن السابق فيمكن مراجعة الصفحات 316 إلى 319 تجارة الرقيق، حيث كانت تعتبر تجارة الرقيق من أهم الموارد الاقتصادية الرئيسية للبلاد الطرابلسية، حيث

1- دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ـ ملف قنصلية مملكة الصقليتين ـ مراسلات القناصل، 1825 - 1815 م. كانت رسالة القنصل وارنجتون قد أرسلت بتاريخ 15 يوليو 1816 م إلى وزير خارجية مملكة الصقليتين .

تأتى القوافل التجارية محمّلة بالسلع المتنوعة بالإضافة إلى الزنوج عبر الصحراء إلى مدينة طرابلس (*).

وفى الواقع يمكن القول بأن تجارة الرقيق تستحق دراسات جدية حيث أن جميع الوثائق المخطوطة والمعلومات حول تلك التجارة لا زالت متوفرة(1) وقد ساعدت أبحاث ايتورى روسى حول تجارة الرقيق أو بمعنى أصح تجارة القوافل إلى إلغاء كافة التخمينات التى كان يعتمد عليها البعض فى إيطاليا منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى عام 1911 م، حول أهمية تجارة القوافل من الناحية الاقتصادية التى أصبحت تتزايد باستمرار، مما أدى بالتالى إلى توطيد العلاقات التجارية مما ساهم من جهة أخرى فى ظهور صلات أخرى ا تسمت بها علاقات طرابلس بأفريقيا خاصة مع الصحراء الجنوبية، وبالأخص مع بورنو، وقد أشار إلى تلك العلاقات التجارية خلال الفترة الواقعة ما بين 1846 - 1870 م، ب. ج. مارتن B.G. Martin فى مقالته التى نشرت تحت عنوان :

Five Letters from the Tripoli Archives, in Journal of the Historical Society of Nigeria . II, 1962, PP. 350-372 .

---

* انظر : سلفاتورى بونو، تجارة طرابلس عبر الصحراء فى العقد الأول من القرن العشرين - مجلة البحوث التاريخية، مركزجهاد الليبيين ـ طرابلس، س 3، ع 1، يناير 1981 م. ص ص 75-88. (المترجم) .

1 - Cfr. M.LLe Terrier. Come Procedeva la Schiavitu in Tripolitania, in Bollettino della Societa antischiavista italiana , XXIV, 1911, Nov. Dic., pp. 148-150 .

حيث قام السيد مارتن فى مقالته هذه « خمس رسائل من أرشيف طرابلس » بترجمة وثائق مخطوطة عربية محفوظة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

وقد تناول ايتورى روسى فى كتابه التاريخى المذكور حول طرابلس الحالة الداخلية التى كانت تسود طرابلس ، بالإضافة إلى ماكان يحدث بالإقليم الطرابلسي ، وقد اعتمد على المصادر التاريخية العربية والتركية والتى كانت تعتبر من أهم المصادر الأساسية التى استفاد منها ، ومن جهة أخرى فإن ايتورى لم يهمل علاقات طرابلس مع الدول الأوروبية .

أما فيما يتعلق بالفترة الزمنية الواقعة ما بين 1850-1911م، فلم تكن لآيتورى نيّة فى تناول أحداث تلك الفترة بأسلوب مفصّل ، بل يمكن إدراك مسألة الوجود الإيطالى بطرابلس [1] حيث كان قد طرح تلك المسألة دون تحديدها من الناحية الاقتصادية والسياسية ، حيث أنه لم يرسم سوى صورة جانبية لتأكيد النوايا السياسية لإيطاليا نحو ليبيا .

إن مسألة التغلغل الاقتصادى والوجود الإيطالى فى ليبيا يحتاج فى الواقع إلى مقدمة لتاريخ ليبيا خلال الاحتلال الإيطالي ، والتى نفتقرها إلى حد الآن كما يبدو لي ، بالإضافة إلى عدم ،وجود دراسات تاريخية جادة لتاريخ طرابلس خلال العهد الإسلامى العربى والتركي ، حيث لا توجد

---

(1) بخصوص هذه المسألة يمكن الإطلاع على ما كتبه ايتورى روسى عن الجالية الإيطالية بطرابلس خلال القرن التاسع عشر . أو :

Ettore Rossi, la Colonia Italiana a Tripoli Nel Secolo XIX, in Rivista della Colonie Italiane, IV, 1930, PP. 1053 - 1068 .

دراسة أكثر توسعًا وشمولاً لهذه المسألة، فى الوقت الحالي، سوى تلك الدراسة التى قام بها هنريكو دى ليون Enrico De Leone والتى نشرت تحت عنوان : « استيطان أفريقيا الشمالية » أو :

Enrico de leone, la colonizzazione dell' Africa del Nord, Padova, 1960. Vol. II,PP. 375 -568.

ونجد فى بقية القسم الثانى من كتاب ايتورى روسي، فقرة خصصها المؤلف لفترة الحكم العثمانى الثانى فى ليبيا، حيث تناول فيها بتوسع تغلغل نفوذ الأتراك فى دواخل البلاد، كما ناقش فيها مسألة ليبيا مع جاراتها (راجع ص ص 333 -348) وفيما يتعلق بهذه المسألة يمكن العودة إلى دراسة سابقة تجدر الإشارة إليها للمؤلف [1]. هذا وتعتبر مسألة الحدود ما بين الدويلات الأفريقية من أكثر الأمور المعقدة الجديرة بالاهتمام والدراسة فى تاريخ القارة الأفريقية، أى أنها من جهة أخرى تعتبر من أهم المسائل التى تشمل بدون شك تاريخ القارة بأكمله خلال الـ 80 عامًا الماضية، وأيضًا لا توجد حول هذه المسألة كثير من الدراسات، حيث تعتبر مسألة حدود ليبيا مع جاراتها هى من بين المواضيع القليلة من حيث العدد التى تم بحثها، ولربما يرجع السبب فى ذلك لكون مسألة الحدود تعتبر من المواضيع التى تتطلب مزيدًا من البحث والتحقيق الجاد، بحيث يتم ترتيب الأحداث وتركيبها وكذلك الآراء التى تمثل وجهات النظر حول تلك المسألة، وجعلها

(1) E. Rossi. Per la Storia della Penetrazione Turca nell interno della Libia e Per la questione dei Suoi Confini, in Oriente Moderno, IX, 1929, pp. 153 - 167 .

بالتالى وفقًا للنمو التى شهدته تلك الدويلات الأفريقية بعد حصولها على الاستقلال .

أما عن الببليوجرافيا التى تناولت مسألة الحدود بين الدويلات الأفريقية، فهى كثيرة، هذا كما سبق لأيتورى روسى أن زودنا بكثير من المعلومات بالإضافة إلى ذكر بعض المصادر والتى كان من بينها المراجع أو المصادر التركية، ويمكن إضافة إلى كل ما سبق ذكره حول مسألة الحدود ما يلى :

A. Mori., I Confini e I'area della Libia e della Sue grandi Circoscrizioni amministrative, in Rivista Geografica Italiana . XLI , 1934. p 187-190 .

Africa, I Confini el ' hinterland della Tripolitania, Roma, 1907 .

(توجد نسخة من هذا الكتيب فى مكتبة مجلس النواب الإيطالى) .

F.Bertonelli. I Confinit Tra la Libia e I'Africa equatoriale francese, in Rivista Maritima, LXIII . 1930, trim .3, pp.205-216 .

وبعد عام 1930 م باستثناء بعض التلميحات الحديثة التى تناولت بكثرة الببليوجرافيا التى قدمها ايتورى روسى حول تاريخ مدينةطرابلس، فقد صدرت أيضًا المجلدات الشهيرة ضمن سلسلة « تاريخ ليبيا » بإشراف Angelo Piccioli، هذا كما نشرت كثير من الدراسات يما يتعلق بتاريخ طرابلس فى مجلات المستعمرات الإيطالية Riviste Coloniali Italiani وقد تم

إضافة تلك المساهمات إلى النص المطبوع لايتورى روسي، حيث وضعت بن أقواس مربعة لتمييزها عن غيرها ضمن طبعة كتاب ايتورى روسى التى أصدرها معهد الشرق بروما .

ومن بين الدراسات الأخرى التى صدرت ما بين 1931-1943م. حول تاريخ طرابلس يمكن ذكر ما يلى :

R. Micacchi, Le Ultime Gesta dei Corsari Tripolini e la relazione degli stati Itliani , in Rivista delle colonie Italiane, VII, 1933, pp. 201-222.

أو :

ر. ميكاكي، أخر غارات القراصنة الطرابلسيين ورد فعل الدويلات الإيطالية .

وكذلك مقالة ج. ناردوشى :

G. Narducci. II Regno di Tripoli In Una descrizione del 1768, in Tripolitania III, 1933, n.9 -10 . Sett. Ott., pp. 9-13 .

وهى عبارة عن وصف عام لأيالة طرابلس خلال 1768 م .

E. De Agostini, Un documento inedito sull' episodio di Ali Burgulin Tripolitania, (1739-95) , in Bollettino geografico del governo della Tripolitania e della Cirenaica, nn. 5-6 , 1933-1934, pp. 73-82.

وتشير المقالة السابقة إلى وثيقة لم تنشر حول استيلاء على برغل على طرابلس (1793-1795) .

وتتناول المقالة الثانية لـ ر . ميكاكي ، تاريخ طرابلس 1835 إلى 1858م . وقد نشرت هذه المقالة بمجلة المستعمرات الإيطالية وهى كما يلى :

R. Micacchi, La Tripolitania dal 1835 al 1858, in Rivista delle Colonie, XI, 1937, pp. 816-832 e 974 - 990 .

أما مقالة ديلافالي ، فهى تتناول تاريخ طرابلس فى نهاية القرن السابع عشر ، وقد نشرت المقالة تحت عنوان :

C . Della Valle, Tripoli nella Fine del Seicento, in Nuova Antologia , Vol., 390, 16 - Marzo 1937, pp. 127 - 135 .

ويتناول أوريجيما Aurigemma الفترة التاريخية التى تولى خلالها محمد عبد الله الساقزلى حكم طرابلس ، وهى الفترة التى امتدت من1631م . إلى 1649 ، فى مقالة نشرت بعنوان :

S. Aurigemma, Mohammed Abdallh di Chio, dai e Pascia di Tripoli dal 1631 al 1649, in Gli Annali dell' Africa Italiana, V, 1942, n . 3, pp. 705 - 744 .

وبالإضافة إلى هذه المقالات ، توجد أخرى خاصة تلك التى اعتمد كتابها على دور الأرشيف في البندقية ، وكان من أبرز أولئك فرانشيسكو

كورو Francesco Coro الذى كان من بين المهتمين بدراسة تاريخ طرابلس، ومن بين مساهمته فى هذه المضمار نذكر ما يلى :

Un incidente Veneto - Tripolino , in Rivista delle Colonie Italiane, VI, 1932, pp. 451-460 .

Ristabilimento del Consolato Veneto a Tripoli nel 1683, in Rivista delle Colonie Italiane, VI, 1932 , pp. 949-958;

Un missionario a Tripoli informatore degli inquistori·di Venezia, in Rivista delle Colonie italiane, VIII, 1934. pp 485-495 .

Settantasei anni di dominazione Turca In Libia (1835-1912) , Tripoli, 1937, pp. XII- 137;

Cinque anni di Storia Tripolina Dall'assassinion di Hasan Caramanli allo Sbarco di Ali Burghul Secondo I documenti degli archivi Veneziani, in Gli Annali del' Africa Italiana, II, 1939, pp.617-630 .

ولما كانت ليبيا مستعمرة إيطالية، لم يكن حينذاك سوى نفر قليل من الباحثين الأجانب من غير الإيطاليين قد اهتموا بدراسة تاريخ البلاد، وكان من بين أولئك الفرنسى شارلس رو الذى نشرت له مقالة تحت عنوان :

F . Charles-Roux, Naudi et le retablissement des relations entre la France et Tripoli en 1802 in Revue d'histoire des Colonies Francaises XVII, 1929 , pp. 1-44 .

وكذلك قام أيضًا بتأليف كتاب بعنوان :

Enmarge de L'expedition d'gypte : Bonaparte e la Trpolitaine , Paris, 1929.

كما تم نشر كتيب للسيد أ، ج. كاكيا A.J. Cachia وذلك بعد الحرب مباشرة وبسبب طبعه بطرابلس أصبح من الصعب العثور عليه بإيطاليا، ومن ثم كان مجهولاً عند الكثير من المهتمين بتاريخ ليبيا، وقد صدر هذا الكتيب باللغة الإنجليزية تحت عنوان :

A.J. Cachia, Libya under the Second Ottoman Occupation (1835-1911) (Tripoli. 1945, pp.197) .

وقد تناول كاكيا فى كتيبه المذكور أعلاه، النظم الإدارية العثمانية بالإضافة إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى طرابلس خلال الحكم العثمانى الثانى الذى سيطر على البلاد منذ 1835م. إلى مجيء الإيطاليين عام 1911م، ولم يشر المؤلف إلى ملاحظات هامشية للمراجع التى اعتمد عليها فى كتيبه، على الرغم أنه زعم قد اعتمد فى الحصول على كافة البيانات التى وردت فى كتابه بطريقة شفوية من صحفى يدعى البروفيسور جورج صاقال George Saqqal وأيضًا من موظف حكومى يدعى محمد أفندى بانون كان ضمن القوات العسكرية التركية.

وبعد الحرب العالمية الثانية استمرت فترة ركود دامت عشر سنوات من جانب الباحثين الإيطاليين، فلم تشهد تلك الفترة أية دراسات حول تاريخ ليبيا، إلا مع بروز البادرة الشجاعة التى قام بها لويجى شيربيلا

Lugi Cerbella خلال 1953 حيث أصدر مجلة فصلية سماها «ليبيا[*] Libia» تهتم بالدراسات التاريخية الليبية، وقد قامت تلك المجلة خلال سنوات صدورها الأربع بنشر كثير من المقالات والدراسات المتخصصة في تاريخ ليبيا، وقد نشر ايتوري روسى فى هذه المجلة - ليبيا - خلاصة رائعة بعنوان : « تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامى العربى حتى 1911»[1]

---

* كانت تصدر بمدينة طرابلس مجلة ليبيا Libia خلال العهد الإيطالي، وتوجد بعض أعداد لتلك المجلة الثقافية محفوظة بقسم ليبيا بالمكتبة المركزية لجامعة قاريونس - بنغازى الزهراة. المترجم).

1- كان من بين الدراسات التى نشرت فى مجلة ليبيا - العدد الثانى 1954 رقم 1 . يناير - مارس، ص3-43. مقالة لسالفاتور بونو : الرقيق البولونى فى طرابلس خلال القرنين السابع والثامن عشر

S. Bono, Schiavi bolognesi a Tripoli nei Secoli XVII e XVIII.

كما نجد فى أعداد مجلة ليبيا التالية بعض الدراسات منها :

Libia. II. 1955. N. 3, Luglio - set., pp. 25 - 37) ; G. Cerbella . Guma , Poeta e Patriotalibico . Nella Storia e nela leggenda .

أو « غومة كشاعر ومناضل ليبى فى التاريخ والأساطير الشعبية »

Libia . III . 1955 . N.4, ott. Dic., pp. 2-24) ; F. Coro, II Consolato della Republica di Venezia a Tripoli dal 1764 al 1797 .

أما فى العدد رقم 3، السنة الثالثة، 1955 م لمجلة ليبيا :

Libia. III. 1955 . N . 3 , Luglio - Sett., PP. 49-59 ;

فنجد مقالة :

C . Bergan. I'Origine della missione Francescana in Libia .

« تأسيس البعثة التبشيرية الفرنشيسكانية فى ليبيا » =

وكان من أفضل الثمار التى نتجت عن نشر كتاب ايتورى روسى حول طرابلس، هى أنه قد ساعد على حثّ وتشجيع الباحثين على القيام بدراسات جديدة بحيث تتناول كافة الموضوعات التى تطرق إليها ايتورى بالبحث والتمحيص من جديد، ذلك العمل الذى من شأنه أن يجعل من تلك الموضوعات المطروحة قاعدة للانطلاق يبدأ منها الدارسون لتاريخ ليبيا من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف المتعددة التى تكمن من وراء كتاب ايتورى روسى بواسطة معهد الشرق بروما .

وفى الواقع نجد أن الوثائق الأرشيفية التى تتناول تاريخ ليبيا والتى توجد محفوظة فى كثير من دور الأرشيف الإيطالية المنتشرة فى معظم المدن الإيطالية لم تستخدم بواسطة الباحثين فى تاريخ ليبيا مثل الوثائق الأرشيفية المحفوظة فى أرشيف مدينة البندقية . وقد أشار توسكى Toschi فى الكتيب الذى صدر له تحت عنوان :

Toschi. Fonti inedite della storia delle Tripolitania , Intra 1934.

أو « المصادر الغير منشورة لتاريخ طرابلس » . إلى كثير من المصادر التاريخية المحفوظة فى بعض البلدان من العالم، حيث قام بتخصيص

= أما فى مجلة ليبيا ـ السنة الرابعة , 1955، العدد 1، 2، يناير ـ يونيو، ص 33 - 40، فتوجد مقالة لـ ج. شيربيلا بعنوان :

G . Cerbella, Commercio e marineria della Reggenza di Tripoli in Rapporto Console d'Italia de 1862 (IV. 1956, n. 3 - 4, Luglio - dic., pp. 45-60) .

(التجارة والبحرية فى أيالة طرابلس الغرب وفقًا لتقارير قنصل إيطاليا خلال 1862) .

الكتيب المذكور للإشارة إلى تلك المصادر فى كل من طرابلس [1] باريس ولندن، كما أشار إلى المصادر الأخرى التى يمكن الحصول عليها فى إيطاليا . كما ساهم أيضًا هنريكو دى ليون Enrico De Leone بمجهوده الذاتى فى توفير بعض المصادر للتاريخ الليبى أثناء السنوات الأخيرة الماضية، من حيث ركز اهتمامه على الوثائق المحفوظة بدور الأرشيف الإيطالية [2]، نظرًا لما تحتوى عليه من وثائق بالغة الأهمية فى تاريخ ليبيا .

أما البروفيسور كارلو Carlo Giglio فقد قام بسلسلة من الأبحاث المنتظمة، فقد شرع بعدها فى نشر قوائم وصفية حصرت جميع الوثائق الخاصة بتاريخ الشمال الأفريقي[3]، ونتيجة لتلك الدراسات فقد توفرت كثير من البيانات الهامة حول ليبيا . ويمكن القول أن الغرض من الدراسات الجارية حاليًا حول المصادر المتعلقة بالشمال الأفريقي، والتى يقوم بالإشراف عليها البروفيسور دى ليون De Leone هو تيسير حصول الدارسين الراغبين فى القيام بدراسات حول تاريخ ليبيا على كافة المصادر الوثائقية غير المنشورة والتى يمكن الاستفادة منها فى إعادة تدوين تاريخ ليبيا، بعد أن كانت

1- فيما يتعلق بمدينة طرابلس، انظر :

S.Bono, La Situazione attuale dell'Archivio Storico della Tripolitania, in Oriente Moderno . XLVII. 1967 , pp. 825 - 827 .

2- انظر « مصادر تاريخ المغرب » أو :

A. Hill, A Bibliography of Libya, Durham, 1959 .

Fonti per la Storia del Maghrib, in Quadrivio, III, 1963 , pp. 177 - 182 .

3- أما فيما يتعلق بخطة الدراسة، فانظر أيضًا نفس المجلة السابقة، العدد الأول، عدد 1، يناير ـ مارس 1968، ص 19

مصادر مهملة لم يتناولها الباحثون فى دراساتهم . ويحتوى أرشيف Propaganda Fide بالفاتيكان على كثير من الوثائق التى تعكس فى الواقع تاريخ الارسالية الفرنشيسكانية فى ليبيا ، كما تتناول هذه الوثائق أيضًا التاريخ المحلى للبلاد، ولهذا السبب تعتبر تلك المصادر من الوثائق ذات الأهمية كما يبدو من الأطروحة التى قدمها الأب جوسيبى Giuppe Sanita OFM للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة Universita Gregonan وقد تم نشر خلاصة لتلك الأطروحة بعنوان :

La Barberia e la S. Congregazione di Propaganda Fide (1622-1668) . Origine e Sviluppo della missione Francescana in Libia (1668- 1711). Roma, 1945. p. 32 .

كما قام مؤخرًا البروفيسور تيوبالدو فاليس Teobaldo Filesi بسلسلة من الدراسات الهامشية شملت الوثائق المحفوظة فى أرشيف Propaganda Fide خاصة تلك الوثائق التى تناولت تاريخ الساحل البربرى (دويلات الشمال الأفريقى)، والتى كان من بينها كثير من الوثائق الخاصة بتاريخ طرابلس[1]، كما قام تيوبالدو ببيان الوثائق المحفوظة بأرشيف نابولى والتى تتناول تاريخ طرابلس خلال عام 1790[2]

1- « بيان موضوعات المصادر الأرشيفية خلال القرن السابع عشر المتعلقة بأفريقيا » وهى : الرقيق، الإرساليات الدينية، دويلات الشمال الأفريقى البربرية ـ نشرت فى مجلة :

La Reggenza di Tripoli Secondo alcuni documenti dell' Archivio di Stato di Napoli relativi al 1790, in Africa, XXIII, 1968, pp. 233-244 .

2- « أيالة طرابلس سنة 1799 وفقًا لبعض الوثائق المحفوظة فى أرشيف نابولى » أما فيما يتعلق بالوثائق الأخرى المحفوظة فى أرشيف نابولى فقد قامت الطالبة M.T.LO Celso بإعداد =

كما أن أهمية الوثائق الأخرى التى تتناول تاريخ ليبيا والتى توجد محفوظة فى أرشيف الدول الأخرى التى كان لها دور بارز فى تاريخ البحر المتوسط، وفى مقدمة تلك الدول التى يمكن اعتبار كل من فرنسا وبريطانيا، حيث توجد كثير من الوثائق عن ليبيا فى دور الأرشيف الفرنسية والبريطانية، كما أشار توسكى Toschi فى الكتيب الذى أصدره بهذا الخصوص كما أشرت سابقًا .

وبخصوص ذكر أهمية الوثائق المحفوظة فى دور أرشيف بعض الدول الأخرى، يمكن ذكر أرشيف الدولة بفينا على سبيل المثال من حيث أهمية الوثائق المحفوظة به، والتى تشمل جميع مراسلات القنصلية النمساوية بطرابلس والتى كانت قد تولت رعاية شئون بعض الدويلات الإيطالية [1] لسنوات طويلة، كذلك توجد وثائق أخرى متفرقة فى أماكن بعيدة، مثل الأرشيف الوطنى للولايات المتحدة الأمريكية، حيث يمكن الحصول على نسخ للوثائق التى توجد فى ملفات مرتبة كرونولوجيا، حيث قد تم تجهيز الأرشيف الوطنى بأمريكا بكافة أجهزة التصوير والنسخ كالميكروفيلم [2]

= أطروحة تحت إشراف البروفيسور Teobaldo Files وقد نشرت تعليق على هذه الأطروحة تحت عنوان :

Approcci del Regno delle Due Sicilie : Per allaciare rapporti Commerciali Con Tripoli di Barberia Verso la meta del XIX Secolo , In Africa, XXII, 1967 , PP. 406 - 412 .

1- انظر :

L. Bittner, Gesamtinventar des Wiener Haus - Hof und Staats Archivs , Parte IV, Vol., 1. Wien. 1936 pp. 506 - 526 e 580 .

2- انظر : « كتيب المصادر الأمريكية فى الدراسات الأفريقية » =

ويعتبر الأرشيف الوطنى فى أمريكا، غنيًا بالوثائق خاصة منها ما يتعلق بالنزاع الذى حدث ما بين الولايات المتحدة وأيالة طرابلس خلال السنوات الأولى من القرن التاسع عشر الذى انتهى بالتدخل العسكري، وتجد أيضًا كثير من الدراسات النقدية لمؤلفين أمريكان حول النزاع الذى كان قد حدث بين طرابلس والولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أن أغلبية تلك الكتابات لا زالت غير معروفة فى إيطاليا [1]

P. Duignan. Handbook of American Resources for African Studies . =

Stanford . 1967. pp. 62 .

وتشير ص 62 من هذا الكتيب إلى مراسلات القناصل المقيمين بطرابلس خلال الفترة الواقعة ما بين 1796-1885 . ومن بين المصادر الأمريكية الأخرى يمكن الإشارة إلى :

S.C. Blyth . A History of the War between he United States and Tripoli, Salem . 1806 .

1 - « تاريخ الحرب ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وطرابلس

R. Greenhow. History and Present Condition of Tripoli . Richmond. 1835 .

J.L. Cathcart . Tripoli First War with The United states. Inner History Letter book by I.L.C., First consul to Tripoli and last letters .

وقد نشرت تلك الدراسات النقدية from Tunis لكاتكارت J.L. Cathcart تحت إشراف أبنه

I.B. Cathcart. Networks. La Porte , 1902 .

توجد بعض أمثلة من تلك الدراسات محفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى

(Library of British Museum).

أما فيما يتعلق بالدراسات التى قام بها الإيطاليون فهى :

A. Ausiello Un tentativo di protettorato americano in Libia , in Rivista delle Colonie, XVII, 1943. PP. 31 - 34 .

A.E.Leva, Tripoli, in Una descrizione dicentanni Fa, in Africa , XXII, 1967, pp. 78 - 83 .=

أما بالنسبة للمصادر التاريخية الروائية القصصية (الشفوية(*)) فيمكن أن تكون ملائمة جدًا من أجل إصدار الطبعة الكاملة للتاريخ الكرونولوجى Histoire chronologique الذى يوجد ضمن مخطوطات المكتبة الوطنية فى باريس (1). وقد اعتمد على المصادر التاريخية الروائية أو القصصية كل من فيرو Feraud واوريجيما Aurigemma اللذين قاما بنسخ جزء كبير من تلك الروايات (2) وبالإطلاع على النص المكتوب للتاريخ الكرونولوجى يمكن

= ونلفت الاهتمام إلى الكتاب الذى صدر بعنوان :

Eine sommerveise nach Tripolis, Berlin , 1860

الذى قام بتأليفه الرسام الألمانى Wilhelm Heine الذى كان قد وصل إلى طرابلس من أجل رسم الأضرار التى كانت قد نتجت عن الحملةا لعسكرية الأمريكية ضد طرابلس .

* قام مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى بتقسيم ليبيا إلى 24 منطقة من أجل تجميع الروايات الشفوية من المجاهدين الليبيين الذين اشتركوا فى معارك التحرير، ولكن إلى الوقت الحاضر لم يقم المركز بإجراء مقابلات شفوية مع أولئك الذين حاربوا فى صفوف القوات الإيطالية ضد المجاهدين ـ أن هذه المقابلات الشفوية ضرورية من أجل المقارنة وتقصى الحقائق لدى الطرفين المعنيين . (المترجم) .

1- فيما يتعلق بالمخطوط الفرنسى (Mss Francais, nn., 12219 - 12220)

انظر : Toschi, op. cit., pp. 115 - 126

وكذلك أيضًا :

S. Bono, Fonti inedite di Storia della Tripolitania, in Libia , I, 1953 , n ., 2 , Aprile -giugno, pp. 117 - 121 .

2- لقد احتفظ عالم الآثار الشهير ذلك النص ما بين الأوراق التى كان يحتفظ بها. فلربما يمكن الحصول على ذلك النص بواسطة أحد المهتمين بتلك الدراسات ؟ . ولقد استطاع أوريجيما أن يستخلص من : Histoire Chronologique بعض المقالات منها :

Costumi Femminili nella Tripoli del Scicento .

أو الملابس النسائية الشعبية فى طرابلس خلال القرن السابع عشر . وقد نشرت =

التأكد من أن هناك مواضيع أخرى تطرح نفسها للمناقشة والبحث. وهناك مصدر آخر من المصادر التاريخية يستحق الأخذ بعين الاعتبار (أصبح من المؤكد جداً أنه قد تمّ وضع خطة للبحث فيما يتعلق بهذا المصدر بواسطة كل من البروفيسورجيليو Prof. Giglio والبروفيسور دى ليون Prof. de Leone) وهذا المصدر يمثل Plaquettes O Stampe Popolari الكتابة التى كانت على الألواح الجلدية - الرق - التى كانت تعلق على الحيطان، والتى كانت تعتبر خلال القرنين السادس والسابع عشر من الوسائل المألوفة فى إعلام العامة بكافةالأحداث الجارية، هذا بعض ما نذكره لايتورى روسي، ففى أى المكتبات يمكن العثور على بعض أمثلة لتلك الأختام العامة التى تتعلق بالأحداث الطرابلسية ؟ والتى يمكننا الإشارة إلى بعض أمثله منها :

. Relation del Nuovo Incendio Seguito alli 24 di Febbraro 1676 tra le navi Inglesi et quelle di Barbaria, Milano 1676. Distinto Ragguaglio giunto per lettera Particolare ad un mercante de Porto di Ancona da Tripoli il 16 maggio 1685 Roma - Modena - Parma . 1685 .

In Rivista delle Colonie Italiane , O, 1927 , pp. 59 - 69 . =

ثم مقالة أخرى بعنوان :

Una descrizione di Tripoli del Secolo XVII, in Rivista delle colonie Italiane. VI, 1923 , pp. 178 - 189 .

« وصف أيالة طرابلس خلال القرن السابع عشر »

ثم أخيراً مقالته التى نشرت فى مجلة Tripoilitania طرابلس وهى بعنوان :

L'ordinamento dello Stato di Tripoli nella Seconda meta del Scicento, in Tripolitania, II, 1923, giugno, pp., 5 - 11. Agosto PP. 9 -14 .

إن هذه الدراسات الأخيرة يمكن اعتبارها قسمًا من عمل موسع يشمل ببليوجرافيا عامة لتاريخ ليبيا، حيث أنه لا يوجد فى الواقع بعض الببليوجرافيات [*] التى قام بها كل من بلاى فير P.L.Playfair ومنيوتيللى Minutilli وكذلك Ceccherini [1] ولكى تكون تلك الببليوجرافيات مصدرًا يعتمد عليه الباحثون فى القيام بالدراسات التاريخية [2] يجب أن تكون منظمة وفقًا لترتيب معين، مع مراعاة الدقة فيما يتعلق بالمصادر الوثائقية خاصة منها غير المنشورة وذلك من أجل الاستفادة منها باعتبارها وسيلة هامة أثناء القيام بالدراسات التاريخية حول ليبيا .

---

* انظر على سبيل المثال بعض الببليوجرافيات التى صدرت أخيرًا عن ليبيا :

Hans Schluter, Index Libycus: Bibliography of Libya 1970 - 1975 with supplementary material : vol., I, titles .

Index Libycus: Acumulative Index to Bibliography of libya, 1970 - 1975, G.K. Hall & Co ., Boston, 1979 - 1981.

1 - R.L. Playfair, The Bibliography of the Barbary States. Parte I. Tripoli, and Cyrenaica, in supplememtary Papers della Royal Geographival Society , London .1889, pp. 557 - 614; F. Minutilli, Bibliografia della Libia . Torino, 1903: U. Ceccherini, Bibliografia della Libia .

(تعتبر هذه الببليوجرافيا تتمة للببليوجرافيا التى قام بها منيوتيللى) .

2- ومن بين الببليوجرافيات التى صدرت أخيرًا حول ليبيا نذكر :

Mohammed Murabet. A. Bibliography of Libya . Malta. 1959 .

وتعتبر كل من الببليوجرافيات المذكورة لكل من محمد المرابط و أ. هيل، ناقصةوغير كاملة خاصة الببليوجرافيا الثانية التى قام بها المرابط حيث ينقصها الإشارة إلى كثير من أعمال المؤلفين العرب .

أما المصدر الآخر للبيانات و الذى يمكن الاستفادة منه أيضًا بهذا الخصوص، فهو يتمثل فى المجلات الدورية المحلية[1] والتى تشتمل على وصف دقيق وشامل للوقائع أو الأحداث التاريخية الطرابلسية وتشمل هذه الصحف والمجلات الصادرة باللغة الإيطالية فى طرابلس قبل الاحتلال الإيطالى والتى لا زالت محفوظة فى المكتبات الإيطالية. أن فائدة هذا المصدر تدعونى إلى طرح اقتراح بموجبه يتم حصر كافة تلك الدوريات، هذا وقد حاولت القيام بهذاا لعمل بمفردي، ولكنى وجدته عملاً مثبطًا للعزيمة من جميع النواحي، ولم يسفر مجهودى إلا عن مجلة صدى طرابلس خلال عام Eco di Tripoli 1910 التى توجد ضمن مقتنيات مكتبة المعهد الإيطالى الأفريقي. وعل كل حال، فأنا أتمنى أن تكون هناك خطة للبحث تتناول الصحافة الطرابلسية (الدوريات الطرابلسية) بحيث يتم تصوير جميع الأعداد من الدوريات التى يتم العثور عليها (نحن نتمنى ولكن هناك ثمةصعوبات حول هذه الخطة). وتوجد مبادرات كثيرة لهذه الخطة، قد تم إنجازها فى الخارج، حتى أصبح من السهل جدًا على أى باحث الحصول على أى دورية بواسطة التصوير المصغر (الميكرو فيلم)، فيمكن الحصول على سبيل المثال : Natale mercury (Durban) 1852-1963 أو على : Rodesia herald (Salisbury) 1950- 1963، أن الهدف الحقيقى من القيام بهذا العمل، هو توثيق جميع المصادر الغربية والإيطالية أو الأوروبية بصفة عامة .

1- Cfr. Scarparo. La Stampa di Tripoli Turca (1866 - 1911) , in Tripolitania , III, 1933, aprile, pp. 11-20 e la Stampa di Tripoli (1911 - 1933). Dall'Occupazione Italiana ad oggi, in Tripolitania, III, 1933, Luglio - Agosto, pp. 13-21 .

كما أن لدى ثمة اقتراح آخر بحصر كثير من المصادر التى كتبت باللغات العربية والتركية أيضًا. أن القيام بإنجاز ذلك العمل يتطلب بدون شك من القائمين به إعدادًا ضروريًا من الناحية اللغوية. ولا يسعنى إلا تشجيع أولئك المستعربين الذين يجيدون اللغة العربية وكذلك أيضًا اللغة التركية من الإيطاليين على ما بذلوه من مجهودات فى سبيل البحث ودراسة التاريخ الليبى[1] على الرغم من أن هذا الموضوع يعتبر ثانويًا من حيث مقارنته بتاريخ العالم الإسلامى.

ويمكن القول أنه بالإضافة إلى الدراسات التى قمت بها بمفردى إلى تلك الأبحاث التى قام بها الباحثون الإيطاليون، خاصة الشباب منهم بدراسات متخصصة تتناول كافة الجوانب المتعلقة بافريقيا. لذلك يجب على أولئك الذين سبق أن تخصصوا فى الدراسات الأفريقية أن لا يغفلوا دراسة تاريخ ليبيا، بل يجب اعتباره من المجالات الجديرة بالدراسة، ليس من أجل أسباب عاطفية نحو ليبيا، بل بسبب أن ليبيا قد ارتبطت لفترة طويلة من الزمن بإيطاليا، أو أن الباحثين الإيطاليين لم يبذلوا جهدًا كبيرًا فى دراسة التاريخ الليبي، ولكن لسبب آخر يكمن فى توفير البيانات المتعلقة بتاريخ ليبيا والموجودة فى دور الأرشيف الإيطالية بالإضافة إلى ما يوجد فى مكتباتنا[2].

1- نشير إلى تقديم قصائد الشاعر العراقى حول الاحتلال الإيطالى لطرابلس بواسطة : مينجانتي، وهى بعنوان :

P. Minganti. Una Poesia di Ma' ruf ar- Rusafi Sulla conquista di Tripoli (1911), in Annali dell' istituto di Napole, XVIII, 1968 , pp. 335 - 337 .

2- لقد ظهر بعض الاهتمام حول مقالتى التى نشرت بعنوان : =

أما عن سلسلة المجلدات الصادرة بعنوان :

L'Opera de governo Italiano in Africa

فيبدو أن المشرفين على إصدار تلك السلسلة من المجلدات سوف يقومون مستقبلاً بالمبادرة فى نشر دراسات جديدة حول تاريخ ليبيا، ولكن يبدو أن القيام بذلك العمل يتطلب فترة زمنية لربما تمتد لبضع سنوات بسبب أن إنجاز ذلك العمل لا بد وأن يسبقه إعداد منهجى متكامل ويكون وفقًا لخطة محددة سلفًا يمكن بواسطتها القيام بدراسة متكاملة لتاريخ ليبيا خلال الاحتلال الإيطالى .

Storia della Libia Durante La Sovranita Italiana .

بحيث تكون تلك الدراسة كثمرة لتلك الخطة المتكاملة والتى وضعت وفقًا لمنهج محدد يعكس تعاونًا ما بين المؤلفين، وفقًا لوجهة نظر محددة ومعيار شامل ومتكامل .

Ricerche e Studi Italiani Sull'Africa, in Italiani nel Mondo, XXI, XXI,= 1965, n. 19.10 ottober , pp. 17-18.

وكذلك يمكن التأكيد على الملاحظة التى نشرت بعنوان :

Bilancio e prospetive degli Studi Italiani Sull'Africa, in Africa. XXII. 1967, P. 477 .

صفحات هامة فى تاريخ ليبيا (1)
سليمان البارونى

حلم تحقيق إمارة مستقلة في الجبل الغربى ومعركة الأصابعة 1913م

لقد استطاعت القوات الإيطالية احتلال الأقاليم الطرابلسية بالكامل (استنادا إلى رسم الحدود الذى أقرته الحكومة الفرنسية مع إيطاليا) هذا كما استطاعت إيطاليا تهدئة الإقليم، لهذا كان من الضرورى جدًا إعادة النظر فى

1- F. Coro. Una Interessante Pagine di Storia Libica Suleiman El- Baruni : IL Sogno Di un Principato Berbero e Le Battglia Di Asaaba (1913) .

نشرت مقالة فرنشيسكو كورو فى حوليات أفريقيا الإيطالية .

Gli annali Dell' africa Anno 1 - Vol. III- IV. DIC MCMXXXVIII, Anno XVIII [DIC 1938 - 17] . pp. 957-969 .

يعتبر فرنشيسكو كورو كاتب هذه المقالة أحد الضباط الطليان الذين شاركوا منذ البداية فى قمع حركات الجهاد المتتالية بالجبل الغربي، فقد كان مكلفًا بالإضافة إلى ذلك بالاتصالات والمباحثات السياسية مع المجاهدين، فهو يعتبر شاهد عيان، كما قام أيضًا باحتلال نالوت 6 يوليو 1922 م والقيام بدور هام فى تدبير مكيدة أعدم بموجبها خليفة بن عسكر . (المترجم) .

الستة والعشرين عامًا الماضية التى مرت على احتلال إيطاليا للإقليم الطرابلسي، تلك السنون التى تبدو موغلة فى الماضى البعيد، إلا أنها كانت تحوى أحداثًا تاريخية هامة جديرة بالاهتمام والبحث. خاصةأن معظم تلك الأحداث كانت مليئة بالأعمال الجريئة والطموحة من أجل الوصول إلى مستقبل زاهر للمستعمرة، ففى شهر أكتوبر الماضى (1937م). كان قد مضى ستة وعشرون عامًا على توقيع معاهدة أوشى للسلام بين إيطاليا وتركيا، إن ذكرى توقيع تلك المعاهدة بين البلدين يحمل إلى الأذهان أحداث تلك الفترة الزمنية المليئة بحركات التمرد والثورات والعصيان وترويج الأفكار المغرضة التى كانت تحرض السكان المحليين على مقاومة القوات الإيطالية، إن مصدر تلك الأفكار المناوئة للإيطاليين التى كانت تحرض الشخصيات المحلية ذات النفوذ القوى فى بعض مناطق الإقليم الطرابلسى والتى كان من بينها منطقة جبل نفوسه الذى يسكنه أغلبية الأباضية الذين يستقرون فى الجزء الغربى من الجبل المذكور بزعامة سليمان البارونى الذى كانت توجد بينه وبين الحكومة الإيطالية [حكومة طرابلس الغرب] مراسلات رسمية تبودلت خلال الحرب الإيطالية - التركية، أما بعد معاهدة أوشى إلى ما قبل معركة الأصابعة فقد جرت اتصالات مكثفة مع سليمان البارونى زعيم جبل نفوسة وحكومة المستعمرة وذلك لاعتقاد السنيور بيرتولينى Bertolini وزير المستعمرات الإيطالية بأهمية تلك الاتصالات الشخصية والمفاوضات الرسمية، وليس كما يعتقد البعض من أن تلك المفاوضات والاتصالات كانت من أجل مناقشة المقترحات التى قدمها سليمان البارونى إلى الحكومة الإيطالية لغرض الحصول على الاستقلال الذاتى لمقاطعة الجبل الغربى التى كان يسكنها

الأباضية، ذلك لأن فكرة البارونى لم تبدُ منطقية يمكن تحقيقها فى الواقع، لهذا فإن الحكومة الإيطالية قد اعتبرتها مجازفة لا تمثل سوى طموح يسعى الزعيم سليمان البارونى إلى تحقيقه، إلا أن معركة الاصابعة استطاعت وضع حد حاسم له، وحالت دون تحقيق طموحاته الشخصية بأن قامت الحكومة الإيطالية بطرابلس بفرض سيطرتها الكاملة على كل من الجبل الغربى والقبلة.

فمن أجل استعادة أحداث الستة والعشرين عامًا الماضية، تلك الأحداث التاريخية الهامة التى كانت تمثل صفحات مجهولة فى تاريخ احتلال الإقليم الطرابلسي، قد قمت شخصيًا بالقيام بدراسة جميع المستندات الرسمية المتعلقة بتلك الفترة الزمنية وفحصها بالإضافة إلى قيامى بتجميع كافة المعلومات اللازمة عن الأحداث التاريخية الماضية من الشخصيات البارزة التى كانت تعيش خلال تلك الفترة، وقد كان من بين أولئك الزعيم سليمان البارونى نفسه [كنت على اتصال دائم به خلال عامى 1920 - 1921 م وذلك باعتبارى ضابطًا مكلفًا بالمهمات السياسية]، كذلك قمت بدراسة كافة الأحداث التى كانت تعتبر من أهم العوامل الرئيسية خلال تلك الفترة الزمنية وتمحيصها، هذا بالإضافة إلى مراسلاتى واتصالاتى الشخصية مع المسؤولين القياديين الإيطاليين فى كل من طرابلس وروما. أن جميع تلك الوثائق الرسمية والشخصية التى أشرت إليها ساعدتنى فى الواقع على جمع وترتيب كافة الأحداث التاريخية التى وقعت خلال تلك الفترة الحاسمة من الاحتلال السياسى للمستعمرة .

شخصية البارونى عبر الماضى :

تعتبر شخصية البارونى[1] من الشخصيات المعروفة لكل أولئك الذين عاشوا فى مدينة طرابلس خلال فترة الحرب 1911-1913م فسواء كان ذلك أيضًا خلال الحرب العالمية أو خلال السنوات الممتدة 1910 - 1921 م، حيث كان البارونى يعتبر شخصية بارزة لعبت دوراً نشطًا فى جميع الثورات المتلاحقة التى حدثت فى المستعمرة طيلة تلك الفترة الزمنية. وينحدر البارونى من قبيلة البارون التى هاجرت من عُمان إلى جبل نفوسة حيث ظلّت تتمتع بكل احترام وتقدير من جميع سكان الجبل. أما والده فهو الشيخ عبد الله بن يحيي بن أحمد الذى توفى فى 1913/4/16 م عن عمر يناهز 92 عامًا أثناء رحلته من جادو إلى كاباو عندما قامت القوات الإيطالية بالزحف المسلح على جبل نفوسة لاحتلاله، وقد ترك الشيخ عبد الله من الأبناء بالإضافة إلى سليمان الذى يعتبر أكبر اخوته اثنين هما أحمد ويحيى وكلاهما قد رافق أخاه الأكبر سليمان فى خوض جميع الأحداث السياسية المتلاحقة فى الإقليم حتى عام 1913 م عندما قرروا العيش بسلام مع الحكومة الإيطالية حيث شغل أحدهم ويدعى أحمد منصب قاضى بنالوت .

أما الأب الشيخ عبد الله فلأنه لم يشارك مطلقًا فى حركات التمرد والبلبلة التى كان يقوم بها أبنه سليمان بل كان على العكس من ذلك رجلاً

1- يعتبر سليمان البارونى أحد الزعماء الأربعة الذين اجتمعوا بجامع المجابرة بالقصبات يوم السبت 13 صفر 1333 هـ الموافق 16 نوفمبر 1918 م حيث تم الاتفاق على ضرورة قيام الجمهورية الطرابلسية التى كان أول رئيس لها وقد توفى سليمان البارونى خارج الوطن أثناء قيامه بمهمة سياسية بالهند فى مدينة بومبى يوم 1 مايو 1940 م وبقى مدفونًا هناك حتى تم إرجاع رفاته إلى ليبيا فى يوم 1972/12/30 م (المترجم) .

متعلمًا يعتبر من أشهر المثقفين بين أباضية الجبل . قد كان بالإضافة إلى ذلك يتمتع بكل احترام وتقدير من أتباع مذهب الأباضية فى كل من وادى مزاب (الجزائر) وجربة (تونس) بالإضافة إلى ما يتمتع به من شهرة واسعة بين مالكية سكان إقليم طرابلس الغرب ، هذا وقد ولد سليمان فى جادو عام 1872 م . وأكمل تعليمه بجامع الزيتونة فى تونس ثم التحق فيما بعد بالجامع الأزهر فى القاهرة . وقد قام سليمان البارونى بزيارة لمعظم بلدان الشمال الأفريقي ، وقد كان البارونى (سليمان) منذ صغره يحمل بين جوانبه ميولاً سياسية طموحة كما يذكر رفاقه من خلال المحاولات المتعددة التى قام بها من أجل السيطرة وحلمه فى تحقيق إمارة مستقلة ، إن تلك المحاولات الجريئة كانت فى الواقع تعكس كثيراً من النقاط الغامضة فى شخصية سليمان البارونى الطموحة .

وقد علمت الجندرمة العثمانية بأفكاره ومشاريعه الطموحة فى بداية شهر إبريل عام 1899 م فقامت بمداهمة منزل والده فى جادو وتفتيش منزل صديقه الحميم موسى قرادة بيفرن ، كما تم استدعاء سليمان البارونى وصديقه موسى إلى طرابلس للمثول أمام السلطة العثمانية حيث تم معهم تحقيق لم يسفر عن أى نتيجة تذكر ، ولكن فيما بعد استطاعت الجندرمة العثمانية ضبط أحد الصناديق المملؤة بالكتب التى كان قد أرسلها سليمان البارونى إلى طرابلس قبيل عودته إلى البلاد ، فقامت الجندرمة بتفتيش الصندوق المذكور وعثرت على عدة رسائل كشفت عن مغامرته الطموحة وكان من بينها رسائل مغرضة حول الحالة السياسية للولايات العثمانية بالإضافة إلى منشور يحمل نداء موجهًا إلى سكان الجبل بتوقيع « السلطان

سليمان » يدعوهم فيه إلى الثورة، مما جعل الحكومة العثمانية تأمر بالقبض عليه ومعاقبته بالسجن لمدة خمس سنوات، إلا أن صديقه موسى سافر على رأس وفد من الأعيان المحليين إلى القسطنطينية لمقابلة السلطان، وبالفعل فقد حصل منه على أمر بالعفو على صديقه سليمان الباروني، هذا وقد تم القبض على سيلمان البارونى مرتين خلال الفترة الزمنية الواقعة بين 1905-1910 م بواسطة السلطات الحكومية العثمانية بطرابلس لأسباب سياسية ضد الحكومة منها القيام بتنظيم ثورة أهلية فى الجبل التى كان الهدف من ورائها تأسيس إمارة مستقلة فى جبل نفوسة، ولقد كان سليمان البارونى دائمًا يردد أقوال كبار الأئمة الأباضية وأمراء الرستمية بتاهرت فى مراسلاته وكتاباته، وفى عام 1905 م كانت السلطات الحكومية العثمانية تنوى القبض عليه مرة أخري، لكنه علم بذلك واستطاع الفرار إلى مصر حيث اتصل بكثير من السياسيين الذين يعيشون فى المنفى وباللاجئين من الشباب الأتراك كذلك الذين كانوا قد فروا من اضطهاد حكم السلطان عبد الحميد. وفى مصر قام البارونى بتأسيس صحيفة « الأسد الإسلامى » التى استمرت فى الصدور لبضعة أسابيع قليلة ثم توقفت، وخلال إقامته فى مصر استطاع سليمان البارونى الانتهاء من تأليف كتابه « الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية » الذى أوضح فيه أفكاره وطموحاته الداعية إلى تأسيس إمارة مستقلة فى الجبل .

وخلال عام 1907 م عاد البارونى إلى طرابلس حيث عاش فى هدوء وبدون إثارة قلاقل للحكومة العثمانية حتى عام 1911 م وبالتحديد إلى اليوم السابق للحرب الإيطالية التركية حيث قام بإرسال تلغراف من فساطو إلى

الوالى العثمانى بطرابلس يعلن فيه عزمه على تحمل مسؤولية الدفاع مع بقية محلات الجبل وعن مدن الإقليم الطرابلسى ضد الغزاة الإيطاليين، ومنذ ذلك الحين تم تعيين سليمان البارونى زعيمًا للاتحاد الوطنى التقدمى الطرابلسى ، وما أن بدأ إنزال القوات الإيطالية على الساحل حتى هرع سليمان البارونى بمساعدة كل من موسى قرادة ومحمد فكينى اللذين كانا يعتبران من أصدقائه المخلصين بتنظيم المقاومة الشعبية المسلحة ضد القوات الإيطالية، واستمر فى ذلك العمل حتى مجيء كل من فتحى بى ونشأت باشا اللذين توليا إدارة حكومة الولاية بطرابلس مما ساعدهما فى تحقيق بعض النجاح فى عملهما . ثم ظل البارونى يقوم بإدارة محلة الجبل حتى معاهدة لوزان إذ ارتبط بعلاقة وطيدة مع المندوب فرحات رغم اختلافاتهما الحزبية السابقة. وقد قام سليمان البارونى أثناء توليه إدارة محلة الجبل بإرسال مجموعات من الرسائل قامت بنشرها بعض الصحف العربية منها صحيفة « الزهراء التونسية » وكل من صحيفتى «العالم» و « المؤيد » الصادرتين فى القاهرة ،وكانت مراسلاته مع تلك الصحف عبارة عن تمجيد للانتصارات التى تم تحقيقها بواسطة المقاتلين الوطنيين فى الحرب المقدسة ضد جحافل القوات الإيطالية .

وقد استمر سليمان البارونى فى مواصلة كفاحة ضد القوات الإيطالية على الرغم من الرسالة الرسمية المؤرخة فى يناير 1912 م التى كانت قد أرسلها له المكتب السياسى الإيطالى العسكرى من طرابلس والتى تم بموجبها الإشارة إلية بعدم فعالية استمرارية المقاومة التى يخوضها المقاتلون المحليون ضد الإيطاليين بتحريض منه بل ولم تكتف بذلك بل طالبته بضرورة إيقاف

الحرب من أجل مصلحة البلاد، إلا أن سليمان البارونى لم يلتفت إلى الرسالة المذكورةوغيرها من التحذيرات بل أجاب بإيجاز فى ورقة صغيرة بعزمه على مواصلة الحرب المقدسة مسترشداً فى ذلك بآيات من القرآن الكريم داعيًا المسلمين إلى مواصلة الجهاد المقدس تحت ظل العلم العثماني، وقد قام أحد الصحافيين المعارضين لغزو القوات الإيطالية لليبيا بنشر الرسالة الرسمية الموجهة إلى سليمان البارونى مع إجابته المختصرة فى صحيفة « الزهراء التونسية » الصادرة بتاريخ 7 إبريل من نفس السنة المذكورة .

وبعد معاهدة لوزان للسلام خضع أغلبية زعماء جبل نفوسة لسلطات الحكومة الإيطالية بطرابلس ما عدا سليمان البارونى الذى استمر فى تنظيم المقاومة وقيادتها فى الجبل معلنًا استقلالية أراضى تلك المنطقة عن النفوذ الإيطالي، وفى شهر نوفمبر من نفس السنة بدأ سليمان البارونى فى إجراء مفاوضات مع الحكومة الإيطالية وذلك من أجل الهدف الذى كان يصبو إلى تحقيقه، ولكن فى الواقع استطاعت معركة الأصابعة سحق جميع أحلامه الطموحة بل الحيلولة دون تحقيق ذلك، مما جعله يهرب إلى تونس حيث قضى فيها بضعة أشهر سافر بعدها فى يوليو 1913 إلى أوروبا، ولم يعد إلى تونس إلا فى السنة التالية .

وفى أثناء ثورة 1914 - 1915 م قام سليمان البارونى بالاتصال بكل من السنوسى فى برقة ثم تقابل مع بعض الزعماء الطرابلسيين ويبدو أنه لم يستطع تحقيق ما كان يصبو إليه مما جعله يرحل إلى القسطنطينية ولم يعد إلى طرابلس إلا فى عام 1916 م عندما أرسل على ظهر غواصة ألمانية لأداء مهمة رسمية بتكليف من الحكومة العثمانية، وخلال تلك الفترة الزمنية نودى به حاكمًا عامًا لطرابلس وبقية المدن التابعة لها .

عندما تم الاتفاق على عقد معاهدة سلام فى يونيو عام 1919 م، عاد سليمان البارونى إلى طرابلس لمعاودة تعبئة الجهود ضد الإيطاليين. إلا أن زعماء الدواخل الجدد كانوا قد خلقوا أمامه موقفًا صعبًا لا يطاق أدى إلى انفجار الصراع عام 1920 م بين تلك الزعامات، مما جعل حكومة المستعمرات الإيطالية تقوم بتكليف سليمان البارونى بالقيام بمهمة رسول سلام بين الأطراف المتنازعة [الجبل والقبلة] ولكن الانتصارات التى أحرزها صديقه خليفة بن عسكر ضد زعماء الزنتان والرجبان أعادت إليه من جديد فرصة تحقيق الطموح القديم الذى كان يصبو إلى تحقيقه، ولكن ذلك كان عبارة عن وهم خادع بعد أن استطاع خليفة بن عسكر تدمير حلم البارونى نهائيًا فى يفرن خلال شهر مايو 1921 م، مما اضطر سليمان البارونى إلى ترك الجبل والعودة إلى طرابلس ثم السفر إلى أوروبا حيث شعر بأنه لم يبق له موقع قدم واحدة بالمستعمرة، ليستقر فيما بعد فى سلطنة عمان الصغيرة بعد أن فشلت كافة خططه الطموحة فى تأسيس إمارة مستقلة فى جبل نفوسه، ولكن ربما كان يعتزم العودة من جديد لمواصلة جهوده كما كان يفعل فى السابق !! إلا أن معركة الأصابعة استطاعت إلغاء مفاوضات 1912 - 1913 م مما أدى بالتالى إلى تقويض كافة الأحلام الخيالية التى كان يسعى إلى تحقيقها البارونى فى الجبل، حيث أصدرت الحكومة المركزية الإيطالية قرارًا رسميًا بموجبة أعلنت فيه صراحة معارضتها الشديدة لقيام إمارة مستقلة بالجبل، ويرجع هذا القرار الرسمى إلى كل من المحافظ Ragni والكولونيل Lequio .

حركة المقاومة فى الجبل :

بعد مضى أيام على توقيع معاهدة لوزان للسلام اجتمع بالعزيرية زعماء الإقليم الطرابلسى وأعيانه وذلك من أجل تقرير ما يجب عمله لمواجهة القوات الإيطالية وكان القائمقام نشأت بى قد اقترح على كل من سليمان البارونى وفرحات أثناء مقابلته لهما قبل الاجتماع بضرورة مواصلة الجهاد ضد الغزاة الطليان .

وعندما تم طرد القوات التركية من ليبيا ، حاول الأتراك وضع كافة المساعدات اللازمة فى أيدى المقاتلين الليبيين وكانت عبارة عن معدات وأسلحة بالإضافة إلى ترك مبلغ من المال بلغت قيمته حوالى 20000 ليرة ذهبية تركية بالإضافة إلى 50000 جوال مليئة بالسلع الغذائية المختلفة ، كما قامت كثير من الروابط المؤيدة للمقاتلين الليبيين فى كل من مصر وتونس بإرسال كثيرمن المساعدات ، ولكن رغم ذلك فقد استسلم أغلبية الزعماء والأعيان المجتمعين فى العزيزية إلى الحكومة الإيطالية ما عدا سليمان البارونى فقد أصر على مواصلة الكفاح ضد ا لقوات الإيطالية بعد أن ضمن تأكيد وعود كفلت له حصوله على مساعدات من الحكومة التركية وبقية العالم الاسلامى مما جعله يضع فى حسبانه أن المقاومة سوف تنتهى بدون تحقيق أية نتائج إيجابية . ويبدو أن سليمان البارونى كان متمسكًا بحوافز أخلاقية محافظة تقليدية غير قابلة للتبديل ، إلا أنه من ناحية أخرى مهتم بتحقيق كثير من المكاسب المادية مما أدى إلى انسحاب زعماء النوائل وورفلة والمحاميد من جانبه ، بينما أعلن زعماء قبائل المقارحة وأولاد بوسيف بفزان

حيادهم خاصة فيما يتعلق برغبة الحكومة الإيطالية فى ضمان استقرارهم داخل أراضيهم، وفى أثناء ذلك قام فرحات بمحاولة الهدف منها إقناع كثير من زعماء القبائل الاشتراك فى مقاومة القوات الإيطالية، ولكن، محاولاته باءت بالفشل فقام بإرسال تلغراف إلى موسى قرادة متصرف يفرن لعله يستطيع القيام بإقناع أعيان الجبل للمشاركة فى حضور المؤتمر لكنه أجابه جميع الأعيان فى الجبل قد فوضوا البارونى حرية التصرف، لكن الواقع أن كثير من أولئك الزعماء كانوا يفضلون الخضوع والاستسلام بدلا من مواصلة المقاومة المسلحة ضد الإيطاليين .

وفى الواقع فقد أدت عودة سليمان البارونى إلى يفرن إلى توحيد زعماء الجبل وليس فقط زعماء الأصابعة، ككلة والهود الذين اتفقوا جميعًا على ضرورة مواصلة الكفاح المسلح ضد القوات الإيطالية حتى النهاية، على الرغم من أن البعض من أولئك الزعماء قد عارض فى بداية الأمر فكرة البارونى الداعية إلى مواصلة الكفاح، ذلك بسبب عدم توفر الوسائل اللازمة لمواصلة المقاومة المسلحة مما جعل البارونى نفسه يؤكد لهم ضمان الحصول على المال اللازم بالإضافة إلى كافة المساعدات الأخرى التى سوف تصل إليهم من مختلف البلدان فى العالم الإسلامى وتركيا .

وبعد مضى بضعة أيام على انعقاد مؤتمر يفرن بين زعماء مناطق الجبل وصل موظف رسمى من قبل الحكومة التركية قادمًا من الزاوية إلى يفرن حيث قام بتسليم موسى قرادة مبلغًا ماليًا بالإضافة إلى التموين الضروري، إلا أن زعماء القبائل فى الجبل كانوا لا يثقون كثيرًا فى المتصرف بسبب أن

ماضيه يدل على جشعه وعدم أمانته، لهذا فقد طلبوا من البارونى عزله من تلك المهمة حيث أسندت إلى ساسى خزام اليفرنى الذى يعتبر أيضًا من أصدقاء سليمان البارونى .

وفى الواقع أن جميع مشايخ القبائل لم يقبلوا ترتيب تلك الأحداث، حيث قاموا بإرسال مضبطة يعلنون فيها خضوعهم وولائهم للحكومة الإيطالية بطرابلس.

وقد تم التوقيع على تلك المضبطة من جميع سكان الجبل الأباضية والمالكية، وحوالى منتصف شهر ديسمبر 1912 م حضر إلى طرابلس عدد كبير من أعيان القبائل بلغ عددهم ستين شخصًا ليس للأعراب عن انضمامهم إلى أولئك الذين قاموا بتوقيع المضبطة التى كانت قد أرسلت لحكومة طرابلس فقط، بل أيضًا لمقابلة حاكم المستعمرة بهذا الخصوص، وقد كان من بين أولئك شخصيات تتمتع بنفوذ واسع فى الجبل منهم : على القبلاوى من يفرن ومحمد فكينى من الرجبان بالإضافة إلى كل من على بن عبد الرحيم، محمد مشينوقة، محمد المحمودى وآخرون وذلك من أجل تسليم السلاح وإعلان الخضوع للحكومة الإيطالية .

وعلى كل حال فإنه يمكن الإشارة إلى بعض الأسباب الأخرى التى ساعدت على حث كثير من زعماء القبائل وبعض من السكان إلى الخضوع للحكومة الإيطالية بطرابلس، والتى كان من بينها الإرهاق والخسائر الجسيمة التى لحقت بهم أثناء الحروب الماضية، بالإضافة إلى نقص التجهيزات اللازمة لخوض الحرب من جديد وانتشار الفقر بين سكان الجبل وبقية القبائل

المجاورة . أما الفريق الثانى الذى كان بزعامة سليمان البارونى فقد أصروا على مواصلة الكفاح عكس الفريق الأول فقد كانوا يؤمنون بمبدأ محاربة الكفار الذى كان قد اتخذه سليمان البارونى منطلقًا لمواصلة المقاومة المسلحة ضد القوات الإيطالية، وبالطبع فقد الحق المجتمعون فى طرابلس مع السلطة الإيطالية الحكومية وتأييدهم المطلق لسيطرة حكومة طرابلس على الجبل ضربة حاسمة بجميع خطط البارونى وأهدافه التى كان يسعى إلى تحقيقها بعد أن تخلوا عنه والانضمام إلى السلطات الإيطالية ولكن برغم ذلك فقد انضم إليه كل من أولاد بوسيف والمشاشية (حوالى 500 مقاتل) وذلك من أجل ضمان احترام بقية القبائل لهم وفى أثناء ذلك طالب سليمان البارونى من محلات نالوت والزنتان التى كانت تحت قيادة خليفة بن عسكر وأحمد الصيد القيام بنزع السلاح من أيدى زعماء القبائل الذين ذهبوا إلى طرابلس لمقابلة حاكم المستعمرة، وبالفعل فقد تم اعتقالهم مباشرة بعد عودتهم من طرابلس ما عدا محمد فكينى من الرجبان الذى كان يعتبر من أكثر أولئك الزعماء نفوذاً حيث تمكن من الهرب، ولجأ إلى مسكنه فى يفرن، مما أدى بالتالى إلى إرسال بضعة رجال مسلحين للقبض عليه هناك بدون جدوى، ونتيجة لتلك الإجراءات الشديدة فقد ازدادت حدة الصراع بين الفريقين خاصة بعد تدخل محمد بن عبد الله زعيم أولاد بوسيف الذى كان قد جرح خلال ذلك الصراع أما فكينى فقد ظل حراً طليقًا حيث عاد إلى مقر إقامته السابق وذلك بفضل صديقه محمد بن عبد الله الذى أفسد ذلك التصرف منه علاقاته مع سليمان البارونى مما أدى إلى إبعاده نهائيًا عن الجبل تاركًا وراءه زعماء أولاد بوسيف لكل من أبو بكر قرزة ومحمد بن عمر، أما بقية الزعماء

الذين تم القبض عليهم فلم يفرج عنهم بل ظلوا فى سجن يفرن إلى اليوم الذى دخلت فيه القوات الإيطالية يفرن بقيادة الجنرال ليكوى Lequio .
ولإزالة الشك عن بعض الأحداث الخاصة بالفترة الزمنية الأولى من دخول القوات الإيطالية للبلاد ، يمكن القول أن أغلبية السكان كانوا يفضلون استقرار السلام ، ولكن هذا لا يخفى من ناحية أخرى قيام سليمان البارونى بدور نشط أدى إلى تحريض كثير من زعماء القبائل على مواصلة الكفاح ضد ا لقوات الإيطالية من أجل تحقيق حلم تأسيس إمارة مستقلة ، مما دفع كثير من زعماء القبائل الانضمام إليه لتحقيق ذلك الأمل المنشود الذى كان يراوده فى ذلك الوقت ، وكان من بين أولئك الزعماء هذه الأسماء :

1- يفـــرن :

موسى قرادة ، ساسى خزام اليفرني ، أحمد الكور ، سليمان بن ساسي ، سالم البرشوشي ، سالم البارودي ، عيس كوسة ، محمد قرادة ، عثمان بن كافون وعيس بن يحيى .

2- فساطو :

يوسف خريبيشة [1] ، محمد خليل يوسف عبارة .

1- أصبح يوسف خريبيشة مثل مواطنة خليفة الزاوى من أشهر المتعاونين الذين انضموا إلى القوات الإيطالية فيما بعد. ومن الذين هرعوا لاستقبال الدوتشى موسولينى أثناء زيارته للبلاد ، حيث قام شخصيًا بتقديم هديةإليه هى عبارة عن « سيف الإسلام» ، وذلك كمايبدو فى صورة التقطت له مع خليفة الزاوى بتلك المناسبة نشرت فى مجلة ليبيا :
LIBIA. ANNO 1-N.2, TRIPOLI , MAGGIO. 1937 - XV. P.I. (المترجم)

3- الزنتان :

أحمد الصيد وعلى الشنطة .

4- كلكلة :

الفقى خليفة الأميرى وخليفة بن حسين .

5- نالوت :

خليفة بن عسكر ، العزابى إبراهيم بو الأحباس ، عبد الله نعامة وعبد القادر العيساوى .

6- الرحيبات :

محمد الشين .

7- بئر غنيم :

عون المحمودى .

ويمكن إضافة إلى أولئك الزعماء ذكر الولى الصالح عبد الله بن فاضل من العجيلات الذى كان يتمتع بنفوذ اجتماعى واسع على ا لزنتان كذلك كل من بوبكر قرزة ومحمد بن عبد الله من أولاد بوسيف . أما فيما يتعلق بتحريض السكان فقد استطاع سليمان البارونى استمالة حوالى ثلثى سكان يفرن والأصابعة وحوالى نصف سكان فساطو والهود وكلكلة والرحيبات ، مع أغلبية النالوتيين والزنتان وا لمشاشية وأولاد بوسيف بالإضافة إلى أقلية من سكان الرجبان .

لقد حاول البارونى مع بقية الزعماء الذين انضموا إليه فى مواصلة الكفاح، تأسيس حكومة مستقلة لم تحمل أية تغييرات فيما يتعلق بالتدابير التى كان قد اتخذها نشأت بى أثناء فترة النزاع الإيطالى ـ التركي، حيث كان قد قام القائد العثمانى نتيجة لظروف الحرب الملحة بإنشاء مديريات جديدة أخرى منها مديرية الرياينة فى قائمقامية يفرن وكذلك كل من مديريات الرحيبات والرجبان بقائمقامية فساطو ثم مديريات بكاباو والحرابة فى نالوت، حيث لم يتم تغيير الموظفين الرسميين بل بقوا جميعًا ما عدا يفرن حيث تم تعيين ساسى خزام فى منصب متصرف بدلاً من موسى قرادة الذى كان قد استقال من ذلك المنصب كما ذكرت سابقًا .

أما فى فساطو فلم يرغب أحد تولى منصب عمرعراب الذى كان يشغل منصب قائمقام لفساطو أثناء الحكم التركي، لذلك فقد تم تشكيل مجلس شورى يتكون من الوجهاء والأعيان لإدارة شؤون فساطو، هذا وقد تم حشد المحلات المختلفة فى ثلاث معسكرات مختلفة هى :

1- **الرابطة :**

يشمل هذا المعسكرحوالى ألف مقاتل من كل من فساطو، يفرن، ككلة، ورفلة، الرياينة، الرجبان، الحرابة، الزنتان، بئر غنيم .

2- **الاصابعة :**

كان يشمل حوالى ألفى مقاتل من قبائل نالوت، الزنتان، أولاد بوسيف، الحشاشنة، غريان، ورفلة، الرجبان، المقارحة (فزان) والشيامبة (تونس) والأصابعة .

3- بئـر غنيـم:

ويشمل خمسمائة مقاتل من الزاوية، بئر غنيم والريايتة.

هذا وقد بلغ مجموع المقاتلين بالمعسكرات الثلاثة حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل مسلح تم تزويدهم بكافة أنواع البنادق بما فيها عدد غير محدود من بنادق بوصوانة، ومع ارتفاع تعداد المتطوعين للقتال فى المحلات المختلفة أصبح من الضرورى على أولئك المتطوعين الاستعداد لحمل أسلحة أولئك الذين يستشهدون أثناء العمليات الحربية .

وكان أولئك المقاتلون يتلقون مرتبات عينية تشمل تزويدهم بكميات من الدقيق والتين المجفف وكذلك التمور المجففة بصفة غير منتظمة، ولم يتلق أولئك الجنود المسلمون مرتبات نقدية شهرية ماعدا مرتب شهر نوفمبر من نفس السنة وقدره ثلاثون ليرة دفعت لكل مقاتل، أما الموظفون فلم يحصلوا على أية مرتبات. أما التموينات اللازمة من ذخيرة وأسلحة ودقيق بالإضافة إلى المال فقد كانت تأتى من تونس بواسطة أحمد بن جبارة الذى كان يقوم بتسليم كميات كبيرة من الأمتعة إلى الهيئة الخاصة التى تأسست فى بن قردان تحت إشراف يوسف خربيشة الذى كان يقوم باتخاذ كافة الوسائل اللازمة من أجل توصيلها إلى معسكرات المقاتلين . أما فى يفرن فقد كان هناك شخص تونسى يقوم بتشغيل مصنع صغير خاص بتعبئة المخروطات النحاسية الفارغة المستخدمة فى البنادق بالمواد المتفجرة، حيث كان نفس الشخص يقوم بتلك المهمة أيضًا من قبل أثناء الحكم العثمانى للبلاد .

وكما رأينا فقد اهتم كثيرمن الصحف والمجلات خاصة الصادرة فى تونس والقاهرة بأخبار تلك الدويلة بالجبل كذلك بعض الصحف الأوروبية، بل اعتبرت الصحافة العربية أن المفاوضات التى كانت جارية بين الحكومة الإيطالية وتلك الدويلة عبارة عن انتزاع لكينونة سليمان البارونى المفضلة .

المفاوضات :

تم عقد اجتماع فى يفرن مساء يوم الثامن من نوفمبر بين كل من موسى قرادة، سليمان الباروني، يوسف خريبيشة وسالم بالحاج بالإضافة إلى دستة من أعيان الجبل الآخرين هذا وقد حضر الاجتماع كل من الكونت م. سفورزا Cont. M. Sforza والفارس سان فيليب Cav. San Filippo أعضاء البعثة العلمية الإيطالية الذين كانوا مساجين بيفرن أثناء الحرب الإيطالية ـ التركية، وقد أرسلوا إلى يفرن بعد أن تم الإفراج عنهم بموجب اتفاقية السلام التى أبرمت بين الطرفين المتنازعين .

وأثناء ذلك الاجتماع قام سليمان البارونى بتلاوة كافة المقترحات المقدمة من المقاتلين بالجبل ماعدا أولئك الذين يوجدون فى غريان، العجيلات وغدامس فلم يتعرض لذكرهم، ثم طلب بعد ذلك من أعضاء البعثة العلمية الإيطالية أن يكونوا سفراء سلام لدى الحكومة الإيطالية مع إبلاغها برغبة سكان مناطق الجبل فى الحصول على الاستقلال غير المشروط، فإذا لم توافق الحكومة على ذلك الشكل من الاستقلال فليكن إذاً على شكل محمية مثل ما تمارسه بريطانيا على مصر، وفى نهاية الاجتماع وعد أعضاء

البعثة العلمية الإيطالية اعضاء المؤتمر بتوصيل جميع مطالبهم إلى الحكومة الإيطالية، ولكن تمت فى الواقع إعادة البعثة العلمية إلى السجن بمجرد عودتهم إلى طرابلس فى 12 نوفمبر 1912 م .

وفى يوم 13 نوفمبر 1912 م أرسل الجنرال شيانشيو Ciancio الذى كان قد تولى منصب الحاكم رانى Ragni بالوكالة رسالة إلى سليمان البارونى [لم يراها البارونى إلا فيما بعد - (أكتوبر 1921 م)] حيث أعلمه فيها بأهمية كافة الأمور التى تمت مناقشتها فى ذلك المؤتمر، وأن نتائج تلك المناقشات قد أرسلت إلى روما، وقد أجاب سليمان البارونى عن تلك الرسالة فى 17 ديسمبر 1912 م موضحًا عزمه على الاستمرار والتمسك بوجهة نظره حول الاستقلال وفقًا للفرمان الذى أصدره السلطان والذى يقضى بمنح الاستقلال لسكان إقليم طرابلس ورغبته فى الدفاع عن تحقيق الاستقلال بقوة السلاح، كما أنه أرسل إلى شمس الدين [الذى قد تم تعيينه بواسطة السلطان العثمانى فى اتفاقية أوشى والذى كان فى ذلك الوقت موجوداً فى بنغازى من أجل مشاركة السكان فى الاحتفال بمناسبة انسحاب تركيا من ليبيا] وكذلك إلى القناصل الأجانب بطرابلس نسخًا من مضبطة سكان ورفلة الذين أعلنوا فيها استعدادهم للدفاع عن الحرية التى منحت لهم بواسطة السلطان العثماني، كما قام سليمان البارونى بإرسال رسالة أخرى إلى على كعبار قائمقام غريان يشكو له فيها عدم اهتمام الحكومة الإيطالية بمطالبه حيث أنه لم يتلق إجابة عن مراسلاته معها، مبديًا رغبته فى التوسط له من جانبه للحصول على مقابلةكل من الجنرال رانى Ragni والجنرال شيانشيو Ciancio فى الرابطة .

وعلى كل حال فإن جميع تلك المراسلات لسليمان البارونى لم تحقق أية نتائج إيجابية له، ومن ثم فقد خابت آمال سليمان البارونى فى تحقيق رغبته حتى إنه طالب بالدخول مع حكومة المستعمرات الإيطالية فى مفاوضات لتسفير وفد مفاوضين بحرًا من طرابلس إلى روما لمناقشة كافة الأمور المتعلقة بتأسيس إمارة مستقلة بالجبل مع الوزير بيرتولليني Bertolini [وزير المستعمرات]. وحتى بعد ما حصل البارونى على صلاحية إرسال مبعوثية للتفاوض مع الحكومة الإيطالية بشرط أن يكونوا مصحوبين بأحد المسؤولين الطليان لم يتم سفر المفاوضين فى آخر لحظة، مما جعل البارونى يقترح على آمر طرابلس فى 26 يناير 1913 م إمكانية سفر الوفد إلى تونس ثم إلى باريس بدلاً من روما للتفاوض مع السفير الإيطالى وشخصية أخرى هامة يتم تعيينها بواسطة الحكومة الإيطالية المركزية، وذلك كحل للنزاع والخلاف الذى ساد بين سكان الجبل حول سفر الوفد إلى روما كما كان سليمان البارونى أيضًا يرى إمكانية اختيار الكونت سفورزا Cont Sforza الذى يعتبر ملمًا بكافة الأمور حول تلك القضية بالإضافة إلى أنه كان يتمتع بثقة كافة زعماء قبائل الجبل واحترامهم وذلك من أجل الوصول إلى اتفاق بين الطرفين. ولكن حكومة طرابلس كانت تعرف الموقف فى الجبل جيدًا، فقد كانت مقتنعة بأن المشكل الحقيقى لهذا التغير الذى يجب أن يتم البحث فيه، هو موقف البارونى المتصدع [إذ أنه قدحدث أن تنكر له صراحة بعض زعماء القبائل أثناء المؤتمر الذى عقد فى 26 يناير بيفرن] ويرجع ذلك إلى ما يعانيه من نقص المواد الغذائية بالإضافة إلى الظروف السيئة القاسية التى كان

يعيشها السكان مما جعلهم يتخلون عنه تدريجيًا، وقد تبع ذلك أن قام الوفد باتخاذ طريق خفية إلى تونس بدلاً من الذهاب إلى طرابلس، وقد كان ذلك الوفد من المفاوضين يجب أن يضم إليه يوسف خريبيشة بالإضافة إلى موسى قرادة وعلى الشنطة إلا أنه لم يستطع السفر معهم لأنشغاله المستمر فى بن قردان حيث كان يقوم بالإشراف على إرسال كافة التموين اللازم إلى معسكرات المقاتلين .

وقد أشارت الصحف التونسية فى 9 فبراير 1913 م إلى نبأ وصول موسى قرادة ورفيقه إلى تونس مما جعل المهندس ديسى Dessi الذى كان يعتبر صديقًا شخصيًا لموسى قرادة يبحث عنه بمجرد تلقيه خبر وصول الطرابلسيين ،كما بعث بتلغراف إلى الكونت سفورزا Sforza الذى كان قد وصل إلى مرسيليا يعلمه فيها بذلك الخبر، وخلال بضعةأيام قام الأخير بعقد اجتماع مع كل من موسى قرادة وعلى الشنطة، وكانت من بين المستندات الرسمية التى بقيت فى حيازة سليمان البارونى حتى عام 1921 م، حيث استطعت الإطلاع عليها، ما يشير إلى مهمة الوفد الذى ذهب إلى مقابلة السفير الإيطالى فى باريس وذلك من أجل إبلاغه بما يلى :

1- المطالبة بالاستقلال الذاتى للجبل والساحل الغربى مع اعتبار مرسى زواغة عاصمة لتلك الإمارة المستقلة .

2- فى حالة عدم الموافقة على ذلك المطلب لأى سبب من الأسباب فيمكن مناقشة شكل آخر من أشكال الحماية يكون مشابها لتلك التى تبسطها بريطانيا على مصر .

3- إذا ما تم رفض المطلب الثانى أيضًا، فيجب المطالبة بالحصول على اعتراف بموجبه يتم الحصول على منح بعض التسهيلات الخاصة منها منح الاستقلال لكافة المناطق المذكورة أعلاه كماهو معمول به فى بقية الدوائر القضائية بالإقليم الطرابلسى .

وعندما وصل كل من موسى قرادة وعلى الشنطة يرافقهما المهندس ديسى Dessi الذى قدمها إلى السنيور بيرتوللينى وزير المستعمرات الإيطالية فى روما بصفته مترجمًا للمفاوضين أرسلة البارونى معهم .

وبعد أن تم استقبال كل من موسى قرادة وعلى الشنطة للوزير قام الأخير بإجراء اتصال مع الحاكم الجنرال « Ragni رانى » بطرابلس حيث أخبره بأن المحادثات الرسمية قد أجريت مع كل من المبعوثين [الذين كانوا قد تقدموا بمقترحات تبدو معقولة لوزير المستعمرات] لهذا فقد طلب الوزير من الجنرال Ragni حاكم طرابلس بضرورة إيقاف جميع العمليات الحربية التى كان قد تم التخطيط لها من قبل وذلك لمدة اسبوعين، كما طالبه بالسماح لكل من مبعوثى سليمان البارونى بالرجوع إلى روما خلال 15 يومًا من رجوعهم إلى المستعمرة مصحوبين بزعماء آخرين، وذلك من أجل الوصول إلى ا تفاق نهائى .

وفى الواقع أنه لم يحدث ما يعكر تلك الهدنة القصيرة، فلم تحدث مطلقًا غارات نهب وسلب ولا أية تصرفات عدائية ضد السكان الخاضعين للسلطة الإيطالية أو ضد القوات العسكرية الإيطالية التى كانت تحت مراقبة كل من قوات البارونى والشيخ « سوف » المنتشرة فى كل من السهل

والجبل، ولكن فى الواقع أن تلك الهدنة لم تستمر طويلاً حتى استعادت حكومة طرابلس حريتها المطلقة فى القيام بتنفيذ العمليات الحربية التى كان قد تم تأجيلها من قبل.

وفى يوم 12 مارس 1913 م رجع كل من الكونت سفورزا والمهندس ديسى Dessi إلى تونس وذلك بعد الوصول إلى اتفاق مبدئى بين المفاوضين الطرابلسيين والوزير بيرتولليني، وقد سافرا معًا بسرعة إلى جنوب تونس من أجل القيام بالمهمة التى كان الوزير قد كلفهما بها والتى كانت تشمل حثهم على مراقبة كافة المهام التى سيقوم بها كل من موسى قرادة وعلى الشنطة اللذين كانا قد وصلا إلى تونس معهما، وقام على الفور بالاتصال مع جميع زعماء القبائل المنشقين وذلك من أجل إبلاغهم بكافة الأمور التى تم الاتفاق عليها مع وزير المستعمرات بروما بالإضافة إلى دعوتهم للمشاركة فى الاجتماعات القادمة لكن عندما وصل على الشنطة إلى بن قردان فى يوم 22 مارس وذلك من أجل الاتصال بسليمان البارونى لكى يخبره عن نتائج المفاوضات، كانت جميع الأمور قد تأزمت فى الجبل الغربي.

العمليات العسكرية ومعركة الأصابعة:

عل الرغم من فشل مهمة كل من على الشنطة وموسى قرادة فى القيام بإجراء مزيد من المفاوضات مع السلطة الإيطالية، إلا أن ذلك لم يجعل سليمان البارونى يتوقف عن مواصلة الكتابة، بل استمر فى الاتصال بكافة المسؤولين بالحكومة الإيطالية ،وقد اتيحت لى الفرصة للإطلاع على كثير من نسخ الرسائل التى كان قد قام بإرسالها إلى كل من الجنرال Ragni، رئيس

الوزراء الإيطالي، رئيس مجلس السناتور [الشيوخ]، ورئيس مجلس النواب وإلى بقية المسؤولين فى السلطة الإيطالية، بالإضافة إلى مراسلاته إلى كثير من أعيان القبائل وزعمائها الخاضعين للحكومة الإيطالية بطرابلس وكان من بينهم الهادى كعبار فى غريان وعلى بن شعبان من زوارة وعلى بن تنتوش .

إن ازدياد الموقف سوءً بين القوات الإيطالية وبقية المحلات المنشقة ضد السلطة الإيطالية، أدى إلى ازدياد غارات النهب والسلب بالإضافة إلى الاعتداءات المسلحة البسيطة ضد المواقع الأمامية للقوات الإيطالية، مما جعل من المتعذر جداً تحديد هوية الجماعة التى قامت بتلك الهجمات، وكان من أسوأ تلك الغارات، تلك التى حدثت على إقليم غريان (الأراضى الغريانية) بتاريخ 15 فبراير 1913 م ،حيث قامت أعداد كبيرة من المقاتلين التابعين لمعسكرات الرابطة بالهجوم على أحد نجوع الأهالى الخاضعين للسلطة الإيطالية فلم يستطيعوا مقاومة تلك القوات مما جعلهم يلوذون بالفرار أمام هجمات المغيرين تاركين وراءهم غنائم هائلة استولى عليها المهاجمون بسهولة. أما الهجوم الآخر الذى لا يقل عنفًا وشراسة عن الهجوم الأول فهو ذلك الهجوم الذى كان قد وقع بعد مضى بضعة أيام على الهجوم الأول على أراضى الكليبة والقاطش. هذا وقد أصبح الموقف أكثر سوءًا بسبب أن مفاوضات الصلح التى كانت قد بدأت بواسطة المكتب السياسى بطرابلس قد أجهضت تمامًا، على الرغم من أن الوزير بيرتوللينى كان قد أصدر أوامره بتأجيل القيام بالعمليات العسكرية بتاريخ 3 مارس بسبب زيارة وفد

المفاوضات الذى أرسله سليمان البارونى إلى روما، إلا أن فترة الهدنة تلك والتى أعلنت لمدة 15 يومًا بين الطرفين لم يتم التقيد بها بواسطة المقاتلين التابعين لسليمان البارونى مما جعلها بدون فائدة .

فى الواقع أن ازدياد الهجمات العدائية ضد القبائل الخاضعة للسلطة الحكومية الإيطالية جعل زعماء تلك القبائل يطالبون الحكومة الإيطالية بضرورة القيام بعمل حاسم للحد من تلك الهجمات العنيفة ضدهم. ونتيجة للهجوم العنيف الذى قام به أولاد بوسيف والمشاشية ضد مواقع القوات الإيطالية فى تيبدوت أثناء ليالى 18-19 مارس أصدر وزير المستعمرات أوامره لحكومة طرابلس باتخاذ كافة الإجراءات المناسبة، وبالفعل فقد تم اتخاذ كافة الاستعدادات اللازمة مساء يوم 21 مارس حيث بدأت القوات الإيطالية العمليات العسكرية ضد زعماء القبائل المتمردين على السلطة الحكومية فى صباح 23 مارس حيث كان الهدف المقصود من وراء القيام بالعمليات العسكرية ضد المتمردين فى الجبل هى السيطرة الكاملة على خط المرتفعات الواقع بين وادى جندوبة والأربعة وسرت لكى يتم التوجه منه إلى الأصابعة لمطاردة المتمردين « المجاهدين » الذين كانوا قد انقسموا فى كل من المنطقة الأخيرة ومعسكر الرابطة إلى فريقين بلغ تعدادهم حوالى ثلاثة آلاف مقاتل (3000) مقاتل تحت قيادة كل من: سليمان الباروني، خليفة بن عسكر، بوبكر قرزة وأحمد الصيد، أما القوات الإيطالية فقد كانت بقيادة الجنرال ليكوى Lequio حيث تم تقسيمها إلى ثلاثة فرق عسكرية، الفرقة الرئيسية الأولى كانت بقيادة الجنرال ليكوى نفسه، أما

الفرقتان الثانية والثالثة فهما عبارة عن فرق مساعدة للأولى التى غادرت مقرها فى تيبدوت عند الساعة السادسة صباح يوم 23 مارس وهى على أتم الاستعداد للقيام بعمليات المناورة والهجوم. وبمساعدة قصف سلاح المدفعية لموقع المقاتلين فى الجبل استطاع جنود المشاة الموجودين فى المقدمة التحرك بكل سهولة مما إدى إلى سقوط الهنشير بالإضافة إلى بعض المواقع الأخرى التى كان يحتلها المقاتلون الجبليون فى أيدى جنود القناصة وفرقة جنود الجبل، مما شجع القوات الإيطالية على عدم التوقف بل الاستمرار فى طرد رجال المقاومة الذين اتخذوا بعد انسحابهم من المناطق الوعرة مواقع دفاعية، لكن جنود القناصة وفرقة الجبل استطاعوا التقدم إلى الأمام حيث وصلوا فى تمام الساعة التاسعة صباحًا من نفس اليوم إلى ظهرات، أقيرة ثم هضبة قصمات.

وقد حاول المقاتلون المحليون الالتفاف على يسار القوات الإيطالية أثناء تقدم تلك القوات إلى الأمام إلا أن محاولتهم فشلت حيث استطاعت فصائل القوات الإيطالية الأمامية التصدى لذلك الهجوم حيث قامت بالتركيز على الأهداف الرئيسية التى كانت تشمل الاستيلاء على المرتفعات الجبلية التى تيسيطر على حوض الأصابعة، وعلى الرغم من إطلاق النيران المكثف من جانب المقاتلين المحليين إلا أن الجنود الطليان استمروا فى زحفهم حتى وصلوا تلك القمة الجبلية المحيطة بالاصابعة بمساعدة قذائف قنابل سلاح المدفعية، مما جعل تلك القوات تتمكن من إبادة جميع محاولات المقاومة التى قام بها المقاتلون المحليون حيث أجبروا على الفرار تلاحقهم قوات من المجندين الليبيين تساعدها قوات من الفرسان. وبينما وصلت

الفرقة الأولى بقيادة الجنرال ليكوى إلى تحيق الهدف، كانت الفرقة الثانية بقيادة الكولونيل بونتريمولى Pontremoli تتخذ مواقع دفاعية لها فى كل من قارة توتا وقصر المنقوش وذلك من أجل البدء فى ضرب مواقع المقاتلين المحليين الذين كانوا يتمركزون فى المرتفعات الجبلية البيضاء كما يسميها الطليان تمييزاً لها عن المرتفعات الجبلية السوداء بالإضافة إلى الرابطة، وبالرغم من وعورة أراضى تلك المنطقة إلا أن القوات الإيطالية استمرت فى التقدم ببطء بدون توقف حتى وصلت إلى قصر المنقوش حيث وجد قائد الفرقة أن ثمة قوات قليلة للمقاتليين المحليين لا زالت حاضرة متفرقة بتلك المنطقة، مما جعله يصدر أوامره للقوات الإيطالية بالزحف إلى الأمام للاستيلاء على المرتفعات الجبلية البيضاء، وقبل وصول الفرقة الإيطالية إلى منحدرات تلك المرتفعات قام الجنود الموجودون فى المقدمة بإطلاق نيران كثيفة على المقاتلين المحليين الذين كانوا متربصين فى ثنايا منحدرات المرتفعات، مما أدى أيضًا إلى تدخل سلاح المدفعية الذى قام بقذف تلك الخلايا المتمركزة من المقاتلين بوابل من القذائف النارية أجبرتهم على الفرار وترك مواقعهم. هذا وقد استطاعت الفرقة الثانية بقيادة الكولونيل بونتريمولى Pontremoli من حيث إنجاز المهمة المكلفة بها تحقيق السبق على الفرقة الثالثة. التى كانت بقيادة فابرى Fabbri الذى كان عليه الوصول إلى السهل أولاً ، ثم التوجه منه بعد ذلك إلى تحقيق المهمة المكلف بها التى تشمل الاستيلاء على الرابطة والمرتفعات الجبلية السوداء، ولكن عندما علم الكولونيل بونتريمولى من دورية الاستطلاع، أن الفرقة العسكرية الثالثة بقيادة فابرى لا تزال بعيدة من حيث المسافة عن الوصول إلى هدفها، أمر

فرقته بالتقهقر لتحقيق تلك المهمة بدلاً من الفرقة الثالثة. وترجع الأسباب فى الواقع التى جعلت الفرقة الثالثة تتأخر، إلى أنه قد حدث فى الصباح 23 من نفس الشهر أن تم إرسال حوالى نصف فيلق فرسان الخيالة من أجل مساعدة دوريات الاستطلاع التى كان قد تم إرسالها إلى شرق المرتفعات الجبلية السوداء لرصد قوات المقاتلين المحليين، لكن أثناء قيامها بتلك المهمة اشتبكت معها فى معركة حامية، وعندما شعر قائد الفرقة بمهاجمة قوات المقاتلين المحليين بدأ فى التقدم إلى الأمام حيث تم وضع كل من فرقة البافونى أو الطاووس وفرقة الساحل فى المقدمة تليها بطارية الجمالة (المهاريستا) ثم فرقة المجندين الإريتريين بالإضافة إلى فرقة الاحتياطى التى تكون فى الغالب الفرقة العسكرية الثالثة. وبسرعة خاطفة قام المقاتلون المحليون بمهاجمة القوات الإيطالية وبعد مضى خمس وأربعين دقيقة من القتال الضارى بين الطرفين، استسلمت قوات الاحتياطى حيث انسحبت تاركة وراءها الفرقة العسكرية مكشوفة بدون حماية مما جعل وحدة الجنود الإريتريين تقوم بحمايتها ضد الهجمات الشرسة التى كانت تشنها قوات المقاتلين المحليين، وبالفعل فقد أظهرت وحدة الجنود الإريتريين شجاعة نادرة فى قيامها بمطاردة قوات المقاتلين المحليين حيث اضطر الجنود الإريتريين إلى إطلاق النيران على أولئك المقاتلين المندفعين بحماس من بعد لم يتجاوز مائة متر وأحيانًا أقل من ذلك، وقد كانت اللحظة الحاسمة والصعبة معًا هى تلك التى واجهت فيها الفرقة العسكرية الثالثة قوات هائلة من سكان محلات الجبل التى أخذت تهاجمهم بشراسة من جميعا الجهات، مما جعل قائد الفرقة يضطر لإصدار أوامره بالإنسحاب الذى تم بكل دقة ونظام من قبل جميع الوحدات

العسكرية، وقد سرى مفعول ذلك الأمر أيضًا على وحدات المجندين الإريتريين ولكن عندما ازدادت خطورة الموقف صعوبة واصل المجندين الإريتريين زحفهم لتحقيق الهدف، حيث قاموا بشن هجوم أصبح مشهوراً فى حوليات الحملة العسكرية الإيطالية على ليبيا، حيث استطاعوا أن يربكوا قوات المقاتلين المحليين التى انهارت قواها أمام تلك الهجمات الشرسة للإريتريين مما دفعهم للفرار بينما استغل المجندون تلك الفرصة لملاحقتهم وهم يصوبون إليهم حراب البنادق، مما بعث الحماس فى نفوس بقية جنود الفرقة العسكرية الثالثة الذين أخذوا يلاحقون المقاتلين المحليين الذين كانوا قد لاذوا بالفرار بدون حماية، مما جعل فابرى FABBRI قائد الفرقة يصدر أوامره بسرعة إلى رتل الجنود لاستئناف المسيرة إلى الرابطة لكى يتم الاتصال بالفرقة العسكرية الثانية بقيادة الكولونيل PONTREMOLI مما أتاح للفرقة التخلص من القيام بالمهمة التى كانت قد تم تكليف الفرقة الثالثة بإنجازها، لهذا فقد عادت الفرقة العسكرية الثالثة لتعسكر حول بيركوكا حيث تعرضت لمضايقات نيران بنادق المقاتلين المحليين. وعلى الرغم من انعدام الاتصال بين الفرقتين العسكريتين الثانية والثالثة بسبب المسافة الطويلة التى كان قد قطعها قائد الفرقة الثالثة بالإضافة إلى المعركة التى كان قد خاضها، ألا أنه استطاع بعسكرته حول بيركوكا واشتباكه مع المقاتلين المحليين خاصة تلك المناوشات التى دارت بينه وبين قوات معسكر الرابطة، أن يجعل الفرقة الثانية بقيادة فابرى FABBRI تمهد الطريق أمام قوات الكولونيل PONTREMOLI للوصول بسهولة إلى السيطرة على كل من قارة توتا والمرتفعات الجبلية البيضاء مما أدى إلى تحقيق النصر فى معركة الأصابعة.

وعندما أصدر الأمر LEQUIO قائد الفرقة العسكرية الأولى أوامره السريعة التى كانت تقضى بتنظيم الخطوط الخلفية للجبهة وحمايتها من أجل أن يتم الاتصال بين جميع الطوابير العسكرية ببقية الفرقة العسكرية، فقد تم فى اليوم التالى لصدور تلك الأوامر وبالضبط فى 24 مارس احتلال قصر الأصابعة بعد مقاومة عنيفة، وذلك بعد أن خسر المقاتلون المحليون فى اليوم السابق 23 مارس حوالى ثلاثمائة وخمسين قتيلاً بالإضافة إلى أعداد كثيرة من الجرحى كما تم جمع مئات البنادق من أرض المعركة، أما خسائر القوات الإيطالية فقد كانت عبارة عن مقتل ضابطين وأربعة وثلاثين جنديًا، أما عدد الجرحى فقد كان حوالى مائتين وخمسة جنود منهم تسعة ضباط. وفى يوم 25 من نفس الشهر تم الاستيلاء على كلكلة، هذا وقد تم الوصول إلى سوادنة يوم 26 مارس بينما تم رفع العلم الإيطالى يوم 27 مارس وذلك على قلعة يفرن المقر القديم للمتصرف التركى. وبذلك يمكن القول أن القوات الإيطالية قد استطاعت أن تنجز مهمة احتلال الجبل، مما جعل زعماء المقاومة يلوذون بالفرار حيث اتجه كل من سليمان البارونى، ساسى خزام وخليفة بن عسكر يرافقهم بعض الزعماء الآخرون غربًا ـ أما أولاد بوسيف والمشاشة فقد اتجهوا جنوبًا، وبذلك تم للقوات الإيطالية السيطرة على الجبل بعد أن ذابت المقاومة المسلحة فى جميع المحلات بالجبل ضد القوات الإيطالية الغازية. وفى كلكلة استلم الجنرال « ليكوى » LEQUIO رسالة من سليمان البارونى يطلب منه فيها « ضرورة إيقاف كافة الأعمال العدوانية فى الجبل لكى يتم عقد مؤتمر للزعماء بالجبل لمناقشة إمكانية التوصل إلى اتفاق، هذا وقد أدعى البارونى فى رسالته إلى الجنرال المذكور عدم مسؤوليته عن الهجوم الذى قام به

المقاتلون المحليون ضد القوات الإيطالية فى تبيدوت والذى أدى فى الواقع إلى إلغاء الهدنة بين الطرفين، كما أنه يوضح فى الرسالة أيضًا عدم ممانعته حول منح الاستقلال الذاتى للجبل الذى كانت الحكومة قد اعترفت به، كما يبدو فى الترجمة الحرفية للفقرة الواردة فى الرسالة المذكورة كما يلى :

بسم الله . . . .

قبل كتابة هذه الرسالة وصل على أفندى الشنطة أحد المفاوضين الذين ذهبوا إلى روما، وقد أخبرنى عن كل ما دار هناك من مناقشات مع الوزير الذى أبدى قبوله لمطالبنا، وعلى كل حال فنحن نأسف جدًا لما حدث، حيث لم نستلم أى تلغراف من تلك التلغرافات التى أرسلت لنا حول ذلك الموضوع، ولكن يبدو أن تلك التلغرافات قد تم حجزها لربما فى مدينة تونس أو فى الذهيبات وعلى كل حال فقد حدث ذلك بمشيئة الله وقدرته، فإننى أقسم على أن السبب الرئيسى وراءنشوب تلك المعركة يرجع إلى قلة من رجال أولاد بوسيف بمساعدة بعض المقاتلين الآخرين، فأنا شخصيًا لم ارتكب أى عمل عدوانى ضدكم سوى اتخاذ موقف المنازع حيث أنى كنت أنتظر نتيجة المفاوضات التى قام بإجرائها الوفد الطرابلسى فى روما مع وزير المستعمرات، ولكن القدر كان حاسمًا، وعلى كل حال فأنا ليس لدى مانع من قبول الاستقلال الذاتى للجبل الذى كانت قد تعهدت الحكومة بتحقيقه، لهذا فليس لدى حاجة إلى المزيد من التفكير فى ذلك ولا إلى دعوة بقية الزعماء إلى عقد اجتماع بخصوص ذلك، فأنا أريد من معالى سعادتكم أن تكون وسيط بيننا وبين الحكومة الإيطالية الموقرة فى تقديم اعتذارنا، كما أرجو منك أن تعلمنى عن حقيقة ذلك الموقف » .

وقد رد الكولونيل LEQUIO في بلاغ مقتضب على رسالة سليمان الباروني بينما كانت قواته تواصل مسيرتها نحو يفرن بدون مقاومة، مما فرض على الزعماء الذين كانوا يرغبون في العيش بسلام ضرورة رفع الأعلام البيضاء أمام القوات الإيطالية الزاحفة، أما الباروني وساسي خزام مع بقية الزعماء الآخرين فقد تم إقصاؤهم عن البلاد، وعلى الرغم من أن الأمور كانت تسير لصالح القوات الإيطالية في الجبل، إلا أن وزير المستعمرات ناقش مسألة الجبل مع حكومة طرابلس حيث أبدى موافقته مبدئيًا على جزء من المشروع الذي يطالب به المفاوضون الطرابلسيون على الأقل. ففي يوم 23 مارس نفس اليوم الذي نشبت فيه معركة الأصابعة أرسل السنيور بيرتولليني وزير المستعمرات الإيطالية تلغرافًا إلى الجنرال RAGNI يعلمه فيه موافقته الشخصية على تأسيس مقاطعة الجبل تكون ذات نظام خاص بحيث يتم تعيين الزعماء فيها بواسطة الانتخاب، ولكن أجابة قائد القوات الإيطالية بطرابلس كانت عبارة عن الرفض التام لمقترحات الوزير، مما جعل ذلك التصرف من قبل قائد القوات الإيطالية من الأخبار السيئة التي لم تفرح سليمان الباروني وغيره من الزعماء المهتمين بذلك الأمر، ومن جهة أخرى نجد أن سكان الجبل قد انقسموا حول تأسيس تلك المقاطعة، فالبعض يؤيدها، أما البعض الآخر فيرفضها خاصة أنهم يعتقدون أن تأسيس تلك المقاطعة المستقلة ذاتيًا لا يمكن أن يتم بدون اعتراف بل وإشراف تام بواسطة الحكومة الإيطالية المركزية على الرغم من زعامة سليمان الباروني للمقاطعة. لهذا وغيره من الأسباب الأخرى فإن تأسيس مقاطعة مستقلة بالجبل لا يعتبر ذا أهمية حقيقة بالنسبة لهم. وعلى كل حال فربما كان الغرض من

تصريحات وزير المستعمرات الإيطالية المتعلقة بالجبل سياسيًا تهدئة سكان الجبل خاصة أن نتائجها ستكون سيئة على بقية مناطق الإقليم الطرابلسى حسب وجهة نظر الحكومة الإيطالية نفسها ذلك أن تحقيق مثل تلك الوعود يجبر الحكومة الإيطالية فيما بعد إلى منح الاستقلال الذاتى لكافة مقاطعات الإقليم الطرابلسي، بالإضافة إلى أن عملية انتخاب الزعماء المحليين بتلك المناطق يعتبر من العوامل التى سوف تقلل من سيطرة الحكومة، فربما قد يؤدى ذلك إلى تعيين شخصيات بارزة تكون شديدة الولاء والتمسك بسليمان البارونى ومضادة للحكومة الإيطالية مما سوف يؤدى إلى نتائج سلبية لن تكن لصالح تهدئة سكان المستعمرة إطلاقًا وعلى الرغم من امتناع حكومة طرابلس عن تأسيس مقاطعة للجبل مستقلة ذاتيًا، إلا أن وزير المستعمرات بيرتولليني ظل مقتنعًا بأن القاعدة الأساسية للمفاوضات لم تمانع فى اختيار لائحة قرارات لتدارك الخوف مما يترتب على ذ لك من عواقب .

وبعد اجتماع سليمان البارونى بزعماء قبائل العلالقة، والعجيلات، الصيعان والنوائل الذين ناقشوا معه كافة الأمور خاصة فيما يتعلق بخضوع تلك القبائل جميعًا واستسلامها للسلطات الحكومية الإيطالية بطرابلس، أعلن سليمان البارونى رغبته فى الذهاب إلى القسطنطينية فترك البلاد متوجهًا إلى تونس وعندما وصل الذهيبات طلب مقابلة الجنرال بستور PISTOR الذى كان يشغل منصب قائد الإقليم الجنوبى التونسى، وعندما لم يحصل على مقابلة الجنرال الفرنسى واصل سفره برًا بواسطة سيارة إلى صفاقس ليأخذ القطار من هناك إلى تونس العاصمة التى وصل إليها يوم 9

إبريل 1913 م، حيث قدمه المهندس ديسى Dessi إلى الكوماندور بوتسينى Bottesini قنصل إيطاليا، حيث طلب سليمان البارونى منه إمكانية إعادة المفاوضات مع روما، إلا أن القنصل أجابه بضرورة الخضوع وتسليم السلاح للحكومة الإيطالية، وفى تونس عقد سليمان البارونى مؤتمراً صحافياً مع بعض الصحف الفرنسية أعلن فيه تمسكه بالمطالبة بجبل نفوسة، مما جعل الصحف الصادرة فى تلك الفترة تشير فى عناوينها إلى أن المفاوضات من أجل استقلال الجبل قد باءت بالفشل مع حكومة إيطاليا، مما أدى إلى استئناف الكفاح المسلح.

وفى تلك الأثناء طلب البارونى مقابلة وزير المستعمرات الإيطالية إلا أن طلبه رفض. حيث أبلغه المهندس ديسي بأن سفره إلى روما سيكون مستبعداً على الإطلاق وأخيراً حاول سليمان البارونى الحصول على العفو العام من الجنرال Ragni حاكم الإقليم الطرابلسى، وذلك بالسماح له بالعودة مع رفاقه إلى إقليم طرابلس لكن الجنرال رفض ذلك، كما أنه لم يوافق على منح سليمان البارونى أى معاملة خاصة، لأنه كان يعتبر سليمان البارونى أحد المحرضين ضد الحكومة الإيطالية لذلك فإن عودته إلى المستعمرة سوف تؤدى إلى إثارة كثير من المشاكل. ولكن رغم ذلك فقد عاد سليمان البارونى متحدياً فى ذلك قرارات حكومة روما، وعندما وصل إلى بن قردان ادعى باعتزاز وفخر أنه سيكون عنصراً محرضاً للسكان للقيام بثورة ضد الحكومة الإيطالية بطرابلس. إن مثل تلك التصريحات فى الواقع جعلت وزير الخارجية الإيطالية خلال منتصف شهر مايو فى نفس السنة يتصل بالحكومة الفرنسية طالباً منها إبعاد سليمان البارونى عن الحدود الليبية ـ التونسية، بل

القيام باعتقاله فى تونس، إلا أنه فى الواقع لم يبق سوى بضعة أيام بتونس حيث غادرها للقيام برحلة إلى بعض العواصم الأوروبية زار فيها كلاً من برلين، ڤيينا، بوخارست ثم القسطنطينية، ولم يعد إلى تونس إلا فى شهر مارس 1914 م، حيث قام باستدعاء أخيه أحمد الذى كان يعيش فى جادو لرؤيته، حيث أخبره بإمتنانه من الحكومة العثمانية التى منحته عضوية مجلس الشيوخ العثمانى ذلك اللقب الذى كان يعتبر من اسمى الألقاب التى كان يطمح إلى الوصول إليها البارونى [يبدو أن الحكومة العثمانية قد وعدت البارونى بمنح ذلك اللقب له بشرط استعداده لمواصلة المقاومة فى الجبل من جديد]. وعلى كل حال فيبدو أن الهدف من وراء عودة سليمان البارونى إلى تونس ليس لرؤية أخيه فقط بل من أجل تحقيق مشاريعة القديمة.

أما عن أهم مؤلفات البارونى خلال الحرب الإيطالية ـ التركية، فقد صدر له فى القسطنطينية مع نهاية عام 1913 م كتيب صغير باللغتين العربية والتركية تحت عنوان «مذكرات المجاهد الكبير سليمان البارونى أثناء الحرب المقدسة» . وقد نال سليمان البارونى على تلك البطولات التى نسبها إلى نفسه دبلوم الميدالية الذهبية من « الجمعية الأكاديمية للتاريخ العلمى » Societe Academique D'Histoire International فى باريس يوم 6 مايو 1914 م، وفى الواقع فقد كان الهدف من وراء نشر ذلك الكتيب الذى صدر بواسطة سليمان البارونى فى القسطنطينية المناداة بتأسيس حكومة مستقلة فى الجبل، بالإضافة إلى تبرئة سليمان البارونى من جميع التهم التى كانت قد وجهت إليه من البعض، وقد كانت تلك التهم تدور حول اعتزاله الحرب ضد

الإيطاليين مقابل حصوله على مبلغ من المال، وكذلك تهمة استيلائه على الأموال المخصصة لرجال المقاومة فى الجبل .

ولكن الواقع هو أن سليمان البارونى كان رجلاً طموحًا ولم يوصم أبدًا طيلة حياته، بأنه كان شخصًا طماعًا يغريه المال كما تبرهن جميع المراسلات التى تمت بينه وبين كثير من الشخصيات البارزة المعاصرة له، والتى كان أغلبيتها يتولى مناصب قيادية هامة فى حكومة طرابلس، هذا المراسلات جميعًا تشير إلى نزاهة سليمان البارونى وأمانته كما تؤكد بصفة خاصة مراسلاته مع الكونت سفورزا مدى الاحترام الذى يكنه لسليمان البارونى نظرًا لما كان يتمتع به من أمانه ونزاهة .

الفصل السابع

- الأرشيفى فى الجامعة
- تأثير النشر الإلكترونى على خدمات المكتبات.
- الأرشيف .
- ماهية إدارة المحفوظات .
- مكتبات ناشرى الصحف فى ولاية كيرالا الهندية
- تعريف الأرشيف والمهنة الأرشيفية .

من الوظيفة إلى المهنة
إحساس الأرشيفى بالهوية

الأرشيفى فى الجامعة

1- مجال الورقة Scope of the Paper

هناك ثمة مفارقات تبدو لنا عندما تكون رغباتنا ونظرياتنا تأتى عكس الحقيقة [1] وهذا ما يصدق على هذه الورقة، والتى تطرح هذا الموضوع للنقاش العام بشكل محدود، خاصة وأنه ليس من السهل جدًا إمكانية وصف كافة الفروق الدقيقة لعالم الأرشيفى الجامعى الخاص من خلال صفحات قليلة، وذلك لصعوبة تناول هذا الموضوع من كافة جوانبه

1- فيما يتعلق بهذا الموضوع يمكنك الإطلاع علي :

- David B. Gracy II [" our Future is Now " , The American Archivist, Chicago, Winter 1985, Vol. 48, p. 12 - 21] .

بالإضافة إلى ذلك يمكن الإطلاع أيضًا على

Charles kecsKemeti [" The Professional Culture of the Archivist " The American Archivist, Chicago, Summer 1987, Vol.5 .op. 408 - 413] .

المختلفة والذى لا يوجد أى اجماع حوله فى الوقت الحاضر، وعليه لا يجب اعتبار التناقضات التى قد تظهر أمامنا مفاجأة، خاصة وإننا سوف نواجه كثير من الأحداث والبيانات التى قد يبدو وكأنها تناقض أو تضعف من مواقفنا، ولكنها فى الواقع لا تعكس سوى تعقيد المهنة الأرشيفية فى العالم الحديث.

وكما هو معروف لدينا لا يوجد على كوكبنا تقدم مطلق ولا ركود كلي، وما هو مسلم به فى بعض المناطق يمكن أن يكون حلم أوْ بدعة فى غيرها، وعليه فإن التطور المتفاوت فى المهنة الأرشيفية يشير إلى ما تم إنجازه وما يجب أن يتم عمله. وأحيانًا قد ينشأ عن الحاجة والرضا مشاكل، وعليه فإن التقدم المستمر الذى تم تحقيقه خلال القرن العشرين يتحرك بحتمية تجاه نظرة شاملة عالمية[1] كما ثبت ذلك من خلال كثير من الأمثلة للمؤتمرات الدولية الاثنا عشر للأرشيفين (ابتداء من مؤتمر باريس 1950 م إلى مؤتمر مونتريال 1992م)، بالإضافة إلى المؤتمر الخاص الذى عقد بواشنطون عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية خلال عام 1966 م.

ضمن هذا الإطار، أرغب فى رسم صورة للأرشيفيين الجامعيين، وذلك من أجل جذب الانتباه للأفكار والإسهامات التى تصف تصوراتهم ومميزات نشاطهم المهنى.

1- انظر إلى :

Aurelio Tanodi, " Hacia un Unversalismo "

أو [نحو أرشيفية عالمية] .

- Arquivo & Administraciono , Rio de Janeiro, A A B, April 1976. Vol. 4, No. 1,pp. 6- 10 .

2- المهنة الأرشيفية The Archival Profession

أولاً وقبل كل شيء، الأرشيفيين فى الجامعات هم عبارة عن أرشيفيين بسطاء وبسبب نوع العمل الذى يمارسونه، نحن ندعوهم أرشيفيين جامعيين. لهذا فإن لقب الأرشيفى الجامعى يطلق عليهم بدون الرجوع للتدريب الأكاديمى ونوعية التطبيق العملى المتحصل عليه، وذلك بسبب أن الشهادات العلمية فى هذا التخصص هى إما إنها غير مطلوبة أوْ لا تمنح فى كثير من الأقطار حيث أن نوع هذه الدراسات المهنية غير مألوفة وبالتالى فهى غير متوفرة فى تلك الأقطار

وللبدء فى هذا الموضوع، يكون من الملائم جداً طرح السؤال القديم : من هو الأرشيفى ؟ يعرّف قاموس المصطلحات الأرشيفية Archival Terminology المنشور فى مدينة ميونخ بواسطة K.g.Saur عام 1988 م الطبعة الثانية لفظة الأرشيفى بأنه عبارة عن «شخص متخصص ومؤهل تقنيًا للاهتمام بالأرشيف وإدارة الأرشيف». وعليه فإن التعريف المشار إليه يقدم لنا نقطة انطلاق للوصول إلى فهم شامل عام.

إن كل تلك المصطلحات تشير إلى أن الأرشيفى عبارة عن الشخص الخبير الفنى القادر على إدارة المواد الأرشيفية أو « إدارة المؤسسة الأرشيفية، رغم أننا نعرف جميعًا من خلال خبرتنا الشخصية، أن الأرشيفيين هم فى الواقع أكثر من كونهم مؤهلين فنيًا أوْ خبراء مهرة. فالأرشيفيين يجب أن يكونوا من بين أولئك الأشخاص الذين يمتلكون مزايا متعددة الجوانب لوظيفة مهنية واضحة كالتدريب النظرى والعملى الدقيق والرغبة فى خدمة

الآخرين، وعليه فإن أى من هذه العناصر كان ناقصًا أو غير متكامل فإن الأرشيفى لا يعتبر شخص مهنى بالمعنى الحقيقى [1]. ولو أن هذه المزايا لا تعتبر خاصة لمهنتنا، إلا أننى أصر على علاقتها بمهنتنا بسبب أنها تعتبر ضرورية من أجل إقامة مبادئ أساسية راسخة لعملنا اليومي. إن وظيفة الأرشيفي، سواء كانت فى البداية أو فى النهاية فما هى إلا القوة الداخلية التى يجب أن تثيره وتلهمه نحو الأفضل وذلك من خلال ممارسة كافة المهارات التى كان قد تعلمها أو تلك التى يرغب فى تعلمها، فالتدريب المتحصل عليه فى قاعات الدرس يجب أن يثريه بالعمل أو العكس بالعكس، مما يساعد فى توجيه الاهتمامات والميول الشخصية للأرشيفى ويقدم له إرشادات واضحة وثابتة، فى تقديم الخدمات ليس أكثر من كونه مساعدة البشر الآخرين من خلال تيسير وصولهم إلى المصادر اللازمة التى تكون مألوفة لدى الأرشيفيين بسبب تعودهم على استخدامها أثناء تأدية أعمالهم العادية اليومية .

لمعرفة أفضل التعريفات المتشعبة للأرشيفى يكون من الضرورى وضع خط تحت القاعدة التى ترتكز عليها تلك التعريفات والتى من خلالها تفض جميعًا إلى خدمة البشرية، بسبب ان الإنسان الجيد سواء كان رجل أو امرأة يمكن أن يكون أرشيفيًا جيدًا. وفى هذا الخصوص، ومن أجل دعم

1- Cesa Cutierrez Munoz, " El archivero : Profesional Y hombre "

(الأرشيفي : المهنة والكينونة البشرية)

Boletin del la Asociacion Peruana de Archiveros , Lima, 1981, No . 2 , pp. 3-8 .

ملاحظاتى اسمحوا لى اقتباس بعض العبارات وثيقة الصلة بالموضوع من الفيلسوف الأسبانى خوسية أورتيجا Jose ortega : « الحياة عمل وأن الحياة الحقيقية لكل شخص تتكون من عمل ما يجب عمله وتجنب ا لأعمال التى بدون أهداف وغايات » أما بالنسبة لى فإن الإنسان يكون جدير بالاحترام بقدر ما تكون سلسلة تصرفاته غير متقلبة بسبب نزواته [1]. وهكذا فإن المهنة الأرشيفية تشتمل على عناصر كامنة بالقوة ضرورية كالأخلاق .

وقد تم الإشارة إلى ا لمبادئ الأخلاقية للمهنة الأرشيفية بواسطة البعض أمثال واين جروفير Wayne C.Grover وماريو بريشينو Mario Briceno وجستون ليثون Gaston Littion حيث أيقظونا من الغموض إلى رهافة حس طبيعية الأعمال الأرشيفية. وبصفة خاصة فقد عبّروا جميعًا عن المسؤولية الكاملة التى يجب على الأرشيفيين تحمل أعبائها من أجل القيام بإنجاز واجباتهم الوظيفية بسبب الحديث عن الوثائق فى كل مكان [2] . فمن الذى يستطيع الحياة بحرية كاملة عن الوثائق ؟ لا أحد.

1- انظر كتابه : Historia Como Sistema أو « التاريخ كنظام » المنشور في مدينة مدريد بمجلة
- Revista de Occidente Publishers, 1966, P.69 .

2- يمكن الإطلاع على الدراسات التالية :

- B. Grover, " C'odigo del archivero "

أو المبادئ الأخلاقية للأرشيفي .

Jorge Roberto Emiliani , La e' tica Profesional del archivero

أو « القواعد الأخلاقية للأرشيفيين » المنشور في مدينة قرطبة ، الأرجنتين ، بواسطة الناشر Major Publishers ، 1981 , 64 صفحة .

وفى المقابل، وبقدر ما نكبر فى السنوات وفى الخبرة المهنية وفى التحضر نصبح وبشكل متزايد خاضعين لاستخداماتها الطاغية .

فالواقع اليومى يشير إلى حقيقة ما نتقاسمه جميعًا فى الحياة البشرية من خلال وثائقها منذ الولادة وحتى الوفاة، وحتى بين هذين المفترقين (الحياة والموت) فإنه من المحتم جدًا إنها بدون شك قادرة على تعيين مجرى حياتنا .

هذه النقاط تعتبر واضحة للمهنة الخطيرة للأرشيفيين فى المجتمع : خدمة الجميع، ومساعدة فرد ثم الذى يليه، ثم جعل الحياة رغدة ذات نكهة للمساهمين فى رفاهية البشرية .

فعندما يقوم الأرشيفيين الجامعيين ببذل كافة الجهود من أجل القيام بأشياء نافعة من خلال مواقعهم فى العمل لتقديم كافة تعهداتهم المهنية فإنهم بذلك إنما يقومون بمساعدة الجامعات وكافة المستفيدين بتقديم الخدمات اللازمة إليهم .

ومن خلال الأدوار المزدوجة التى يقوم بها ـ الأرشيفيين والمهنيين الجامعيين ـ فإن نتائج أعمالهم تنتقل من الأروقة الأكاديمية إلى العالم، مع التأثير على كافة المحيطين بهم مباشرة بالإضافة إلى البعيدين عنهم من حيث الزمان و المكان .

ومع ذلك فإن هذه المبادئ الأخلاقية لن تكتسب مصداقيتها الكاملة إلا عندما يشعر الأرشيفيين أنهم متساويين من حيث الدرجة مع بقية المهنيين .

ان احترام الذات أساس لتقدم المهنة بسبب أنه لا يمكن إقناع الآخرين بشىء ما إذا لم تكن أنت بنفسك تعتقد بثبات وجوده

إن على الأرشيفيين الجامعين كغيرهم من الزملاء « يجب أن يعتقدوا » كما يوصى أرنست بوسنر Ernest Posner بضرورة اكتشاف أصول مهنتهم وذلك من أجل معرفة كافة الظروف والأسباب التى تشكل قيمة مهنتهم، وذلك لأن إلمام الأرشيفى بهذه المعرفة يجعله فى موقف قادر على المساهمة والمشاركة والإعداد للمستقبل [1] فى هذه المهنة .

من مملكة « ايبلا Ebla » إلى يومنا هذا، فإن تاريخ النشاط الأرشيفى يعود إلى الماضى بحوالى خمسة آلاف [2] عام تقريبًا، إلا أنه مع ذلك فلا توجد سوى قليل من الدراسات التى أجريت فى هذه النقطة الموضوعية المتعلقة بالمبادىء الأساسية التى تصف مهنتنا وتقاليدها العريقة .

إن كلاً من القابلية والميول قادرة على صنع أرشيفيًا جيدًا، بسبب أن هذه المميزات تصبان فى غرض واحد : هو خدمة الآخرين بفاعلية . أن

1- انظر كتابه بعنوان :

- Archive in The Ancient World, Cambridge, Masschusetts, harvard University Press, 1972, P. 3 .

انظر أيضًا : مقالة منشورة بواسطة مينا رد برشفورد :

- Maynard brichford , " Who are the Archivists and what do they do ? " The American Archivist, Chicago , Winter and Spring 1988, Vol. 51, pp. 106 - 110 .

2- انظر أيضًا :

- Giovanni Pettinato , The archives of Ebla;an empire inscribed in clay . Garden City , New York, Doubleaday & Company , 1981, XVII, 347 P .

كلاهما قد تشكلت بواسطة الجهود الفردية المتوالية عبر الزمان. فالأرشيفيين لا يستطيعون إبراز إلى الوجود شيء من لا شيء ولا إبراز ذلك الشيء فجأة خلال ليلة، فكلاهما يكون متصلاً من خلال عمليات تحدث بواسطة حوافز لتنتظم بصورة مستمرة كأحداث حقيقية تتجلى للعيان تدريجيًا.

إن القابلية هى « القدرة الطبيعية على إنجاز وظيفة أو اكتساب المعرفة أو المهارة ». فنحن نولد بهذه الإمكانية ولكن يجب أن يتم تشكيلها، فكل من الدراسة (التى تستمر مدى الحياة) والخبرة تعتبران مهمة بدرجة متساوية فى مجرى نموها التدريجى .

إن النظرية والتطبيق العملى قادرين على تحويل الشخص العادى إلى شخص مؤهل، بحيث يكتسب ذلك الشخص المهارات اللازمة لتأديةواجباته، وهذا يمكنه تحقيق إمكانياته .

إن العديد من الرجال والنساء قد اكتشفوا قدراتهم الكامنة فى العمل الأرشيفى متأخرًا فى حياتهم ومن ثم فقد استطاعوا تغيير مجرى حياتهم، وآخرين شاهدوا أمنياتهم تُحبط بسبب عدم توفر الفرص أو بسبب الظروف غير المواتية الأخري، ولكن فيما بعد تدخل القدر وحققوا غاياتهم، فلم يشغل سوى قليل منهم بالضرورة مناصب خارج المهنة التى كسبتهم جميعًا. وفى جميع هذه الحالات من القابلية والاهتمام والرغبة فى التحسين ربما كانت تكمن ـ وأيضًا نقرة من الحظ، أو لربما الإخلاص والتعهد الكامل.

إن مفهوم المهنة الأرشيفية كما يبدو لا ينطبق على وجه الحصر على أولئك الذين واصلوا دراستهم الجامعية أو نالوا شهادات أخرى فى مستوى تعليمى مشابه، فالمصطلح بمعناه الواسع يغطى جميع النشاطات والحرف التى تنجز ببراعة، لذلك فإنه يمكننا القول بأن صانع الأحذية الماهر هو حرفي، أو على النقيض من ذلك فإننا نستطيع القول إن الطبيب هوغير حرفي، ولو أن الأطباء يجب أن يتحصلوا على مستوى تعليمى رسمي، بينما معظم صانعى الأحذية لا يجب عليهم ذلك، وعليه فإن الأرشيفيين بقدر جميع الدروس التى نجحوا فيها وبقدر الشهادات العلمية التى تحصلوا عليها وبقدر المرتبات التى يطلبونها ويتلقونها، فإنهم يعتبرون مهنيين بسبب المسئوليات التى يتحملونها فى إنجاز واجباتهم. حقاً، إنها مسألة موقف، والموقف هو موقف الأرشيفيين تجاه مهنتهم باعتبارها عمل وخدمة ووعداً شخصيًا.

إن هذا الموقف من جانب الأرشيفيين سوف يخلق لهم أسلوبا حياتياً، كما سوف يسمح لهم بالدفاع عن واجباتهم التى اختاروها، كما يساعدهم على الاستمرارية ويعطيهم الإحساس بالهوية مما يسمح لهم أيضاً بأن يجيبوا عندما يسألون عن المهنة التى يمارسونها بكتابة لفظة أرشيفيين بأحرف كبيرة.

إن الاستعداد والمواقف يميز الأرشيفيين الحقيقيين، ويصوغ ميزاتهم الأساسية ويضمن مستقبلهم المهني، فالاستعداد والموقف يغذيانهم بالتفاؤل والزهد والرغبة فى التفوق والنضال، بالإضافة إلى تحويل الأرشيفيين إلى أفراد مهمين بين الناس مدى الحياة.

إن كل عصر وكل مكان له متطلباته الضرورية . ففى وقتنا الحالى فإن العالم يعتبر أصغر مما كان عليه فى أيام آباءنا وسيصغر عما كان عليه أيام أجدادنا . ومع ذلك فإن السيدة ماى كلاند Mrs. Maykland قد أوضحت مؤخراً بأنه لا يوجد ثمة اجماع فيما يتعلق بالمهنة الأرشيفية ، فهناك جدل كثير حول الحرفة والحرفية و الحرفانية ، ولكن أنا لست متأكد بأننا نتكلم حول نفس الشيء . وما نتفق عليه هو الوصول إلى مرتبة الحرفية ، ونحن ننطلق من مجرد أنشطة إلى وظيفة وبعدها إلى مهنة أو حرفة .

هذا التسلسل التاريخي ، والذى عليه نتفق كليًا يجب أن يقبل بشرط واحد أن يجرى متوازيًا فى تعاقب متزامن غير مناسب . وفى الواقع أنه فى عام 1992 م لازالت توجد كثير من الأقطار تعتبر الواجب الأرشيفى عبارة عن مزاولة نشاط أو على الأغلب وظيفة وليس مهنة . وهناك إتجاه آخر يعتبر الدراسات الأرشيفية تخصص ثانى (محامى أرشيفي ، مؤرخ أرشيفى . . . الخ) وذلك لاعتبارها وسيلة لسد الفجوة الموجودة ما بين التطور والتخلف فى المهنة الأرشيفية . وبالرغم من هذا التوجه والذى اعتقد أنه صحيح فإنه يجب على الأرشيفيين المهنيين أن يستمروا فى التعليم الأساسى واكتساب المعرفة المتعلقة بمجالات التاريخ ، القانون ، الإدارة وعلم الدبلوماتيك . . . الخ ، فالمحامى يحتاج إلى إثراء معرفته بواسطة التعلم أكثر حول مجالات أخرى بالإضافة إلى تخصصه .

وأنا أعتقد أن هذا سوف يكون أفضل وسيلة لتدريب الأرشيفيين الجامعيين . وعلى كل حال فأنا لا أريد الدخول هنا فى مناقشة الأنظمة

المختلفة داخل وخارج المجال والتى تزود الأرشيفى بأساس تعليمى متين، بل سوف أقترح بأنه من الجدير الإطلاع على الدراسات الواردة فى المؤتمر الدولى الأول حول تدريب الأرشيفيين (باريس، أغسطس 1988 م) التى نشرت باللغات الفرنسية والإنجليزية بواسطة برونو ديلماس Bruno Delmas أستاذ الوثائق بمدرسة الوثائق الفرنسية Ecole des Chartes والذى قام بتنظيم ذلك المؤتمر بناء على طلب اللجنة المهنية للتدريب التابعة للمجلس العالمى للأرشيف (دراسات، 4 باريس 1989 م، ص 108) التى تقدم معلومات مهمة حول الموضوع .

3- الجامعة The University

من المحتمل أنه بسبب ما تتميز به الجامعة من وزن من حيث تقاليدها عبر تسعة قرون من جهة، وبسبب دورها كمنارة للعقول النيرة من جهة أخرى، فإن الجامعة يجب أن تكون باعثة لإقامة دراسة نظامية وإعادة تقييم. وتوجد هناك وثيقتان حديثتان تعتبران ذات أهمية كبيرة لفهم أهمية تلك المؤسسة وغاياتها، والتعامل بطريقة بارعةمقننة مع الجامعة سوف تلقى ضوءاً مشرقًا على تداول وظائفها القديمةوتخطيط أنشطتها التى تمتد إلى ما وراء جدران الحرم الجامعي، لهذا ينبغى علىّ الإشارة إلى الوثيقة الكبرى Magna Charta للجامعات الأوروبية، والدستور البابوى للبابا يوحنا بولس الثانى Pope John Paul II المتعلق بالجامعات الكاثوليكية .

أ ـ تم توقيع الوثيقة الكبرى (ماجنا كارتا) بواسطة خمسمائة من

رؤساء الجامعات من جميع أنحاء العالم فى 18 سبتمبر 1988 م، بمناسبة احتفال جامعة بولونيا University of Bologna بالذكرى السنوية للمائة التاسعة. إن جميع الأرشيفيين الجامعيين وزملائهم يجب أن يعتادوا على محتويات هذا النص الصريح الملهم وتحليل ومناقشة تلك المحتويات ونشر رسالتها، وذلك بسبب أهميتها وما تحتوى عليه من حجج دامغة حقيقية والتى تبدو من خلال الكلمات البسيطة والحقائق الهامة التى تشتمل عليها الوثيقة الكبرى التى جعلتنى أقوم بنسخها حرفيًا فى الملحق رقم (1) لهذه الدراسة.

ب ـ أن الدستور البابوى (الصادر فى روما بتاريخ 15 أغسطس 1990)[1] والموجه إلى جميع العاملين سواء كانوا نساء أو رجال حسب الأدوار المختلفة التى يلعبونها فى هذه المهمة الحيوية فى التعليم الكاثوليكى العالى (ص49)، تشتمل على الأرشيفيين بالطبع. أما فيما يتعلق بمفهومها الواسع، فإن الدستور يمتد إلى ماوراء الأشخاص الذين يخصهم الموضوع (السامعين) بل يصل إلى جميع الأكاديميين بدون استثناء.

أن الآراء المعبر عنها فى الوثيقة الكبرى (ماجنا كارتا)والدستور البابوى توضح المحيط الذى يعمل فيه الأرشيفيين الجامعيين، كما يشكل التزاماتهم المهنية بصورة مستمرة.

إن كل من الوثيقتين تعتبران إلى أبعد حد هامة، خاصةوأن كل منهما تؤكد بطريقتها الخاصة على مهام الجامعة التى تشتمل على التدريس والبحث وتوسيع الخدمات الاجتماعية والتى يكون الأرشيفيين ملتزمين بها،

1- Vatican city , Libreria Editrice Vaticana, 1990, 51 . p .

مستخدمة إياهم كنقطة انطلاق فى تحسين عملها. وعليه يكون من الجدير استدعاء جوهر الجامعة أوْ ماهيتها إلى العقل.

فالأرشيفيين الجامعيين لا يجب أن يكونوا غير متأثرين بالخصائص التى تميّز جامعاتهم باعتبارها معاهد تعليمية عالية أو بالظروف التى جعلتهم فى جامعاتهم، وبالمقابل، يجب على الأرشيفيين أن يكونوا مشربين بفكرة التقنية والإحساس فى جهودهم المهنية، على سبيل المثال: كيف ولماذا يأخذون على عاتقهم مسؤلية القيام بواجباتهم؟

4- أرشيف الجامعة University Archives

الجامعة باعتبارها مؤسسة فإنها تقوم بإنتاج (توليد) واستلام الوثائق بجميع أنواعها التى تكون مهمة وجديرة بالحفظ، فالوثائق سواء كانت قد أنتجت فى الجامعة أوْ استلمتها فهى تعتبر نتيجة لممارسةوظائفها ونشاطاتها وأعمالها.

أن التدريب المهنى والبحث العلمى والخدمات الاجتماعية للجامعة، تعتبر أمثلة نموذجية لوظيفة الجامعة، حيث يتم تنفيذها من خلال الجهود الفردية والتى تكمل إحداها الأخرى وتندرج من المألوف إلى غير المألوف أوْ من السماوى إلى الأرضى والتى تكون دائمًا معبرة عن ما فى الوثائق.

ومن وجهة النظر الفنية فإن الأرشيف الجامعى يعتبر كأى أرشيف آخر رغم أنه يختلف من حيث وظائفه الفريدة، وأنواع الوثائق التى يتعامل معها، والخدمات المقدمة، فالأرشيف الجامعى هو عبارة عن مجموعة وثائق

مرتبة سواء كانت قد أنتجتها الجامعة أثناء تأدية وظائفها أو استلمتها خلال تأدية واجباتها ووظائفها . وباعتبار تلك الوثائق نتاج أكاديمى ونشاط إدارى فإنها تحفظ لضمان تأدية العمليات بصورة ملائمة للمؤسسة وباعتبارها سجل تاريخى لها . إذا ما نظرنا إلى صلة الوثائق بالجامعة لوجدنا نوعين من الأرشيفات الجامعية :

ـ الأرشيف الجامعى من حيث الأصل :

University Archives by Origin

« ولدت ونمت فى الجامعة ، بطريقة طبيعية تلقائية « انبثقت من التوثيق الرسمي ، وهى تولد فى المكاتب ، وتجمع مع بعض فيما بعد فى مكان خاص . و من المحتمل أن تجد طريقها للبقاء بصفة دائمة فى مستودع .

ـ الأرشيف الجامعى من حيث التبنى :

University Archives by adoption

« يبدو كليًا أوْ جزئيًا فى أماكن أخرى ويأتى إلى حرم الجامعة بمقتضى أسباب خاصة وهى غالبًا ذات طبيعة ثقافية » .

ويكون من المفترض أنه يتخذ اسم ومعايير الجامعة التى تقوم بحفظه . وهذه المجموعة غالبًا تشتمل على عدة مجموعات وثائقية التى تؤدى إلى تضخم أرشيف الجامعة لهذا السبب فإن الأرشيف الجامعى الذى ينشأ فى المؤسسة ذاتها يسمى أيضًا بـ « الأرشيف الجامعى الخاص » .

أن هذا النوع من الأرشيف يجب أن يعكس البناء العضوى والأنشطة التى تقوم بها مؤسساتها الخاصة، والتى تقدم إعلاميات ثابتة، وتعتبر شواهد ودعم للتراث، لا أحد يستطيع أن ينكر أهميتها كينبوع ومصدر لإدارة المؤسسات وتاريخها .

لقد أثبتت التجربة بأن الأرشيف الجامعى على درجة أقل من بقية الوحدات الإدارية والأكاديمية بالجامعة. هذا الموقف بصورة عامة كان نتيجة تجاهل مساهمة الأرشيف التى يمكن أن يقوم بها فى حياة الجامعة .

وهناك مشكلتان اثنتان يمكن أن تبرزا فى هذا الخصوص هما :

أ- تقليل أهمية الأرشيف الجامعى :

هناك حاجة لرفع مستوياتهم (الأرشيفيين) ببساطة ولكن من خلال مشاريع عملية خاصة وأن مثل هذه التغيرات تعنى إثارة اهتمام السلطات، وكذلك اهتمام الأرشيفيين الجامعيين الآخرين (إذا ما وجد بعض منهم) .

أن الواجب - ليس سهلا ولكنه مع ذلك ممكنًا - سوف يتكوّن من إثبات قيمة الوثائق ومن الأرشيف فى حركية الجامعة. وفى الواقع إذا لم يكن ذلك من الناحية القانونية، فعلى الجامعة أن لا تهمل بصورة كلية أرشيفاتها بل يجب أن تعرف جيدًا أنها تعتبر مفيدة وضرورية لها .

ب ـ عدم وجود الأرشيف الجامعى :

يجب أن تعطى الأولوية للجامعة فى خلق الأرشيف إذا لم يكن موجود . وعليه فإن ما تمت الإشارة إليه فى الفقرة السابقة وبصورة قوية فى هذه الحالة، مثالٌ جيد يجب أتباعه بالتفصيل مع مراعاة الظروف الخاصة بالإضافة إلى المعرفة والخبرة والالتزام والحماس المطلوب لتأسيس الأرشيف الذى يستطيع أن يعمل على مستوى عالٍ من الكفاءة بصورة جيدة، وهناك عوامل عديدة تحدد نمو أرشيف الجامعة :

1- الاهتمام الذى يحصل عليه من المؤسسة الأم .

2- التطور الذى يحدث فى كل أنماط علم الأرشيف .

3- اللقاءات الخاصة لتحديث المعلومات فى مجال علم الأرشيف، أما إخلاص الأفراد الذين يعملون فى مجال الأرشيف، فهذا يعتبر بالنسبة لى مفتاح التطور مقارنة مع الأرشيفات الأخري، وعليه فإن الأرشيف الجامعى لديه فرص كثيرة لإحراز معايير أرشيفية عالمية بسبب الهوية القومية أو الوطنية للجامعات التى تخلق أحاسيس المجتمع .

هناك مشروع جديد قد بدأ فى البيرو، غرضه البحث بدقة عن إيجاد معايير محددة للأرشيف الجامعى فى البلاد. ومنذ عام 1989 م أخذت اجتماعات الأرشيفيين الجامعيين تعقد سنويًا فى شهر مايو لتبادل

الأفكار والخبرات فى المجال، كما يأمل الأرشيفيين تحقيق نظام موحد خلال عام 2000[1].

إن الحاجة العالمية إلى ضرورة وجود نقاط التقاء قد بدأت تظهر بشكل متزايد كما هو مطلوب، مما جعلنى اقترح على المجلس العالمى للأرشيف International Council Archives تخصيص لجنة من الأرشيفيين الجامعيين تعمل من أجل رقى وتطوير المؤسسات الأرشيفية. أن وجود الخبرة الوطنية مثل الكليات وأقسام الأرشيف الجامعية التابعة لجمعية الأرشيفيين الأمريكيين Society of American Archivists التى جعلت من الواضح جداً قيامها بهذا الاقتراح فى المستقبل القريب.

وكما فى أى أرشيف آخر، فإن الأرشيف الجامعى يحتاج إلى هيئة موظفين ملائمة. وعليه فإن الشرط الأساسى أن يكون الموظف قادر على إنجاز الواجبات المطلوبة بفعالية، أما الشرط الثانى فيتعلق بحجم الأرشيف ومتطلباته. وكنقطة بداية، يجب على مدراء الأرشيف تحقيق ثلاث رغبات أساسية : التدريب الجامعي، والتخصص الأرشيفي، واثبات الاهتمام بالعمل الذى يقومون بإنجازه، وعليه فإذا كان الشخص الذى تم اختياره للعمل قد توفرت لديه الرغبات المشار إليها، فإن النتيجة ستكون أفضل مع ديمومة أطول ومبادرات أكثر معنى.

1- لقد تمت الموافقة على وثيقة مبادئ الأرشيف الجامعي في أول اجتماع تم انعقاده لأرشيفيين الجامعة بمدينة ليما في الجامعة الكاثوليكية في البيرو خلال الفترة الممتدة ما بين 1-2 يونيو 1989 م ، حيث تم تحديد ست نقاط هامة للاسترشاد بها في الاجتماعات القادمة مستقبلاً وكذلك في جميع الأعمال في هذا المجال.

إن المتخصصين فى مجالات الترميم والحواسيب والاستنساخ والقانون يعتبرون مطلوبين لمساهمتهم فى تأدية الواجبات الأرشيفية بقدر الحاجة .

5- الشروط الأساسية للأرشيفيين الجامعيين :

إن ملامح المهنيين الأرشيفيين محددة بواسطة مميزات بارزة خاصة والتى تميزهم عن بقية المهنيين فى المجالات الأخرى ، حتى عن المكتبيين الذين هم أكثر صلة بهم حتى أنه يوجد بينهما دائمًا خلط يصعب أحيانًا التمييز بينهم .

وعليه فإن تحقيق الطموح بواسطة أولئك الأرشيفيين سوف لن يتم إلا وفقًا للشروط الأساسية المتعلقة بتصوّر السلوك المهنى كمايلى :

1- التدريب من خلال الدراسة أو الممارسة العملية سواء كانت على انفراد أو معًا تعتبر مصدر حقيقى للتعليم .

2- العمل المنتظم فى واحدة أوْ أكثر من المجالات المختلفة فى المجال الأرشيفى (التجميع Compiling والترتيب Arranging والوصف Describing والإدارة Managing والبث Disseminating . . . الخ) .

3- الرغبة فى خدمة أولئك الذين يستحقون أوْ يطلبون خدماتهم ويستخدمون الوثائق فى حمايتهم .

وبناء على هذا الحد الأدنى من الشروط الأساسية التى ينبغى أن يحتفظ بها الأرشيفى بصورة دائمة فى عقله ، أجد نفسى مضطرًا لمناقشة بعض الملامح الأكثر تمييزًا للأرشيفى الجامعى فى هذه النقطة الأساسية .

5.1- الأرشيفيين الجامعيين يجب أن يكونوا مهنيين حقيقيين ليس فقط نتيجة لدراساتهم أوْ الاعتراف الرسمى بتخصصهم، أوْ المرتبات المقررة لهم، ولكن بكل ما اكتسبوه بتكريس أنفسهم لهذه المهنة. « ليس كافيا أن يعملوا كأرشيفيين، بل من الضرورى أن يشعروا كفرد واحد » .

5.2- الأرشيفين الجامعيون عليهم التزامات كثيرة ويحتاجون إلى تحديد هويتها مع مهنتهم، وعليه يجب أن لا يكون هناك ثمة شك أو تردد من جانبهم، ففى الجامعة إما أن يكون الواحد منهم أرشيفى أوْ غير أرشيفى فلا يوجد هناك حل وسط، إن الأرشيفيين الجامعيين يجب أن يكونوا رسل لمهنتهم ويسعون للاعتراف العام بمهنتهم ومنزلتهم بحيث تكون مساوية لدرجة ومنزلة الأطباء والمحامين. ومن خلال هذا المدخل الموضوعى المزدوج فقط يستطيع الأرشيفيين الجامعيين أن يكونوا جديرين بالثقة لتكون الوثائق تحت عنايتهم .

وعليه فإن الارشيفات تستحق ارشيفيين من هذا النوع فكل منها وجد من أجل الآخر، وكما قال فاسينتا كورتيز الفونسو : Vicenta Cortes Alonso « بدون أرشيفى لا يوجد أرشيف » Without an archivist , there is no archive .

5.3- أن الجامعة التى يعمل فى محيطها الأرشيفين الجامعين تجعل الاختلاف كبير بينهم وبين الأرشيفيين الآخرين، ولذلك يكون من الواضح أن الأرشيفيين الجامعيين يجب أن يشاركوا فى نشاط الجامعة التى يعيشون ويعملون فيها. وعليه سيكون من المرغوب جداً بالنسبة للأرشيفيين أن

يكونوا مدرسين وباحثين ويقومون بتقديم خدمات اجتماعية بالإضافة إلى وظائفهم الأساسية. ومن ثم فإن هذه الواجبات الإضافية تصبح إلزامية فى الأماكن التى لا توجد فيهامهنة أرشيفية ذات أسس راسخة، أو حيث تكون هناك ندرة فى التدريب فى هذا التخصص .

هل يجب على الأرشيفيين الجامعيين أن يكونوا أكاديميين ؟ نعم فهم يستطيعون ذلك ويجب أن يكونوا، خصوصاً مدراء الأرشيف. هذا ويعتبر غير كافى امتلاك مهارات فنية جيدة أو جيدة جداً والتى هى مرغوبة من جميع وجهات النظر، لإنجاز الأعمال الأرشيفية بصورة متكاملة كأى أرشيفى عملى .

أما الأرشيفيون الجامعيون المصقولون جيداً فيجب أن يُشربوا أنفسهم بنشاط مؤسساتهم، والذى يقود إلى توحدهم المحتم مع الجامعة .

5.4- الأرشيفيين الجامعيون يحتاجون إلى تحديث مهنى متواصل، لمواجهة تحديات العلم والتقنية المواكبة لبعضها البعض بكثافة سريعة. إن هذا التحديث يبدأ بواسطة الاتصال مع الواقع الجديد ثم يكتمل عن طريق التزودّ بالمعارف الجديدة

وعلى كل حال فإن الانفتاح على التغيّر له حدوده، وذلك بسبب التعقيد فى النشاط الأرشيفى العالمي. إن العمل فى مونتريال سوف لن يكون مشابهًا للعمل الأرشيفى فى ليما أوْ فى مدن البيرو الداخلية، فالظروف تختلف من مكان إلى آخر. أما المشكلة الرئيسية فهى تبنى الإمكانيات التى

يقدمها كل مكان : ومن ثم فإن الأرشيفى المصقول جيدًا يعرف كيف يعالج التحديات .

5.5- إن التناقض يبدو واضحًا فى أيامنا هذه وفى عصرنا هذا، بقدر ما تحققه المهنة من مركز عال مرموق حيث تنطلق معبرة عن شخصيتها، وتصبح أيضًا أكثر اعتمادًا على علوم وموضوعات أخرى، وباعتباره أرشيفى وجامعى فإنه لا يمكن ولا يستطيع أن يتجنب المساعدة من المجالات التى تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بمجاله، وعليه فإن تخلل الانضباطية فى العمل الأرشيفى يعتبر أمر لا مفر منه أبدًا .

5.6- وبمقارنة التطور المادى (الذى تطمح نحوه كل المجتمعات) فإن العالم اليوم يواجه أزمات حقيقية فى القيم، وبدون استثناء فى مهنتنا، وعليه فإن الرغبات الكثيرة من أجل المناداة بالتضامن للأغلبية التى شاركت بدون تحيّز للفردية، حيث شاهد كثير منا تنافس غير متعادل من أجل المناصب والمراكز، مما جعل لسوء الحظ الشخص الذى يناضل من أجل النجاح يمكن أن ينقاد إلى الانخراط فى كفاح شرس مع الزملاء. وفيما يتعلق بهذه الحالة فإنه لا يوجد أحد قد القي درس (أوْ على الأقل محاضرات) فى الأخلاقيات الأرشيفية فى مجال التدريب المهني. حاليًا، أنا آمل أن تكونوا قادرين على الفهم بكل سهولة، إصرارى على أن الأرشيفيين يجب أن يكونوا بشر خيرون قبل أن يكونوا مهنيين جيدين .

ملحق رقم (1)

الوثيقة الكبرى للجامعات الأوربية :

لقد اجتمع رؤساء الجامعات الأوربية الموقعين أدناه فى مدينة بولونيا Bologna الإيطالية بمناسبة الاحتفال بالعيد التسعمائة لأقدم جامعة فى أوربا، قبل أربع سنوات من إزالة الحدود المشتركة بصورة نهائية ما بين الأقطار الأوربية وذلك من أجل إيجاد تعاون مشترك ما بين الشعوب الأوربية انطلاقًا من أن الأفراد أوْ الحكومات يجب أن يكونوا مدركين أوْ على دراية تامة كما لم يكن من قبل بأهمية دور الجامعات الذى يجب أن تلعبه فى المستقبل، على نحو متزايد فى المجتمع العالمى الذى أخذ يجتاز مرحلة تغيّر مستمر لهذا فقد قرروا ما يلى :

1- أن مستقبل البشرية كما يرسمه هذا العصر الألفى يتقدم نحو نهاية المطاف معتمداً على نطاق واسع من المجالات الثقافية والعلمية و التطورات التقنية والتى تمت صياغتها من خلال المراكز الثقافية والتعليمية والبحثية والتى أصبحت تمثلها الجامعات الحقيقية.

2- إن واجب نشر المعرفة للأجيال الجديدة الذى تتحمل الجامعات مسؤليته اليوم، يجب أن يكون محدداً بحجم المجتمع، الذى

تكون فيه متطلبات المستقبل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقًا للجهود المبذولة فى تخطيط التعليم المستمر .

3- أن تلك الجامعات يجب أن تضمن أن أجيال المستقبل، تتلقى التعليم والتدريب الضرورى للمحافظة على أقصى توازن ممكن ما بين طبيعة البيئة والحياة.

وقد أعلن المجتمعين للحكومات وللجماهير المبادئ الأساسية التى يجب أن تقوم بتأديتها الجامعات حاليًا وفى المستقبل .

المبادئ الأساسية :

1- إن الجامعة فى المجتمعات ذات التنظيم المختلف، بسبب تاريخها وجغرافيتها تكون عبارة عن مؤسسات مستقلة، وبأسلوب بارع تنتج وتنقل الثقافة من خلال البحث والتدريس. إذا ما أرادت الجامعات أن تكون متفتحة على متطلبات العالم الحاضر، فإنها يجب أن تتمتع باستقلالية أخلاقية وعلمية عن القوى السياسية والاقتصادية وذلك من أجل تنفيذ واجباتها البحثية والعلمية.

2- التدريس والبحث ميزتين متلازمتين فى الجامعات، إذا ما استطاع التعليم أن يكون قادرًا على مجاراة الاحتياجات المتغيرة ومطالب المجتمع وتقدم المعرفة العلمية .

3- وبما أن حرية البحث والتدريس والتعليم هى حجر الزاوية فى الحياة الجامعية، فإن السلطات الحكومية والجامعات نفسها كل فى إطار مجال التخصص يجب أن تدعم ما يتعلق بهذا المعتقد الأساسى بواسطة نبذ التعصب وترويج الحوار المستمر، فالجامعات ستصبح أماكن اجتماعات مميزة للأساتذة القادرين على نقل المعرفة ويمتلكون الوسائل لتطويرها، وذلك من خلال البحث والابتكار، وكذلك الطلاب الذين لهم الحق والرغبة والمقدرة لاثراء أنفسهم من خلال الجامعة .

الوسائل Means :

يجب توفيرو سائل حديثة للجامعات من أجل تحقيق الأهداف التالية :

1- إتاحة كافة الأدوات اللازمة لجميع أعضاء المجتمع الجامعى من أجل حماية وتعزيز حرية البحث والتدريس .

2- أن اختيار الأساتذة والتشريعات التى تنظم أنشطتهم العلمية يجب أن يكون محدداً بواسطة المبادئ المتعلقة بالبحث والتدريس .

3- فيما يتعلق بالمواقف الخاصة، فإن كل جامعة يجب أن تتخذ كافة الإجراءات الوقائية، بالنسبة لحرية الطلبة، وأن تمدها بكافة الظروف الملائمة المناسبة لهم، وذلك من أجل تحقيق أهدافها الثقافية والتعليمية .

4- أن الجامعات، وبصفة خاصة الجامعات الأوروبية، تؤمن بأن التبادل المشترك للمعلومات والتوثيق وتزايد المبادرات المشتركة هى أدوات أساسية لاستمرارية تطور المعرفة. وبناء على ذلك، وبالرجوع إلى أصولها، فالجامعات تشجع قابلية تحرك الأساتذة والطلبة، كما تؤمن بأن السياسة العامة للمعادلة والاعتراف بشهادات الدبلوم (حتى ولو كانت الدرجات العلمية الوطنية محفوظة) والمنح الدراسية ضرورية جدًا من أجل تحقيق رسالتها الحديثة .

إن رؤساء الجامعات الموقعين أدناه، وباسم جامعاتهم المعنية، قاموا بتحويل أنفسهم إلى لجان من أجل عمل كل شيء ممكن، بحيث أن الدول والروابط الدولية المشمولة لربما تستنتج طموحًا من هذه الوثيقة والتى هى تعبير جماعى لرغبة الجامعات .

بولونيا فى سبتمبر 1988 م .

تأثير النشر الإلكترونى
على مجموعات المكتبة وخدماتها (*)

إن من الجدير بالذكر الإدراك منذ البداية بأن فكرة النشر الإلكترونى ليست جديدة بل إن تاريخها يعود إلى الوقت الذى تم فيه إدخال أول كتاب أو مجلة فى شكل يقراء آليًا. وتوجد عدة تعريفات للنشر الإلكترونى (انظر على سبيل المثال المراجع رقم [1]، [2])، أما بالنسبة لأهمية المكتبة وخدمات المعلومات Information Services والمجموعات المكتبية Collections هو أن المعلومات أصبحت متاحة فى شكل إلكترونى، ويمكن الوصول إليها فى أى وقت، خاصة وأن هذا الشكل الإلكترونى قادر على تقديم كافة خدمات المعلومات للمستفيدين.

1- Perry , Brian J. " Different Types of Electronic Publishing " LIBER Bulletin 23 : 54-58 (1985).

2- Somerfield . GordonA. " Electronic Publishing from the Publisher's Viewpoin " LIBER Bulletin 23:59-65 (1985) .

* Perry , Brian J. The Impact of Electronic Publishing on Library collection and Services . IFLA Journal 14 (1988) 2 . pp. 127 - 131 .

إن هذه الإمكانية تبرز مشاكل عديدة للمكتبات، فالكشافات Indexes والمستخلصات Abstracts فى الشكل الذى يقرأ آليا Machine - readable Form، على سبيل المثال، يمكن أن يتم البحث فيها بسرعة وبفعالية أفضل من النسخة المطبوعة، حيث تشبع حاجة المستفيد ورضائه. إلا أنه مما يؤسف له، أن مثل هذا البحث عادة ما ينتج عنه مزيد من الطلب للعديد من المراجع الأصلية للمواد مما هو عليه فى البحث اليدوي التقليدي، إن استخدام البحث على الخط المباشر Online Searching يبدو بصفة عامة مكلفًا أكثر للبحث الواحد (أحيانًا يساوى عشرة أضعاف) من البحث فى البيليوجرافيات المطبوعة، [ولو أن طريقة المقارنة المستخدمة لبيان تكاليف هذه البحوث مشكوك فيها غالبًا]، وبسبب أن معظم خدمات التكشيف والاستخلاص المتواصلة تصبح أكثر تكلفة فى أشكالها المطبوعة، وبسبب أن المستفيدين أصبحوا أكثر تعرفًا بالبحث على الخط المباشر، فإن كثير من المكتبيين قلّصوا مشترياتهم من النسخ المطبوعة وهكذا حتى جعلتهم (المستفيدين) أكثر اعتمادًا على استخدام الشكل الإلكترونى . وبهذا العمل، فهى قد أزالت مرافق البحث « الردىء والسريع Quick and dirty» الذى لا زال يعتبر جزءًا مهمًا من استفسارات البحث العلمى، أن الاعتماد الكلى على نسخة الخط المباشر يمكن أن يقلل إيجاد المواد صدفة، خاصة وأن المواد المتجاورة الغير متصلة بالموضوع لم يعد ممكنًا جلبها سويًا عن طريق الصدفة السعيدة .

إن تقديم خدمات الخط المباشر قد جلب تحديًا خطيراً للمكتبين (وفى الواقع أن خدمات المعلومات غالبًا ما تباع مباشرة للمستفيد النهائى، كالعلماء والمحامين والأطباء والمؤرخين . . . الخ، مع بعض مزودى

المعلومات وفقًا لسياسة مدروسة) ـ فإذا كانوا حقًا يخدمون المستفيد النهائى مباشرة، فإنه ينبغى عليهم معرفة المزيد من حاجاته، وذلك بتقديم الخدمات التى تمثل استجابة لحاجاته بصورة فورية. وفى حالات أخرى فإن تقديم خدمات المعلومات إلى المستفيدين مباشرة يعتبر صدفة تاريخية، وخصوصًا مع العلماء الذين سبق إدخالهم فى خدمات محسبة، وإن التعود المباشر على خدمات المعلومات وقواعد البيانات المقروءة آليا أصبح ينظر إليه كحدث طبيعى. وعلى كل حال فإن الأسلوب المباشر فى تقديم خدمات المعلومات قد بدأ، وأخذ يتسارع رغم بعض الشك حوله، وهذا ما يمكن ملاحظته فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فيما بين الجماعات القانونية والطبية والمالية، حيث أن خدمات المعلومات المباشرة لهؤلاء ولبقية المهنيين الآخرين أخذت تنمو بسرعة .

ماذا يعنى هذا للمكتبيين ؟

أولاً : أن الأموال التى كان من الممكن أن تدخل فى ميزانياتهم أصبحت تُصرف فى أماكن أخرى ـ غالبًا ضمن الموارد المالية المخصصة للأقسام .

ثانياً : أصبح من المحتمل جدًا فقدان زبائنهم، وبالتالى سوف يفقدون الفرص ليكونوا وسطاء لمستفيديهم، وكذلك مع مكتبيين المعلومات ـ والمهارات اليدوية لتقديم البحث الذى ربما يكون أكثر فاعلية وأكثر إحكامًا من الناحية المالية .

ثالثاً : أنهم يفقدون فرصة إثبات مصداقية صلاحيتهم المهنية فى عصر ازداد فيه الشعور بأهمية المعلومات .

إن هذه المشكلة ا لمتزايدة فى التفاعل المباشر ما بين المستفيد النهائى ومزودى المعلومات هى ليست مشكلةويمكن معالجتها بسهولة بواسطة المكتبى . ففى كل مؤسسة هناك حاجة لموظفى مكتبة قادرين على إثبات أنهم مدراء معلومات ذوى كفاءة ، يمكن استثمار معلوماتهم ،ومهاراتهم بفاعلية وإحكام فى إدارة مشكلة المعلومات التى قد تواجه المستفيدين . وفى الواقع فإنه توجد حاجة ملحة لموظفى مكتبة أكفاء وذلك لمواكبة كافة التطورات فى مجال المعلومات ومصادر المعلومات الحديثة والإجراءات الفنية لمعالجة تلك المعلومات ، وأخيراً : فإن الحاجة إلى موظفى مكتبة قادرين على تقديم أنفسهم وخدماتهم بطريقة أكثر فاعلية ونشاطًا ، هذا ولا زالت مكتبات عديدة تعمل على إدامة موقف رجعى مما يجعلهم يفتخرون بأنفسهم لكونهم قادرين على إنتاج الجيد إذا ما طلب منهم ذلك . إننى اعتقد تمامًا بأننا نطالب بعدد كبير من المكتبات فى الوقت الذى تعانى فيه كافة الأقطار تقريبًا من استقطاعات فى مجال تقديم الخدمات المكتبية . وعلى كل حال فأنا أدرك وبكل أمانة أن ذلك لن يتم أبدًا بدون تغيير جذرى فى الموقف ، بل سوف يجعل المكتبات تعود إلى فكرة « الأوصياء على الكتب Curators of the Books» . فماذا نحتاج إذًا ؟ إذا أريد للمكتبات مواجهة التحديات الجديدة ، فهل يجب أن تقوم المهنة بالبحث بطريقة مدروسة فى تجنيد نسبة كبيرة من موظفى المكتبات المنسحبين من مواقعهم والقابلين للتكيف ، مما يتطلب ضمان تعليم مستمر فعّال للداخلين الجدد فى المهنة مع ضمان مساو

لتجهيزات تعليم مستمر فعّال، قادر على جعل المؤتمرات العلمية المهنية، وورش العمل Workshops، وحلقات النقاش Seminars والمنشورات تتضمن مواد ذات علاقة لمزيد من التطوير لموظفى المكتبة وخدماتها. وفى الوقت الحاضر فإن العديد من مجموعاتنا ومنشورتنا تبدو للمراقب من الخارج غيرو اضحة وغيرمترابطة فيما بينها، وعليه فإن كلاهمايحتاج إلى أن يتم تحديده بدقة وفقًا للمعايير المهنية ذات المستوى الرفيع وذلك من أجل خدمة أهداف أكثر ديناميكية. إذا أردنا التغيير، فعلينا البدء فى صرف الأموال، وسؤالك الوجيه جدًا هو : من أين تأتى الأموال ؟ وللإجابة على ذلك أنا أفضل اقتراح بأن يأتى الكثير منها من الميزانية المخصصة للتعليم والتدريب وحضور المؤتمرات - فنحن فى الواقع أكثر طلبًا فيما يتعلق بما نرغب شرائه، كما يمكن أيضًا أن تأتى أموال أخرى من معرفتنا الجيدة عن ما تم بالضبط صرفه من أموال على كافة أوعية المعلومات فى المؤسسات التى توجد بها مكتبات. فإذا استطاع المكتبيين أن يثبتوا كيف يمكنهم صرف هذه الأموال بصورة فاعلية أكثر، عندئذ سوف يصبحون قادرين على استخراجها وتحويلها إلى ميزانياتهم الخاصة وفى مستهل مشكلات خدمات الخط المباشر، فإننى فى الحقيقة قد توصلت إلى قمة الجمود التى تتكون من المشاكل المرتبطة بالنشر الإلكترونى على الرغم من إنها تعتبر مشكلة بسيطة نسبيًا يمكن مواجهتها بخدمات تنشر فى أشكال متوازية، على سبيل المثال : فى شكل مطبوعات تقليدية وما شابه ذلك، ولكن فى شكل الكترونى. وعلى كل حال وبالتحديد منذ بداية النشر الإلكترونى Electronic Publishing فإن شكل المطبوع الإلكترونى قد اختلف إلى حد ما عن بديله

المطبوع . فالميدلرز Medlers على سبيل المثال، لاحظت منذ فترة قصيرة جداً احتوائه على كشاف مصطلحات لمعدل المداخل أكثر مما هو موجود فى الكشاف الطبى Index medicus. وفى الحقيقة فإن ما يحدث فى هذا الاتجاه قد أخذ يتزايد فيما يتعلق بالنسخ الإلكترونية فقط، التى أصبحت تظهر بدون أى تأخير للنسخ الورقية . فمنذ عام 1984 م أصبحت المكتبة البريطانية British Library تراقب مايحدث داخل المملكة المتحدة كجزء من برنامجها لإنتاج معايير لأرشفة النشر الإلكترونى ـ ذلك البرنامج الذى سوف أعود إليه فيما بعد .

هناك دراستان تم نشرهما [1] وهما أكثر حداثة [2]، قام المؤلف بمسح المنتجين البريطانيين لـ 97 من قواعد البيانات، حيث وجد أن 13 من قواعد البيانات المذكورة ليس لها شكل مطبوع، و 9 أخرى منها أشارت أن الشكل الإلكترونى يعرض بعض الفروق من الشكل المطبوع، ولربما من المفترض أن تكون فى ا لواقع الـ 25 الأخرى من قواعد البيانات متشابهة نفس الشىء تقريباً مثل الشكل المطبوع، مما يجعل بكل تأكيد إمكانية فصل النسختين هنا! .

ليس فقط أن قواعد البيانات هى التى تنشر فى شكل إلكترونى . ـ (أن أول كتاب إلكترونى هو « الفرعون الأعمى The Blind Pharaoh وقد تم نشره

1- Hills, S. " Electronically published Material and The Archival Library "Electronic Publishing Review" 5 (1) : 63 - 79 (1983) .

2- Blake, Monica . " Aspects of Electronic Publishing " Electronic Publishing Review 6 (3) : 151 - 167 (1986) .

فى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1982 م، كما يعتقد أن أول مجلة عامة طبعت إلكترونيا هى « علاء الدين Aladdin» كانت قد نشرت فى بداية تلك السنة على أقراص مرنة Floppy discs. وما لم يوجد تغير كبير فى تسويق الحاسبات المكروية Microcomputers والتجهيزات المرتبطة بها، فإنها ليس من المحتمل بأنه سيكون هناك نمو هائل فى النشر الإلكترونى فقط فى الكتب المونوجرافية والمجلات العامة، ولكن هناك إمكانية واضحة بأن المجتمع الأكاديمى غير راض فى السابق عن التأخير الناتج عن التحكم التقليدى والطباعة التقليدية، مما أدى إلى التوجه فى نشر إنتاجه العلمى فى المجلات المنشورة إلكترونيًا. وعلى كل حال فإن العديد من الأكاديميين قد اعتادوا بصورة جيدة على التسهيلات التى يقدمها البريد الإلكترونى، ولوحات الإعلانات Bulletin Boards حتى إنه فى بعض الحالات، قد أحالوا « نشراتهم الإخبارية Newsletters » إلى أوساط إلكترونية. إن فكرة « المجلة الإلكترونية Electronic Journal » تمت مناقشتهامنذ منتصف السبعينات، ومنذ عام 1981 م إلى 1985 م فإن قسمى (قسم البحث والتطوير بالمكتبات البريطانية) كان يمول مشروع بليند Blend (تطوير الشبكة التجريبية فى برمنجهام ولوج بورج) الذى يتضمن مجلة الكترونية تجريبية تسمى Computer human Factors أو عوامل إنسانية محسبة. وبناء على هذا الأساس والأعمال التى كانت تنفذ فى مواقع أخرى، فقد استطاعتنا خلال السنة الماضية إقامة المشروع الرباعى Project Quartet. هذا البرنامج البحثى قد تم تأسيسه على أربعة مواقع أكاديمية فى المملكة المتحدة والذى يهدف إلى إيجاد حلول لأغلبية المشاكل المتعلقة بإنتاج وتوزيع البيانات الإلكترونية فى جميع الأشكال التى

كانت تنتج أو تبث من خلالها، لذلك فإن المشروع قد اهتم بإدارة البيانات الهجائية والرقمية والأشكال المرسومة وتوليدها واستخدامها بأحكام. وربما يجب عليّ أن أضيف أن المشروع يراقب بصورة نشطة فكرة التداخل الفعال مع ممارسات النشر التقليدى .

فى غضون السنوات القليلة الماضية، قد شاهدنا إتاحة الموسوعات فى أشكال إلكترونية ـ وبصورة ملحوظة الموسوعة الأمريكية الأكاديمية Academic American Encyclopedia والموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica. أن الأعمال المرجعية المنشورة بهذه الطريقة تتجه إلى ا لزيادة كلما شاهد الناس قيمة النسخة الإلكترونية. ومن وسائل التشويق التى لاحظناها فى بداية هذا العام قيام شركة ماكرو سوفت Microsoft إتاحة «قرص مكثف لرف الكتب CD- Book shelf» على قرص منفرد قطره يساوى 120 ملم فقط، يشتمل على عشرة كتب مرجعية رئيسية متاحة معًا تحتاج لبرمجيات لاستخدامها بصورة فعّالة.

إن القرص المكثف لرف الكتب CD- Book shelf يعتبر مثال جيد لكيفية تأثير التقنية الجديدة على النشر الإلكترونى، ويصدق هذا بالأخص على جميع وسائل التخزين البصرية المختلفة التى أصبحت متاحة فى غضون السنوات الست الماضية، والتى لها إمكانية إحداث تغيير جذرى فى أساليب توزيع قواعد البيانات وغيرها من أشكال المنشورات الأخرى.

لقد قمت بأجراء مسح مختصر جدًا للنشر الإلكترونى وأشرت فى ذلك إلى بعض تأثيره على المكتبات وخدماتها. وبالإضافة إلى ذلك هناك العديد من المشاكل التى أرغب فى الإشارة إليها باختصار وهى :

أولاً : هناك مشكلة الاختيار . وعلى الأخص النتيجة المتوقعة للنشر على القرص الضوئى Optical Disk فإن المكتبيين سوف يكونون قادرين على الاختيار بين النسخة المطبوعة والنسخة على الخط المباشر ، والنسخة الفريدة التى تقرأ آليًا ، أو أى مزيج من النسخ الثلاث كلها ، وبكل وضوح ، فإن قرارات المكتبيين يجب أن تكون مبنية على الاستخدام المرتقب لهذه التجهيزات ضمن المنظمات التابعين لها . فسياسات التسعيرة يمكن أن تؤثر على قراراتهم بصورة كبيرة ـ وفيما يتعلق بالنسخ الإلكترونية فإنها تميل إلى أن تكون مختلفة عن تلك النسخ المنشورة ، هذا وهناك اتجاه آخر بين مزودى المعلومات يفرض ثمنًا مقابل استخدام المعلومات مقارنة للسعر النهائى كما فى المنشورات المطبوعة .

إن المكتبيين سوف يحتاجون إلى تجهيزات ملائمة لقراءة النسخ الإلكترونية ، وبالرغم من المحاولات الجريئة لإيجاد تقنين موحد على سبيل المثال : الأقراص المكتنزة CD-ROM ، ونحن فى السابق قد واجهنا مجموعة كبيرة من نسق التجهيزات والنظم لا يمكن السيطرة عليها ، وعليه فإن المكتبيين هم فى حاجة للتأكد من أن آرائهم مسموعة فى آية مرحلة مبكرة من التطوير . لهذا السبب فإن قسم البحث والتطوير اعتبر من الضرورى جدًا أن يحيط نفسه بالتقنيات الجديدة فى مرحلة مبكرة بحيث يكون بإمكانية عالم المكتبة تقدير أهميتها والسماح له بالإدلاء بصوته فيما يتعلق بالتطوير فى وقت مبكر جدًا .

لقد سبق وأن ذكرت أهمية الحاجة إلى التعلم والتدريب ـ خاصة استخدام التقنية الجديدة ، وقد أوضحت بأنه ليس من السهل أيضًا بالنسبة

لكل من المكتبيين العمليين أو المحاضرين فى مدارس المكتبات، مواكبة أحدث المعلومات، وعليه فقد قرر قسم البحث والتطوير بعد سلسلة من المحاولات التجريبية، تقديم منشورات جديدة للمساعدة، فنحن ننشر نشرة وقائع تقنية المعلومات " Information Technology Fact Cheets " والتى تقوم بتغطية كافة التقنيات الجديدة ذات العلاقة، وكذلك تقوم بنشر، النشرة الإخبارية Newsletter بصورة منتظمة، والتى تقدم أحدث المعلومات عن كافة التطورات المختلفة التى تحدث فى عالم تقنية المعلومات. كما قمنا أيضًا بتأسيس سلسلة منتظمة من الحلقات الدراسية حول تقنية المعلومات والبحث العلمى ـ وبصورة رئيسة لموظفى المكتبة البريطانية بالإضافة إلى الباحثين الخارجيين .

إن الأوساط الإلكترونية فى أشكالها المختلفة تولّد مشاكل عديدة للمكتبيين خاصة فيما يتعلق بأرشفتها. أما بالنسبة لبقية أشكال المواد غير المطبوعة، فتوجد هناك ثمة محاولات متنوعة لمعالجة مشاكل أرشفتها. وفى حالات عديدة يعتبر ذلك ليس ذو أهمية خاصة وأن كثير من النسخ يتم إنتاجها وتخزينها فى أنواع المكتبات المختلفة. وعلى كل حال، مع النشر الإلكترونى الكامل وفقًا للأسلوب المركزى، فإننا سوف نواجه احتمالية حفظ النسخ فى مكان واحد فقط، يكون تحت تصرف مالك المعلومات أو الناشر.

أما فيما يتعلق بمشاكل الأرشفة Archiving ولوائح الإيداع والتى هى عبارة عن مشاكل حق الطبع و السيطرة. وكما هو معلوم فإن المنشورات

التى توزع بصورة إلكترونية هى فى الواقع معرضة للاستنساخ ، وعليه فإن المكتبيين والناشرين التفكير فى تقديم حلول ملائمة لكلا الجانبين. أما فيما يتعلق بلوائح الإيداع فيمكن إرباكها بواسطة تطويرات معينة، خصوصًا فى نشر المجلات حيث التجارب الجارية حاليًا مع المقالة التفاعلية التى يمكن أن تغير بواسطة الحوار الإلكترونى وتوليد النتائج الجديدة، والتى عندئذ تشكل الطبعة النهائية المحددة ؟

أن مشكلة أرشفة المواد الإلكترونية تعتبر موجودة منذ مدة طويلة على جدول أعمال الأموال المخصصة للبحث العلمى للببليوجرافيا الوطنية البريطانية BNB، والتى هى تمثل الأموال المستقلة التى تدار بواسطة قسم البحث والتطوير. وفى عام 1984 م تمت استضافة مؤتمر حول الجوانب الأرشيفية للنشر الإلكترونى [1]، وقد أصدر هذا المؤتمر العديد من التوصيات التى أوضحت كافة المشاكل التى يواجهها المكتبيين. وقد تبعت هذا المؤتمر عدة توصيات تضمنت إحداها اختيار معايير لأرشفة النشر الإلكترونى [2].
أن النشر الإلكترونى يمكن أن تنتج عنه مشاكل فى الضبط الببلوجرافى Bibliographic Control خصوصًا أن نشر المقالات الفردية يتم حسب الطلب بواسطة أنظمة مثل نظام « أدونيس Adonis » ونحن فى حاجة حاليًا وبصورة ملحة أكثر من السابق، إلى نظامًا عالميًا فعالاً من أجل التعرف على المقالات الفردية بسهولة .

1- "Archival Aspects of Electronic Publication and their Availability : Report on a 1 day Seminar " BNBRF Secretariat 1984 .

2- Sturges, Paul . " Policies and Criteria for the Archiving of Electronic Publishing " Journal of Librariarianship 19 (3) : 152 - 170 (1987) .

وأخيرًا، ولكن ليس بآخر، أن المشكلة التى أرغب فى تحديدها هى مشكلة الحفظ بصورة سليمة، وعليه فإن النشر الإلكترونى سوف ينتج بدائل عديدة للورق والمصغرات الفيلمية لتخزين طويل المدى، ولكن ليس هناك ضمان يكفل بأن هذه الوسائل المنتجة لها توقعات حياة طويلة، ففى عام 1983 م تعاقدت مؤسسة الدعم المالى للببليوجرافيا الوطنية البريطانية لدراسة الوضع الراهن فى هذا المجال[1] وأن هذه الدراسة قد تم تحديثها جزئيًا مؤخرًا. وعلى كل حال فإن إشاعات حديثة تدور حول استخدام « المسح الليزرى Leser-rot » فى أسطوانات الفيديو للتسلية، وهذا يعنى أن مجال النشر الألكترونى ينبغى أن تتم دراسته بدقة أكثر .

ومرة أخرى، فإن مهنة المكتبات تواجه مزيج من التحديات الجديدة والفرص من أجل إثراء مجموعاتها وخدماتها، فالمشاكل كثيرة وتتطلب بحوثًا علمية دقيقة واستشارة قبل الإجابة عليها، وفى المملكة المتحدة استطعنا قطع شوطًا لا بأس به فى مجال البحث عن هذه المشاكل، ورغم ذلك فلا زال أمامنا طريقًا طويلاً، ونحن سوف نكون على استعداد للمشاركة بخبرتنا مع بقية الزملاء فى هذه المهنة فى العالم ببذل كافة الجهود من أجل الإسراع فى معالجة هذه المشكلة .

1- Hendley , Tony " the Archival Storage Potential of Microfilm . Magnetic media and Optical Data Discs " : National Reprographic Center for documentation : 1983 NRC D publication No . 19 . (BNB Research Fund Report No. 10) .

الأرشيف ARCHIVES [1]

5.1 - احترام مبدأ المنشأ

Provenance and sanctity of the original order

عندما يتم تقييم المحفوظات records ويتبين أن لها قيمة مستديمة، فإنها بذلك سوف تكتسب منزلة جديدة لتصبح أرشيفًا، حيث يتم تقييمها وفقًا لمعايير مختلفة فى إطار الظروف المحيطة بالمؤسسة المنتجة للمحفوظات فى البلد رغم وجود العديد من وجهات النظر المختلفة عن الكيفية التى يتم بموجبها ترحيل الأرشيف إلى المؤسسة الأرشيفية ومعالجته فنيًا وحفظه وتيسير الوصول إليه بواسطة المستفيدين. فمنذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وحتى الفترة الزمنية الممتدة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، لا يوجد سوى مبدأين إرشاديين فقط معمول بهما عالميًا. فمنذ اللحظات الأولى نجد أن الأرشيف قد تم توليده بواسطة وكالات هى عبارة عن كينونات مختلفة وذلك خلال المجرى الطبيعى لممارسة أعمالها اليومية،

1- Mazikana , Peter . C. Archives and Records management for Decision Makers : A Ramp Study . Paris UNESCO , 1990 . pp. 36-42 .

وهكذا فإن الأرشيف يكون ذو علاقة بالوظائف بقدر ما يكون أيضًا مرتبطًا بالوحدات الإدارية (الأقسام) للمؤسسة أو الوكالة والأنشطة التى تقوم بها تلك الكينونة (المؤسسة)، وفى هذا النطاق يمكن أن يفهم الأرشيف من خلال مضمون سياق كل من محاضر الاجتماعات وعلاقتها بالتوجيهات الصادرة فيما بعد أو أى سلوك يتم بموجبه التعامل به داخل تلك المؤسسة . ولهذا فإنه يجب العودة إلى محاضر الاجتماعات الأصلية لفهم كافة التوجيهات الصادرة عن المؤسسة ومن ثم فإن محاضر الاجتماعات تكون فريدة بصفة استثنائية لهذه المؤسسة رغم أن تلك المحاضر يمكن أن تكون فى نسخ متعددة خاصة وأن الميزة الاستثنائية لمحاضر الاجتماعات تكمن فى تسلسلها ضمن تلك المؤسسة وعلاقاتها التوثيقية المتصلة بتوليدها بواسطة تلك المؤسسة فى ذات الوقت، وعليه فإنه ينبغى علينا فهم الموقف الذى كان قد اتخذه أحد الموظفين فى أحد الاجتماعات أو لمعرفة لماذا أن القرارات التى تم اتخاذها فى أحد الاجتماعات لم تتم المصادقة عليها بموضوعية، بسبب عدم الرجوع إلى محاضر الاجتماعات لربط تلك المحاضر مع غيرها من الوثائق لتلك المؤسسة. وعليه فإنه إذا ما تم خلط محاضر الاجتماعات هذه مع وثائق وحدات إدارية أخرى فإنها سوف تفقد أهميتها، بحيث تصبح الناحية الواقعية لا ترتبط بعلاقة سببية أو منطقية مع المؤسسة الأم التى قامت بتوليدها .إن عمل ذلك يمكن التعبير عليه بوضوح من خلال مثال يتم بموجبه تمزيق الفصل الثالث من عشرة كتب ثم خلطها وتجميعها معًا ثم مطالبة الناس إعادة تنظيمها كما لو كانت من قبل .

أن ظهور مبدأ المنشأ (الأصل) Principle of provenance أو كما يعرف أيضًا اصطلاحًا احترام وحدة الوثائق أو احترام مبدأ الأصل Respect Des Founds كان فى الواقع يمثل الإجابة الحاسمة لحل تلك المشكلة . أما أول من أعلن عن ذلك المبدأ فقد كان دى ويلى De Wailly الأرشيفى الفرنسى الذى عاش فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث أصبح بموجب مبدأ الأصل أن يتم حفظ المحفوظات للمؤسسات المختلفة كل منها على حدة فى مكان واحد وذلك باعتباره الطريقة الوحيدة لفهم البناء التنظيمى والوظائف التى تقوم بها تلك المؤسسة .

ولقد قادت الحاجة إلى حفظ وثائق مؤسسة ما معًا إلى مظاهر أخرى أصبح مع الوقت سرعة توليد المحفوظات والأرشيف يسبب عدة مشاكل ، وعليه فقد أصبح على بعض الأرشيفيين التقيد بمبدأ الأصل الذى يتضمن وصف أرشيف المؤسسة معًا بالإضافة إلى ترفيفه وتخزينه باعتباره وحدة أرشيفية . وبينما وصف الأرشيف لا يطرح مشاكل كثيرة ، فإن التخزين يبدو مختلفًا حتى أنه جعل من الصعب جدًا التنبؤ بمعدل الوثائق الخاصة بمؤسسة معينة والتى هى فى طريقها إلى التكدس ، ومن ثم الحيز المكانى المطلوب لمستودع المحفوظات .

والجدير بالذكر أنه فى السنوات الواقعة ما بين عامى 1960 م و 1970 م أن قامت بعض مؤسسات الأرشيف الوطنية فى استراليا وروديسيا بترك الجزء الثانى من مبدأ احترام الأصل (المنشأ) مفضلة بدلاً منه المحافظة على الوحدة الأرشيفية الناتجة عن المؤسسات وذلك بتجميع المحفوظات الناتجة

عن تلك المؤسسات كل على حدة فى معينات إيجاد Finding aids ثم ترفيف المحفوظات بشكل متسلسل وذلك من خلال تسجيل الوثائق وترتيب ورودها فى سجل خاص بالتزويد والحفظ بطريقة تتابعية. والنتيجة لذلك هى أنه بينما تم تقسيم محفوظات مؤسسة ما معًا إلى مجموعات فى معينات الإيجاد Finding aids، فإنه قد تم تخزينها فى أماكن مختلفة بالمستودع الأرشيفي.

أن هذا الإنحراف عن الأساس العملى للمبدأ قد أثار كثيرمن الخلاف بصفة خاصة فى أواخر الخمسينات والعقود التالية .

إن مبدأ احترام الأصل له نتيجة طبيعية، فإذا كان من الممكن تفسير وفهم الأرشيف فى نطاق مضمون المؤسسات التى خلقته فإن المزيد من تفسيرها وفهمها يعتمد على مدى كونها قادرة على تأسيس الطريقة التى خلقت بموجبها وكذلك تنظيمها، وعليه فإن أرشيف مؤسسة ما يكون ذو علاقة بكل منه الأخر وذلك من خلال الطريقة التى كانت قد نظمت أو رتبت بموجبها المحفوظات خلال توليدها (خلقها) من قبل تلك المؤسسة. الأرشيف لمؤسسة ما له خاصية عضوية وأن الأرشيفيين هم فى حاجة إلى تنظيم الأرشيف تحت وصايتهم وفقًا لمبدأ الترتيب الأصلى. وبهذه الطريقة فإن مبدأ احترام الترتيب الأصلى قد تمت ولادته والتقيد به. وفى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية طرأت عدة تعديلات للمبادئ المشار إليها أعلاه، وذلك لإشباع حاجات ومتطلبات خاصة، ولكن بالرغم من تلك التعديلات الكثيرة التى تم تقديمها إلا أنه لم تبطل تلك المبادئ نهائيًا، بل قد

تقررت بصفة رئيسية الطريقة التى ينبغى أن يتم ترتيب ووصف الأرشيف وفقًا لها .

5.2- التزويد Acquisition :

أن الواجب الرئيسى للأرشيفى هو التزود بالوثائق، ففى حالات معينة تبدأ عمليات التزويد فى الوقت الذى يكون فيه الأرشيفى منهمكًا فى إدارة المحفوظات الجارية وشبه الجارية . ومن هذه النقطة فإنه يتم اتخاذ القرارات حول الكيفية التى ينبغى أن يتم وفقًا لها تنظيم المحفوظات، بالإضافة إلى تحديد المحفوظات التى سيتم إتلافها وما هى المحفوظات التى سيتم استبقائها بصفة دائمة باعتبارها أرشيفًا . وعلى الرغم من الآراء المختلفة حول ذلك فإنه توجد ثمة اتهامات موجهة ضد بعض مدراء الأرشيف لأنهم استطاعوا استغلال فوائد الوظائف الأرشيفية والعكس بالعكس. ويبدو من ذلك أن المواد الأرشيفية (الأرشيف) هى عبارة عن بقايا لعمليات مصممة ولإدارة محفوظات منظمة وملزمة لها خاصية ذات قيمة بمقارنتها مع تلك المواد الأرشيفية التى بقيت على قيد الحياة صدفة وليس وفقًا لخطة معينة . وعندما يجد الأرشيفى نفسه لا يلعب أى دور فى مرحلة المحفوظات النشطة وشبه النشطة، فإنه بذلك يضع نفسه فى دور غير فعّال بحيث يصبح ينتظر قدوم الأرشيف (الوثائق) المرسل إليه أو أن يقوم بإجراءعمليات مسح للمحفوظات دوريًا وذلك من أجل تقرير ماهية الوثائق التى أصبحت أرشيفًا، أما الخطر فى هذا هو وصول الأرشيف فى وقته إلى المؤسسة

الأرشيفية، مما يجعل من المتعذر جداً إصلاحه أو تلافى الضرر المترتب عن ذلك أن لم يكن قد حدث بالفعل. أن هذا يصدق بدون شك وبصفة خاصة على السجلات المقروء آليًا Machine Readable Records. وهكذا فقد وجدنا أن عدد 31 من الإجابات على الاستبيان الثانى توافق على الطريقة التى تم بموجبها استثمار الوثائق فى المؤسسات التابعة لها. وأن عدد 14 من الإجابات على نفس الاستبيان تبدى عدم موافقتها اعتقاداً منها وجود نقص أو عدم كفاية المحفوظات التى ربما ينتج عن استخدامها ثمة أضرار قد تحدث. أن العديد من أولئك الذين أجابوا بشكل إيجابى على هذه النقطة والذين أيدوا هذا الرأى شعروا بأنها ضرورية لتأكيد إجاباتهم بواسطة جمع تلك الإجابات التى تهتم بالمحفوظات المستخدمة.

هناك بعض أرشيفات لا يتم ترحيلها إلى المؤسسات الأرشيفية حقًا، لأنها عادة ما تكون عبارة عن دفاتر الحجج وسجلات الشركات التى ينبغى أن تبقى محفوظة فى الأقسام أو الوحدات الإدارية التى انتجتها طالما أن تلك الشركات باقية على قيد الحياة. أن مثل هذا الاستبقاء Retention للمحفوظات من قبل الوزارات والأقسام يجب أن يكون على صلة متبادلة مع المؤسسة الأرشيفية والتى يجب أن تكون لها القدرة على الإشراف أو مراقبة وإنعاش مثل تلك الأرشيفات، وعليه فإنه يجب أن يكون شرطًا أساسيًا ترحيل الشريط الرئيسى Master Tape لتخزينه فى المؤسسة الأرشيفية وذلك بعد أن يتم ميكنة جميع المحفوظات، خاصة وأن ضرورة استبقاء الأرشيف فى الوزارات والأقسام الإدارية يجب أن يتم التقليل منها إلى الحد الأدنى، وعليه يجب أن تتم دراسة عميقة لمعرفة إلى أى حد ما زالت

المحفوظات مطلوبة من أجل إنجاز وظائف تلك الهيئة. أما الاستبقاء المتواصل بصفة مستمرة فإنه يعتبر أيضًا عرضة لطرح مشكلات خطيرة، خاصة وأن أولئك الذين يقومون باستبقاء المحفوظات قد يكونوا من بين أولئك الذين لا يقدرون القيمة الأرشيفية لتلك المحفوظات. هذا وقد أظهرت الإجابات عن الاستبيانات المشار إليها بأن نسبة كبيرة من الوثائق (الأرشيفية) ذات القيمة لا زالت توجد محفوظة لدى الوكالات التى أنتجتها أو أنه قد تم ترحيلها إلى الأرشيف فى فترة متأخرة جدًا. هذا ويفترض بطريقة أو بأخرى أن يصل الأرشيف الذى يكون قد نجا إلى المؤسسة الأرشيفية حيث ينبغى أن تتم معالجته فنيًا وتخزينه وحفظه ثم جعله متاحًا للاستعمال. أن عمل ذلك يتطلب بدون شك استخدام عدة تقنيات متنوعة وذلك لاقتناء الوثائق ا لمتميزة فى بعض المجتمعات أو المؤسسات الخاصة على الرغم من أن تلك الوثائق تمتلك خصائص أساسية عامة معترف بها.

5.3- الإضافــات Accession

أولاً وقبل كل شىء يجب أن تتم عملية إضافة أو تسجيل الوثائق بالسرعة المطلوبة وفقًا لترتيب ورودها إلى مخزن الحفظ، وعلى الرغم من و جود عدة مناهج متبعة فى عملية تسجيل الوثائق أو إضافتها إلا أنها جميعًا لا تختلف من حيث الأساس فهى تبدو متشابهة تمامًا. أن عملية إضافة الوثائق أو تسجيلها حسب ورودها تعنى استلام الوثائق الأرشيفية لترحليها إلى المخزن وما يترتب على ذلك من ضرورة توفير الحماية المادية. أن هذه

القضايا تحتاج إلى مزيد من الانتباه والعناية الكافية خاصة وأن بعض الظروف قد تجعل الحماية المادية سيئة غير قادرة على مقاومة بعض الحشرات، مما يتطلب استخدام التبخير للتخلص من تلك الحشرات أعداء الأرشيف، وذلك من أجل تجنب ترحيل الوثائق إلى المساحة المخصصة للتخزين فى الأرشيف. كما يشترط أيضًا فى عملية الإضافات Accession أن تكون المحفوظات قد تم توليدها فى الأرشيف وذلك من أجل أن تعكس بالتفصيل الأرشيف المستلم، فسواء كانت مثل هذه التفاصيل قد تضمنت سجل إضافة الوثائق فى المخزن للحفظ النهائى أو بواسطة أيّة وسيلة أخرى، فإنه ينبغى أن تشتمل التفاصيل الجوهرية لمبدأ الأصل أو المنشأ للأرشيف مع بعض الوصف والإشارات إلى المحتوى وحجم المجلد مع الإشارة إلى الفترة الزمنية التى تم تغطيتها وتفاصيل شروط الإطلاع وموقع تخزين الوثائق، وحيث أن المواد الأرشيفية لم تتم معالجتها بصورة فورية فإنه يشترط الإشارة إلى المعالجة الفنية السابقة. فى كثير من الحالات يتم إيواء الأرشيف فى مساحات مخصصة فى انتظار الوصف والترتيب المفصل، ولكن التطبيقات العملية هنا تختلف تبعًا لدرجة ما إلى حد معالجة الأعمال المتراكمة تأكيداً لأهمية الإضافات. أما إذا كان الوصول إلى هذا الأرشيف مطلوبًا فى هذه الفترة الزمنية المؤقتة، فإن مكان (المخزن) الأرشيف يكون عندئذ معروفًا ويمكن استرجاعه بسهولة ، وجعله متاحًا لمتخذى القرارات، خاصةوأن هذا المطلب يعتبر مهمًا لدى صانعى القرارات الذين لا يستطيعون فى أى وقت ما فقدان الاتصال مع الأرشيف. ومن جهة أخرى فإنه على الأرشيفى أن يقوم بمعالجة الوثائق بسرعة وذلك من أجل تيسير الوصول إلى الوثائق الأرشيفية

وبدون استثناء، فإذا كان سيتم تخزين الأرشيف لفترة زمنية قبل إجراء عمليات الترتيب والوصف فإن التقنية قادرة على إبراز الأرشيف وجعله معروفًا لدى المستفيدين وإتاحة الوصول إليه

5.4- الترتيب والوصف Arrangement & Description

يعتبر كل من الترتيب والوصف دعامة العمل الأرشيفي، وقد أصبحت مبادئ الترتيب والوصف موضوعًا للعديد من الدراسات والأدلة والمراشد. ومع تغير المناهج ذاتها والتى نسخت مع مرور الوقت من قوائم تفصيلية خلال العصر الجديد فى أوروبا والتى هى عبارة عن سلسلة موجزات شاملة إلى الوصف الذى أصبح من مميزات الأرشيف الحديث.

أن ترتيب الأرشيف يتبع بصفة عامة مبادئ الأصل « المنشأ » واحترام الترتيب الأصلى التى سبق وأن نوقشت سابقًا. و كما هو مألوفًا فى الممارسة الأرشيفية العملية التى ترى أن الأرشيف فى المرحلة الأولى ينبغى أن يتم ترتيبه وفقًا للكينونة (المؤسسة) التى أنتجته والتى يكون تاريخها غالبًا مفهرسًا باعتباره وسيلة لبيان الطريقة التى تمت بموجبها توليد الأرشيف وتكدسه. أن الوزارة أو قسم التاريخ يمكن أن تكون مفيدة جدًا لمتخذى القرارات الذين هم غالباً ما يكونوا غير مدركين إلى حد ما الطريقة التى تتطور بها الوزارة أو الوكالة، حيث نجدهم يعتمدون فقط على تفسير عدم الترابط المنطقى والتناقضات التى يمكن مصادفتها فى الأرشيف والتى يمكن أيضًا أن تقود إلى أسلوب ثمة أرشيف ربما يكون مناسب. وعلى نطاق واسع

فإن مثل هذه التسهيلات سوف لن توجد فى الوزارات والأقسام الإدارية، حيث تكون هناك طريقةواحدة تستطيع بموجبها الخدمة الأرشيفية تقديم خدمات معلومات رفيعة لمتخذى القرارات، وعليه فإن ترتيب الأرشيف يسعى إلى تجميع المحفوظات فى مجموعات فى حالة الحكومة ووكالات السلطة المحلية وذلك من خلال المفاهيم المعبرة عن الوزارة الأم التابعة لها ووفقًا للأقسام والوحدات الإدارية الحقيقية التابعة لها أيضًا. أن قضية الترتيب تتقارب هى أيضًا مع قضية السلاسل حيث تبرز الحاجة الملحة إلى ضرورة تحديد سلسلة المحفوظات بحيث أن المحفوظات، فى ا لمرحلة الأخيرة من نفس السلسلة يمكن جلبها معًا.

بعد إتمام عملية الترتيب تصبح المهمة التالية للأرشيفى هى وصف الأرشيف، تلك العملية الفنية المعقدة المليئة بكثير من الصعوبات، وعليه فإن نسبة المعلومات المنتجة تكون قليلة مثل نسبة الأرشيف (الوثائق) المتداول أيضًا، مما جعل أوروبا خلال القرون الوسطى وفى أوقات مبكرة من العصر الحديث تحرص على وصف الأرشيفات بدقة أثناء عمليات التسجيل وإعداد الموجزات التفصيلية للأرشيف. وقد أدى توليد المعلومات المتزايدة والكميات الهائلة من الأرشيف (المواد الأرشيفية) المستلمة من الناحية العملية صعوبة وصف المحفوظات بشكل مفصل، مما أدى إلى ضرورة إعطاء وصفًا موجزاً بصورة واسعة للمحفوظات ومعالجة الأرشيف فى مستوى السلاسل بدلاً من مستوى الملفات الفردية.

أن بعض المؤسسات الأرشيفية واجهت حاجة ملحة لهجر تقنيات التسجيل وذلك من أجل إيجاد موقف حل وسط، حيث قامت بوصف

الأرشيف العام على مستوى السلاسل على الرغم من إنها استمرت فى إعطاء ملخصات تفصيلية للأرشيف الخاص أو ما كان يعبر عنه بالمخطوطات التاريخية .

أن عملية الوصف تعتبرعملية جوهرية باعتبارها تساعد المستفيدين فى تحديد ماهية المواد الأرشيفية (الأرشيف) الموجودة، وبالأخص تحديد مكان تلك المحفوظات التى يحتاجونها. ويرتبط الوصف بطريقة الترتيب وتكوينها، كما يعتمد على الأسلوب الذي يتم بموجبه اقتناء المحفوظات. وبمعنى أدق، على كل حال فالوصف الأرشيفى يعرف نوع الأرشيف ما إذا كان مراسلة أو مذكرة أو تقرير أومحاضر اجتماعات، والتى هى بالتالى تعطى إشارة ما إلى شكل الأرشيف وتبيّن فيما إذا كانت مخطوطة أو مطبوعة أو عبارة عن شريط ممغنط. كما يحاول الوصف تحديد كمية الوثائق بحيث يستطيع المستفيد تكوين فكرة عن الوثائق التى يحتاجون الوصول إليها لغرض الإطلاع. هذا وتوجد موضوعات أخرى والتى هى بصورة طبيعية تعتبر جزء من الوصف، وهذه تتضمن إشارة إلى الفترة الزمنية التى يرتبط بها الأرشيف، أما الخلاصة من هذا المحتوى فإنه يجب أن يتم إعادة بناء الأرشيف وفقًا لمبدأ الترتيب الأصلى .

5.5- حق الإطلاع Access

بعد أن تتم عملية وصف المحفوظات، فإن الخطوة التالية هى عمل كشاف Index يضم مجموعة المحفوظات وذلك من أجل تيسير الوصول إلى

المحفوظات لغرض الإطلاع عليها بواسطة المستفيدين. وتعتبر عملية التكشيف عبارة عن مسالة استهلاك للوقت، إلا أنها مع ذلك فهى عملية جوهرية لمساعدة الكثير من المستفيدين الحصول على المعلومات، خاصة وأن بعض منهم لا يعرفون أين توجد المعلومات التى يبحثون عنها رغم أنه فى بعض الحالات يوجد لدى أولئك ثمةأفكار عن تلك المعلومات المطلوبة، إلا أنهم فى الواقع يواجهون صعوبات كثيرة فى العثور على المعلومات المناسبة. ومن خلال التكشيف يستطيع الأرشيفيين تقديم أقصى حد من الخدمات للمستفيدين، وذلك من خلال جعل تجميع المواد الأرشيفية (الأرشيف) ذات العلاقة بموضوعات معينة معًا، لمساعدة المستفيد من الإطلاع على كافة المصادر المتعددة الموجودة ذات الصلة بالموضوع المطلوب. وهكذا يستطيع متخذو القرارات الإطلاع على كافة المواد الأرشيفية (الأرشيف) الذى تم توليدها من الوزارات والأقسام الإدارية المختلفة، بالإضافة إلى تحديد على سبيل المثال : المشاريع ذات الصلة التى قام بها الآخرين بالإضافة إلى وزارته أو القسم الإدارى التابع له. وفى هذا النطاق يمكن أن يتم تقليص تكرار الجهود والوصول إلى قرارات صائبة بناء على استشارة كافة المصادر الأرشيفية المتاحة. وعلى كل حال، فإنه يتضح كما سبق وأن أشرت إلى أن متخذى القرارات لم يتمكنوا من الاستخدام الكامل بفعالية للمواد الأرشيفية الموجودة. حيث يقدر أن عدد متخذو القرارات الذين يستخدمون الأرشيف من حيث مقارنتهم مع مجموع المستفيدين من الأرشيف لا يمثل سوى نسبة قليلة جدًا.

5.5.1- أن حوالى 36 مؤسسة أرشيفية استطاعت تقريبًا تحديد عدد متخذى القرارات الذين يستخدمون الأرشيف وذلك من خلال نسبتهم إلى بقية المستفيدين. حيث تراوحت النسبة من 0.05 إلى 100 ٪. وعليه فقد تبين بعد مزيد من التحليل ما يلى:

5.5.1.1- أن سبع مؤسسات أرشيفية تراوحت نسبة متخذى القرارات فيها ما بين 1٪ إلى أقل من ذلك.

5.5.1.2- أن ثمانية عشر مؤسسة أرشيفية تراوحت فيها النسبة ما بين 1 إلى 10 ٪.

5.5.1.3- أما ثمان مؤسسات أرشيفية فكانت النسبة قد تراوحت فيها ما بين 10 إلى 50٪.

5.5.1.4- أن مؤسستان أرشيفية قد أعلنت أن معدلات استخدام الأرشيف كانت مرتفعة جدًا. وكان من بينها أرشيف ولاية كارناتاكا الهندية Karnataka state archives حيث قدر النسبة بحوالى 85 ٪ بينما وصلت النسبة فى مركز المعلومات والوثائق الأرشيفية فى مدريد إلى Centro de informacion documented a de archivos ٪ 100.

5.5.1.5- يعتبرالأرشيف الأسترالى الأرشيف الوحيد الذى استطاع تحديد كمية المعلومات بدقة والتى بلغت نسبة 17٪ من مجموع الاستفسارات، و 13 ٪ من مجموع الزيارات و 57 ٪ من مجموع الموضوعات الصادرة فى قاعة البحث (الإطلاع).

5.5.1.6- أن كثير من المؤسسات الأرشيفية لم ترد على الأسئلة ، وأن مؤسسات أخرى قد أشارت إلى أنها لا تحتفظ بمثل تلك الإحصائيات ، لذلك فهى غير قادرة على قياسها أو إيجاد صعوبة فى تحديد نسبتها . وقد أجابت مؤسسة الأرشيف المعروفة باسم Riskivet Kivet فى النرويج أخيراً قائلة : « من الصعب الإجابة » .

ومع ذلك فإن قياس نسبة استخدام الأرشيف بواسطة متخذى القرارات يعتبر هامًا جدًا ، فهناك مبدأ معمول به فى الأرشيف فحواه أن وجود الأرشيفات بصفة عامة هو من أجل خدمة احتياجات الآخرين بالإضافة إلى أولئك الذين كانت قد خلقت لهم بالدرجة الأولى .

1- ماهية إدارة المحفوظات[1] ؟

What is Records management ?

أن إدارة المحفوظات عبارة عن نظام إدارى يمكن أيّة مؤسسة (هيئة) التحكم فى توليد محفوظاتها وتداولها وترتيبها وتخزينها واسترجاعها ، بالإضافة إلى حذف المحفوظات غير المهمة والتي تم توليدها أوْ تلك التي استلمتها المؤسسة خلال مزاولتها لأعمالها الرسمية .

1- نشر هذا الفصل بواسطة المؤلف فى كتاب :

Emmerson, Peter. (Ed) . How to Manage your Records : A Guide to Effective Practice . Combridge : ICSA Publishing .1989. pp. 5-10 .

وفى عصر المعلومات هذا تعنى أيضًا تقديم المعلومات المتضمنة فى تلك المحفوظات دعمًا لأعمال المؤسسة .

إذاً ما هى المحفوظات التى نتحدث عنها ؟

المحفوظات هى جميع الوثائق فى أشكالها المتعددة والتى تم توليدها أوْ استلامها بواسطة المؤسسة أو الهيئة ذاتها، خلال مزاولتها لأعمال الرسمية .

وقد تم حفظ هذه الوثائق باعتبارها شواهد على مزاولة المؤسسة لأعمالها اليومية بالإضافة إلى ما تحتوى عليه من معلومات. ويجب التأكيد هنا على أن الوثائق هى، أولاً وقبل كل شىء هى نتاج النشاطات التى تكون جزءًا منها. فتنشأ بصورة طبيعية، من جراء مزاولة المؤسسة لوظائفها وفعالياتها، وإجراءاتها، وعقد صفقاتها الجوهرية أم الثانوية. وبالحقيقة فإن الوثائق (المحفوظات) لا وجود لها ما عدا إنها نتاج فعاليات المؤسسة ومن دون هذا فلا معنى للوثائق، ولا وجود لها .

وظيفة إدارة المحفوظات :

أن الأعمال أوْ المشاريع بحاجة متواصلة لهذه المحفوظات فى مجالين أساسيين :

1- تعتبر المحفوظات شواهد ملموسة للمؤسسة بسبب أنها تكون معبّرة عن سياستها وجميع الأنشطة اليومية التى تقوم بها لغرض تنفيذ أعمالها، وبمعنى آخر المحافظة على استمرارية الأنشطة التى تقوم بها .

2- وتعتبر المحفوظات عنصراً أساسياً هاماً للبرهنة على مصداقية الأعمال التى تقوم بها المؤسسة، بالإضافة إلى أنها تساعد فى اتخاذ القرارات، فهى إذا تعبير صادق عن جميع الأفعال وغيرها من الإجراءات المترتبة عليها، لذلك يمكن الاستشهاد بها فى المحاكم لدعم الأعمال الشرعية، والنشاط القانونى، وأن السلطات المنتظمة على اتفاق تام مع التعليمات. ومن وجهة نظر أصحاب الأسهم فى الشركات، والمنتجين وفى حالة الحكومات المركزية، فإن إتاحة هذه المحفوظات تمكّن هؤلاء الأشخاص من الوصول إلى التقييم الصحيح للإدارات ومدى سيطرة الممثلين المنتجين فى إدارة الأصول الموجودة فى عهدتهم وتنفيذ واجباتهم الشرعية .

والمجال الثانى، وهو الأكثر أهمية وبصورة متزايدة، هو توفير المعلومات اللاّزمة لتنفيذ الأعمال اليومية لإدارة المؤسسة. وهناك حقيقة واحدة لا تتغيّر وهى حتى فى هذه الأيام، أيام قواعد البيانات على الخط المباشر، واسترجاع المعلومات على الشاشات، فإن أهم المعلومات المطلوبة لإدارة أيّة منظمة تأتى من المصادر الخاصة داخل المنظمة. وبإحساس استراتيجى، لا بد من أن نعلم بمخزون مراصد المعلومات الهائلة والتى تعود لإدارة الأعمال عامة، وبجانب توفير الوصول إلى البيانات حول المتنافسين، والأسواق، والتنظيمات وغيرها، ولكن صنع القرارات يكون بناء على تحليل البيانات التى تنتجها المنظمة الأم ونظراً لأهمية المحفوظات باعتبارها مصدراً للمعلومات والمعطيات فإن إدارتها بفعالية سوف تساهم فى تحقيق الأهداف التى تسعى إليها المؤسسة، أما من حيث التكلفة المالية المترتبة على

إدارتها فيمكن تعويضها بسهولة على الرغم من أن التكاليف تعتبر باهظة فى الغالب وخاصة إذا ما علمنا أن تكلفة خزانة مخصصة لصف الملفات قد يصل إلى حوالى 20.000 باوندًا إسترالينيًا سنويًا، مما يؤكد أن صرف مثل هذه المبالغ المالية لا يعتبر تبذيرًا فيما إذا أمكن استثمار المعلومات المسترجعة بكل فعالية فى إنجاز الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها المؤسسة، أما إذا لم يحدث هذا، أى لا تتم الاستفادة المطلوبة من المعلومات والمعطيات المسترجعة أو التى تم استرجاعها من محوظات المؤسسة ذاتها، فإن الخسارة سوف تتضاعف مع ازدياد حجم المعلومات والمعطيات (البيانات) التى تشتمل عليها المحفوظات التى ترغب المؤسسة فى الاحتفاظ بهاسواء كان على الشكل الورقى أو الميكروفيلمى أو غيرها من الوسائط الممغنطة من أجل إمكانية الاستفادة منها فيما بعد.

أن الأشكال أو الوسائط التى توجد بها المحفوظات لا تعتبر ذات أهمية فى إداراتها على الرغم من وجود اعتقاد سائد فحواه أنه لا يمكن تحقيق إدارة عملية تطبيقية للمحفوظات دون تحويل المحفوظات من الشكل الورقى إلى أشرطة ممغنطة أو أشكال ميكروفيلمية مصغرة .

أن هذا الاعتقاد السائد لا يعتبر حقيقيًا لأن أى تنظيم للمحفوظات لا يعتمد على الترتيب الموضوعى (التصنيف) لا يمكن الاستفادة منه بواسطة المستخدمين مهما كان حجم المحفوظات صغيرًا أوْ قليلاً من الناحية العددية، فالمحفوظات مهما تعددت أشكالها يجب أن يتم انسيابها بسهولة لاستغلالها عند صنع القرارات التى تؤكد مصداقية إدارتها، ومن ثم فيجب أن يكون

تنظيم المحفوظات وفقًا للنظم الإدارية المعمول بها فى المؤسسة بهدف تحقيق الأهداف المنشودة .

ويبدو أن ازدياد تكاليف إدارة المحفوظات التقليدية قد يكون سبب فى تحويل المحفوظات من الشكل الورقى إلى الأشكال غير الورقية، كالمصغرات الفيلمية والبطاقات المثقبة والأشرطة الممغنطة، وما عدا هذا، فإن تحويل المحفوظات إلى الشكل الميكروفيلمى أو غيره بدلاً من الشكل الورقى قد لا يعتبر ضروريًا، لأن هذه التكاليف المالية أى تكاليف التحويل تعتبر تكلفة إضافية بالنسبة للمؤسسة ويجب مراعاتها باتخاذ كافة التدابير والاحتياطات اللازمة لمواجهة ذلك خاصة إذا ما علمنا إن إدارة المحفوظات تسعى دائما إلى إيجاد هيكلية إدارية منظقية مع إجراءات احتياطية يمكن بموجبها أن تكون جميع الاختيارات المعتمدة فى إدارة المحفوظات خاضعة للتقييم المنطقى. أن حجم مجلدات المحفوظات الورقية التى يتم إنتاجها فى الوقت الحاضر لدى المؤسسات لغرض الاستمرارية فى تأدية أعمالها اليومية فى تزايد مستمر، لاسيما خلال السنوات الأخيرة. ومع انتشار استخدام التقنية الحديثة فى تحويل المحفوظات إلى أشكال متعددة بواسطة آلات النسخ فإن استخدام الحاسب أدى إلى دقة التحكم فى مواجهة النمو المتزايد فى كمية المحفوظات وحجمها لدى أغلبية المؤسسات، وفرض بالضرورة على تلك المؤسسات القيام بمعالجة المحفوظات من الناحية الفنية. لهذا فإن تشخيص أعراض المرض قد تقود الطبيب إلى إيجاد علاج سريع له بدون التفكير أحيانًا فى جميع الخطوات التى يجب أن يتم اتخاذها قبل تحقيق ذلك .

وهكذا كما يفعل كثير من الأطباء، علينا القيام بمعرفة الأعراض قبل معالجة المرض، وهناك افتراض مفاده أنه وهو بإزالة الشكل الطبيعى للمحفوظات وهو الشكل الورقى فإن المشكل ستزول، لكن فى الواقع نجد أن هذا الحل لن يتم إلا وفقًا لتخطيط وإدارة فعالة تعتمد على التخلص بقدر الإمكان من المحفوظات غير المهمة، وأن الاستبقاء الزائد للمحفوظات يؤدى إلى نتائج خطيرة على المؤسسة، هذا كما لو لم يكن هناك استبقاء كاف للمحفوظات بالمؤسسة ذاتها. فالاستبقاء الزائد للمحفوظات قد يؤدى إلى أن أيّة محاولة للوصول إلى أماكن المحفوظات اللازمة على سبيل المثال المتعلقة بوضع قانونى قد تقود غالبًا إلى محفوظات لا علاقة مباشرة بالهدف المراد تحقيقه.

كما أن الإتلاف الزائد للمحفوظات سوف يؤدى أيضًا إلى عدم توفر المحفوظات اللازمة للمؤسسة لغرض الدفاع عن ذاتها، وعلى كل حال يجب على إدارة المحفوظات أن تسعى إلى إيجاد تسوية منطقية ما بين الاستبقاء الزائد والإتلاف الزائد للمحفوظات، وذلك من أجل المحافظة على انسيابية الأعمال التى تقوم بها المؤسسة، إذاً، مما تتكوّن إدارة المحفوظات ؟

إن إدارة المحفوظات هى عبارة عن منهاج متطور يختص بتنظيم المحفوظات خلال دورة كاملة من حياتها أى بدءاً من ولادتها إلى مرحلة فرزها سواء كانت أوراقًا عديمة الفائدة ويجب إتلافها، أو باعتبارها أوراق يمكن إضافتها لأرشيف المؤسسة المنتجة لها، لهذا فإن المنهاج يجب أن يسعى باستمرار على التأكيد بأن المعلومات والمعطيات وغيرها من الشواهد التى

تشتمل عليها المحفوظات يجب أن تكون جاهزة ومتوفرة، ويمكن الوصول إليها بسهولة من قبل الموظفين (الهيئة الإدارية) باعتبارها مصادر معلومات ضرورية جدًا لتأدية الأعمال الإدارية بالمؤسسة. وليس هناك أهمية كبيرة فى إقامة قواعد بيانات هائلةوفاعلة إذا كانت الفائدة قليلة منها لكونها لا تتناسب وطبيعة العمل الذى تقوم المؤسسة بتنفيذه، أو لعدم وجود نقاط وصول أو مفاتيح لاسترجاع المعلومات المتضمنة فيها، أو لعدم إمكانية إيجاد المحفوظات عندما تكون هناك حاجة إليها. وعلى الرغم من أن تلك الأسباب قد تكون نادرة إلا أن الاستبقاء للمحفوظات يعتبر ضرورى جدًا، رغم ما يترتب عليه من تكاليف قد تكون باهظة أحيانًا بالنسبة للمؤسسة. لهذا يجب أن تتم إدارة المحفوظات بطريقة اقتصادية واعية وذلك من أجل التغلّب عليها باعتبارها مشكلة لم يستطع التغلبّ عليها سوى قلّة من المدراء الذين استطاعوا بالفعل القيام بموازنة جادة تم من خلالها مراعاة التكلفة المترتبة على ذلك وقياس مدى الفوائد الملموسة التى يمكن أن يتم تحقيقها بواسطة إنفاق مبالغ مالية قليلة .

فوائد إدارة المحفوظات :

هناك كثير من الفوائد التى يمكن تحقيقها من خلال وضع برنامج محدد لإدارة المحفوظات، حيث يمكن ترجمة تلك الفوائد مباشرة إلى الواقع وذلك من خلال توفير التكلفة المالية المترتبة على تقليص الحيز المكانى فى مساحة بعض المكاتب بالمؤسسة بالإضافة إلى التكلفة المالية الناتجة عن توفير

الوقت للموظفين فى استرجاع المعلومات من المحفوظات وذلك بتحديد أماكنها بدقة (الاقتصاديات المادية Hard Savings) .

أما الفوائد النوعية (الاقتصاديات النوعية Soft Savings) فلا يمكن تحقيقها بطريقة مباشرة ولكنها قابلة للقياس . وعلى كل حالٍ فإن كلاً من الاقتصاديات المادية والاقتصاديات النوعية تعتبر ذو أهمية على حد السواء ، هذا ويمكن الإشارة إلى كل منها على حدة كما يلى :

(1) الفوائد المادية (الاقتصاديات المادية) : Hard Savings

تعتبر من الفوائد التى يمكن تحقيقها مباشرة ، فهى ناتجة عن التطبيق العملى للموارد المتوفرة لدى المؤسسة ، فهى تشمل : الحيز المكانى ، وتجهيزات المكاتب بالمعدات والأجهزة اللازمة ، والموظفين الذين يقومون بإدارة المحفوظات سواء بتوليد المحفوظات أوْ استلامها خلال مجريات العمل الطبيعية فى المؤسسة ، مما يجعل فى إمكانية المرء ترجمة هذه الاقتصاديات (الفوائد) إلى مصطلحات مادية (نقدية) قابلة للصرف .

من خلال إدارة المحفوظات ، يبدو تخزين المحفوظات واضحًا باعتباره أحد المظاهر المادية الملموسة لدى المديرين المسئولين بالمؤسسات وذلك من خلال توفير الحيز المكانى فى مساحة المكاتب التى تشغلها خزائن صف الملفات المتعددة الأشكال والأحجام .

لهذا فإن العمل على توفير الحيزا لمكانى المخصص لتخزين المحفوظات سوف يؤدى إلى بعض المصروفات المالية المترتبة على ذلك ، هذا وتعتبر

المساحة المخصصة للموظفين الذين يقومون بتوليد المحفوظات واستلامها من أكثر العوامل غلاء من حيث التكلفة المالية، أما المساحة التى تشغلها خزائن صف الملفات ذات الأربعة أدراج (جارور) والتى تتراوح مساحتها ما بين 8 - 10 قدمًا مربعًا من المساحة الإجمالية للأرضية فى المؤسسة، سوف تلفت الانتباه، بدون شك، علاوة على ارتفاع قيمة الايجار وازدياد رسوم الضرائب المترتبة على ذلك، لهذا يجب تعويض ذلك بالاستفادة من المساحة المجاورة والمخصصة لمكاتب الموظفين. ومن ثم يمكن القول أن تكلفة تجهيز مكتب بمدينة لندن [1]. فى مؤسسة ما لغرض تخصيصة لتخزين المحفوظات قد تصل إجمالى قيمة إيجاره مع الخدمات والضرائب إلى حوالى مائة جنية استرلينى لكل قدم مربع سنويًا، أما تكلفة المساحة التى تشغلها خزانة و احدة لصف الملفات والتى تتكون من أربعةأدراج (جارور) قد تصل إلى 1000 باوند (ألف جنيه استرلينى) سنويًا ما عدا تكلفة استخدام محتوياتها من المحفوظات. لهذا يجب تقليص حجم المساحة أو الحيز المكانى الذى تشغله المحفوظات بنقل المحفوظات غير النشطة والتى لا تعتبر ضرورية للمؤسسة فى مزاولة نشاطها، لأن ذلك العمل سوف يؤدى إلى توفير الحيز المكانى وما يترتب على ذلك من الناحية الاقتصادية من تكاليف مالية مباشرة، وبواسطة برنامج إدارة المحفوظات المعتمد لدى المؤسسة، يمكن إعادة تنظيم الحيز المكانى بين الاستفادة منه وتجنب التكلفة الغالية المترتبة على شغل الحيز المكانى، ويمكن هذا بالاستعانة باستخدام المعدات الحديثة فى تخزين المحفوظات، ويجب مراعاة عدم تزويد المؤسسة

1- أثناء كتابة هذا الفصل عام 1989 . (المترجم) .

بأكثر من حاجتها من تلك المعدات، فهذا يؤدى إلى تحسين محيط العمل بين الموظفين الذين يتشاركون الحيز المكان الذى تم توفيره . وأن ذلك ينعكس إيجابيا على تحسين إنتاجية أولئك فى الأعمال التى يقومون بها، خاصة فى المؤسسات الكبرى حيث نجد أن حوالى نصف الموظفين يقومون بتوليد الملفات وتصفيفها بالإضافة إلى المعالجة الفنية للمعلومات، وبذلك يمكن القول بأنه على الرغم من صعوبة قياس الأعمال التى يقوم بها الموظفين بدقة، إلا أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال مدى استخدام المعلومات والمحفوظات التى تكوّن جزءًا هامًا من النشاط الذى تقوم به المؤسسة فى الواقع. أن توفير المعلومات وتسهيل مهمة الوصول إلى المحفوظات سوف يؤدى إلى توفير الوقت والجهد والمال. ويتضح من خلال ذلك مدى ما تحققه المؤسسة من توفير مادى (اقتصاديات مادية) مباشر سوى من حيث العمالة، و يمكن تحقيق هذا بتخفيض عدد الوظائف وتوجيه الموظفين الذين يشملهم التخفيض إلى القيام بأعمال أخرى أكثر إنتاجية خاصة إذا ما كانت نظم المحفوظات والمعلومات التى يستخدمونها تتميز بتنظيم وفعالية كافية.

2- الاقتصاديات النوعية :

إن القياس الكمى لهذه الاقتصاديات النوعية أكثر صعوبة لكونها فوائد غير ملموسة والتى تنجم عن الاستخدامات الفاعلة للسجلات نفسها، والمعلومات التى تشتمل عليها وفوائد إدارة استرجاع المعلومات المتطورة التى لا يمكن التقليل من شأنها، وإن صنع القرار ليس بالضرورة يتحسن بتقديم البيانات الملائمة والحديثة، و لكن على الأقل يكون أقل عرضة للجهل

بالمعلومات. وعليه فإن اعتماد تلك التحسينات فى استرجاع المعلومات وتوفيرها فى الوقت المناسب من أجل اتخاذ القرار يجب أن يكون بدءًا من قمة الهرم الإدارى بالمؤسسة، والتى يكون على رأسها المدير بدلاً من الهيئة الإدارية للمؤسسة والمكوّنة من الموظفين المساعدين له، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التى تسعى المؤسسة إلى إنجازها، ومن ثم يمكن القول أن اتخاذ القرار يعتمد على وجود سياسة ثابتة لبرنامج إدارة المحفوظات مما يساعد فى توفير الوثيقة المناسبة فى الوقت المناسب وذلك لتأييد مصداقية الأعمال التى تقوم بها المؤسسة بالإضافة إلى الدفاع عن نفسها ضد أى هجوم قد تتعرض له من قبل المنافسين سواء كانوا من بين الزبائن أوْ الوكلاء التابعين لها. ففى حالة رغبة المؤسسة اتخاذ قرارات ضد الآخرين يجب أن تكون المحفوظات (النشطة) المعبرة عن الأعمال التى تقوم بها المؤسسة سهلة التناول يمكن الحصول عليها بسهولة وبأقصر وقت ممكن وذلك بفضل برنامج إدارة المحفوظات الذى قام بتحديد أماكن المحفوظات وهويتها بكل وضوح ليسهل للمؤسسة الحصول على ما تحتاج إليه من محفوظات للدفاع عن نفسها فى حالة تورطها فى مشكلة ما قد تؤدى إلى رفع قضية أحيانًا أمام القضاء. وحتى إذا كانت السجلات الضرورية معدومة أو تم إتلافها فالدفاع المرضِ فى هذه الحالة هو إنها قد أتلفت كجزء من خطة أو برنامج إدارى، بدلا من سبب امتلاء الملفات، وهناك حاجة لإعادة استخدام الأشرطة الممغنطة والمخزنة عليها، وعليه تم إتلافها .

وبالإضافة إلى الاقتصاديات النوعية المشار إليها، هناك اقتصاديات أخرى يمكن تحقيقها بواسطة استخدام التقنية الحديثة فى إدارة المحفوظات

والمعلومات حيث يمكن بموجب ذلك التحكم فى مصادر المعلومات و المحفوظات اللازمة وذلك ، وفقًا لبرنامج إدارة المحفوظات الذى يكون قادراً ليس بتحديد الأهداف التى تسعى المؤسسة إلى تحقيقها بل أيضًا تحديد حجم المشكلة وبيان الخطوات الرئيسية التى يمكن إتباعها وفقًا لخطة العمل المناسبة من أجل ا يجاد حل عملى لتلك المشكلة الذى يعتمد كليًا على ما يتوفر من مصادر معلومات فى نظام المحفوظات والمعلومات بالمؤسسة، ومن ثم يتضح لنا أن مطابقة نظام المحفوظات ومصادر المعلومات معًا من أجل إيجاد حل عملى لمشكلة ما بالمؤسسة يعنى أهمية المحفوظات والمعلومات فى المساهمة بتحسين فعالية وكفاءة الأعمال التى تقوم بها المؤسسة مما يشترط ضرورة خلق تحسين فى الكيفية التى يجب أن تدار بها المحفوظات والمعلومات لأن ذلك سيؤدى إلى ازدياد الاقتصاديات النوعية من خلال خفض تكلفة برنامج إدارة المحفوظات .

مكتبات ناشرى الصحف فى كيرالا
نظرة عامة [1]

مستخلص:

يلجأ العاملين فى مجال العمل الصحفى غالبًا إلى مرجع راجع Retrospective Reference لاستعادة الأحداث الماضية من أجل تقديم عرض أخبارى أكثر جاذبية ومعلومات وفيرة للقارئ .

وإدراكًا لأهمية المكتبةوتأثيرها على الإنتاج الصحفي، فإن بعض إدارات الصحف قد حرصت على الاحتفاظ بمكتبة أو بنظام للمعلومات Information System استعدادًا لتقديم خدمات شاملة لقسم التحرير الصحفى. أن هذه الدراسة تم الشروع فيها لغرض تخمين الحالة الراهنة لمكتبات الصحف فى كيرالا وذلك من أجل رفع مستواها وفعاليتها التنظيمية ومجموعات المكتبة Library Collection والإجراءات الفنية Technical Processing والخدمات Services والوسائل المادية و المعنوية . أن المكتبات أو

1- Joseph Rosamma : Libraries of Newspaper Publishers in kerala : A Survey . Int. Library Rev. Vol. 23. 1991. PP. 333-343 .

وحدات المعلومات Information Units ذات العلاقة بالصحف التى تم اختيارها للدراسة قد بلغ توزيعها أكثر من 50000 نسخة (خمسين ألف نسخة)، وقد تم تجميع هذه البيانات بواسطة الاستبيانات والمقابلات و فحص الملفات والمحفوظات ذات العلاقة بطريقة الملاحظة الشخصية .

لقد أظهرت الدراسة أن عدد مجموعات الكتب فى ولاية كيرالا بجنوب الهند هى غير مناسبة. وأن الكتب لا يتم جلبها بصورة منتظمة، وحتى أن الكتب المرجعية المتوفرة كانت صلاحيتها منتهية إضافة إلى أن طبعاتها قديمة. كما يبدو أن إدارات الصحف غير متحمسة لتطوير مجموعات المكتبات التى تحتوى على طبعات حديثة للكتب المرجعية الهامة. أما المواد المتاحة للقراء فهى ليست مصنفة و لا مفهرسة بدقة فى أغلبية المكتبات، كما أن المعايير المناسبة لم تتبع فى عملية حفظ مواد المكتبة، بالإضافة إلى عدم توفر شمولية فى خدمات تكشيف القصاصات الصحفية Clippings Indexing Services فى أغلبية المكتبات الصحفية. هذا وأن جميع الموظفين العاملين فى المكتبات الصحفية فى كيرالا يعتبرون غير ملائمين من وجهة النظر النوعية والكمية .

أما مشكلة الحيز المكانى المخصص للمواد الصحفية فهى تعتبر مشكلة تواجه جميع المكتبات الصحفية تقريبًا، لهذا فقد تم بعثرة المواد المقروءة فى عدة أماكن مختلفة بسبب عدم توفر الحيز المكانى الملائم الذى تعانى منه المكتبات، وعليه فإن الصورة التى تم تقديمها عن المكتبات الصحفية فى ولاية كيرالا تعتبر بعيدة عن درجة الرضا عنها .

المقدمــــة :

تلعب الصحافة فى الهند دورًا حيويًا فى جميع الأنشطة البنيوية الوطنية، فمنذ الاستقلال كانت هناك ظاهرة ازدياد عدد الصحف المباعة، وقد بلغ مجموع عدد الصحف الجارية فى الهند عام 1987 م بحوالى 24,629 [1] صحيفة، حيث أصبحت الصحافة فى الوقت الحاضر ليست عبارة عن تقديم الأخبار ووجهات النظر المختلفة بل أيضًا اختراق المعرفة الغامضة من أجل تقديم الحقيقة الواضحة للجمهور. أن هذا هو ما يجرى بصدق وبصورة خاصة فى ولاية كيرالا الهندية، حيث تلعب الصحف دورًا حيويًا، فالناس الذين يعيشون فى ريف كيرالا يتجمعون بشكل مألوف مع بعضهم بعضًا فى المتاجر المحلية للاستماع إلى قراءة الصحف، والتى غالبًا ما يتلوها مناقشة الأخبار الواردة بتلك الصحف.

يوجد حوالى 1085 صحيفة ومجلة تنشر فى كيرالا بمعدل تداول بلغ 5.24 مليون نسخة، وتسيطر لغة (مالايالم) Malayalam باعتبارها اللغة الرئيسية فى الولاية على لغة النشر الصحفية حيث بلغ عدد الصحف والمجلات الصادرة بتلك اللغة ما يقرب من 809 صحيفة ومجلة، أما اللغة الثانية المستخدمة فهى اللغة الإنجليزية حيث بلغ عدد الصحف والمجلات المنشورة باللغة الإنجليزية 113 مطبوعة، هذا وقد بلغ عدد النسخ المتداولة باللغة المالايالمية بـ 4.83 مليون نسخة .

وتعتبر الصحف المنشورة بلغة مالايالم متعددة وذات تأثير من حيث العدد فى جميع أنحاء القطر بأكمله، وعليه فقد استطاعت الصحف المنشورة

1- India 1988- 89 . A Reference Annual . new Delhi . Government of India Publications Division . 1989 . p . 254 .

بلغة مالايالم تحقيق تقدم فعّال، مما أدى إلى ازدياد تضاعف انتشار الصحف المنشورة بتلك اللغة خلال السنوات الأخيرة وذلك بسبب الاعتماد على الطباعة الآلية التى تم اختيارها، وطرق جميع الأخبار بصوورة جيدة ونظام توزيع فعال للصحف.

تعتبر ولاية كيرالا هى الولاية الهندية الوحيدة التى تطبق مواصفات اليونسكو والتى بموجبها يشترط توفير عشر صحف كحد أدنى لكل مائة شخص. وقد بلغ معدل الذين يعرفون القراءة والكتابة فى هذه الولاية حوالى 70.42 ٪. ويعتبر هذا أعلى معدل للقراءة والكتابة فى الهند، ومن أجل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من هؤلاء فى الولاية تم تطبيق (برنامج القراءة والكتابة الشامل) بحيث أنطلق هذا البرنامج بكل قوة وحماس غير عاديين. فالناس هنا كانوا متلهفين على أن يكونوا ملمين بكافة التطورات التى تحدث فى المقاطعة أو الولاية أو فى الدولة ككل. ومن أجل حث الناس على التعلّم حول كل ما يحدث يوميًا يجب استثمار كليًا الأنباء وتقديمها بطريقة معينة تجعل الناس أكثر إلماما وإدراكًا بالمعلومات.

أن الصحافيين العاملين فى الصحف غالبًا ما يستخدمون المراجع الراجعة Retrospective References لغرض مساعدتهم فى تقديم الأخبار الجارية فى محيط البيئة وذلك من أجل تقديم الأنباء بطريقة أكثر جاذبية وفائدة للقراء، ولأهمية تأثير المكتبة على إنتاج الصحف فإن إدارات الصحف والمجلات قد أصبحت تعتمد كليًا على وجود المكتبة أو إقامة نظام معلومات Information System من أجل تقديم خدمات شاملة لقسم التحرير الصحفى.

الدراسة المسحية The Survey

هذه الدراسة المسحية قد أجريت لغرض تقييم الحالة الراهنة للمكتبات الصحفية بولاية كيرالا وذلك فيما يتعلق بإداراتها وفعالية تنظيمها، ومجموعات الكتب وخدمات الإجراءات الفنية والموظفين والتجهيزات المادية. وقد تم فى هذه الدراسة المسحية اختيار المكتبات الصحفية أو وحدات المعلومات التابعة للصحف التى يصل معدّل توزيعها إلى 50,000 نسخة يوميًا. وقد أوضحت الزيارات للعديد من الصحف التى لم يصل معدل توزيعها إلى العدد المشار إليه، بأن تلك الصحف لا تمتلك مكتبات رسمية أو خدمات معلومات خاصة بها. وقد أشارت العديد من إدارات تلك الصحف بأنها لا تحتاج لمكتبة فى إدارة الصحف حيث أنهم يعتمدون أساسًا على التزّود بالمعلومات من قسم العلاقات العامة للحكومة والمراسلين المحليين .

أما الصحف الرئيسية فهى تحافظ على وجود نوع ما من الخدمات المكتبية، حيث يوجد هناك سبع مؤسسات صحفية يصل معدّل توزيع الصحف التى تنشرها ما يفوق خمسين ألف نسخة يوميًا وهذه الصحف هى:

Express , Desabhimani , Deepika , Malayala Manorama , Kerala Kaumudi , Indian Express & Mathrubhumi .

أما صحيفة شاندريكا Chandrika والتي تصدرها مؤسسة كوزيكود Kozhikode فيصل معدل توزيعها إلى أقل من خمسين ألف نسخة يوميًا ، ومع ذلك فقد تضمنتها العينة فقط لغرض تمثيل كافة الاتجاهات المتعددة والمنظمات السياسية والأيديولوجية .

إن من بين الصحف المذكورة أعلاه ، توجد خمس صحف تنشر في وقت واحد في أكثر من مكان ، وعليه فإن صحيفة مالايالا مانوراما Malayala Manorama تنشر في أربعة أماكن مختلفة .

أما كل من صحيفة ماثروبيوم Mathrubhumi وصحيفة ديسابيماني Desabhimani فتنشر في ثلاثة أماكن ، وأخيرًا فإن صحيفة كيرالا كاومودي Kerala Kaumudi وصحيفة ديبيكا Deepika فيتم نشرهما من مكانين فقط . أن مجموعة الإصدارات هذه التي تمثل جميع الوحدات قد تم اختيارها لتمثيل العينة .

إن الصحف المختارة تمثل الصحف التى كانت قد تأسست فى الهند خلال الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1887 -1975 م فلا يوجد سوى صحيفتين من بين تلك الصحف اليومية التى اختلفت بعيد تأسيسها المئوي، وهذه الصحف هى صحيفة ديبيكا Deepika وصحيفة مالايالا مانوراما Malayala Manorama اللتان تصدران فى مقاطعة كوتايام. أما بقية الصحفة المذكورة فقد تأسست ما قبل استقلال الهند عام 1947 م ما عدا صحيفة انديان اكسبريس Indian Express. وقد بدأت هذه الصحف بناء وحدات المعلومات

الخاصة بها بعد حلول عام 1960 م فقط، كما أن هذه المنظمات والمكتبات الوظيفية ومراكز المعلومات الملحقة بالوحدات الفردية والتى بلغ مجموعها 17 وحدة، قد تمت دراستها منذ أن أصبحت تمتلك مكتبات منفصلة. هذا وقد تم تجميع البيانات المطلوبة لهذه الدراسة من خلال ما يلي:

1- الاستبيانات التى تم توزيعها على الموظفين المسؤولين عن المكتبات ووحدات المعلومات الملحقة بسبعة عشر وحدة فى أكبر ثمان صحف فى كيرالا

2- المقابلات التى أجريت مع المكتبيين بتلك الصحف .

3- فحص الملفات والمحفوظات ذات العلاقة بالمكتبات ووحدات المعلومات التابعة لتلك الصحف.

4- الملاحظة الشخصية لتلك المؤسسات من الناحية الوظيفية والتجهيزات ومصادر المكتبة.

وقد وجد أن نائب المحرر ومحرر الأنباء أو رئيس التحرير بالصحيفة، عادة ما يكونوا مسؤولين عن المكتبة أكثر من المكتبيين، خاصة وأن كثير من واجبات المكتبيين يتم إنجازها فى أقسام أخرى، أما واجبات المكتبيين التى يقومون بها فهى تشمل أساساً أعمال روتينية مثل إعداد القصاصات الصحفية وتصنيفها وترتيب الصور . . . الخ، كما وجد أيضًا أنه لا يوجد ثمة اتصال ما بين المكتبى والصحفيين والإدارة وذلك من أجل المساعدة فى تطوير الخدمة المكتبية الفعالة. أما فيما يتعلق باجتماعات لجنة المكتبة فلم يوجد سوى فى مكتبة واحدة من مكتبات المؤسسات الصحفية التى تم مسحها.

مجموعات المكتبة Library Collection

إن مجموعات الكتب فى المكتبات السبع عشر التى شملتها هذه الدراسة تراوحت ما بين 10 - 25 ألف كتاب، بينما كانت هناك توجد مكتبة واحدة تشتمل على عشرة آلاف كتاب، وستة مكتبات يتراوح عدد مجموعاتها ما بين ألف إلى خمسة آلاف كتاب، وعشرة مكتبات مجموعاتها أقل من ألف كتاب، أما بالنسبة إلى عدد الكتب التى كان يتم إضافتها سنويًا فهو ضئيل جدًا، ففى خمس مكتبات من بين السبعة عشر مكتبة التى شملتها الدراسة، وبلغ عدد الكتب التى يتم اقتناؤها سنويًا أقل من خمسة وعشرون إلى مائة كتابًا. هذا ويتراوح عدد الكتب المقتناة سنويًا فى أربع مكتبات ما بين مائة إلى مائتين كتاب، وهناك مكتبةواحدة فقط تقتنى أكثر من ثلاثمائة كتاب سنويًا من بين المكتبا ت المشار إليها.

وفى الواقع فإن هذه الكتب المقتناة بواسطة المكتبات الصحفية لا يتم الحصول عليها وفقًا للإجراءات العادية الروتينية فى المكتبات، بل يتم الحصول عليها عندما تتطلب الحاجة إليها فقط.

ووفقًا لكثير من المكتبيين فإن مقدار كبير من مجموعات الكتب يتم ترتيبها بعد استلامها مباشرة على الرفوف للإطلاع عليها. وقد لوحظ أيضًا

أن أغلبية الكتب المتوفرة على رفوف تلك المكتبات هى عبارة عن كتب قديمةوغير حديثة، مما جعل كثير من الصحفيين يشعرون بأن هناك نقص فى الكتب الحديثة خاصة فى موضوعات مثل الرياضةوالآداب والفن والسياسية والسينما والثقافة والتاريخ والجغرافيا وصناعة الصحف والصحافة. أما فيما يتعلق بإتاحة الوثائق الحكوميةوالأعمال والإنجازات التى تشتمل على إحصائيات رسمية فهى تعتبر أيضًا غير كافية، حيث بلغ عدد الكتب المرجعية المتاحة فى هذه المكتبات يتراوح ما بين 25 - 2500 كتاب مرجعي، فهناك مكتبة واحدة فقط يصل عدد مجموعاتها من الكتب المرجعية إلى 2500 كتاب مرجعي، فى حين أن هناك خمس مكتبات لديها مجموعات كتب مرجعية تتراوح ما بين 300 - 500 كتاب مرجعي، وست مكتبات لديها مجموعات كتب مرجعية يتراوح عددها ما بين 100- 300 كتاب مرجعي، وخمس مكتبات أخرى لديها أقل من 100 كتاب مرجعي. وعلى العموم فإنه كما هو ملاحظ أن هذه الكتب المرجعية التى تقتنيها المكتبات هى كتب مرجعية قديمة وأن طبعاتها غير حديثة، حيث نجد أن الموسوعة البريطانية طبعة 1956 م لا تقتنيها سوى مكتبتين فقط.

أن كل هذا يقودنا إلى خلاصة فحواها أن مجموعات الكتب فى مكتبات المؤسسات الصحفية تعتبر بصفة عامة غير كافية لاحتياجات الصحفيين، وهناك حاجة ماسة لاقتناء العديد منها لموسوعات وكتب اللغة والقواميس وقواميس السير والقواميس التقنية والعلمية والكتب السنوية وكتب المراجع العلمية فى الرياضة والتاريخ والثقافة والمسرح. وبصفة عامة فإن هذه الكتب المرجعية تعتبر غير مرتبة فى أى شكل، فهى توجد مبعثرة فى

الأماكن المختلفة، وذلك بسبب النقص فى الحيز المكانى الذى تعانى منه تلك المكتبات. وفى بعض المكتبات توجد الكتب مرتبة طبقًا للموضوع، كما لا توجد سوى مكتبةواحدة تستخدم تصنيف ديوى العشرى فى ترتيب مقتنياتها من الكتب، هذا كما لا توجد مكتبةواحدة تحتفظ بفهرس لمقتنياتها من المواد المكتبية، ولربما يرجع ذلك إلى أن الصحفيين والإداريين فى تلك المؤسسات الصحفية ليس لديهم رغبة أو اهتمام بفهرسة وتصنيف مجموعات الكتب بالمكتبة.

وإن أغلبية مكتبات المؤسسات الصحفية لا تشترك إلا فى أعداد قليلة من المجلات الشعبية. وأن أربع مكتبات منها تشترك فى عدد من الدوريات يقل عن 15 دورية منها. أما المجلات أو الدوريات التى تهتم بالأحداث الجارية مثل : التايم Time ، نيوزويوك News week، وفرونتلاين Front line، أون لوكير Onlooker، لنك Link، صنداى Sunday وانديا توداى India Today، آسيا ويك Asia week، ويك Week ثم الوستر يتيد ويكلى أوف انديا Illustrated weekly of India، فإن أغلبية المكتبات تحافظ على الاشتراك فيها. وفيما يتعلق ببقية الدوريات المفيدة من وجهة النظر المتخصصة، والتى تشتمل على التخصصات ذات الاهتمام. والبيانات الإحصائية والتى تصدرهامراكز البحوث العلمية أو الجمعيات العلمية، فإنها لا تصل إلا إلى عدد قليل من المكتبات الصحفية، كما أن كثير من هذه المكتبات لا تحتفظ بسجل اشتراك فى هذه الدوريات وعليه فإنها لا تقوم بتسجيل الإصدارات التى تستلمها، كما وجد أيضًا أن كثير من هذه

المكتبات كانت تتجنب إصدارات بعض هذه الدوريات، حيث لم يوجد سوى مكتبتين فقط، ارتبطت بالاشتراك فى أكثر من 15 دورية سنويًا.

أن جميع المكتبات الصحفية تستلم أغلبية الصحف الصادرة بلغة المالايالم Malayalam وكذلك عدد من الصحف الصادرة باللغة الإنجليزية يتراوح ما بين 3 - 12 صحيفة يوميًا. أما عدد الصحف اليومية التى تستلمها كل مكتبة فهى مختلفة حيث يتراوح عددها ما بين 20-30 صحيفة، وهذا وقد تم اقتراح أن تصبح بعض الصحف الأجنبية مثل : نيويورك تايمز New York times، والواشنطون بوست Washinton Post والتايمز The Times والأبزيرفير The Observer متاحة للإطلاع فى المكتبات .

أن اغلبية تلك المكتبات تحتفظ بالصحف فقط، وأن بعضها يحتفظ بإصدارات بعض الصحف لمدة تتراوح ما بين 2-3 سنوات، هذا وقد تبين أنه ليس هناك اهتمام خاص بمجلدات الصحف التى يتم الاحتفاظ بها باستثناء مكتبةواحدة حيث تحتفظ بالصحف فى غرفة مكيفة. وفى مكتبةواحدة يوجد العديد من مجلدات الصحف المكدسة على الأرضية و ذلك بسبب النقص فى الحيز المكانى أو لربما لعدم الاهتمام بها. أيضًا وفى كثير من المكتبات تبقى هذه الصحف مبعثرة فى عدة أماكن وغير مرتبة. وفى جميع المكتبات التى شملتها الدراسة لا توجد مكتبةواحدة تحتفظ بكشافات لهذه الصحف، فالصحف اليومية فى كيرالا تواجه مشاكل فى إيجاد أو تحديد المعلومات المطلوبة من المجلدات الراجعة، وذلك بسبب فقدان عملية التكشيف، وقد أشار أحد المكتبيين بأنه يعتمد على الذاكرة أو استشارة

مصادر مرجعية فى التحقق من بيانات أحداث معينة، ثم عليه أن يستشير تلك الصحف أو المجلات الصادرة فى تلك الأيام لغرض الحصول على المعلومات، بينما أشار مكتبى آخر بأنه يحتفظ بملف ترتيبى للصور الفوتوغرافية، وبهذا يمكنه الحصول على تواريخ الأحداث المهمة من خلال هذه الصور، فهى تدل على المجلات والصحف الخاصة بتلك الأيام. وأحيانًا يستغرق يومًا كاملاً فى البحث عن معلومة بسيطة .

ومن خلال استخدام الميكروفيلم الذى يقدم مستوى حفظ لمدة طويلة للمحفوظات التاريخية، توجد هناك مكتبة واحدة قد أكملت ملفاتها الخاصة بالصحف على الميكروفيلم، بالإضافة إلى صحيفتين قد قامتا بتحويل جزء من أعدادها على الشكل الميكروفيلمي. وعادة ما يتم حفظ مجموعة القصاصات الصحفية فى المكتبات فى أعداد صغيرة وغير حديثة فى كثير من المكتبات، أما حفظ القصاصات الصحفية بشكل شامل ومصنف فلا يوجد إلا فى ثلاث مكتبات فقط، حيث يقوم الكادر الوظيفى بمساعدة المكتبيين خاصة فيما يتعلق باختيار قصاصات الأخبار حيث يقوم الموظفون القدامى بالمؤسسة بعملية قص القصاصات الصحفية فى جميع مؤسسات دور الصحف اليوميةما عدا واحدة منها لأنها تعتبر القصاصات الصحفية مصادر لا يعتمد عليها.

أما فيما يتعلق بتخزين القصاصات الصحفية، لا توجد طريقة رسمية يمكن إتباعها، حيث كانت القصاصات توضع فى أظرف لدى سبع مكتبات من ضمن 17 مكتبة التى أخضعت للدراسة، بينما كانت تقوم سبع مكتبات

أخرى بوضعها فى ملفات على شكل صناديق Box Files، كذلك فبينما تعتمد مكتبة على تخزين القصاصات فى ملفات مطوية File Folders نجد أن تخزين القصاصات لم يتم بعد فى بعض المكتبات الأخرى.

وفى جميع المكتبات التى تضع القصاصات الصحفية فى أظرف يتم تنظيم هذه الأظرف وفقًا لترتيب معين فى صناديق مخصصة ما عدا مكتبة واحدة لا تقوم بتنظيمها .

وفى صناديق الملفات Box Files والملفات المطوية File Folders فإن ترتيب القصاصات الصحفية يتم وفقًا لتسلسلها الزمنى، وعليه فإن حفظ المواد يكون حسب الترتيب الزمنى، أما القصاصات الصحفيةالتى يتم تصنيفهاوفرزها وفقًا للموضوع فيتم حفظها فى أظرف أو صناديق ملفات Box Files بعد ترتيبها ترتيبًا هجائيًا .

ويوجد حوالى 350 صندوقًا فى مكتبات دور الصحف، وقد تم ترتيب هذه الصناديق أحيانًا تحت أسماء الدول مثل : أفغانستان والبانيا وأنجولا وكذلك تحت موضوعات مختلفة مثل : الحوادث والجريمة والفساد والكوارث . . . . الخ.

وقد تم تصنيف القصاصات الصحفية وفقًا لتصنيف ديوى العشرى فى مكتبةواحدة، حيث تم وضع القصاصات فى أظرف ثم ترتيبها فى صناديق ملفات بنظام ديوى العشرى DDC وفقًا لـ 100 , 200 , 300 . . . الخ، كما يتم الاحتفاظ ببطاقة فهرس للإشارة إلى القصاصات فى صناديق

الملفات. وفى مكتبات أخرى نجد أن القصاصات الببليوجرافية قد تم ترتيبها وفقًا للتسلسل العددى، حيث تم وضع القصاصات حول الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بحرف A قد وضعت فى صندوق الملفات رقم (1)، وكذلك الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بحرف B توضع فى صندوق الملف رفم (2) وهكذا، أما القصاصات التى لا تهتم بالأشخاص فيتم ترتيبها حسب الموضوع حيث يوجد صناديق ملفات لكافة الموضوعات المختلفة مثل : كرة القدم والكريكيت . . . الخ.

هناك صحيفة واحدة فقط تحتفظ بكشاف لملف القصاصات والشخصيات، ومكتبة واحدة تقوم بالترتيب المتداخل بأخذها نسخة إضافية لهذه القصاصات، وأن كثير من نسخ قصاصات الصحيفة يتم ترتيبها تحت رؤوس موضوعات مختلفة، فإذا كانت هناك مادة إخبارية حول استصلاح الأراضى فى ولايةكيرالا، فإن قصاصة صحفية يجب أن توضع فى ملف استصلاح الأراضى وأخرى توضع فى اقتصاد ولاية كيرالا. وهكذا نجد أن تعدد عمليات الترتيب للقصاصات الصحفية تساعد فى حل مشكلة عمل وتعديل بطاقات الكشاف. وقد وجد أن المجموعات المكتبية قد يزداد حجمها بدون حدود مما يقود إلى عدة مشاكل منها مشكلةالحيز المكانى، والحفظ . . . الخ.

إن عملية استبعاد القصاصات Weeding of Clippings تتم بصورة منتظمة فى ست مكتبات من مجموع المكتبات السبعة عشر التى تضمها هذه الدراسة، حيث تتم عملية الاستبعاد فى خمس مكتبات من وقت إلى آخر،

أما فى المكتبات الست الباقية فلا زالت لم تبدأ بعد وقد صرح أحد المكتبيين بأن عملية قص القصاصات الأخيرة يتم بموجبها استبدال القصاصات الحديثة وذلك باستخراج القصاصات القديمة من الملفات الصحفية واستبعادها نهائيًا، كما صرح مكتبى آخر بأنه من الصعوبة جدًا التخلص من القصاصات القديمة نهائيًا لكونها مفيدة فيما بعد .

إن كل المكتبات تمتلك مجموعات من الصور الفوتوغرافية Collection of Photographs ولكن مع ذلك فلا توجد لديها طريقة رسمية تعتمد عليها فى ترتيب الصور، ففى مكتبةواحدة يتم تصنيف الصور وفقًا لنظام ديوى العشرى للتصنيف (DDC)، حيث يتم ترتيبها وفقًا للتسلسل الألفبائى، كما تحتفظ تلك المكتبة بفهرس بطاقات مرتب الفبائيًا، كماوجد أيضًا أن أظرف الصور قد تم ترتيبها الفبائيًا، وفقًا للقب العائلى أو تحت الاسم الكامل أو تحت الشخصيات المسرحية مثل Nair و Nambiar . . . الخ .

وعلى كل حال فإن التسلسل الانفرادى يوجد أيضًا لنجوم الأفلام والرياضيين والرهبان . . . الخ.

إن ترتيب وحفظ الصور يتم وفقًا لثلاث سلاسل هى : إقليمية ووطنية ودولية، حيث ترتب الصور الفبائيًا فى كل سلسلة. وفى إحدى المكتبات يستخدم التسلسل العددى فى تنظيم الأظرف الخاصة بالصور. والصور (النيجاتيف) يتم حفظها فى نفس الأظرف.

إن الأظرف المستخدمة لحفظ الصور هى عبارة عن أظرف عادية ذات لون بنى، ماعدا ثلاث وحدات متعددة من الورق المقوى كانت تشتمل على

أظرف بلاستيكية تم تجميعها بطريقة خاصة لحفظ الصور. هذا ويختلف عدد الصور فى كل الأظرف، والتى عادة ما يتم ترتيبها رأسيًا فى الخزائن الموجودة فى أغلبية المكتبات الصحفية.

وتعتبر مجموعات الصور فى المكتبات الصحفية بولاية كيرالا الهندية ذات أهمية بمقارنتها بمجموعات الصور الموجودة بمكتبات صحيفة الهندو Hindu وصحيفة تايمز أوف انديا Times of India اليومية العالمية المنشورة باللغة الإنجليزية فى الهند، تلك الصحف التى يتراوح مجموعات الصور لديها مابين 200.000 و 600.000 صورة، تضاف إليها يوميًا حوالى 100 صورة لمجموعة الصور بصحيفة الهندو Hindu، وثلاثون صورة يومية إلى مجموعة الصور بصحيفة تايمز أوف أنديا Times of India. هذا وقداتضح لنا أن بعض الصحف فى ولاية كيرالا الهندية أحيانًا تصدر بدون صورة واحدة إذا لم تتوفر الصورة المناسبة فى مجموعة الصورالخاصة بها. كما اتضح أيضًا أن مجموعات الصور فى أغلبية المكتبات الصحفية تعتبر غير ملائمة وغير كافية.

خدمات المكتبة Library Services

إن أغلبية المكتبات الصحفية تعانى من نقص حاد فى الكادر الوظيفى، مما أدى فى النهاية إلى أن تصبح سياسة الإطلاع على المجموعات المكتبية تعتمد على (إخدم نفسك Self - Services)، هذا باستثناء مكتبتين بسبب أنه لا توجد بها قيود على استخدام المواد المكتبية فى أى وقت بواسطة الصحفيين وحتى فى غياب الكادر المكتبى. وحول ذلك عبرت مكتبتان أخريان عن عدم قبولها لهذه السياسة (أخدم نفسك) حيث أكدت على ضرورة توفير الكادر الوظيفى من الموظفين للمكتبة، بحيث ينبغى أن يتواجد الموظفين فى المكتبة الصحفية حتى فى أوقات العمل غير الرسمية بالصحيفة.

ومن الملاحظ أن استعارة الكتب من مراكز المعلومات الصحفية (المكتبةالصحفية) غير دائم وغير منتشر، ففى اثنتى عشر مكتبة من السبع عشرة مكتبة الخاضعة لهذه الدراسة، نجد أن الكتب لا تعار خارج هذه المكتبات أبدًا ولو حتى بين فترة وأخرى. أما فى الخمس مكتبات الأخرى فإن مجموع عدد الكتب المعارة لا يتجاوز سوى عشرة كتب يوميًا، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه المكتبات هى عبارة عن مكتبات تقتصر وظيفتها

على تقديم خدمات مرجعية فقط، أو لربما يكون السبب راجعًا إلى نقص فى مجموعات الكتب الحديثة التى تقتنيها تلك المكتبات. أما المواد التى يتم استشارتها يوميًا أقل من خمس مواد مكتبية فى ست مكتبات صحفية، بينما نجد فى ثمان مكتبات أن عدد المواد التى تمت استشارتها قد تراوح ما بين 5 - 15 مادة فى حين أن عدد المواد التى تمت استشارتها بواسطة المستفيدين (الصحفيين) تراوح ما بين 15 - 20 مادة فى ثلاث مكتبات أخرى، مما يكشف لنا أن استشارة المواد المكتبية بواسطة الصحفيين ليست دائمة.

إن جميع المكتبات الصحفية تحرص على فتح أبوابها يوميًا ما عدا مكتبة واحدة تغلق أبوابها يوم الأحد من كل أسبوع. أما ساعات فتح المكتبة فهى تتراوح ما بين 7 - 16 ساعة يوميًا، حيث نجد أن ثمان مكتبات تفتح أبوابها لأكثر من 12 ساعة يوميًا، ففى المؤسسات الصحفية التى توجد فيها مكتبة صحفية مجاورة لقسم التحرير أو تكون فيها مكتبةجزء من قسم التحرير لا يكون هناك فرق ما بين ساعات عمل الصحيفة والمكتبة، أما ساعات الذروة فى استخدام المواد المكتبية فتكون ما بين الساعة 7 - 10 مساءً، فالصحفيون عادةً ما يقومون بزيارة المكتبة بأنفسهم لتلبية الاحتياجات المتعددة من المواد الإعلامية منذ أن أصبحت المكتبة الصحفية مجاورة لقسم التحرير فى كثير من مؤسسات النشر الصحفية، أما إذا كانت المكتبة الصحفية ليست بجوار قسم التحرير فإن استلام الاستفسارات عن المعلومات غالبًا ما يتم عن طريق المراسل الصحفى.

ـ ميزانية المكتبة Library Budget

لقد علمنا بواسطة تسعة مكتبيين بأن هناك ميزانية سنوية يتم تخصيصها للمكتبة الصحفية، ولكن مع ذلك فإن أغلبية المكتبيين غير قادرين على الإعلان عن قيمة تلك الميزانية السنوية، ومع ذلك فقد أخبرنا أحد المكتبيين بأنه من الملائم والمفيد للإدارة أن تحرص على تخصيص حصة من ميزانيتها لشراء المواد المكتبية اللازمة.

وفى الواقع فقد أعلن مكتبى آخر وبشىء من الغموض، أن الإدارة عليها أن تقوم بالإنفاق وبشكل مناسب وعادل على مشتريات المواد المكتبية، إلا أننا فى الواقع قد وجدنا أن الاعتمادات المالية لا تخصص حصة لصيانة وحفظ وتطوير المكتبة من حيث التجهيز الجيد فى أغلبية الصحف، فشراء الكتب والاشتراكات فى الدوريات يتم مباشرة بواسطة إدارة تلك الصحف.

وهذا وقد اقترح ثلاثة مكتبيين بأنه لا بد وأن تكون لهم السلطة الكافية فى صرف حصة مشتريات مواد المكتبة .

ـ المكتبيين Library Personal

يختلف الكادر المكتبى إلى حد بعيد فى المكتبات الصحفية، حيث يتألف من المكتبيين والمساعدين لهم . . . الخ. فهناك ست مكتبات من بين 17 مكتبة صحفية لا يوجد لديها مكتبيون متفرغون، حيث تقع مسؤولية

هذه المكتبات على عاتق المحررين المساعدين بتلك الصحف، بينما نجد فى صحيفة أخرى أن هناك اثنان من المحررين المساعدين يعملون كمكتبيين بشكل تناوبى أسبوعيًا، بينما يعمل فى مكتبة أخرى مساعد رئيس تحرير الصحيفة، وفى مكتبة أخرى يعمل بها اثنان من مساعدى رئيس تحرير الصحيفة، وفى صحيفة أخرى نجد أن موظف الهاتف هو الشخص الذى يعمل بالمكتبة، وعليه كما يبدو فإن الشخص المسؤول عن المكتبة يؤدى وظيفة مزدوجة فبالإضافة إلى وظيفته العادية يقوم بالعمل فى المكتبة. هذا ولا يوجد مكتبيين مساعدين إلا فى خمس مكتبات صحفية فقط، ففى إحدى مكتبات الأخبار يوجد أربعة موظفين يعملون بوظيفة مساعد مكتبى فى المكتبة الواقعة بجوار حجرة التحرير، وفى مكتبة المراجع الموجودة بالطابق الأرضى.

كما توجد مكتبتان يعمل بها اثنان من المكتبيين المساعدين، بينما لا يوجد مكتبيين مساعدين فى صحيفتين، وعليه كما يتضح جليًا أن الكادر الوظيفى من المكتبيين العاملين فى المكتبات الصحفية بولاية كيرالا الهندية غير ملائم وكاف، حيث أخبرنا أحد المكتبيين بأن الإدارة المسؤولة التابعين لها لا تلتفت أبدًا لطلباتهم بخصوص تعيين المزيد من الموظفين بالمكتبة .

فمن بين أحد عشر مكتبيًا متفرغين للعمل طوال الوقت نجد منهم أثنان فقط مقبولين للدراسة بالجامعة، وسبعة منهم خريجون واثنان يواصلون دراساتهم ما بعد الجامعة، ومكتبى واحد متقاعد عن العمل فى مكتبة عامة. هذا ويوجد ست مكتبيين مؤهلين مهنيًا لديهم شهادات دبلوما أو ماجستير

فى علم المكتبات . وقد بدأ تعيين المكتبيين المؤهلين فى الصحف بولاية كيرالا الهندية منذ عام 1980 م، ولكن تعيين أول مكتبى مؤهل لم يتم إلا فى عام 1983 م .

وقد وجد أن المسؤولين عن المكتبات الصحفية التى لا يعمل فيها مكتبيين متفرغين طوال الوقت، يركزون دائمًا على حاجتهم للمكتبيين المؤهلين والمكتبيين المساعدين، مما يوضح سبب المشاكل الرئيسية التى تعانى منها المكتبات الصحفية .

وفى الـ 17 مكتبة التى شملتها هذه الدراسة وجد أن ست مكتبات لا يعمل بها مكتبيين إطلاقًا وبالتالى فإنه لا توجد سياسة معينة لتجميع واسترجاع المعلومات . وفى خمس مكتبات وجد بها مكتبيين بدون تأهيل مهنى، وعليه فإن أولئك الأفراد غير المؤهلين نادراً ما يتوقع منهم تقديم خدمات مكتبية حديثة . كما لوحظ أن إدارات المؤسسات الصحفية كانت غير مهتمة بإعداد وتعيين مكتبيين مؤهلين .

والخلاصة التى تبدو واضحة جليًا من خلال ما سبق مناقشته فى هذه الدراسة هى أن المكتبيين العاملين فى المكتبات الصحفية هم غير ملائمين إطلاقًا سواء من الناحية النوعية أو الكمية، وهذا له تأثير ضاراً على تقديم الخدمات المكتبية المنظمة والشاملة .

المبنى والتجهيزات المادية Physical Facilities

أن المكتبة الصحفية يجب أن تكون بجوار حجرة الأخبار، كما أنها يجب أن تعمل كجزء متكامل من حجرة التحرير، وقد لوحظ أن المكتبة عادة ما تكون بجوار حجرة الأخبار إن لم تكن حجرة الأخبار ذاتها فى عشر مؤسسات صحفية. وفى مكتبتين ضمن عشر مكتبات صحفية، وجد أن قسم المراجع الذى يشتمل على المجلدات الراجعة من الصحف والمجلات يكون موقعه بعيداً قليلاً عن حجرة الأخبار بحيث يقع فى طابق آخر، مما جعل كثير من الصحفيين غير راضيين عن موقع قسم المراجع بسبب بعده عنهم، هذا وقد وجد أن ست مكتبات فقط من بين المكتبات الصحيفة تقع فى طابق آخر بعيد عن حجرة التحرير بالصحيفة، مما جعل أحد الصحفيين يخبرنا بأنه غير قادر وكذلك زملاؤه على استخدام المكتبة لنفس السبب المذكور أعلاه.

وقد لوحظ أن 14 صحيفة فقط من بين التى شملتها هذه الدراسة قد خصصت بالفعل مكان محدد للمكتبة، ففى إحدى هذه الصحف وجد أن مكتب مندوب التحرير يحتل مكانه فى المكتبة، وفى صحيفة أخرى وجدنا

أن الطابعة قد تم تركيبها بداخل المكتبة وبسبب ضيق الحيز المكانى المخصص للمكتبة وجدنا أن المكتبيين يجلسون فى حجرة تحرير الصحيفة . وقد بلغت مساحة الطابق الذى يشمل المكتبة وقاعة الإطلاع ما بين 72 - 1875 قدمًا مربعًا، وأن من بين المكتبات التى تمت دراستها توجد ثلاث مكتبات مساحتها أقل من 200 قدمًا مربعًا، وأن ثمان مؤسسات صحفية لديها مكتبات تتراوح مساحتها ما بين 200-1000 قدمًا مربعاً، هذا وتوجد ثلاث مكتبات أخرى مساحتها أكبر من 1000 قدمًا مربعًا .

أما عدد المقاعد المخصصة للقراءة فإنه يتراوح ما بين 0 - 8 مقاعد، حيث يوجد ست مكتبات لا توفر مقاعد للقراء، وعليه فقد بلغ متوسط عدد المقاعد المتاحة للقراء فى المكتبات الصحفية للصحف التى شملتها هذه الدراسة ثلاثة مقاعد فقط .

هذا وتزدحم كثير من المكتبات الصحفية بخزائن الملفات، والرفوف وحوامل عرض الدوريات التى تم وضعها فى نفس الحجرة .

وقد لوحظ أن هناك أثنى عشر مكتبيًا أو من الموظفين المسؤولين عن المكتبة بالإضافة إلى نسبة 67.34٪ من الصحفيين قد عبرّوا عن عدم رضاهم عن المبنى والتجهيزات المادية المتاحة فى أغلبية المكتبات الصحفية فى ولاية كيرالا لكونها سيئة وغير ملائمة أبدًا للقيام بالوظائف الأساسية للمكتبة من أجل تحقيق استخدام فعال لمصادر المكتبة .

الخلاصـــة : Conclusion

لقد تبيّن لنا من خلال المناقشة السابقة أن مكتبات مؤسسات نشر الصحف فى ولاية كيرالا تعانى من نقص شديد فى مجال الإدارة العلميةوالتنظيم، وأن المجموعات المكتبية غير ملائمة وغير كافية، وأن الخدمات المكتبية سيئة وأن الكادر الوظيفى غير مناسب وأن المبنى والتجهيزات المادية غير مرضية.

أما العوامل التى تساهم فى وجود هذه المصادر والمبانى والتجهيزات المادية غير الملائمة فى هذه الصحف طبقًا لما يراه المكتبيون فهى :

1- غياب المكتبى الكفؤ .

2- عدم توفر التمويل المادى الملائم.

3- عدم اهتمام الإدارة بالموضوع .

إن غياب المكتبى الكفؤ يعتبر من أهم الأسباب المهمة فى عدم توفر الخدمات المكتبية الفعّالة. أما السبب الثانى والثالث فهما يشيران إلى أن الإدارة لا تقدر أهمية المكتبة للصحيفة، وأن ليس لديها فكرة عن كمية المعلومات التى يمكن الحصول عليها من مصادر المعلومات المكتبية المتوفرة والملائمة .

إن الحالة السائدة فى المكتبات الصحفية بولاية كيرالا تدعو إلى ضرورة الانتباه بعجل لإدارات هذه الصحف، وذلك من وجهة النظر الواقعية

القائلة بأن المكتبة قادرة على التأثير بوضوح على نوعية الصحف، فالمحررون الصحفيون يبحثون دائمًا على وسائل لتحسين نوعية الأخبار فى نفس الوقت الذى بإمكان المكتبة أن تصبح فيه شريك فى هذا البحث فقط، إذا ما تم إعادة تنظيم تجهيزات المكتبة بشكل علمى .

تعريف الأرشيف والمهنة الأرشيفية(*)

مقدمة تمهيدية :

ماذا يقول الأرشيفيين عندما يطرح عليهم السؤال التالى : ماذا تعملون ؟ أنا أصر على القول بأننى أقوم بعمل تشييد الجسور. لماذا ؟ لأنه ولكوننا أرشيفيين فإنه يدخل ضمن مسؤوليتنا التأكيد على القيام بما يلى :

* أبناء العصر الحالى يستطيعون إعادة بناء الأمس.

* أبناء المستقبل يستطيعون إعادة بناء الحاضر.

* أن يكون الأرشيف من الناحية المادية مصونًا ومتاحًا .

إن هذا يعنى أننا كارشيفيين نقوم ببناء الجسور للناس من أجل جعلهم قادرين على الانتقال ما بين الزمان والمكان. وعليه فإن هذا الفصل التمهيدى سوف يركز على المضمون الذى بموجبه يتم تأدية العمل الأرشيفي، فهو لذلك يصف البيئة المحيطة بالمهنيين (الأرشيفيين) والمؤسسات التى من خلالها يستطيعون القيام بأعمالهم وكذلك المبادئ التى يمكن من خلالها بلوغ الأهداف، وعليه فإننا نأمل نقل غاياتنا وحماسناوممارستنا العملية وشعورنا الجماعى إلى حد أنه يجعلك تنضم إلينا :

ما هو الأرشيف ؟

ثمة بعض قد أشاروا إلى لفظة أرشيف Archives، فماذا تعنى هذه الكلمة ؟ أن القائمة (1) سوف تزودك بدون شك بوصف شامل للمفاهيم الثلاثة المتعلقة بلفظة أرشيف، وعليه فإن هذه اللفظة تعنى ما يلى :

1- البرنامج الأرشيفى Archives Program .

2- المؤسسة الأرشيفية أو مبان تخزين المواد الأرشيفية.

The Building Housing The Archives Material

3- المواد الأرشيفية Archives Material .

1- الأرشيف Archives : البرنامج The Program

أن البرنامج الأرشيفى هو عبارة عن أسلوب مختصر يتعلّق بما يلى :

1- ماذا نستطيع أن نفعل ؟

2- كيف يمكننا أن نعمل ذلك ؟

3- لماذا نعمل ذلك ؟

لهذا فإن البرنامج الأرشيفى سوف يتضمن إنجاز العمل الفنى ومعاييره، شكله، أغراضه، مناهجه ـ وكافة ما يتعلق بإدارة وحدة تنظيمية تتطلب مصدر مالي، موظفين، تجهيزات وتوفير كافة الوسائل الملائمة للمهنة.

وبهذا الكتيب نأمل المساهمة بمعرفتنا فيما يتعلق بعملنا الفني، ليس فقط فيما يتعلق بالأهداف والمسؤوليات لكل مجال، ولكن أيضًا المبادئ التى يشملها، والعمليات المستخدمة والقرارات التى نحتاج إلى صنعها والمشاكل التى يحتمل أن تواجهنا فى مجالات عملنا الفنى والتى من بينها : عملية إضافات Accessioning الوثائق، والتقييم Appraisal والترتيب Arrangement والوصف Description، وعليه فإن البرنامج الأرشيفى سيكون حول مدى فعالية الإدارة الأرشيفية فى تأدية هذه الوظائف، بالإضافة إلى أن البرنامج الأرشيفى سيكون حول الإدارة والتى نحتاج إليها فى تسيير البرنامج بنجاح إلى كسب ا لناس وتدبير المال وتوفير كافة الوسائل والتجهيزات .

وعلى الرغم من درجة مقدرة العمل الفنى للبرنامج، فإنه لا يمكن لأى أرشيف تحقيق ذلك بفعالية إذا لم يكن لديه رؤية وتعليمات تكون متابعتها ذات هدف يمكن بواسطته تحقيق ذلك .

إن البرنامج يقصد به أيضًا توجيه الناس، وعليه فإن نجاح البرنامج يعتمد على القرار الذى يتخذه مجموعة متعددة من الناس (وهم الأشخاص الذين يقومون بتوليد المحفوظات ومودعى المحفوظات والمستفيدين منهاوالمستشارين ورجال المال) فإذا تمت معاملتهم بحرص وتم إقناعهم بأهداف البرنامج وإدارته، فإنه سوف يكونون وسيلة لضمانة نجاحه .

إن احتياجات البرنامج يجب أن تكون مفهومة من قبل المهنيين والإداريين والمحيط المالى والتى من خلالها يستطيع تأدية وظائفه وكذلك

كافة التغيرات التى قد تطرأ على المحيط المالي. وعليه فإن البرنامج الأرشيفى ينبغى أن يقوم على تفكير سليم، ومبادئ سليمة وبحث علمي، وذلك من أجل ضمانة خدمة أغراضها المشتركة وخدمة المستفيدين والإداريين التابعين لها.

ومن خلال القائمة رقم (1) فإن الأرشيف يعنى :

1- المحفوظات غير الجارية لمنظمة أوهيأة أو فرد، والتى تم اختيارها من أجل الحفظ بسبب استمرارية قيمتها.

2- المستودع أوا لمبنى (أو جزء من ذلك) الذى يتم فيه تخزين المواد الأرشيفية.

3- وكالة مسؤولة عن اختيار وحفظ وتوثيق المواد الأرشيفية وجعلها متاحة للإطلاع.

ـ الأرشيف : دار الأرشيف Archivies : The Building

أن المفهوم الثانى للفظة أرشيف قد استخدمت للدلالة على المبنى أو جزء من المبنى الذى يتم تخصيصه لتخزين الموارد الأرشيفية أو على المساحة المخصصة لذلك الغرض أيضًا.

أن الهدف الأول من التجهيزات الأرشيفية هى ضمان الحماية المادية للمواد الأرشيفية التى تم تخزينها بالفعل، وعلى كل حال ينبغى تخصيص مساحة من المبنى للعاملين بالإضافة إلى مراعاة أن يكون استخدام المحفوظات وفقًا لأقصى استخدام للمساحة المتاحة وذلك من أجل تيسير تدفق العمل.

أن المواد الأرشيفية تحتاج فى الواقع إلى الحماية. فهى تحتاج إلى حمايتها من العوامل البيئية (خاصة إذا كانت تلك العناصر ملوثة) وأية تغيرات شاذة تنتج عنها سواء بسبب الحشرات أوا لحيوانات أو بسبب إهمال الأفراد أو حقدهم. وعليه فإن المبانى الأرشيفية ينبغى أن تكون وفقًا لبعض الشروط الخاصة، ولهذا فإن نوعية المواد المطلوب حمايتها والمال المتوفر سوف يقرر حجم ومستوى الإلمام بشؤون طراز البناء المناسب للمبنى. أن النماذج المعمارية الرائعة للمبانى الأرشيفية هى تلك التى يتم الموافقة عليها بواسطة الوكالات الأرشيفية الوطنيةوالرسمية، وعلى كل حال يجب أن نتذكر أنه يمكن مع التخطيط والتفكير جعل كثير من المساحات فى المبانى الموجودة ملائمة بحيث يتم تعديلها لاستخدامها ما دمنا لا نستطيع تشييد مبان خاصة .

ـ الأرشيف : المحفوظات Archives : The Records

منذ عدة سنوات مضت بدأ الباحث محاولة فهم كثير من الأرشيفات الحكومية محاولاً تناول محفوظات إحدى الجمعيات الأسترالية، هذا وقد عمل الباحث على تطوير الدستور الاسترالى والذى كان نتيجة للمداولات فى كثير من الجمعيات والتى نتج عنها ممثلين لكل الجاليات المجتمعة، وعليه فقد برهنت التحقيقات الأولية أن المحفوظات لم تكن تحت الوصاية الأرشيفية Archival Custody وعليه فقد تمت الاتصالات مع المكتب الحكومى المسؤول من أجل التحقق من السبب الذى جعل عدم ترحيل مثل

هذه المحفوظات ذات القيمة الهامة إلى الوصاية الأرشيفية Archival Custody .

وقد أشار بعض الموظفين من إحدى الوكالات الحكومية التى كانت تقوم بتخزين المواد الأرشيفية فى القبو، قائلا : نعم. . بالطبع لقد أخذناهم ! إن تصرف الموظفين هذا يشير إلى أنه سوف لا يكون ممكنًا استخدام هذه المحفوظات فى المعاملات التجارية بعد مضى مائة عام، ولكن الموظفين أجابوا بكلمة « لا » ولكن كمعاملة خاصة فنحن دائمًا نقوم برعايتها ! .

إن الصفات التى تشترك فيها المحفوظات العادية مع بقية المواد الأرشيفية الأخرى هي :

1- تستحق بجدارة الحفظ الدائم وذلك بسبب كونها ذات عوامل جوهرية معينة ـ نظرًا لأهميتها فى إيجاد المبررات الإدارية والتاريخية.

2- إن توليدها يتم خلال مجرى الأعمال بصورة طبيعية لأى منظمة أو مؤسسة ،إلا أنها لا تكون مطلوبة لمدة زمنية طويلة لإدارة أعمال تلك المؤسسة أو المنظمة التى كانت قد نشأت عنها بفاعلية .

لقد أشار السير هيلارى جينكينسون Sir. Hilary Jenkinson بإيجاز بارع إلى تعريف مميزات خواص الأرشيف كما يلى :

الأرشيف عبارة عن وثائق تراكمت خلال المجرى الطبيعى لتأدية الأعمال العامةأو الخاصة وفى أى وقت حيث تحفظ للاسترجاع تحت

وصـايتهـا، بواسطة أولئك الأشـخاص المسؤولين عن الأعـمال التى نحن بصددها أو خلفاؤها الشرعيين.

إن المؤسسات والأفراد هم من يقوم بتوليد وحفظ المحفوظات ،وعلى سبيل المثال : نحن نوثق حياتناوشؤوننا بواسطة كتابة الرسائل واليوميات وتسجيل أفكارنا على أشرطة الكاسيت، فنحن نحافظ على قائمة وجبات الطعـام وتذاكـر الحـافـلات وبطاقـات البـريد، كـمـا نحـتـفظ أيضًا بدفـاتر الشيكات، وكتيبات البنك وكشوفات حساب ضريبة الدخل، كما نقوم بإدخار التقارير المدرسية وشهادات الميلاد والزواج، كما أننا نقوم بتسجيل اللحظات الهامـة بواسطة التقـاط الصـور الفوتـوغرافـية أو بعـمل الأفـلام والفيديو .

وبالمثل نجد أن الحكومات والمؤسسات التجارية والمنظمات لديها تشريعـات وإدارات ماليـةوموظفين ومحفـوظات إدارية والتى من الممكن أيضًا أن تكون ذات أشكـال متعددة مثل السجلات Registers، البطاقات Cards، الأشكال الميكروفيلمية، وملفات الحاسوب Computer Files .

فسواء تم توليد الوثائق بواسطة الأفـراد أو المؤسسات، فإن هذه الوثائق وأشرطة الكاسيت والأفلام والصور والرسومات الهندسية والمستخرجات المطبـوعة فإنها لا تكون كلها جديرة بالحفظ الدائم باعـتبارها كـأرشيف. وحسب تقديرات الأرشيفيين فإن حوالى 90٪ إلى 95٪ من المحفـوظات التى تم توليدها يجب إتلافها فوراً بمجرد زوال أهميتها فى إدارة الأعـمال التجارية وتحقيقها للقيم الأخرى، والتى على سبيل المثال : المتطلبات الحكومية

والقانونية والمالية. أما بقية المحفوظات والتى تتراوح نسبتها ما بين 5٪ إلى 10٪ فإنها تمثل الأرشيف، وبناء على هذه الآراء يمكننا القول بأن جميع الأرشيفات هى عبارة عن محفوظات على الرغم من أن ليس كل المحفوظات تعتبر أرشيف.

وعادة لا يتم ترحيل الأرشيف (المواد الأرشيفية) لتكون تحت العناية أو الوصاية الأرشيفية إلا بعد أن تصبح غير ذات أهمية فى تسير الأعمال اليومية بالمؤسسة الأم .

ومع ذلك فإنه لا يكون ذو أهمية تعريف هذه المحفوظات أو المواد باعتبارها أرشيف. أن العناية بالمحفوظات يجب أن تبين من خلال طريقة توليدها، وعلى سبيل المثال : استخدام نوعية الورق والأفلام للأرشيف، تلك النوعية التى يجب أن تكون ملائمة للتخزين و التأثير على المستفيدين أثناء استخدامها كمواد أرشيفية.

أن توليد المحفوظات يتم فى أشكال وأحجام وأنواع متعددة، وبسبب أن الأرشيف هو عبارة عن تلك المحفوظات التى تم حفظها بصفة دائمة فقد نتج عن ذلك أن الأرشيف سيكون فى جميع الأحجام والأشكال والأنواع، فعلى سبيل المثال : فإن الأرشيف سوف يشمل الرسومات والنشرات والملصقات والملفات والرسومات البيانية، والحافظات والاضبارات الورقية والصور الفوتوغرافية والفواتير، الأشرطة الممغنطة والأفلام.

أن تعدد أشكال الأوعية التى تم بواسطتها تسجيل المعلومات أو توصيلها يقود المرء إلى التعجب والتساؤل : « فهل يعتبر الأرشيفيين أى

شيء جدير بالحفظ الدائم ؟ ماذا حدث لدائرة ادموند بارتون عندما تم ترحيل أرشيفها إلى المكتبة الوطنية ؟

وأين يمكن أن تذهب مضارب التنس وميداليات رود لافير إذا ما تم نقل الأرشيف الخاص به إلى مكتبة جون أوكسلى ؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات ستكون بدون شك من اختصاص المهتمين بتلك الموضوعات أو الأشياء المادية. أن هذه الوحدات الأرشيفية (الصور، الخطابات والمذكرات . . . الخ.) عادة ما تكون نادرة، هشة ومعقدة. فهى تحتاج إلى مزيد من العناية الخصوصية وظروف التخزين، بالإضافة إلى أنها تتطلب خبراء فى تفسيرها والتحكم فيها. وعليه فمن الأفضل وضعها تحت وصاية المهنيين وفى هذه الحالة يكون أمناء المتاحف أفضل من يوفر لها تلك العناية. وعندما نقوم بوضع الترتيبات لوضع هذه المواد تحت وصاية مؤسسة أخرى يكون حيويًا جدًا للوثائق الربط ما بين المواد الأرشيفية والمواد المادية المصنعة وذلك من أجل إيجاد اتفاق بموجبه يتم إعارة المواد المادية المصنوعة لغرض عرضها فى المعارض .

لماذا نحتفظ بالمواد الأرشيفية ؟ Archives - Why do we keep them ?

أن السبب الجوهرى لحفظ الأرشيف (المواد الأرشيفية) يكمن بأنه يخدمنا كذاكرة. وتمامًا كما لو أن الأفراد يصابون بالخلل الوظيفى بدون الذاكرة، فإن المنظمات أو المؤسسات تصبح أيضًا مصابة بذلك الخلل بدون ذاكرة أرشيفية فهى لن تستطيع أن تبدى وجهة نظر بدون ذاكرة أرشيفية تعتمد عليها كقاعدة انطلاق فى تخطيط سياستها، وعليه لا يمكنها أن تتجنب تكرار

الأخطاء التى كانت قد وقعت فيها حيث لا توجد خبرة أو معرفة باستثناء ما يتذكره الناس. هذا ويفترض خطأ عدم وجود أسلوب يثبت عنونتها أو ملكيتها أو تفسير نشاطها، لهذا فإن مزيداً من البحث والنشاط مطلوبة لإعادة بناء المعلومات المفقودة يمكن أن تكون ذات قيمة باهظة جداً، هذا إذا ما تم عملها جميعًا ـ أن هذا هو السبب الذى يجعلنا نحتفظ بالأرشيف.

كما أننا نحتفظ بالأرشيف أيضًا لأسباب أخري رئيسية يمكن أن نسميها أسباب تاريخية أو ثقافية بالإضافة إلى الأسباب المالية والإدارية ، وعلى سبيل المثال : نجد أن أرشيف شركة ويست باك بنك (سابقا بنك نيو ساوث ويلز) يعتبر من المصادر الحيوية للشركة ، بالإضافةإلى أن أرشيف ويست باك أيضًا يكوّن جزءًا من الذاكرة القيمة للأمة باعتباره من أقدم المؤسسات المالية في البلاد الذي لعب دورًا هامًا في تطوير أستراليا ، ومن ثم فإن جميع الأرشيفات تساهم في هذه الوظيفة المزدوجة ، فهي بالإضافة إلى كونها مصدر جوهري لأولئك الذين قاموا بتوليدها فإنها توفر الشواهد للأعمال الهامة خلال ساعات العمل الإضافية للجماهير العريضة .

المبادئ الأرشيفية : Archival Principles

هناك شعورجدير بالملاحظة مفاده أن المواد الأرشيفية الفريدة التي تمتلك قيمة برهانيةوالتي تمت معالجتها قادت علماء الأرشيف من أصحاب النظريات مبكرًا إلى تأسيس مبدأين تم وفقًا لهما تأسيس العمل الأرشيفي . هذا وسوف لن نتعرض إلى الترتيب Arrangement والوصف Description

هنا ، ولكن على كل حال فإن هذا لا يمنعنا من تقدير القوى التي قادت العمل الأرشيفي ، كمسؤوليات الأرشيفيين والنزاع الأساسي لآراء الأرشيفيين وغيرهم من الأمناء المهنيين على سبيل المثال : أمناء المتاحف والمكتبات .

إن المبادئ الأرشيفية هي مبدأ المنشأ Provenance ومبدأ احترام الترتيب الأصلى Respect for original Order . أن مبدأ المنشأ يشترط أن أرشيف أي منظمةأو أي شخص يجب أن يتم خلطه أو ضمه إلى أرشيف آخر ، وعليه فإن علي الأرشيفي الذي يشرف على محفوظات ووتير سايد وجمعية فوريمانوستيفي دورز أن لا يقوم بدمج محفوظات تلك المؤسسات معًا علي الرغم من كونهما نقابات عمال اتحادية ، يعملان في نفس المجال ، وأن كلاهما تقوم بتوليد محفوظات مماثلة، على سبيل المثال: محفوظات العضوية، محفوظات المناقشات والتحكيم والمحفوظات المالية ومحاضر الجلسات .

أما مبدأ احترام الترتيب الأصلى Respect for Original Order فيشترط أنه يجب أن يحتفظ بالترتيب الذى أجرته المؤسسة أو الشخص الذى أحدثه، وبموجبه يتم احترام وحفظ المحفوظات المراد استخدامها، وعليه ينبغى عليك المحافظة على الترقيم الرمزى الأصلى الذى تم بموجبه إيداع الملفات المستلمة تحت الوصاية الأرشيفية لأنه يعتبر جوهريًا الاستبقاء على ترتيب الملفات وفقًا للترتيب الأصلى، لأنه سوف لن يكون ذو أهمية ترتيبها الفبائيًا وفقًا لأسماء مميّزة وذلك من أجل تسهيل الإطلاع عليهما، خاصة وأنها

كانت فى الواقع مرتبة رقميًا وتستخدم رقميًا بواسطة الذين قاموا بتوليدها عليه يشترط الاحتفاظ بها وفقًا لتلك الأسلوب تحت الوصاية Archival Custody .

أن فهم الترتيب الأصلى وتفسير القرائن واستخدام وضع المحفوظات بالإضافة إلى تأكيد الهوية الأرشيفية يتطلب ممارسة مهارات مهنية .

إذن . . لماذا يكون التقيد بهذه المبادئ الأرشيفية هامًا ؟ لأن الأرشيفات تكون مفردة وموادها عضوية بخواصها الأثباتية والمعلوماتية . فهذه المبادئ قد تم تصميمها لصيانة هذه الخواص الجوهرية للمواد الأرشيفية، أن هذا يعنى أن الأرشيف تحت الوصاية سوف يظل يستخدم بواسطة أولئك الذين قاموا بتوليده بسبب أن نظام التحكم فى المواد الأرشيفية سليمًا لم يطرأ عليه أى تغيير، بالإضافة إلى أن الأجيال اللاحقة من الباحثين سوف يستطيعون استرجاع المواد الأرشيفية فى حالتها الأصلية، حيث تساعدهم على القيام بالتحليل والاستدلال بالإضافة إلى تفسيرها بأنفسهم .

الأرشيف والمهن المتصلة به :

مدراء المحفوظات ـ أمناء المكتبات ـ أمناء المتاحف .

إن أمناء المتاحف ومدراء المحفوظات وأمناء المكتبات والأرشيفيين معًا يسترشدون بمبادئ فنية مختلفة، فهم يتعاملون مع مواد مختلفة من حيث التعبير عن أصولها ومميزاتها .

فإذا كانت حياة المحفوظات قد تم رسمها بسلسلة متصلة مما يبين بوضوح كيفية ارتباط الأعمال التى يقوم بها مدراء المحفوظات والأرشيفيين، حيث يقوم مدراء المحفوظات بتصميم برامج لإدارة المحفوظات وذلك من أجل توفير نظام لمراقبة التحكم يكون اقتصاديًا وذو فعالية على توليد المحفوظات وتوزيعها وتنظيمها وصيانتها واسترجاعها واستخدامها وحمايتها وحذف المحفوظات غير النشطة للمؤسسة، فالأرشيفيون يعتبرون أوصياء على تلك الأقسام من نظم محفوظاتهم (مهما كانت أشكالها) الجديرة بالحفظ المستديم .

أما المكتبيون فإنهم عادة يقومون بعملية التزوّد بالمواد المنشورة بواسطة الشراء، تلك المواد التى تكون بطبيعتها غير مفردة ومن ثم فيمكن استبدالها، فالمواد المكتبية يمكن أن تكون متعددة الأشكال والتى عادة ما يكون الهدف من الحصول عليها خدمة الجمهور ،وعليه فإنه يجب أن يكون للمكتبة المحلية ومكتبة المستشفى ومكتبة الجامعة سياسة اقتناء مجموعات مختلفة. كما يسعى المكتبيون إلى تنظيم والتحكم فى المواد التى تضمها مجموعاتهم، وذلك من خلال استخدام نظام تصنيف مقرر سلفًا، مثل : تصنيف ديوى العشرى (DDC) والذى يتيح تصنيف مواد المجموعات المكتبيةوفقًا للموضوع لجميع المعلومات وتطبيق التصنيف المناسب. فالرقم المخصص للمادة(الوحدة) يدل على موقع «عنوانها» على الرف بالإضافةإلى أنه يرمز إلى ثمة شىء حول محتوياتها. و كما هو معتاد يتعاملون مع مواد متماثلة تمامًا وعلى سبيل المثال : يوجد لديها مؤلفون وناشرون وعناوين. فهم بذلك لا يحتاجون إلى مزيد من الفحص من أجل تقرير ترتيبها

الداخلي . وتوجد هناك ميزتين هامتين لعمل أولئك تكون ذات صلة بكيفية الوصول واستخدام المجموعات .

فالقراء ربما يقومون باستشارة الفهارس لتحديد الموضوعات ذات الاهتمام، ولكن مع ذلك فإنه لربما يقومون أيضًا بالإطلاع غير المحدود على المجموعات المكتبية وذلك من أجل اختيار الموضوعات ذات الاهتمام والتى ربما يقومون باستعارتها ونقلها من مبانى المكتبة .

أما أمناء المتاحف فنجدهم يسعون فى الحصول على الاشياء المادية والمصنوعات الإنسانية وغيرها من الوثائق ذات الصلة التى يمكن أن تلقى الضوء على خصائصها واستخدامها وأهميتها . هذه الأشياء المادية أو المصنوعات الإنسانية يمكن أن تكون مفردة (وحيدة) فهى على سبيل المثال : النموذج الأصلى لدوران المحرك، أو ربما نماذج شائعة تعتبر هامة للحياة اليومية لتلك العصر وهى على سبيل المثال : كالهاتف (التليفون) . ومن ثم فإن أمناء المتاحف يسعون الحصول على المواد ذات العلاقة والتى سوف تعكس دور مؤسساتهم وأهدافها . وعلى سبيل المثال : نجد أن متحف التعدين ومتحف الفنون والتاريخ الاجتماعى يجب أن يكون لكل منها أهداف مختلفة وأدوار وروّاد وسياسة تجميع مختلفة أيضًا .

ويسعى أمناء المتاحف أيضًا إلى التحكم فى المواد فى مجموعاتها، بحيث يقومون بترتيب تلك المواد بتخصيص رقم مفرد لكل مادة فى المجموعة، بحيث لا يعكس ذلك الرقم بالضرورة أى شيء يتعلق بموقع أو الخصائص المميزة للمادة - فهو من الناحية التقنية يقوم بربط المادة بالعمل الورقى الموجود حولها .

وتشير القائمة رقم (2) ما هو الفرق ؟ ما بين السجلية والأرشيف والمكتبات والمتاحف، حيث تقوم بإيجاز تلك الأختلافات والتماثل الموجود ما بين أعمال تلك المهن الأربع، بالإضافة إلى المهارات والخبرات والمبادئ التى يعتمد عليها أصحاب تلك المهن فى تأدية مختلف الأعمال التى يقوم بها فى مجال مهنته. فحيث لا يكونوا مختلفين لكن كل منهم حاميًا للمواد تحت الوصاية ومراقبًا للمواد فى الوصاية الأرشيفية ووسيطًا ما بين المجموعةوالمستفيد .

قائمة رقم (2) ما هى مميزات الاختلاف ؟

	السجلية Registries	الأرشيف Archives	المكتبات Libraries	المتاحف Museums
(1) بماذا تعتنى ؟	توليد والتحكم فى المحفوظات النشطة الضرورية لتسيير الأعمال	حفظ المحفوظات غير النشطة التى تم اختيارها للحفظ المستديم والتى فى العادة تكون غير منشورة ومفردة (تكون فى أشكال متعددة) .	المواد المنشورة (التى يمكن أن تكون فى أشكال متعددة مثال : الفيلم والميكروفيش والكاسيتات) غير المفردة .	الأشياء والمواد المصنوعة (المرتبطة بالتوثيق)والتى يمكن أن تكون أو لا تكون مفردة
(2) كيف يتم ترتيب المواد ؟	يكون ترتيب المواد وفقاً لنظام ترتيب وتحكم يتم اختيارهما أو ابتكارهما أو فرضهما بواسطة مدراء المحفوظات .	مقررة بواسطة من قام بتوليد المحفوظات .	وفقًا لخطة تصنيف مقررة سلفًا (مثل خطة : تصنيف مكتبةالكونجرس) .	الترتيب لا يكون ذو أهمية بقدر ما يكون التحكم فى محتويات المتحف .
(3) من الذى يقوم باستشارة المواد ؟	يقوم العاملين بالمؤسسة باستشارة المحفوظات	أن هذا يعتمد على سياسة الأرشيف ، (مثال :	أى عضو من جماعة المكتبة (مثال : أى تلميذ أو	أى فرد من أفراد الجمهور .

	السجلية Registries	الأرشيف Archives	المكتبات Libraries	المتاحف Museums
	اللازمة وذلك من أجل تأدية أعمالهم .	العلماء الجادين فقط أو أى شخص ما فوق18 عامًا) وكذلك وفقا للشروط التى يتم وضعها بواسطة المودع أو الواهب .	مدرس فى المكتبات المدرسية)	
(4) كيف يمكن أن تجد ما تبحث عنه؟	يحتفظ مدراء المحفوظات بالفهارس والسجلات وغيرها من معينات الايجاد لاستشارتها من أجل تقرير المواد المعنية .	يتم ذلك من خلال استشارة الأدلة وقوائم الجرد وغيرها من قوائم تنظيم الوثائق الأخرى المتاحة للباحثين .	بواسطة استشارة الاسم والموضوع بالفهرس أو من خلال استعراض المواد على الرفوف .	يمكن فحص فقط ما هو موجود فى المعرض أو باديًا للعيان .
(5) أين يمكن استشارة المواد ؟	المواد يمكن أن تنقل من السجل ويعهد بها إليك .	فى قاعة البحث بمبنى الأرشيف وتحت الإشراف .	فى مبانى المكتبات أو فى أى مكان ترغب إذا ما قمت باستعارتها من المكتبة .	فى صالات العرض أو فى ساحات المعارض .

	السجلية Registries	الأرشيف Archives	المكتبات Libraries	المتاحف Museums
(6) ماهية أهدافها .	إيجاد تحكم منظم اقتصادى ذو فعالية واسترجاع المحفوظات اللازمة لتسيير الأعمال .	حماية المواد الأرشيفية وقيمتها الأثباتية والمعلوماتية .	تخصيص المبانى المناسبة وتوفير مجموعات شاملة كماينبغى ، بحيث يتم حفظها والتحكم فيها واستخدامها بفعالية .	تجميع وحماية الأشياء المختارة من أجل الجمهور
(7) لماذا نقوم بزيارتها؟	من أجل القيام بواجباتنا .	من أجل إثبات الإجراءات والتصرفات ودراستها والقيام بالبحوث وكذلك من أجل المتعة .	لأغراض تربوية وترفيهية .	لأسباب تربوية أو جمالية أو ترفيهية .
(8) من الذى يقوم برعاية المواد ؟	مدراء المحفوظات .	الأرشيفيون	المكتبيون	مدراء المتحف

المهنة الأرشيفية : The Archival Profession

لقد اهتمت المعاهد والناس بالأرشيف فى استراليا منذ حوالى قرن من الزمان، وعلى كل حال فإن المهنة الأرشيفية لا زالت تبدو حديثة نسبيًا. حيث لم يحدث سوى ثلاث أحداث هامة فى مجال المهنة خلال الثلاثة عشر عامًا الماضية، أولهما كان عبارة عن منح شهادة الدبلوم فى إدارة الأرشيف بواسطة جامعة نيوساوث ويلس New South Wales عام 1973 م باعتبارها مهنة معترف بها لتأهيل الأفراد الراغبين فى العمل كأرشيفيين. أما الحدث الهام الثانى فهو تأسيس جميعة الأرشيفيين الأستراليين ACA فى عام 1985م. واعتبارها هيأة استشارية للمعاهد الأرشيفية.

أما الجمهور الأرشيفى فهو قليل جدًا، أما تحدياتنا فهى كثيرة، حيث يوجد ازدياد فى كمية المواد الأرشيفية التى قد تم توليدها. أما المبادئ والأخلاقيات الأرشيفية فقد تم إخضاعها لمزيد من التدقيق. هذا كما يوجد تغيرات سريعةومعقدة قد حدثت فى أسلوب تدوين المجتمع للمعلومات. بالإضافة إلى إدراك واسع للأرشيف لدى الجمهور مما نتج عنه ازدياد استخدام المواد الأرشيفية.

أن كل من هذه العناصر أدت إلى زيادة الضغط على الخدمة الأرشيفية والوقت والمبادئ والإجراءات. وكما فى أى مهنة أخرى فإن المرونة والبراعة مطلوبة لدى أعضاء المهنة الأرشيفية من أجل التغلب على تلك الضغوط، وعليه فإنه ينبغى تأهيل بعض الأفراد وذلك من أجل مساعدة الأرشيفيين المهنين وذلك من خلال تنمية مهاراتهم ومعارفهم وخبراتهم، وهذا يعتمد بدون شك على ر غبة أولئك الأفراد فى التعليم تلك الرغبة التى تعتبر جوهر أساسى شخصيًا أو مهنيًا بالإضافة إلى أنها تعتبر ذات فعالية لكثير من المؤسسات الأرشيفية الأسترالية .

قائمة رقم (3) أين استطيع أن أتعلم ? Where Can I Learn

أين Where	كيف HoW	لماذا Why
(1) أدبيات المهنة.	الكتب ـ المجلات ـ المؤتمرات ـ النشرات التمهيدية ـ محاضر الجلسات .	⟸ لتعلم كافة ما يتعلق بالنظرية والممارسة العملية والتاريخ . ⟸ للحصول على الأفكار ⟸ قراءة الحجج التاريخية ، ومشاهدة الأمثلة من أجل الإحاطة المستمرة .
(2) الروابط المهنية	الاجتماعات ـ حلقات النقاش (السيمينار) وورش العمل ـ المؤتمرات .	⟸ لمقابلة الزملاء ⟸ لتعليم التقنية . ⟸ لمناقشة المشكلات . ⟸ لاتخاذ موقف حول المنشورات المهنية .
(3) الزملاء فى المؤسسات أخرى	الزيارات ـ المناقشات .	⟸ لمناقشة القضايا العامة . ⟸ لتطوير شبكة التعاون . ⟸ لتبادل الأفكار .
(4) المؤسسات ذات الصلة .	الزيارات ـ الاجتماعات ـ التدريب ـ المنشورات ـ (مثال : النماذج ، الأدلة ، الموجزات الإرشادية والنشرات) .	⟸ لفحص التجهيزات والنظم . ⟸ لمناقشة المناهج ⟸ لتعلم الإجراءات .
(5) المؤسسات من الدرجة الثالثة	الدراسة الرسمية	⟸ للحصول على تدريب شامل . ⟸ للحصول على اعتراف مهنى

أنماط الوكالات الأرشيفية فى استراليا :

لقد سبق وأن ناقشنا الأرشيف والمحفوظات، أما الآن فدعنا نلقى نظرة على الأرشيف والمنظمات التى تقوم برعاية المحفوظات .

توجد سلسلة واسعة من المؤسسات الأسترالية تحتفظ بالأرشيف. هذه السلسلة تندرج من السلطات الأرشيفية الفيدرالية، الولاية والحكومة المحلية، إلى مستودعات المحفوظات وأرشيفات الجامعات والمدارس والكنائس وأرشيفات الأعمال التجارية وغيرها من أرشيفات القطاعات الخاصة، أن أغلبية هذه الوكالات الأرشيفية قد تم إدراجها فى قوائم بالإضافة إلى تبويب محتوياتها فى منشورات صدرت بواسطة جمعية الأرشيفيين الاسترالية المتحدة بعنوان :تراثنا : دليل مستودعات الأرشيف والمخطوطات فى أستراليا :

Our Heritage A Directory to Archives and Manuscript Repositories in Australia .

على الرغم من وجود المؤسسات الأرشيفية المختلفة فى استراليا، من حيث محتوياتها أو مجموعاتها إلا أنه يمكن تقسيمها إلى أنماط :

- طبيعية أو فى داخل المؤسسة (وهذا يعنى أن الأرشيف يقوم فقط بتجميع محفوظات المؤسسة الأم) .

- التجميع (وهذا يعنى أن الأرشيف يقوم بتجميع المحفوظات من عدد من المصادر ذات العلاقة بالإقليم / الموقع، الموضوع، النشاط، أو وفقًا لشكل معين مثل : (الافلام) .

- يضم مما سبق أعلاه .

ويعتبر أرشيف بروكين هيل (BHP) كمثال على النمط الأول من المؤسسات الأرشيفية ، فهذا الأرشيف هو عبارة عن وحدة فى الشركة حيث يقوم بالوصاية على جميع محفوظات الشركة وفروعها فقط ، أما أرشيف الأعمال التجارية والعمل ، فهو مثال لمؤسسة تقوم بتجميع أرشيفات هيئات أخرى ، والتى تكون محتوياتها ليس محفوظات الجامعة الأسترالية الوطنية ، أرشيف ا لمؤسسة الأم ، لأن أرشيف الأعمال التجارية يقوم باقتناء محفوظات الأعمال التجارية ، والتجارة و العمالة والجمعيات والاتحادات المهنية .

أما النوع الأخير من المؤسسات الأرشيفية التى تم تحديد هويتها ، فهو عبارة عن الأرشيف التى تتكوّن محتوياته من كل المواد الطبيعية والمتراكمة فهو عبارة عن خليط من النوعين المشار إليهما ، والتى يعتبر خير مثال لها مكتبة ج .س . باتى J.S. Battya لتاريخ غرب استراليا . فهذه المكتبة هى عبارة عن وكالة لحكومة ولاية غرب أستراليا والتى أصبحت عبارة عن مستودع لأرشيف الولاية الرسمى . بالإضافة إلى أنها تقوم بتجميع أرشيفات الأعمال التجارية والمدارس والكنائس والأفراد . وتشير القائمة رقم (4) إلى أنماط محتويات بعض المؤسسات فى أستراليا .

هذا ويقتصر الملحق الأول على إدراج قائمة بالمؤسسات الرئيسية ذات الارتباط بالمعلومات .

قائمة رقم (4) من يقوم بحفظ الأرشيف فى أستراليا ؟

الجهة المسؤولة	أمثلة
حكومة الكومنولث	الأرشيفات الأسترالية (المكاتب الإقليمية فى جميع الولايات والأقاليم) كما تحتفظ بعض المؤسسات التابعة للكومنولث بأرشيفاتها . ومنها على سبيل المثال : ريزرف بنك واتحاد الإذاعة الاسترالية .
الجامعات والكليات .	أرشيف جامعة كوينس لاند .
الحكومات المحلية .	أرشيف مجلس مدينة مالبورن .
الكنائس .	أرشيف كنيسة لوثر .
المدارس .	مدرسة كنج فى براماتا وكلية السيدات فى كيو .

(هذا وتوجد جهات أخرى عديدة تقوم بحفظ الأرشيف فى استراليا لم يتم الإشارة إليها ، بالرغم عن أنها مذكورة فى دليل مستودعات الأرشيف والمخطوطات فى أستراليا) .

فإذا كنت أنت أو المؤسسة التابع لها قد قامت بتأسيس أرشيف أو أنك قد أصبحت أخيراً تتحمل مسئولية إحداهما ، عليه ينبغى عليك إدراك أهمية التعاون مع بقية المؤسسات الموجودة التى تقوم بتجميع ورعاية الأرشيف .

إن الأرشيفات الرسمية والحكومية يتم حفظها من خلال أنواع الحكومات الثلاث، الفيدرالية والولاية والمحلية. أما الشركات والمؤسسات والأفراد فقد تحتفظ بأرشيفاتها أو تقوم بإيداعها فى إحدى المؤسسات التى تقوم بتجميع الأرشيف.

كما ينبغى عليك معرفة الأهداف وأشكال المراجع ومدى قدرة المؤسسات وفقًا للمستويات الأربع التالية :

- المستوى الوطنى .
- مستوى ولايتك .
- مستوى عاصمتك.
- مستوى المحلة التابع لها .

إن هذه المستويات الأربع المشار إليها تساعدك بدون شك فى تحديد برنامج أرشيفك من خلال علاقته ببقيتة الأرشيفات الأخرى، كما أنها تساعدك فى تخمين بكل وضوح المساهمة الاستثنائية التى يمكن القيام بها. هذا وتعتبر المصادر المخصصة للأرشيف قليلة جدًا فسواء كانت تلك المصادر عبارة عن الأعمال المنسوخة (المزدوجة) والتى قد تم بالفعل القيام بها أن تلك التى يمكن التشارك فيها، حيث يوجد أكثر من عمل يمكن التشارك فيه بواسطة جميع المؤسسات .

المشاركة الأرشيفية : The Archival Partnership

يعتبر الأرشيفيون مسؤولين أثناء المفاوضات التى بموجبها يتم إيداع المواد الأرشيفية، بالإضافة إلى توثيق المواد التى يتم إيداعها وذلك من أجل تيسير تداول المواد والخدمات المرجعية للمواد المودعة بالإضافة إلى ضمان الحماية الطبيعية للمواد المودعة. وبناء على ذلك ينبغى على الأرشيفى الدخول فى علاقة مع كل من :

1- الواهبون / المودعون.

2- المستفيدون.

3- المواد الأرشيفية.

4- المؤسسة التابع لها.

5- مؤسسات وكليات أرشيفية أخرى.

على أصحاب المهنة الأرشيفية أن يكونوا على دراية تامة بحقوق الأفراد فيما يتعلق بالسرية التى عادة ما تكون متعارضة مع حقوق الأفراد فى حق المعرفة. كمايجب على الأرشيفيين أن يكونوا مدركين لاحتياجات المجموعة التى غالبًا ما تكون متعارضة أيضًا مع خصائص مؤسساتها فى إتاحة المواد الأرشيفية أو الأرشيف .

إن هذا التشدّد المهنى والمسؤوليات تعتبر معروفة لدى جميع الأرشيفيين، بالإضافة إلى أن الأرشيفيين ملزمين أمام جميع الفئات الخمس المشار إليها أعلاه وكذلك نحو مهنتهم.

ولهذه الأسباب فإن على الأرشيفيين أن يقوموا بصياغة مجموعة مبادئ أخلاقية. أن الحاجة إلى مبدأ أخلاقى للمهنة فى أستراليا قد تم الاعتراف به بواسطة مجلس الجمعية الأرشيفية الأسترالية خلال عام 1984 م وأن العمل على رسم بنوده لا يزال جاريًا .

قائمة رقم (5)

مبادئ الأخلاقية الأرشيفية ـ ثمة قضايا جديرة بالاهتمام

ملاحظة : أن النقاط التالية لا تمثل لائحة المبادئ الأخلاقية الرسمية. ولكنهاعبارة عن إيضاح للمعايير الأخلاقية للأرشيفيين ينبغى الإقتداء بها عمليًا أثناء قيامهم بمسؤولياتهم العديدة مهما كانت طبيعة وحجم المؤسسة التى يعملون بها .

مسؤوليات الأرشيفى	مثـــــــال
نحو المواد الأرشيفية	ـ ضمان الحفظ المستديم للمحفوظات الموجودة تحت رعايتهم والتى تم اعتبارها أرشيفية . ـ العمل من أجل الدفاع معنويًا وماديًا عن الأرشيف .
نحو صاحب العمل	ـ الالتزام بقوانين المؤسسة وذلك بعدم الكشف عن المعلومات التى تتضمنها المحفوظات لأولئك الذين يتمتعون بإمتياز حق الوصول إلى المحفوظات . ـ الكشف عن أية اهتمامات خاصة فيما يتعلق بتجميع أو استبدال الأرشيف .
نحو الواهبين / المودعون .	ـ احترام سرية المفاوضات . ـ قبول المواد الأرشيفية فقط التى يمكن تخزينها ومعالجتها فنيًا والتى تقع ضمن اهتمامات تجميع أرشيفك .
نحو المستفيدين .	ـ معاملة جميع المستفيدين بدون تحيز وبلطف . ـ جعل المواد الأرشيفية متاحة على حد سواء ضمن قيود سياسة التداول والشروط السرية .
نحو المؤسسات الأخرى وزملاء المهنة .	ـ التعاون فى المسائل المتعلقة بالتزويد وحفظ وفرز المحفوظات . ـ تبادل المعلومات حول الإجراءات الفنية والأساليب التى تفيد الأرشيف والمستفيدين .

أن الغرض من هذه المبادئ الأخلاقية هو عبارة عن تعيين المشاركة التى يمكن للأرشيفى أن يقوم بمباشرتها وذلك من أجل وضع الشروط والمسؤوليات التى يجب احترامها. أن هذا سوف يؤدى إلى حماية كل العلاقات وتسخيرها من أجل مصلحةتراثنا الوطنى .

جمعية الأرشيفيين الأسترالية المتحدة

بسبب أن كثير من الأرشيفيين يعملون لوحدهم أو فى أرشيفات صغيرة، فإن كثير منا يعتقد أن نشاط وفعالية أعمالنا سوف تزداد قيمتها بواسطة الاتصال والتعاون مع بقية المهنيين. فكل واحد منا متلهف على تخصيص عناية جيدة للأرشيف والتى يمكن أن يقوم بها من خلال المشاركة فى حلول المشاكل وتطوير مبادئ عامة قابلة للتطبيق العملى.

أن هذه الحوافز قد جعلت الأرشيفيين فى أستراليا يقومون بتأسيس جمعية الأرشيفيين الأسترالية المتحدة، وذلك من أجل الدعم والمشاركة والمساهمة فى الجهود المشتركة التى تقوم بها، أما فى خلال الفترة الواقعة ما بين 1951 - 1975 م فإن مصالح الأرشيف والأرشيفيين فقد كانت تمثل بواسطة قسم الأرشيف فى رابطة المكتبات الأسترالية .

وتعتبر جمعية الأرشيفيين عبارة عن هيأة وطنية لها فروع فى عواصم المدن الأسترالية (ما عدا مدينتى برسبان ودارون). ويتكون مجلس الجمعية الأرشيفية من أحد عشر عضواً يتم انتخابهم لمدة عامين فقط. وأن جوهر مجلس الجمعية ممارسة السلطة التنفيذية بالإضافة إلى إدارة شؤون الجمعية اليومية. كما يقوم كل فرع من فروع الجمعية بانتخاب لجنة وفقًا لقاعدة سنويًا وذلك من أجل تنظيم أنشطة الفرع. وفى الآونة الأخيرة سمحت

الجمعية الأرشيفية بخلق جماعات ذات اهتمامات خاصة والتى يقصد منها ضم أعضاء مهتمون بنفس المشاكل والعضوية أو بالمصالح معًا، على سبيل المثال : مدرسة الأرشيفيين أو الأعضاء المهتمين بعلوم الأرشيف والتقنية.

أن جميعة الأرشيفيين تسعى إلى تحقيق هدفين هامين :

1- باعتبارها هيأة مهنية للأرشيفيين الأستراليين فإنها تسعى إلى تعيين وتشخيص وتحليل القضايا ذات العلاقة بالأرشيفيين.

2- العمل كقناة اتصال وتعاون بين الأرشيفيين وبين المؤسسات الأرشيفية، وبين الأرشيفيين والمستفيدين وكذلك ما بين الأرشيفيين المهنيين العاملين فى المجالات الأخرى المكملة للمهنة الأرشيفية، أما أهداف الجمعية فيمكن تقديمها بالكامل فى القائمة رقم (6)، فيما يلى :

قائمة رقم (6) أهداف الجمعية

إن الأهداف الرئيسية للجمعية هى :

1- تشجيع الحفظ والعناية بالأرشيف بكافة الوسائل المتاحة .

2- ترسيخ مع الإبقاء على استمرارية الاتصال والتعاون ما بين الأرشيفيين والمؤسسات التى يعملون بها بالإضافة إلى المستفيدين من الأرشيف .

3- تأسيس مع المحافظة على معايير الممارسة التطبيقية الأرشيفية والإدارة و السلوك المهنى .

4- تأسيس معايير للتأهيل الأرشيفى والتدريب المهنى .

5- تشجيع البحث فى إحدى مجالات الممارسة العملية بالأرشيف بالإضافة إلى الإدارة والعناية والاستخدام للأرشيف .

6- إصدار مجلة وغيرها من المواد الأخرى ذات الصلة بأهداف الجمعية الأرشيفية .

7- توفير وسائل التجميع والتنسيق وبث المعلومات ذات الصلة بالممارسة العملية ووضع ومشاكل المهنة الأرشيفية .

8- تشـجـيـع العـامـة والجـمـاعـات الخـاصـة إدراك طبـيـعـة المواد الأرشيفيةوقيمتها .

9- تشجيع الاستخدام الفعال والمسؤول للأرشيف .

10- تعـزيز الهـوية المهنيـة ما بين الأرشـيـفـيين وذلك من أجل تحـسين منزلتهم المهنيةورفاهيتهم .

11- التعاون مع بقية المؤسسات الأخرى والجماعات التى تكون لها أهداف مكملة وبصفة خاصة فى مجالات الحفظ والبحث وإدارة المحفوظات .

(12) توفير صوت رسمى فى القضايا المتعقلة بالأرشيف .

وتوجد للجمعية أربع فئات للعضوية :

1- عـضـوية مشـارك، وهى تمنح لكل شـخص يعـمل على مـسـاندة أهداف الجمعية.

2- عضوية مهنية، وهى مفتوحة أمام كل خريج عمل كأرشيفى لمدة عـامين، أو لأى شـخص حائز على تأهيل مـهنى ما بعـد الدراسـة الجامعية معترف به بواسطة المجلس بأنه قد أشتغل بوظيفة أرشيفى لمدة عام على الأقل .

3- العـضـوية الفـخـرية، والتى تمنح بواسـطة المجلس إلى كل شـخص اعترافًا بخدماته إلى المهنة أو إلى الجمعية.

4- العضوية القانونية، وهى مفتوحة للمؤسسات الأرشيفية وغيرها من المؤسسات الأخرى المعترف بها بواسطة المجلس .

هذا وتهدف الأنشطة التى تقوم بها الجمعية إلى استقطاب الأعضاء، هذا ويستلم الأعضاء مجلة الجمعية وهى : الأرشيف والمخطوطات Archives & Manuscript مرتين سنويًا، بالإضافة إلى نشرة الجمعية الإخبارية : Society's newsletter وكذلك مجلة ASA خلال شهرين مرةواحدة . هذا كما تقوم فروع الجمعية الأرشيفية بعقد اجتماعات منتظمة (محاضرات، ورش عمل، زيارات، مناقشات ولقاءات اجتماعية) وذلك من أجل مناقشة كافة القضايا والاهتمامات وذلك بالعمل على جمع الأعضاء معًا . هذا وتقوم الجمعية بعقد اجتماع كل عامين والتى يقوم فيه المجلس بإعداد تقارير وقبول التوجيهات وكذلك العضوية، أما المؤتمر الذى تعقده الجمعية فإنه يشجع غير الأعضاء لحضوره وأنه يتزامن مع الاجتماع العام لمجلس الجمعية الأرشيفية .

أما أهمية الجمعية للأفراد والمؤسسات فهى تعتبر معروفة بصفة عامة، فهى تعتبر وسيلة للاتصال والدعم والتعلم أو التدريس والتآلف الاجتماعى والتكيّف للأعضاء المنضمين إليها .

FURTHER READING :

1. Cook, Michael, Archives Administration : A Manual for Intermediate and Smaller Organizations and for Local Goverment. Folkestone, Kent : William Dawson, 1977 .

2. Daniels , Maygene and Timothy Walch, editors, A Modern Archives Reader : Basic Readings on Archives Theory and Practice. Washington. DC: National Archives and Records Service, 1984.

3. Lytle, Richard, editor, Management of Archives and Manuscript Collections for Librarians. Chicago, IL: Society of American Archives, 1980 .

4. Schellenberg. Theodore R., Management of Archives. New York : Columbia University Press, 1965 .

5. White , Olga, et al., Our Heritage : A Directory to Archives and Mamuscript Repositories in Australia. Canberra Australian Society of Archivists, Incorporated , 1983 .

* Pederson, Ann . Keeping Archives . Sydney: Australian Society of Archives Incorporated, 1987. Chap. 1. pp. 1 - 18 .

محتويات الكتاب


وقل رب زدني علما
جامعة قاريونس